# و المالية الما

العصرالعتاسي

الدكتورمحدر غلول سلام أشتاذ اللفت الدينية وآدايها كليت الادادب - جامعة الاسكندية



# خاساف العالمة العالمة

العصرالعتاسي

الدكتورمحدرغلول سكام أشتاد الغنة الدينية وآدايها كلية الإدامة رجامعة الاسكندية

السناشر المنطقة إف مالا مكندية بعلال حزى وشركاه

القبدسم الاول

شسعواء مسن القسرن المتسائى

# بسم الله الرحمن الرحيم

### تقسديم

هذه دراسة حول مجموعة مغتارة من شعراء العصر المبامى وأدبائه أردت أن تكون جامعة لنماذج من الاتجاهات الادبية المغتلفة خلال هذا العصر الزاخس من عصور الحضارة العربية الزاهسرة ، وفي قرنين من الزمان بعد قيام الدولة أى حتى أوائل القرنالسابع الهجرى أو حول منتصفه -

وقد شهدت هذه المرحلة الادبية تلك النهضة الكبيرة التي خللت أصداؤها تتجاوب في دراسات الادب والعلم عملي ممدى العصمور -

ونجب بين هؤلاء الذين نتناولهم بالدراسة جماعة من المشهورين الكبار ممن كثرت حولهم الاحاديث ، وقد لا يجد القارىء جديدا فيما نقول عنهم • لكنه سيجد عرضا لعله أقل ايجازا وأكثر الماما بخصائصهم ، وربما غلبت عليه اللمحات الدالة أكثر من التفصيل •

وعلى هذه الدراسات يبدو طابع الاختيار للرجال والنصوص ويتفاوت التناول بين واحد وآخر، فقد تجد شاعرا أو كاتبا تطيل معه الوقفة ، ونطيل الشرح ، ونكثر الاختيار ، وقد نمر على الآخر مرا مريعا •

وليس من سبب وراء هدا أو ذاك سوى ميل لاطالة المنحبة يغرى به فن الشاعر وشخصه ، أو كتابة الاديب وروحه أو عكس ذلك ، يزهد فيده ، فينقض القلم منه نفسه ويعجل بطى الورق -

وقد لا يغرى بالاطالة كذلك نقص المادة ، أو كثرة ما قيل وليس من جديد لنفاد عطاء من كثر حوله القول -

وغاية هذه الدراسة أن نضع بين يدى ناشئة الادب ومريدية تصورا يغريهم بقراءة من قدمناهم ، وزيادة القربى منهم أو من يختارون ميلا وهوى "

والله يعد هــذا الموقق والمسدد للخسير ٠٠٠

محمد زغلول

#### البيئسسة

#### المكان والعصس والمجتمع

الحديث عن الادب يستتبع بالضرورة الحديث عبن المسرح الذي دار فيه ونبع منه ، بصورته الجغرافية ، والبشرية ، او الحيوية عاملة ، وما أتاحته هله الصورة للادب من قرص للنعو والتطور ، ومنا عكسته عليه من الالوان ، وبثت في ثناياه من المعالم والملامح ،

والحديث عن الادب العباسي يستتبع بالضرورة حديثا عن مكانه أو أمكنته ، واذا كان الادب الاسلامي والادب الاموى يتخذ ميادين رئيسية له في الحجاز ومدنه مكة والمدينة التي نشأ فيها الاسلام • وتبع الخلافة الى انشام فصارت دمشق مورد الادباء ومصدرهم • فان الادب المباسي انتقل الىالمراق واتخف من عواصمه الثلاث الكبرى: الكوفة والبصرة وبقداد ممقلا وملاذا •

وليس معنى هـنا أن العراق لم يكن موئلًا لادب أو نشاط أدبى قبل عصر العباسيين ، بل أن العراق كان حافيلًا بالنشاط الادبى كذلك في العصر الاموى ، ولكن ثقل هـنا النشاط كان بالعجاز والشام كما ذكرنا ، وعاد في عصر العباسيين بالعبرا ق-

ونبدأ حديثنا بالكوفة لانها كانت مسلاذ العباسيين ، وموطن دعوتهم ، وكانت كذلك عاصمتهم الاولى ، خرجوا منها الى بقداد "

والكوفة مدينة داخلية بعيدة عن البحسر ، قريبة الى المجزيرة العربية أو الى عمق الجزيرة ، وهي بيئة غلبت عليها

الثقافة العراقية القديمة ، وأحاطت بها آثار المسيحية في صور الاديرة والبيع المنتشرة بالحديرة ·

ومن هنا كانت الكونة أكثر انغلاقا ، وتأثرا أو حقاظا على القديم، لانها ليست من الثغور، ومن ثم فليست مجالا للاختلاط بين الاجناس والثقافات التي قد تطفى على التراث أو تتغول عليه وتمحموه ٠

#### اليصبرة:

وتختلف في موقعها وبيئتها عن الكوفة ، فهي مدينة بحرية مفتوحة للثقافات المختلفة الذي يمكن لها كونها ثغرا على البحر يفد اليه الناس من أجناس متباينة عبر الخليج وبحسر الهناد والصين • وموقع البصرة كان وما زال من المواقع البحرية التاريخية الهامة التي تصل الشرق بالغرب •

ولذلك كانت البصرة تتلقى الأثار التي تفد عليها من هنا ومن هناك على ظهرور السفن وتسند ظهرها الى الصحراء بيئة العدرب -

والبصرة عربية النشأة نزلتها قبائل العرب بعد فتح فارس وأقامت فيها ، وعاشت بها بعض القبائل العربية الكبيرة • وكانت تنقسم أخماسا كل خمس يسكنه بطن أو فرع •

وأهم قبائل العرب بالبصرة أهل العالية وأكثرها تعيم ويكر ابع وائل وعبد القيس والازد - ويعنى تعبير أهل العالية • كل من كان من جهية تجيد من المدينة وقراها وعمائرها الى تهامة وتضم قبائل قريش ، وكنانة وبجيلة وخثمه وقيس عيالان - وكانوا أكثر قبائلها عددا • رمزينة وأسد •

وتعدد تميم المؤسس العقيقى للبصرة • ومن يقدرا كتاب طبقات ابن سعد يتضع له أن معظم قادة الفكر والدين والسياسة في البصرة بالقرن الاول كانوا من تميم (١) • وحمدل هؤلاء الثقافة العربية وكانوا عمادها •

وضعت البصرة مجموعة أخسرى من العناصر والاجناس كالنبط - ويطلق العرب هذا الاسم على الأراميين من سكان العراق أو « السواد » دون تمييز · وتعتد أصولهم إلى الكلدانيين سكان العراق القدماء -

ووقف النبط موقفا وسطا بين العرب والفرس في النزاع الذي دار بينهم ، وكانت له مظاهره المختلفة ، ويمثل الفرس صادتهم السابقين بينما كان العرب سادتهم الحاليين ،

واشتنل معظم النبط بالزراعة والعدرف البسيطة ، وظلوا مواطئين من الدرجة الثانية ينظر اليهم العدرب والفرس نظرة احتقار \*

وكان الفرس من المواني ومن أبناء الامصار ممن لا يرقون الى مستوى العرب في الدولة \* وظلوا يشعرون بالمهانة في ظل الدولة الاموية الى أن شاركوا في الاطاحة بها \* وجاءت الدولة العباسية في حمى سيوفهم وتحت راياتهم فكان لهم في ظلها

١ ... راجع ، بيئة البصرة وتكوين الجاحظ لشارل بللا ، ص ٤٥ :

۲ \_ شخصية بفسار س ۱۶۱ ٠

شبأن ، وزاحموا المسرب وغالبوهم ، وفاخروهم ، بل وتعالوا عليهم وناصروا الشعوبية التي حاولت الازراء بالعرب وأسولهم وتقاليدهم وعقائدهم وتراثهم جميعا •

وأثرت المثقافة المفارسية في المجتمعات العربية أولا عن طريق اللفية وتسرب بعض الالفياظ المفارسية الى المجتمعات وخاصة مجتمع مدن العراق •

وكانت البصرة متللا لطهور اللفة الفارسية في حيداة الناس وآحاديثهم ومخاطبتهم كما مثلت اللفة الفارسية جانبا من ثقافة بعض العلماء وظهرت أنفاظها في شعر الشعراء وكتأبة الكتاب تظرفا وتملحا أو ادلالا بالمرفة والتحضر •

وأشاع العصر الفارسي كثيرا من التقاليد والعادات ، وصور السلوك الفارسية في المسكن والمطعم والمسآكل - وغزت أفكار الديانات الفارسية القديمة من مزدكية ومأنونية وغيرها عقول الناس وظهرت آثارها على الادب والشعر -

وتمثل طبقة الكادحين في البصرة أجناس من العبيد والمكدين من بلاد مختلفة ، وقد كثر بينهم الزنج لحاجة ملاك الاراضي وأصحاب البساتين اليهم فيما تنطلبه من العمل الشاق واكثرهم من زنوج ساحل أفريقيا الشرقي \*

وتضخمت هذه الطبقة ، وشكلت خطورة كبيرة في المجتمع البصرى بل وهددت الخلافة المباسية بما قامت به من ثورات كان أخطرها ثورة الزنج المشهورة في القرن الثالث ( من سنة ٢٥٥ هـ الى سنة ٢٧٠ هـ ) • وقدد اختلفت نظرات المؤرخين البها •

ومن سمكان البصرة والرط ، أو أهل السند والهند ، وكان اكثرهم يعمل بالعرف الصغيرة والهبيرفة واختمرت فيهم الثورة أيضا أخريات القدرن الثاني وأوائل القرن الثالث ، وأثاروا المتاعب في البصرة للخلافة العباسية مما اضطر المآمون سنة ٢٠٥ هـ إلى صربهم وانقطعت بعدها أخبار ثورتهم الى أن ولى المعتصم فبعث بأحد فادته اليهم سنة ٢١٩ هـ وكانوا قد قطعوا الطريق الى البصرة و

ورهم قلة العنصر الرومي نسبيا في البصرة الا أن الثقافة الميونانية كانت بها ذات شأن ، وكان القائمون عليها من عناصر النساطرة الذين حافظوا على هدف الثقافة بالحيرة والعراق ، ويمكن لهدف أن يقال ان الثقافة اليونانية كانت أقدم في هذا الاقليم من الثقافة العربية ، ولعلها ترجع الى زمن الاسكندر لمقدوني حين جاء الى هده البلاد وأنشا المدن وتسرك جاليات يونانية استوطنتها ، ولا شك أنها طبعت العياة بطابعها وخلفت يونانية اسيوطنتها ، واستعانت بها في جدلها فسد الثقافة اليونانية وتشربتها ، واستعانت بها في جدلها فسد الديانات الوطنية أو فيما بينها وبين الطوائف المسيحية المختلفة ، واعتمدت الفلسعية المختلفة ، واعتمدت الفلسعية المختلفة ، واعتمدت الفلسفة اليونانية والمنطق خاصة في تلك الخصومات ،

وأعادت طائفة المعتزلة الخياة الى تلك الثقافة وبعثتها من جديد ، ودعت الى الاهتمام بها لأنها اتخذت منها وسيلة للرد على المعارضين للاسلام والدعوة له في الأفاق ، كما اتخذ المتكلمون علمة من الغلسفة والمنطق وسائل للبحث فسي كثير من القضايا المدينية .

ولمبت الترجمة دورا هاما فسي نقل علوم اليونان الاخرى

كالطب والهندسة والطبيعة والحساب الى العربية - وساهم النقلة من السريان والنساطرة بجهود جليلة في هدنا الشان ، وخاصة مند أخريات القرن الثاني وطوال القدرة الثالث • وهد شجع المآمون هذه الحركة وشارك فيها ببعداد بعد البصرة حتى صارت بغداد مركزا نشطا للترجمة عن اليونانية وغيرها -

#### يغسداد :

وهى المدينة المدورة التي بناها ابو جعفير المنصور على نهير دجلة سنة ١٤٥ هـ وسمأها دار السلام • وكانت دولة بني المعالى بادىء أمرها قائمة بالكوفة ، ثم انتقل خلفاؤها بعد المنصور الى بغيداد •

وبنداد القرب في موقعها الى الكوفة منها الى البصدة ، ولهذا كان للكوفة أثر كبير على الحياة والفكر والادب في بقداد وقد أثب خلفاء العباسيين ثقافة الكوفة على ثقافة البصرة فغلبوا علماء الكوفة على علماء البصرة في قصورهم ، وفضلوهم في تربية أبنائهم \*

واشتهر من علماء الكوفة ببغسداد جماعة من رواة الآدب وعلماء اللغة أمثال المفضل الضبى معلم الخليفة المهدى، والكسائى معلم الآمين ومؤدبه • كذلك اشتهر بها من الكوفيين أبو العباس ثعلب •

وظلت بغداد كذلك يغلب عليها الطابع الكوفى حتى تغير الامر في عهد الخلفاء العباسيين معن ولوا الغلافة في القرن الثالث الهجرى أعنى المامون والمعتصم والواثق والمتوكل ومن يعدهم \*

فان عناصر بصرية بدأت تفزو الحياة الفكرية والأدبية في يغداد ، حتى سيطرت على مجالس الخلفاء وكبار رجال الدولة • وتذكر على رأسهم أيا عنمان عمرو بن يحر الجاحظ وأبا المياس المبرد •

واختلطت الثقافة البصرية بالثقائة الكوفية ، ومازج الثقافتين عناصر أخرى وافدة ،وخرج منها جميما ثقافة جديدة يمكن أن تمثل طابع بنداد -

ومن هنا بدأت تظهر في تاريخ الثقافة العربية مداهب بغدادية في النحو واللفة والادب والفكر عاملة تقابل مذهبي البصرة والكوفة بدل وتجمع بينهما أحيانا وتوفق فلى كئير من الاحيان •

وقد غلب على بقداد العنصر الغارسي ، وبدت مغاهسر المحضارة الغارسية في وضوح وخاصة في نظم العيش والادارة توفي اللباس وعدادات الناس و فغلبت القلنسوة الفارسية عنى الممامة المربية -

ولم يقتصر الامسر على المفرس بل جمعت بغداد عناصر الحرى ، وبدأ الروم والاتراك يزدادون شيئا فشيئا فلى قصور الخلفاء وكبار القوم ، وخاصلة بعد أن استكثر منهم الخليفة المعتصم واثرهم للخدمة والجيش على غيرهم .

وكانت هـنه العناصر من الترك مصدر متاعب كثيرة للخلافة لشراستهم وشفيهم وقد يلغ بعضهم مكانة مرموقة في قصور الخلفاء ، وسيطروا من خلالها على شخص الخليفة نفسه فكان لا يملك معهم شيئا -

# المجتمع العباسي:

كان المجتمع العبامي يتكون من طبقتين كبيرتين أو فعالتين الطبقة العليا أو و الارستقراطية ، وهي طبقة الاشراف وتضم الخلفاء والامراء والقسواد وكبار الرؤساء والوزراء والكتاب وكبار التجار وزعماء القبائل و والطبقة الثانية الطبقة الدنيا من الاكرة ورقيق الارض وأصحاب المهن والحرف الصغيرة و

ولا يعنى ذلك انعدام الطبقة الوسطى ، لكنها لم تكن متماسكة أو متضامنة فعالة كما هى الحال فى المجتمعات العديثة ، والتى تحتمل فيها همة الطبقة مكان الصحدارة وهمى مصدر النشاط والابداع ، بل ومصدر النورات والتغيرات المستمرة فى المجتمعات وكانت مصدر النورة الفرنسية الكبيرة في المترن النامن عشر الميلادى .

ويمكن أن يقال أن الطبقة الوسطى في المجتمع العبامي كانت تتكون من مجموعة من صغار التجار ومتوسطيهم ، ومن صغار الموظفين في الدواوين ورجال الشرطة ، وغيرهم ممن يحصلون على رواتب معلومة اسد حوائجهم تكاد تكفى حاجاتهم الميومية ، ولا فائض لديهم لحياة الدعة والثرق .

وكان للطبقة العليا أثرها الاكبر في المجتمع ، كما شاركت الطبقة الدنيا في الاحداث ·

والى جانب تقسيم المجتمع الى طبقات يمكن تعليل عناصره الى مجموعة من الاصول ذات الثقافات المختلفة ، بعضها واقد من الغمرب ، تعازجت تقاليدها ، وأفكارها •

وصارت كل فئة مشهورة بأشياء خاصة في طبع أو في فن أو علم •

و تحدث أبو عثمان عمرو بن بحسر الجاحظ عن هذه الميزات فقال عن الزنج مثلا: وهم طبقة رقيق الارض في اقليم البصرة خاصمة و انهم أطبع الخلق على الرقص والطرب بالطبل على الايقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم و وليس في الأرض أحسن أخلاقا منهم ه و

وقال عن الصينيين و وميزة سكان الصين الصناعة ، فهم أصحاب السبع والصباغة ، والاصباع المجيبة، والنحت والتصوير والنسج » وعن اليونانيين قال : « انهم يعرفون العلل ولا يباشرون العسل ، وميزتهم الحدكم والاداب » • وأسا القرس فميزتهم مباشرة الملك والسياسة • وبرع الأثراك في الحروب ، واشتهر أهل السند بالصيرفة والعلم بالعقاقير • قال الجاحظ : و لا ترى بالبصرة صيرفيا الا وصاحب كيسه سندى • وقل صيدلاني عندنا الا وله غلام سندى فبلغوا أيضا في الخبرة والمدرفة بالمقاقير وفي صححة واجتلاب الحرفاء مبلغا حسنا » •

كذلك كان لكل باحد في العالم الاسسلامي آنذاك شهرته الخاصة ، ينطبع بها أهله ويعرفون في كل مكان • فكانت شهرة مسرو وخرسان البخل • قال ثمامة بن أشرس : ما رأيت الديك قط في بلدة الا وهو يدعو الدجاج ويثير الحب اليها ويلطف بها الا في مسرو فاني رأيته يأكل وحده ، فعلمت أناؤمهم في المأكل • ورأيت في مسرو طفلا صغيرا في يده بيضة ، فقلت له : أعطني ورأيت في مسرو طفلا صغيرا في يده بيضة ، فقلت له : أعطني منهم بالطبع •

كذلك عبرف اليمنيون بالعشق ، والعجازيون بالدل . والمراقيون أو البنداديون خاصة بالظرف ، وهكذا -

وكان لكثرة المناصر غير العربية في المجتمع الاسلامي أثارها الاجتماعية ، وأبلغ تنك الآثار ظاهرة الموالي والولاء وأدت الى قيام المشكلة أسباب عدة ، منها عصبية العرب لعروبتهم وتعسكهم بأنسابهم واعتبارهم كل من لا يمت بنسب أو من لا يمتد نسبه ويعرق دعيا ،

وكانوا يعتبرون أنقسهم في الدرجة الاولى ، والعناصر الثانية بعدهم في الدرجة الثانية وانتشر الموالى من أبناء الامصار ممن استعربوا أو من أبناء الاماء الذين اختلطت دماؤهم وانتشر هؤلاء وهؤلاء وعرفوا بالموالى ، والعتوا بالقبائل العربية ، وفرضت كل قبيلة حمايتها على جماعة منهم في كل مصر من الامصار .

وتروى عن ظاهرة تعصب العرب لدمائهم أخبار ونوادر كثيرة فى كتب الادب والتاريخ ، منها ما رواه الميرد عن شيخ من الازد عن رجل منهم أنه كان يعلوف بالبيت وهو يدعو لابيه فقال له : لم لا تدعو لامك ؟ فقال : أنها تميمية "

وكان العرب يكرهون أبناء الاماء من الفرس وغيرهم حتى تشأت من الموالى طبقة من أبنياء الامياء من الفرس كانوا فى مقدمة الفضيلاء وأهل العلم والتقيرى والادب مشيل الحسن البصرى ومحمد بن سيرين ومعيد بن جبير وعطاء بن يسار وربيعة الرأى وابن جريج • وأمثال على بن الحسين والقاسم أبئ محمد ، وسألم بن عبد الله من فقهاء المدينة الذين فاقوا أهلها فقها وعلما وورعا •

وشعر المولدون أو الموالى باحتقار العرب لهم • فأحسسوا في نفوسهم بالضيق ، وشعروا أنهم لا يقلون عن العرب استحقاقا، ورعاية من الناس والدولة ، فهم أكفاء للعرب لا يقلون عنهم من حيث الثقافة والاستعداد والحضارة والتاريخ القديم • يل لملهم يفوقونهم في التاريخ القديم •

ومه هنا نشأت مشكلة الشعوبية التي أثرت تأثيرا كبيرا في الادب والعلم ، والحياة - وظلت أصداؤها تتجاوب في أنحاء الامة الاسلامية مدة مديدة من الزمن -

# الشعوبيسة :

والاصل في الشعوبية المساواة يسين شعوب الامة الاسلامية في الحقوق والواجبات وتطسور مفهسوم الكلمة بتقدم الزمن وأصبحت الشعوبية تعنى المداوة للعرب وكان آكثس الناس مناصبة لهم بالعداء الفرس واكثرهم تعريضا بهم واظهارا له عامتهم ويقول ابن قتيبة:

و ولم أر في هذه الشموبية أرسخ عداوة ولا أشد نصياً للمرب مع السفلة والعشوة وأوباش المنبط وأبناء أكرة القرى ، فأما أشراف المجم وذوو الاخطار منهم ، وأهل الديانة فيمرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتاً » \*

ويقول: « وان معن ذهب مدهب الشعوبية أقواسا تحلبو بعليسة الآداب ، فجالسسوا الاشراف ، وأقواسا السعوا يعيسم الكتابة فقربوا من السلطان ، فدخلتهم الانفة لآدابهم والغضاضة لافتقارهم من لؤم مفارسهم وخبث عناصرهم » " وبدأ العداء للعرب بين القرس مند آخريات المصر الاموى ، ولكن الامويين قابلوه بقوة لتعصبهم للعرب ، ولذلك كره الشموبيون الحكم الاموى وعملوا ضده - فاعانوا المباسيين وانخرطوا في سلك دعوتهم ٠

ومعنى يذكر من شعراء الشعوبية في عصر بنى أمية اسماعيل ابن يسار - دخل مرة على هشام بن عبد الملك فأنشده قصيدة يفخر فيها بعصبيته ، ويمجد تاريخ الفرس وملوكهم يقول فيها :

ائی وجدای ما عودی پذی خبور اسلی کریم ومجبلتی لا یقاس یه احمی یه مجلد اقبوام دوی حسب جعاجح سبادة یلج مرزایـــــ من مثل کسری وسابور الجنود معا

عند الحفاظ ولا حوض بمهدوم وثی حسام کعد السیف مسموم من کل قرم بتاج الملك معوم جسرد عتاق مسامیح مطاعیم والهرمـزان لفخـر آو لتعقلیـم

فغضب هشام وقال: أعلى تفخر بأعسلاج قومك ؟ • غطوه في المساء • فغطوه في البركة حتى كادت تخرج نفسه • ثم أمر باخراجه ونفساه الى العجاز من وقته •

وقى مطلع الدولة العباسية انتشرت حركة الشعوبية ، ونطق بلسانها جماعة من العلماء والادباء والشعراء بينهم بشاه ابع بسرد • وكان ديك الجسن من الشعراء المتعصبين على العرب فكر أبو الغسرج في الاغانى أنه كان يقول : وما للمسرب علينا فضل » •

واتهم أبو عبيدة معمد بن المثنى المالم الراوية المشهور بالشعوبية ، وبأنه آلف الكتب في مثالب المرب ورجائهم " وأدت هذه الحركة الى أن يدافع العرب عن أنفسهم فقاوموا وألفوا كذلك الكتب التي تتحدث عن مآثرهم كما نظم شعراؤهم في فضائلهم ومثالب الفرس وغيرهم من الشعوب \*

وكانت نتيجة هذا كله زاد من الكتب والقصائد بقى لنا وأمثلة كثيرة من المفاخرات والمناظبرات حفظتها كتب الأدب والاخبار -

### الزندقىة :

واذا كانت الشعوب نتيجة لقلة العناصر قد يرالعربية وخاصة الفارسية في المجتمع المسربي فان هذا أيضا ، كان من آثاره تلك العركة الفكرية والاجتماعية التي عرفت بالزندقة وكان من رجائها وروادها الاوائل جماعة من الموالي الفرس ومن الشعوبية خالبا •

والزندة هذه كلمة قد ترجع في أصولها الى الغارسية ، ولكنها كانت تعنى غالب مدانى كثيرة ، فهناك زندقة فكرية ، وزندقة دينية ، وزندقة اجتماعية \*

قاما الزندقة الفكرية فهي الاعتقاد ببعض عقائد الفرس القدماء ، وان كانت لا تعني بالمنرورة الغروج عن الاسلام الى الالحاد والتوقف عن العبادات "

وأما الزندية الدينية فهى معاداة الدين الاسلامى ، والتهجم على القرآن ، تعظيم الديانات الفارسية القديمة ومحاولة التحدث عن قضائلها - وما الى ذلك ، كالحديث عن النار والطبن وفضل النار على الطبن -- وقد تكون الزندقة عنا كذلك الاعتقاد في المانوية أو الزرادشية أو المزدكية -

وأما الزندقة الاجتماعية فهى الخروج عن حدود الاسلام والمجتمع الاسلامي والاخسلاق الاسسلامية ، والاسراف في ذلك والتجاهس بالاثم ، أو التحرر وعدم التحرج في ارتكاب بعض المحسومات ، والمتهتك ، أو اظهار الاستهتار بالقيم والمقدسات ،

ووجد بين الادياء والشعراء من وسموا بالزندقة الفكرية أمثال ابن المقفع وصالح ابن عبد القدوس .

ومنهم مع رمى بالزندقة الاجتماعية أمثال عصبة المجان التي كانت تضم والبة بع الحباب والحسين بن الضحاك ، ومطيع ابع اياس ، ويحيى بهزياد وأبا نواس .

واشتهر هؤلاء بالظـرف ، وضرب بهـم المثل فيه حتى قال شـاعرهم :

#### « تىسە مغن وظلىرف زىلايق »

وأتيح لهؤلاء وهؤلاء فرصة الحرية التي نعم بها الناس أيام الدولة العياسية ، وخاصة بعد أبي جعفر المنصور أي في أيام المهدى والرشيد والامين والمآمرن \* فأسرفوا في استغلال هذه الحرية ، وجاهروا بالمعمية حتى قال بشار:

من راقب الناس لم يظفر بعاجته وقباز بالطبيات الفاتك اللهبج وقبال مسلم الخاصر:

من راقب النساس مات غما وقان باللسلة الجسمود ونادى أبو تواش بالجهر في شرب الخمر وترك التستر:

الا فاسقنى خدرا وقل لى هي الخمر ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر وكان من آثار هذا التحرر في القول والعمل قلى المجتمع

المباسى ميل الناس الى المتملة وخاصة لمنا اشاعته الحقتارة المادية المزدهرة بينهم من الرغيبة في الحيناة والاقبدال عليها والمب من لذاتها -

وأصبح الناس يقبلون على الدنيا ويدينون و بالابيقورية » أو مذهب الاستمتاع بالحياة الدنيا لانها فتسرة قصميرة ونزهة هارضة من الحماقة ألا يغتنمها الانسان قبل فوات الاوان \* وهي ليست جديرة بأن تقضى في طلب المستحيل أو المتنع \*

وتفنن الناس في ضروب الاستمتاع أو التلذد ، في المأكل والملبس والمشرب في السماع والفناء ، والاستمتاع بالخمس والنساء ، وبالخدم والجواري وكل ما تتبعه الحضارة -

#### الجسواري والعيساة:

أثرت الجوارى في المجتمع العباسى أثارا متعددة ، فقد ساعدت على ما سرى في المجتمع من روح العبث وان كانت قد دفعت الشعراء الى لون من الشعر لم يكن معهودا من قبل هو ذلك الغزل الظريف ، أو الغزل الرقيق الذى تحس فيه يروح العضارة والرفاهية وكانت الجوارى تشيع في المجتمع حب الجمال في صوره المختلفة ، بما يلتزمنه من التجمل في الملبس والزينة ، وبما يحرضن عليه من الاهتمام بالزهر والطيب ، وكذلك رققن طباع الناس في المعاملة وآداب السلوك في الشراب والطعام م

وتأثر الادب بالجوارى آثارا عدة فقد كن وحيا للشعراء ، كان كانوا يتعشقون المغنيات وينظمون الشعر الجميل فيهن • كان

بشار يعشق جارية تغنى ويطرب لغنائها وصوتها فيصل صوتها الى قلبه قبل أن يجلس اليها •

قالوا يمن لا ترى تهذى اقلت لهم الاذن تعشق قبسل العمين آحيسانا

وكان الجوارى أنفسهن أديبات يعرفن الاخبار والاسمار ويحفظ الشعر ويروينه، بل كان منهن من ينظمنه مثل عريب جارية المأمون \* وكانت من أعظم جوارى العصر \*

#### يشسار بن بسرد

# ولد بالبصرة حوالي سنة ٧٧ هـ وتوفي في خلافة المهدى سنة ١٦٨ هـ

ولد بشار في البصرة ابان الدولة الاموية في خلافة عبد الملك ابع مروان من أحد كيار خلفائها (١)، ودهاتها ( تونى عبد الملك سئة ٨٦ هـ ) • أو الوليد اينه من أب ( برد ) فارسى الاصل من موالي بني عقيل بالبصرة -

ونشأ في حجب هذا البيت العربي المريق ، وكان يفخس يولاثه فيهم ، ويما أخذه عنهم من الفصاحة - يقول :

انتي من بني عقيل بن كعب موضع السبف من طبلا الاعتباق

وبنو عقيل من بني عاس من « قيس عيسلان » لهسدا اعتبر شاعر قيس كلها ، ويهذا خاطيه القيسي يهذا اللقب ، ونبهه الى خطورته ، وما ينبنى عليه من المحافظة عليه - يقول محمد اين حازم الباهل:

اتىق الله الت ئىسباعى قيس

ويفخر بقيس فيقسول:

آمنت معسرة القحشاء أني كان الناس مين تفيب عنهم وقد كانت بتنمس خيل قيس بعى من بنى خيالان شوس ومنا تلقاهم الإصبرتا

لا تكن وصمة على لشعراء(٢)

آرى اليسا تضر ولا تضبار نبأت الأرض اخطاه القطال قكان تتلص فيها تعبسان يسير الموت حيث يقسال ساروا يسرى متهسم وهسم حسران

<sup>(</sup>١) يختلف الناس في مولده ٠

وراجم الاشائي ، وكتاب و بشار بن يسرد ، أحسان منصور من ٢ ، طبع الفاهيرة ١٩٣٠ -

فبشار اذا يشارك في هذا الصراع القبل الذي احتدم ابان العصر الاموى بين القيسية واليمنية ، ويأخذ جانب القيسية، لولائه ، ولانه اعتبر شاعر قيس بالبصرة ، وبخاصة بعد موتجرير والفرزدق (۱) -

وتنازعته العصبية الفارسية ، فلم ينج من الفخص بها ، اذا ما اثاره أحد أو غمره فيي نسبه غامسن وتسراه يجمع بسين الولاءين ، فيفخر يمروبته ولاءا ، وبأصله الفارسي ، وقد بلغ به بعض الناسسيين ، ورواه الاغاني الى أحد علوك الفرس القدماء وهو « جستاسب » ، ويشير الى هذا النسب العريق في شعره ، حين يشمخ به فيقول (٢) :

ورب ذی تاج کریم الجد کال کسیری وکال بسیره فصیلته عین میانه والرئید

ويقسول :

يقولون من ذا وكنت العلم ليعرفنى أنا أنف الكسرم قروعي وأصلي قريش العجم

ونبئت قوميا بهيم جنة الا أيهيا السائل جاهيدا نمت في الكسرام بني عامير

فالشاعر اذا متقسم النفس بين الولاء للعرب ، الذين ترعرع فيهم ونشأ ولقن الفصاحة والشعر ، والولاء للفرس الذي يجرى دمهم في عروقه ، وهو في هذا وذاك ينظير الى نفسه فيجد المتناقضات ، وهو شاعر موهوب ، من أصل عريق ، فمن حقيه أن ينزل بين الناس منزلة كريمة رفيعة ، لكنه لا يجد في الوقت نفسه

الاقسائي ــ دار الكتب ، ج ٣ ، من ١٣٩ .

 <sup>(</sup>۲) من أرجوزته المشهورة في عقبة بن سلم.

تلك المكانة التي يوجوها ، ويأبي القدر الآ أن يزيد في تعاسته ، والا أن يباعد بين ما هو عليه من واقع العالى، وسا كان يصبو اليه ، فيولد قبيح الوجه بالعمي ، ويأبي الآ أن يضاعف هذا القبح فيصاب بالجدري فيزيده تشوها ، ويشب ضخم البحثة كالفيل أو كالثور ، فيما يصفه الرواة · وكأن جاحظ العينين ينشاهما لحم أحمر زاد في قبحه حتى صار يضرب به المثل ، يقول مخلد بن على السلامي في هجاء ابراهيم بن المدير :

أرانى الله وجههك جاحظيا وعينهك عهين بشار بن برد

ومما روى في صفاته • قال الاصمعى : « وصف في بشار فكان أقبح الناس عمى ، وأنظعهم منظرا » ،وقال: « كان بشار ضبخما عظيم المخلق والوجه مجدورا ، جاحظ المقلتين ، وقد تفشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظرا ، وكان اذا أراد ان ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب » "

وكان لشكل بشار وضعامة جثته أثر على نفسه ، فكان يخشى الناس آن ينبذوه به ، وكان يقف منهم اذا ما تعرضوا لصورته موقفين ، فيهيج تارة ويثور اذا ما رأى ضعف من أمامه من شاعر أو غيره ، فاذا كانت امسرأة سلقها بلسان خبيث ، وأما اذا خشى من أمامه أن يشهر به سالمه وضعف أمامه \*

وكان بشار يلقب بالمرعث ، لانه كان يلبس رعشين أو قرطين في أذنيه كمادة القرس القدماء ويكنى بأبى معاذ -

ويحلل بعض الباحثين ـ الدكتور النويهي ـ شخصية بشار ابح يرد في ضوم علم النفس وعلى أساس ما عرف من صفاته وآخلاقه ، وسلوكه الاجتماعي ، فيراه أعمى دميما ، مولى مضطهدا منجوسا حساسا أبيا مشاكسا ، سليطا فاجرا ، ، متشككا ممقوتا ، كارها للبشر ، الى جانب يعض الصفات الخديرة ، فقد كان بارا بأعله وولده وبعض أصدقائه ، كريما ، صدوقا قدى صداقته ، صفوحا أحيانا ، فكها شجاع القلب والرأى ، عنيدا -

وحاول النويهي أن يكشف عن أثر بيئته في طبعه ، من خلال تلك الصفات التي ركبت منها شخصيته ، وهو يرى أن العوامل الاساسية في اصطباغ شخصيته بتلك الصفات الصارخة هيي خلقته : عماه ، ودمامته ، وحدة شموره ، وتهتكه الجنسي و هو مهما تكن البيئة التي يعيش فيها فلابد من أن يتعذب قدرا من العداب بسبب حرمانه البصر ، وقبح منظره و

وكان بشار ميالا الى المبت منذ صفره ، نزاعا الى الهجاء والسخرية بالناس ، وقد بدأ قول الشعر في صباء ، وناش بلسانه مع وقع في طريقه ، فلجأوا الى والده لينهاه فكان يضربه ، فلما ضاق به وزجره لكثرة شكوى الناس منه قال له بشار : يا أبت ان هذا الذي يشكونه اليك منى هو قول الشعر ، وانى ان أتسمت عليه أغنيتك وسائر أهلى - فاذا شكونى اليك فقل لهم : اليس الله عز وجل يقول : (ليس على الاعمى حرج ) ، فلما أعادوا الشكوى على أبيه قال لهم ما ذكره ابنه فانصرفوا قائلين : والله الشكوى على أبيه قال لهم ما ذكره ابنه فانصرفوا قائلين : والله الفقه برد أغيظ لنا من شعر بشار "

وكان عابثًا لا يرهى حدود الدين ، والمجتمع ، أو التقاليد

ولا يرعوى من زجر ، ويجرى مع رغباته • كما يقول : « ولقد جريت مع الصبا طلق العسبا »

ويدعو إلى اقتحام اللهذات فيقسول: من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفسائك اللهسج

وفي شعره دعوة صارخة ألى الاباحة وعدم مراعاة الحرم في النسام يقول:

لا يؤيسنك من معجبة قسول تفلقله وان جبرها عسر النسساء الى مياسة والصعب يسهل يعدما جمعا

وكان يضع من الشعر السهل في الغزل الفاضح ما يستهوى قلوب النساء وشباب البصرة فيجسرى على كل لسان ، مما دعا منمامها ونساكها يثورون به • ويطاردونه غيرة على الدين والاخلاق في بلدهم • وكانوا يقولون أنهم لا يخشون شيئا على شباب البصرة أشد من شعر هذا الاعمى لانه دعوة للفجور سافرة •

ويبدو أن بشارا لم يكن يكتفى من الامر بالقول ، يل كان يتبعه بالفعل وكان له في منزله مجلسان أحدهما قريب المدخل ، ويجلس فيه وصحابته مساء يشربون ويسمدون الغناء من القيتات ، ومجلس أخسر في داخسل المنزل يجتمع فيه بمن يرى الاجتماع به من الرجال والنساء ، وكانت بعض النسوة يأتينه ليسمعن الشعر ، أو ليصنع لهن الشعر فيحملن به ويسجل أنباء المجلسين وهما والرقيق، و والبردان، فيقول ويحكى زيارة جماعة من النسوة له في بيته ، وتأنيب الحسن البصرى ــ وكان يسمى القس مراباه في بيته ، وتأنيب الحسن البصرى ــ وكان يسمى القس ... اياه في بيته ، وتأنيب الحسن البصرى ــ وكان يسمى

على بالبردان خمسا تعت الثياب زافسن شمسا وغمسن فى العادي غمسا وأحمدن ما يهمسن همسا ت ؟ فقلت ما ياوين انسا ت طمسن منا اليوم طمسا يا قىس كنت كانت فسا

لما طلعن من الرقيسق وكانهسن أهسسله باكسرن عطسر لطميسة لمسالني عطسر لطميسة وسألنني عمن في البيو ليت الميسون الطارفساليس لسيون الطارفساليس لسيون الطارفساليس

وكان لتهتكه قصص تروى ، وهو لا يرءوى ، يشرب جهارا ، ويأتي من الإفعال المنكرة ، ما يشير عقالم الناس ، فيسمع وهو يؤذن في غير وقت الصلاة ، ويخرج مع الناس ، متظاهرا بقضاء الفريضة ، فيجنح الى بيت للقيان يقضى فيه وصاحبا له أوقات الحج حتى اذا عاد الحجيج الى المبصرة لحقا بمواكبه فيظن الناس أنهما حجاولم يحجا الا الى اللهو والشراب •

ويسجل صاحبه في هنده الزورة وسنعد بن القعقاع » ذلك فيقول فيما يروى عنه : وقال يوما لبشار وهو ينادمه : ويحك يا أبا معناذ ، قد نسينا الناس الى الزندقة فهل لك أن تحج بنا حجة تنفى ذلك عنا ؟

# ے قال نعم ما رأیت -

فاشتريا بعيرا ومحملا ومركبا ، فلما مرا بمكان يقال له زرارة ، قال له : ويحك يا أبا مصاف ! ثلاثمائة فرسلخ متى نقطعها ، مل بنا الى زرارة نتنعم فيها فاذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا فلا يشك الناس أنا جئنا من الحج -

فقال بشار : تعم ما رأيت لولا خبث لسانك ، وائي أخاف تنضحنا • قال : لا تخف •

فمالا الى زرارة ، وما زالا يشربان الخمس حتى نزل العجاج بالقادسية راجعين ، فأخله بصيرا ومحملا ، وجرا رؤوسهما وأقبلا فتلقاهما الناس فقال في ذلك صاحبه سعد :

خرجتا طالبي سيفر يعيدك فمسال بنا الطريق الي زرارة قاب الناس قسد حجموا وبروا وابنا موقرين من الغسارة

ألم ترنى ويشارا حجينا وكان العج من خسر التجارة

ولم يقلع بشار عن هذه الزندقة الاجتماعية ، أو الاباحية ، والمجون ، حتى في أخريات حياته ، وكان المهــدى الخليفة غيورا على الحريم فمنمه من ذكر النساء والغزل عامة لاستهتاره •

# ويقول في ذلك :

منن وجبه جارينة فديته شوب الشباب وقعد طويته ميا ان غيارت ولا نوبتيه عبرض البيلاء وسا ابتقيته واذا أبسى شسيئا أبيته عبن التسباء فما عصيته عهلله ولا رأيسه

يبا متظبرا حسنا رأيتبه يعبثت السي تسبومني واللسسة رب معمسست أمسكت عنيه وريبيا ان الغليفة قد أبسى وتهائى المسلك الهمسام بسل قسسه وقيت ولسم اضسم

#### الى أن يقول:

ويشسوقني بيت الحبيسا سبب اذا غنوت واين بيته حال الخليفة دونه فهارت عنبه وما لتيتبه

#### ويقول من أبيسات :

والزهير فيئ ظيل مجلس حسن وقد ملات البسلاد ما بين فغفس بسور إلى القسيروان واليمن

قد عشت بسين الريحان والراح

شعرا تصلى له العواتق والنياب صبلاة القسواة للوثن ثو تهانى الهسدى فانصرفت نفسى صنيع الموقق اللقن ولكته لم يرتدع تماماً -

ولقد عاداه كما قلت جماعة من نساك البصرة وعلمائها لهذا المسلك ولذاك الشعر الاياحى الماجن ، حتى ان واصل ابن عطاء ضاق به مع أنه كان صاحبه زمنا يجلس معه في مجالس العلم ، لكنه خرج عن وقاره فاضطره الى معاداته ، وقال لاصحابه : أما لهذا الملحد الاعمى المكنى بأبى معاذ من يقتله ؟ « أما والله لولا أن الغيلة سجبة من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطبه على مصبحه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حقله ، ثم لا يتولى ذلك منه الا عقيلي أو سدوسي » وكان يقول : « أن لمن أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الملحد الاعمى » \*

وائتهى الامر بينهما إلى أن نفاه واصل من البصرة حوالى سنة ١٢٠ هـ والشاعر في أوج رجولته فقصد إلى حدان حيث سليمان بن هشام بن عبد الملك و وظل طريدا من البصرة إلى سنة ١٣١ هـ قبيل استيلاء المباسيين بعام واحد فقد توفى في هذا العام واصل بن عطاء و

وكان موقف مالك بن دينار كموقف الحسن البصرى وواصل بن عطاء ، تعرض لبشار مثلهما لاستهتاره - وكان مالك يقول : ما من شيء أدعى لاهل هذه المدينة الى القسق من أشعار هـذا الاعمى -

وأصبح مالك يوما فقرع على بشار بابه فقال بشار : \_ يا جارية ، أنظرى من هذا ؟

فرجعت وقالت ــ مالك بن دينـــار ٠

فقال ـ ما هو من أحزابي ولا أشكالي • أدخليه •

قدخل مالك وقال : يا بشار أتشتم أعراض الناس وتثبيب بنسائهم •

فقال بشار : لن أعود - وما أن ولاه ظهره حتى عاد لما كان عليه وأنشعه :

فسدا مسالك بدلامساته على وسا كان من بالية تساول خودا هفيم العشا من العسور معطوطة خاليسه فقلت دع الليوم في حبها فقيسلك أعييت عذاليست

وقد غرق بشار في لهوه ، وكان يوفر لنفسه المتعة في السكن والحياة ، يسكن دارا يجمع فيها كل ما يلهذه ، ويقتنى الخهدم والرقيق من الغلمان والجوارى ، ويقتنى المغنيات أو يدعوهن للحضور الى مجالسه للسماع مع أصحابه ورفاقه ، فيشربون الخمر على السماع ويتعمون بأطيب الطعام .

وكان يلبس حلة الشاعر من الديباج ، وحين يطرب يصفق بيديه •

ويغشى دور التيان بالبصرة ، وفى شمره تسجيل لمجالس الغناء • ومنه تلك القصيدة التي يصف فيها مغنية تنشد بلحن مشهور • يقول:

> ودّات دل كان العسن صورتها ( ان العيون التي في طرفها حور

باتث تفنى عميد القلب سكرانا قتلننا ثم لم يعيين قشالانا ) ( لجرير )

فقلت احسنت يا سؤلى ويا سكني ( يا حينا جبل الريان من جبل .

فاسمعینی جزال الله احسمانا وحبسدا ساکن الریان من کانا ) ( لجریس )

قالت:فهلا فدتك النفس أحسن من ( يا قوم اذنى تبعض الحي عاشقة

هذا لمن كان صب القلب حيانا والاذن تعشق قبل القلب أحيانا) ( لبشار )

أضرمت في القلب والاحشاء نها أنا يزيد صبسا معبسا فيك أشجانا أو كنت من قضب الريحان ويحانا ونعن في خلوة مثلت انسانا تشدي نهم لا تغفيه كتمانا لاكنر ألغلق في حبيك عصيانا) فهات انك بالاحسان أولانا يذكي السرور ويبكي العين ألوانا والة يقتل أهل الغلر أحيانا) فقلت أحسنت أنتالشمس طااعة فاسمعيني صوتا مطربا هزيسا يا ليتني كنت تقاحسا مفلجسة حتى اذا وجنت ريحي فاعجبها فعركت عودها ثم انتنت طريا (أصبعت أطوع خلق الله كنام فقلت أطربتنا يا زين مجلسنا فقنت الشرب صوتا مرنقا رملا ( لا يقتل الله من دامت مودته

واذا ما تركنا هذا الجانب من حياة بشار الى جانب آخر ، أكثر جدية ، وجدناه عالما فقيها أدبيا جامعا يرتاد مجالس العلماء ، ويصحب جماعة من المعتزلة أمثال واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد زمنا ، ويسجل صداقته لزعيم المعتزلة في المعمرة بجملة من القصائد قبسل أن تسوء الحال بينهما "

يقول بشار ممتدحا واصل بن عطاء في خطبته المشهورة التي أسقط فيها الراء للثغة في لسائه ، فجلي على من حضر من الخطياء :

كمرجسل القين لمساحف باللهب قبل التصفح والاغراق فيالطلب

فقام مرتجسلا تضلی بداهت. وجانب السراء لم یشعر به أحد

وقال مسرة أخسرى:

ابا حديقة قسد اوتيت معجزة وان قولا يروق الغائلين مصا

من خطبة بدهت من غير تقلير لمسكت معسرس عن كل تعيسير ولكن الخلاف بينهما لم يكن فيما يبدو قاصرا على استهتار بشار أو بسبب شعره الماجن في النساء بل كان كذلك للخلاف في المقيدة ، ولما جاء به لسان الشاعر من أشياء تخالف اتجاه المعتزلة ، كالقول و يالجبر » وهم القائلون بالاختيار ، وكتناوله لرجال الدين والصحابة يكثير من السخرية وعدم الاحترام لاقدارهم ، ولقوله كذلك بمذهب الديصانية والرجعة ، وتفضيل النار على الطين ، والاعتقاد بالثنوية الفارسية ، والهين للنور والظلمة \*

ومما يثبتون به جبرية بشار قوله :

هوای واو خدرت کنت الهدبا وقص علمی آن متال المقیبا وامضی وما اعقبت الا التحبا

طبعت عسل ما فی خسیر مخسیر آزید فلا آعطی واعطی وئم آزد قاصرف عنقصدی وعلمی مقصر

وفى الطين والمتار ، والمطلمة والنبور يقول : الارض مطلمة والنبار مشرقة من كانت النبار

وفي تفضيل ابليس على آدم لانه من النار يقول:

البليس خمير من ابيكم أدم فتنبهوا يا معشو القجار
البليس من نهار وآدم طيئة والارض لا تسعو سمو النهار

لهذا رماه المعتزلة بالكفر والزندقة ، ولم يكن بشار فيما ورد من أخباره أو ذكر من شعره داعية المعاد أو زندقة فكرية ، بل ربما زلقت على لسائه بعض الآراء والافكار التي علقها فسي

<sup>(</sup>۱) يروى أن يشارا زعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفأة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل له : وعلى أيضا فقال :

وساش الثلاثة أم عمرو بعماحيك المثنى لا تعبيمينا

دراساته ومعارفه التسي استقاها من علمه بالمذاهب والفسرق المختلفة ، وقد كان الرجل المثقف الذكي الواسع الاطلاع •

ومهما يكن من أس فأن العداء بينه وبين المعتزلة خلف لنا من شعره قصائد في هجاء واصل بن عطاء : لتعقبه اياه ونفيه من البصرة - فسما قال فيه :

ما لى منيت بغزال له منق كنفنق الله ان ولى وان مثبلا منق الزرافة ما بالى وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا

يريد أن المعتزلة كفروا الخوارج لاتهم بدورهم كفروا عليا ، وسمى واصلا الغزال لانسه كان يسكن حسى الغزاليين بالبصرة فعرف يهذا اللقب •

ورد أحد شعراء المعتزلة وهو « صفوان الانصارى » أحد أصدقاء واصل بن عطاء بقصيدة طويلة أنشدها عقب موت واصل ابن عطاء وعودة بشار الى البصرة • قال (١) :

رجعتال الامصار من بعد واصل وكنت شريدا في التهائم والنجد

يقول فيها مشيرا الى عقيدة بشار التي عاداء من أجلها ابه عطام:

زممت بان اثنار اكرم منصرا وفي الارض تحيى بالحجارة والزئد ويخلق في ارحامها وارومها اعاجيب لا تعمى بعظ ولا عقد

ويمدد فضائل الأرض وما فيها من النعيرات والنعم الكبرى ثم يقول:

<sup>. (</sup>۱) - راجع التسيدة بتمامها ص ١٠١ ـ ١٠٢ بشار بن برد لحسين متصور ٠

وقيها مقام الغل والركن والصفاء

ومستلم الحجاج من جنة الخلك

مفاخر للطان الذي كان أصلتا وذلك تدبير ونفع وحكمية

ونعن بنوه ضبر شك ولا مجلله وأوضح يرهان على الواحد القره

ويتسول:

كاتباع ديصان وهم قمش المد(١)

وأيعيد خلق أنه من طرق الرشد اتهجو آبا بكبر وتغلع بعسده علينا وتعزو كل ذاك الي يره وطالب ذحل لا يبث على حقسه

فيا ابن طيف الطين واللؤم والعمي كانك غضبان مسلى الدين كله

انجعل عمرا والنطاسي واصلا

ويرمونه بالشعوبية كما رمى بالزندقة والكفن والالحاد ، وكانت هذه الاتهامات في ذلك العصر تعلق على الرءوس ، من يستحق ، ومن لا يستحق لمجرد شبهة ، أو قلول يؤول على غير وجهته ٠

وقد رمى قوم بالشموبية ومماداة العرب ، ومن بينهم جماعة مع كبار العلماء أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى " وأخذ على بشار تهجمه على المرب وافتخاره بالقرس وتقضيلهم ويروون على رأس الاتهام من الأدلة قوله:

> سياخبر فاخر الاعتراب عبتي آحسان كسيت بعد العسرى خسرا تفاخس یا ابن راعیت وراع

وعنسه حسين تساذن بالفخسان وتابمت الكرام هيني العقاي بتي الاحسرار حسبك من خسار

الى آخر القصيدة "

<sup>(1)</sup> قمش المند : غشاء السول •

وهي أبيات رد بها على أحد الأعراب ، وكان قد سخر به في مجلس أحد أعيان البصرة اذدخل بشار وعليه بزة الشاعر فقال الاعرابي : من الرجل ؟ فقيل له شاعر فقال : أمولي هو أم عربي ؟ فقيل له : مولى هو - فقال : ومنا للموالي وقبول الشعر فغاظ بشارا هذا القول فنظم تلك الابيات •

وهي من نبت ثورة استغز لها ، ولم يكن عن عقيدة يمتقدها ، وكيف كان يعتقد ذلك وهو يمدح العرب من خلفاء بنى أمية وكبار رجالهم وقادتهم ، ويمدح العباسيين وكبار قادتهم من العرب ويفخي بولائه لبني عقيل ، ويعتبس شاعر قيس كما أشرنا من قبل ، ولكنه قد يثور على الولاء ، ويعتبره مزريا بالكرامة ، ولا يرى والاما الالله تمالى وحده فيقول:

أصيحت مولى ذي الجلال ويعضهم قارجے الى مولاك غير مدافع سيعان مولاك الاجل الاكيس

مولى العريب فغذ بقضلك وافغى مولاك أكسره من تميسم كنهسا أهل الفعال ومن قريش المعشر

وهی نفشه آخری من صدر مسجور ، وثبورة علی ربقته الولام، وصفاره، وكيف لا يشور والدين نفسه جمل الناس سواسية لا فرق بين عجمي وعربي الا بالتقرى والممل الممالح -ولا شك أن هذه الثورة كانت من مصدور ضأق بعنجهية بعض الأعراب وتفاخيرهم الكاذب ودعاواهم بالانساب والاحساب وهي الدعاوي التي عصفت بالدولة الاموية وهزت أركان المجتمع الاسلامي هذا عنيفا " وقد وضم الاسلام هذه الانساب والاحساب وأرساها التبي في خطبة الوداع ٠

#### شــعره:

قال الجاحظ: كان بشار خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المتفنتين في الشمر القائلين في آكثر أجناسه وضروبه ،

وقال ابن شرف القيرواني : هو أول المحدثين وآخر المغضرمين معن لحق الدولتين ،عاشق سمع ، وشاعر جمع ، شعره ينفق عند ربات العجال وعند مغول الرجال ، فهو يلين حتى يتعطف ويقوى حتى يستنكف ٠٠ وقد طال عمره وكثر شعره ، وطما بحسره ، ونقب في البلاد ذكره ٠

وقد أجاد بشمار في قنون الشعر المختلفة ، وكانت شاعريته غنية متدفقة ، قال عن نفسه : لى اثنا عشر ألف بيت عين فقيل له : هذا ما لم يكن يدعيه أحد سواك ، فقال : لى اثنتا عشرة ألف قصيدة ، لمنها الله ولمن قائلها ان لم يكن في كل واحدة منها بيت عمين .

وقد سئل مرة : ليس لاحد من شعراء المرب شعر الا وقد جاء فيه شيء استنكرته العرب وشك فيه وان شعرك ما فيه شك (و خطأ • فقال : ومن أين يأتيني الخطأ • ولدت هما هنا يعني في البصرة ، ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ • وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفسح منهم ، ويقعت فأبديت الى أن آدركت فمن اين يأتيني الخطأ ؟ •

واعتبر بشار آخس من يستشهد بشمره • وللاصمعي فيه ولأبي عمرو بن العسلاء رأى حسن ، وكان ذا قدرة على أن يحاكي

شعر الاعراب ، ويصطنع أساليبهم وقدروى أن خلفا الاحسر وأبا عمرو بن العلاء ، وكانا من رواة الشعر الكبار بالبصرة، يختلفان الى بشار بن برد يسألانه ما جاء به من الجديد ، وقد جاءاه يوما الى داره فقالا له : ما أحدثت يا أبا معاذ • فقد بلغنا عنك قصيدة في مدح سلم بن قتيبة • قال هي ما بلغتكما ، وقد علمت أن سلما يتباهى بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما أحب • ثم أنشدهما :

بكرا صاحبي قبل الهجع ان ذاك النجاح في التبكيد

فقال أحدهما : هلا قلت ، يكرا فالنجاح في التبكير • فقال : انه اتما يريد أن يبنيها بدوية وحشية •

وكذلك فعل في أرجوزته البدوية التي مدح بها عقبة ابن سلم بن قتيبة وتحدى فيها عقبة بن رؤبة بن العجاج الذي زعم أن بشارا لا يحسن هذا الفعرب من الرجل الذي بسرع فيه هو وآباؤه: ولكن بشارا أثبت له أنه قدير كذلك في فن الزجر كما هو قدير في فن الشعر ، وأن باستطاعته أن يلبس فيله لبوس الاعراب ويقول في هذه الارجوزة:

یا طلل الحسی بدات العمد اوحشت من دعمد و ترب دهمد قامت ترایی اذ راتنی و حمدی عمدی بها سقیا شه من عهد قنعن من جهد الهوی فی جهمد اهدی له الدهم و المم یستهد ینقیی الفتحی ریجانه بسجد

بالله خبس كيف كنت بعسدى سقيا لأسساء ابنة الأشاء كالشمس تعت الزبرح المتقاد تسم انتنت كالنفس المرتسد تغلقه وعدا وتقلى بوعسد وزاهس من سبط وجعله أقواف نسور العسير المجلدي بللت من ذاك بكا لا يجلدي

ما شى أهل القول ضعف الجيد وليس للملحف مثييل السرد وصياحي كالنميل المسك وافق حظا من سنعي يجب العبر يلحبي والعصبا للعبد والنصف يكفيك من التعبدي

4 4

ارقب منه مثل يهوم الهورد وما برى ما رغيتي من زههدي حملته في رقعية من جيالت حتى مفسى غيم فقيد الفقيد

. . .

مقتاح باب العدث المسلد أغر لباس لباب العمد، شم نساء مثلل ربح الدورد فالبس طرازي غار مسترد أسسلم وحييث أبا المسلك مشترك النيبل ورى الزند ما كان منى لك ضير الوه نسجته في محكمات النبد

. . .

وفى يني قعطان غير على ومثلة أودعت أرض الهند والمقربات المبصدات الجسرد تنصم أصرا وأصورا تسلك

لله ایاست فی معید یوم بدّی « طغفة » عند العید بالمرهفات والعدید السرد اذا العیا اکدی بها لا تکدی

. . .

أعمم لا يسمع صدوت الرعب قانهمه مثل الجيل المنهب ورب ذي تساج كريم العب انكب جافي عبل سبيل القصد واین حبکیم ان اتاك پردی حییت بتحقسة المثسات کل اماریء دهن بما پاؤدی کبال کسری وکال باسرد

فعسلته عبن مالسه والولسد

ويروض بشار نفسه على قول الشعر منذ صباء ، فيرى تحت سعمه وبصره كبار شهراء عصره يقدون الى مربه البصرة ، يتناشدون الأشعار ، وتثور في نفس الفتى الرغبة في قول الشعر، ومعارضة الكبار ، ويحاول أن يطاول جريرا ، وقد رسى يه أمله هذا المرسى السابق فلا يجاوبه جرير بطبيعة الحال ، ولو جاوبه على ذاك السن لكان أشعر الشعراء كما يقول -

ولكنه مع ذلك لا يدع نماذج أشعارهم تفلت من بين يديه ، فيروض نفسه على تقليد وري والفرزدق ، ولا تزال أبياتهم ترن في أذنيه ، وتتسلل الى قصائده \* ونرى مثالا عليها في الميمية التي هجا بها أبا جعف المنصور ومدح ابراهيم بن عبد الله بن العسن العلوى الذي تار في البصرة ، ثم أخمدت ثورته \* قال بشار : نا جعفر ما طول عيش بدائم أحمدت ثورته \* قال بسالم

وينهج فيها طريق نقيضتين ميميتين احداهما للفرزدق ، قالها في مقتل قتيبة بن مسلم، يشمت ويمدح سليمان بن عبدالملك مطلمها :

تعبن بزوراء المنجنسة ثاقتي حنسين عجبول تبتغي البورائسم

وثانيتهما لجرير يقول في مطلعها :

الاحي ربع المنبول المتقسادم وماحيل مذاحات يه أم سالم

وتأثره واضح في يعض معانيهما وفي الصياغة والألفاظ ،
مما يدل على أنهما كانتا تدوران في خلده أثناء نظمه لقصيدته و
ربعا جعل من قصيدته هذه نقيضة ثالثة ليعارض بها الشاعرين
الكبيرين ، ويروض بها القول محاولا أن يطاولهما ، ونعر في
كلام بشار على عبارات تستدعي مثيلاتها في قصيدة الفرزدق أو
قصيدة جرير و فاذا مررت بتوله (يشار):

قلا تعمل الشوري عليك فضاضة فأن الضوافي قسوة للقبوادم

لا شك تذكر قول جريى:

وريش الذنابي تابسع للقسوادم

ونمر بقول بشار كذلك

على الملك الجبار يقتحلم الردى ويسرعه فلى المازق المتلاحم

وهو صدى لقول جرير

وقيلك ما أخرى الإخيطل قومه وأسامهم للمسازق المتلاحم

وفسي بيتـــه :

كانك لم تسمع يقتل متوج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم معنى قول الفرزدق وصياغته في قوله :

كانك لم تسمع تميما اذا دعت تميم ولم تسمع بيوم ابن خازم

ولم يكن تأثره في شعره بهذا النموذج الذي يقدمه شعراء النقائض بالبصرة فعسب ، بل تأثر كذلك بقدامي الشعراء من جاهليين ومغضرمين ويروى الغريمي الشاعر أن بشارا قال : لم أزل مد سمعت تشبيه امرىء القيس شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول :

كان قلوب الطحر رطبا ويابسا لدى وكرها العنابوالعشف البالي

أعمل نفسى في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت :

كان مثار التقع فيوق رءوستا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وكان لهذا الاحتذاء للشمر القديم قد يورد بعض قولهم في شعره ، أو قد ينزلق دون ارادة على لسانه ، فيتهمه العلماء والمعاصرون من الرواة بالسرقة من القدماء ، فقد اتهم بسرقة بعض أبيات المتلمس الشاعر الجاهلي \*

ولم يكن شعر بشار كله يتجه هذا الاتجاء الى القديم ، يحدوه ، ويصطنع ديباجته بل كان يجمع بين القديم والحديث ، ولهذا غمزه بعض النقاد بالتخليط في الشعر \*

وكان اسعاق الموصلي ينهمه بذلك فيرى أن أشماره مختلفة لا يشبه بعضها بعضا - أليس هو القائل :

اتما عظم سليمي حبتي قصب السكر لاعظم العمل واذا ادنيت منها بصلا غلب المسك على ربح البصل

لو قال كل شيء جديد ثم أضيف اليه هذا لريفه -

ولم يكن الضعف الذي يرد في شعره ناجما عن التخليط يقدر ما هو راجع الى أن يعضه من سراحل الصبي الاولى ، وقد ذكرت الاخبار أنه قال الشعر في العاشرة من عمره \* ولعله يقصد به خطاب مستوى من الناس \* ونبه هو الى ذلك حين سئل عما يجيء في شعره من الهجين المتفاوت مثل قوله :

ربابسة ربسبة البيت تصب الغسل فسى الزيت لهبا عثبسر دجاجبات وديك حسس العسبوت

فقال: لكل وجه وهذا قلته في ربابة جاريتي وأنا لا أكل البيض من السوق وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع لي البيض وهذا عندها أحسن من وقفاتيك من ذكرى حبيب ومنزل » عندك -

وقد يكون بعض هذا الشعر الضعيف في أسلوبه من المرتجل في المناسبة العابرة أو للفكاهة والتندر من مشل قوله انه رأى حماره في النوم وكان قد مات ، فسأله : لم مت الم أكن أحسن اليك ؟ فقال هذه الابيات :

سیلی خیدی آتانیا تیمتنسی یسیدلال تیمتنسی یسوم رحنیا

عنيك بساب الأصبهائي وبسدل قسد شجاني يثنابسساها العسسان

الى آن قسال :

## فلسلاا مث وليو عشبي سيت انن طيال هيواني

ونعلم بعد هذا أن بشارا كان من المطبوعين الذين يرتجلون الشهر ، وأنه قد يصنعه للنائحات والناديات كما يصنعه للمغنيات، وهو الى جانب هذا يقوله في المناسبات العظام في فتح أو نصر أو مديح عظيم، أو قائد جليل أو خليفة فيرتفع الى مستوى المناسبة والمقام .

ومن هنا نلاحظ أن شعره التقليدى عامة ، والذى ينهج فيه نهج القدماء غالبا ما يكون فسى المديح والموضوعات الرصينة ، ومنه البائية الشهدرة في مديح مروان بن محمد ويعرض فيها للفخد بقيس عيدلان فيقدول:

جفا وده فازور او مل صاحبه خلیلی لا تستنکرا لوعــة الهوی شفی النفس ما تلقی بعبدة عینه

وازری به ان لا یسزال یعاتبه ولا سلوة المعزون شطت حباتبه وما کان یلقی قلبه وطبائیه

## ويقول بعد النسيب:

اذا كتت في كل الامور معاتبا غمش واحدا اوصل أخاله فانه اذا انت لم تشرب مراراعلى القذي

صديقك لم تلق الذي لا تماتبه مقسارق ذنب مسهرة ومعانيسه ظمئت وأي الناس تعنفو مشاربه

ويقول في الوصف في نمط أعرابي : (حر الصيف في الصحراء)

فلما تولى العر واعتمى الثري وطارت عصافي الشقائق واكتسى وصد عن الشول القريع والفرت

لثلى الصيف من نجم توقد لاهبه من الآل أمتسال السلاء مساريه ذرى الصمد ما استودعته مواهبه

ولاذ ثلها بالنفل واستوقض السفا غيث عائة تشكوبايسارها الصدى

وفى فغسرها يقسول:

مشينا اليه بالسيوف تعاتبه
وراقبنا في ظاهر لا تراقبه
وابيض تستقى اللماء مضاربه
وبالشوك والغطى حمر ثعالبه
تطالعنا والطل لم يجر ذائبه
وتدرك من نجى الفرار مثالبه
وأسيافنا ليل تهاوى كواكه
بنو الموت خفاق علينا سبائيه
قتيل ومشل لاذ بالبحر هاريه
وتخلس أبصار الكماة كتائبه
تزاحم اركان الجيال مناكبه

من الصيف نتاج تغب مواكية

الى العِمالِ الا أنهما لا تفاطيه

اذا الملك الجبيار صعر خده وكتما اذا دب العمدو لسخطتا ركبنما له جهرا بكل مثقف وجيش كبنح الليل يزحف بالتعمي عدونا له والشمس في خدر (مها يضرب يذوق الموت من ذاق طعمه كان مثار التقع فوق رءوستا بعثنا لهم موت الفجاءة التما فراحوا فريق في الاسار ومثله وأرعن يغشي الشمس لون حديده تغص به الأرض الفضاء اذا غدا

فهذه القصيدة قوية أسر الكلام ، جزلة الصباغة ، لا تظن بصاحبها لينا ولا طراوة ، وشتان بين هذا النمط والنمط الذي أشرنا اليه في شعره المرتجل .

ولا شك أنه كان في مثل هندا الشعر الذي يقصد به الى العصول على الجائزة يعمد الى تثقيفه وتنقيعه وقد قيل له مرة : بم فقت أعل دهرك، وسبقت رجال عصرك في حسن مماني الشعر وتهذيب الفاظه فقال : لاني لم أقبل كل ما تورده على قريحتى ويناجيني به طبعي ويبعثه فكرى ، ونظسرت الى مغارس الفطن ومعادن العقائق ولطائف التشبيهات ، فسرت اليها بفهم جيد وغريزة قوية - فاحكمت سبرها وانتقيت حسرها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من منعكفها » -

ومع ذلك فان هذا الشعر التقليدى من شعر بشار لم يكن مناط شاعريته وابداعه بل ان كثيرا منه كان مطبوعا دون تكلف يآتى جميلا، فيه طلاوة الطبع وجمال الشاعرية بل ان به المعدق، والانفعال بالموقف ، وفيه الابداع والاختراع "

## غزله وموقفه من المهرأة :

اكثر غزل بشار في توع خاص من المرأة هي المرأة الجارية ، أو المغاتية المغنية ، وكانت النسام يأتينه أو كان يزورهن في بيوت المقيان فيماثينه ويعاتبهن ، ويقول فيهن الشمر الخليع الماجن •

ويمكن أن نعطى صورة لمما كان يجرى بيته وبينهن ، وأى نوع من المرأة كان يلقى ويصور في شعره في كشهر مما روى أبو الفرج في الاغاشي • ومنه قوله :

« كأن بشار يهوى اسرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها الزيارة ، فوعدته بذلك ثم اخلفته وجدل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل اليها يعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها فكتب اليها بهذه الابيات :

يا ليسلتي تسزداد نكسرا من حب من أحبيت يكسرا حسوراء ان نظرت اليسسسك سعت بالعينسين خمرا

ويروى أنه كان يجتمع الى النسوة في بيته بمجلسه بالعقيق أو بالبردان -

وكانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن على وكانت حسنة بارعة الظرف ، وكان بشار صديقا لسيدها ومداحا له فعضي مجلسه يوما والجارية تغنى فسر بعضوره وقررب حتى

سكر ونام ونهض بشار فقالت له الجارية يا أبا معاد أحب أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمى ولا اسم سيدى وتكتب بها الى قانصرف وكتب اليها:

وذات دل كان البعدر صورتها التنات تفنى عميد القلب سكرانا ( التصيدة )

مثل هذا الشمر الذي يتغزل فيه بشار بجواري البصرة وقيائها وبعض نسائها كان يعجبهن فيطرين له ويستردنه منه وكان ببشار عبث ومجون لاشك ، وقد صور هذا المبث في قصائده الغزلية مثل قوله :

امتبا بده هاذا لعبى ووشاحى حلبه حتى انتثر

## أو قوله :

قد لامنى فيي خليلتي عصر . واللبوم في غير كنهه صجير

#### ويقول فيها:

حسبي وحسب الملك كلفت به منى ومثبه العليث والنظس أو قبلة في خيلال ذاك وميا بناس اذا لم تعيل في الأزر

ويعتبر هذا الشعر الماجن الخليع الذي انطلق فيه بشار على سجيته ، وجاء فيه بكتبر من البديع وصور التجديب في الموسيقي والتعبير ،وقد أجاد وصف النساء ، وصورهن صورا بصرية جديدة جميلة وهو الأعمى ،ولكنه يدرك ما يقول، ويعلل قدرته على هذا التصوير البصري فيقول:

عميت جنينا والذكاء من العمى فجنت عجيب الغلن للعلم موثلا

#### ويصف شاعره:

وشعر كنوز الروض لامعت بينه بقول الحا احزن الشعر السهاد فنعرف هذا الشعر السهل يأتى بكل مشرق بديسع فسى المعانى والأسلوب مثل قوله:

لم يعلل ليسلى ولكن لمم أنم ونقى عنى الكسرى طيف المم واذا قلت لهما جمودى لنما خرجت بالصمت عمن لا ونعم

وقد أعجب به أبو عمرو بن العلاء واعتبره أبعدع الناس بيتا \* وفي وصف جمال النساء يقبول :

حوراء ان نظرت اليسك سقتك بالعينين خمسرا وكان رجسيع حديثهسا قطع الريساض كسين زهرا وكسان تعبت لسسانها هاروت ينفث فيب سعرا وتغسال ما جمعت عليه ثيابهما ذهبسا وعطسرا

ومع هذه الصفات البصرية ، التي أعجب بها النسوة ممن نعتهن ، قانا تلاحظ أنها صفات عامة لا تدقيق فيها ،وهي صفات من مخزوته بسن الشعر العربي قصفة العيون بالحدور ، وصفة المرأة في اللون بالصفرة والذهب وما اليها صفات متداولة •

لكن الجديد ها هنا مثلا تحويل صفة الكلام الى صفة بمرية - في تشبيه الحديث بزهر الرياض - وهذا من مواضع البديع في شمره لانه تجديد في المني والصورة -

على أن بشار بن برد كما تلاحظ في كثير من الشعر الذي قاله في الغزل ، لم يكن بذلك الماشق الوله المذب في العشق

والحب ، وانما جرت معانى العشق على لسانه ولم يكن فيه صادقا تماما ، ولهذه عابه بعض الكونيين في قوله :

نفس با عبد عنى واعلمى اننى يا عبد من لعم ودم ان في بردى حسما ناحبلا ليوكنات عليم لا نهسدم

فقد رأى منه جسدا كالجاموس ، ويدعى النحول في الحب -ولمل هذا ما جعل طه حسين يعيبه ويحمل عليه ، ويرى في غزله قولا غليظا لا رقة نيه ، ولا عاطفة ، ويقول في شعره عامة :

وليس شفاقا كشمر أبى نواس والحسين بن الضحاك ومطيع وحماد عجرد ، وانما همو شعر كثيف صفيق لا يمدل من نفس صاحبه على شيء ، وهو كاذب أبدا لا يحفل بالكذب » •

فغزله عند طه حسين ليس صادرا عن صدق ، انما هو تهالك على الله وافحاش وامعان قيه ، فلم يعرف عنه أنه أحب ، وشعره في عبدة التي يردد اسمها على لسانه معظمه متكلف (١) ، وكذلك رأى المازني فقال انه لم يسر في المسرأة غير الأنثى والجنس (٢) ،

وتعجب من كلام طه حسين في مثل هذا الشعر الذي يعنفه بالمنفافة ، وقد أعجب به القدماء كأبى عمرو بن الملاء ، وها هو ابن المعدد يقول : وكان شعره أنقى من الراحة وأصفى من

<sup>(</sup>۱) حديث الاربساء ج ۲ -

<sup>(</sup>۲) بشار بن برد ( سلسلة أعلام الاسلام ) سن 40 - ١٠٠

الرَّجَاجَة وأسلس على اللَّسَانَ مِنْ المَّاءِ العَسَلَبِ \*

والحق أن شمر بشار بن برد شعر شاعر صناع ، وهو في الغزل يأتي بالغزل الرقيق المرقص والمطرب ، وقد فتن به نساء البصرة وشبابها ، ولو كان شعره الغزلي صفيقا كما يتول طه حسين لما فتن به أحد ، ولكفى نفسه بنفسه ولم يمتد أحد لحربه تلك الحرب التي عرفتموها •

أما أن بشارا لم يكن صادق العاطفة في الحب ، وأن غزله كان غزلا مصنوعاً فهذا شيء آخر ، ومع ذلك فقد أحسن بشار اصطناع مواقف العاشقين ، وهذه قضية من قضايا الخلق الفنى عامة وليست قضية بشار فحسب أينبضي أن يعانى الفنان موضوع فته ، بمعنى أيشترط للغبزل أن يكون زير نساء ، أو للعاشق أن يكون قد من بتجربة حب عنيفة ، ألا يستطيع أن يتمثل ه

قد تكون التجربة مما يعمق احساس الفنان وشعوره ، ومن ثم تزيد تعبيره غنى وعمقها "

ومع ذلك فها هو باحث آخر \_ الدكتور النويهى \_ يعارض مقال الدكتور طه حسين ، ويكشف عن جوانب الصدق والعاطفة في شعره الغزل • فهو يرى في المرأة جمالا يعلو على الجمال الجسدى • ويتول أن شعره المفحش في الغزل قليل بالنسبة لجملة

شعره في هذا الموضوع ، وليس جل غزله كذلك بل فيه ما هو حلو رقيق ، مفعم بالصفاء والحنان (١) -

ویردد بشار أسماء بعض النسوة قسی غزله أمثسال عبدة ، وسلمی ، ویدعرها بالتصنفر أحیانا سلیمی ،ووهبی، وحمدة ، وسعدی ، وحبابة ، ویدعوها مدخمة أحیانا ، بعیاء ، وطیبة ، وأسماء ، والرباب ، وبانبة »

ولا تعدم في غزله الشكوى ، كما يشبكو العشاق من الام المحب • يقول مخاطبا عيدة :

یا عبد حتمام لا القاف خالیة ولا انسام لقمد طولت تعذیبی و یقول عنها کذاک :

وهو يشعر بالأس لقراق سلمي فيقول:

سيقت الى الشمام وسا ساقها الا الشقا والقسدر الفائب اصبحت قد راح الهذي دونهما ورحت قردا ليس لى صماحب لا أرفيع الطبرق الى زائمين كانى فضيمان أو عماتب يما راهب المصر لنما حاجمة فانظر لنما عبل سكنى أيب

# ويقول في عبدة وتحس بعرقة العب ولواعجه:

أف الرحيل وحثنى صحبى لما رأيت الهم مجتنعها والحسى قد أخبوت وكاثبه ناديت ال العب اشعفنى

والنفس مشرفة عبلى النعب في القلب والعينان في سكب والقسوم من طرب ومسن حسب قتسلا وما أحدثت من ذنب

وقد أبدع في ذكر الهجران وطول سهر العاشقين حيث قسال:

ثم يطلل ليلي ولكن للم أنام الأمان على على الكبرى طيف اللم

ولبشار في غزله تمس كقصص عدر بن أبي ربيبة ، وزورات ليلية لمشوقاته يسجلها في شعره كهذه الزورة التي قال عنها لأوانس دعونه لقضاء ليلة في سمر وحديث :

> ودمى اوانس من بنات محسرق أرسلن فى لطف الى إن إنتنا فاتيتهن مسع الجسرى يقودنسى للما التقينا قلن هات فقد مشى حدث فقد رقسد الوشاة وليتهم قلت: اقترحن من الهوى، فسالتنى حسى اذا يعث الإذان قراقتا جرت اللموع وقلن فيك جلادة

حدود نواعم اوجها وجملودا غاب الرقيب وما تغاق وعيدا طريسا ويالك قائسنا ومقسودا سنة نؤمسل أن تسراك تعيدا حتى القيامة يلبشون رقسودا طرق العديث فكاهة ونشيدا ورايت من وجه الصباح خدودا عنسا وتكره أن تسراك جليدا

## مدينج بشنار:

وسبقت الاشارة عند العديث عن شعره بين التقليد والتجديد الى أنه كان يعمد في مديحه الى النمط التقليدي في الشعر ، وقد اتصل بجماعة من الخلفاء والولاة والقواد ، فذكر من بينهم هي عصر الامويين مروان بن محمد ، وسليمان بن هشام ، ويزيد بن عمر بن هيرة ، وفي عصر العباسيين أبا جعفر المنصور والمهدي ويزيد بن مزيد الشيبائي ، ومن ولاة البصرة سلم بن قتيبة ، ومن العلويين ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على ، ومن وزراء العلويين ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على ، ومن وزراء العلوية خالد البرمكي ٠

ومن أشهر مدائحه في المصر الأموى قصيدته في يزيد ابن عمر بن هبيرة وقد أنشده اياها سنة ١٢٨ هـ وكان يقود فرقة من چند مروان بن محمد في حرب الضحاك بن قيس الخارجي وهي حماسية قوية يقول فيها :

جفا وده فازور أو مل صاحبه

التي مرت بنا ٠

وقصيدته في مديح ابراهيم بن عبد الله بن حسن والتي يهجو فيها أبا جعفر المنصور وكان ابراهيم قد ثار بالبصرة واستولى عليها من أبى جعفر ، لكن أبا جعفر تمكن من القضاء على ثورته وقتله •

وبعث بشار بهانه القصيدة الى ابراهيم بن عبد الله قبال القضاء عليه وظن آنه سيكتب له النصر على أبى جعفر • قال : أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عصا قليال بسالم

ولم تصل هذه القصيدة ابراهيم بن عبد الله الملوى ، وأغلب المثن أنها لم تبلغ أيا جمفر المنصور والا كان قد قضى على بشار ، وقد أسرح بشار فنير فيها وحورها وجملها في هجاء أبى مسلم الخراسائي بعد قتله فقال :

آیا مسلم ما طول عیش بدائے

وقع عقبة بن سلم أرجوزته المشهورة :

يا طلل الحي بسدات الصعسد

ويقول فيه بيته المشهور:

يسقط الطدر حيث ينتقط العسسب وتنشى منبازل الكرمساء

## وفيها يتسول:

حرم الله أن تدرى كابن سلم عقبة الغدي مطعم الفقدراء اثما لنة الجدواد ابن سلم في عطياء ومدركب ولقداء ليس يعطيك للرجماء ولا الغد سوق ولكن يلت طعم العطاء

وفي خالد بن برمك يقول أبياته المشهورة :

لعمرى لقد أجدى على ابن برمك حلبت بشعرى راحتيه فدرتها أذا جنته للعجه أشرق وجهه له نعم في القهوم لا يستثيبها لمست بكفي كفسة أبتغي الغني فلا أنا منه ما أفاد ذوو الفني

وما كانمن كان الفني عنده يجدى سماحا كما در السعاب مع الرعد الى وأعطائي الكرامية بالعميد جزاء وكيل التاجر الميد بالميد ولم أدر أن الجود من كفه يعسى الدن و أعدائي فاتلفت ما عندى

وقى عمر بن العلاء وكان من كيار رجال الدولة الساسة ومن المقريسين للمهدى يقدول تصيدته الميميسة التي أشرنا إلى مطلعها :

> لم يطل ليسلى ولكن لسم إنسم والتي يفخر فيها كذلك بقوله :

ونبنت فومسا بهسسم جنسة

يقول في مديحها:

فقال للغليفية أن جئته اذا أيقظتك حسروب المسسدي فتى لا ببيت على دمنية دعبائی الی عمسر جیسودہ قعسى القعسال كعى المقسسال

نصيحما ولاخير في المهمم فنينه لهسا مصرا ليم نسم ولا يشرب المباء الا يسدم اذا منا غنزا بشرت طيره بفتنج وبشرنسا بالنعسم وقول المشسيرة يعسر خضسم وأولا الذى خبسروا لم اكن الامدح ريحانسه قبل شهم وفي الصمت على كعى الكلم

وجرى بشبار فيي مديسة على سنن السابقين من صفات الكرم، ووصف المناوح بالغيث والبحر، وأنه يتملل للساندين، وما الى ذلك مما يتردد في هذا المني ، ويضم اليه صفات الشجاعة والاقدام ، وخاصة عندما يصف القادة ، والخلفام •

ومع ترديده للمعانى السابقة في هذا الموضوع لكنه يحاول مع ذلك التجديد ، فيبدع أو يأتي بالبديع ، فأما أن يسوق المعنى القديم في صورة جديدة ، أو يأتي به جديدا لفظا وممنى • وقد من بنا من اللونين أمثلة مما سقنا •

## هجـــاژه:

وقد عرف بشار بالهجاء - قال : انى وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديم الرائع ومن أراد من الشمراء أن يكرم في دهر اللئام على المديم فليستمد للفقر ، والا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعملي -

ولمل من أشهر من هجاهم بشار وندد بهم المجاس بن محمد عم المهدى ، وكان معروفا بالبخل • قال فيه قصيدته المشهورة وبها كثر من المانى الجديدة في الهجاء وأعنى قوله :

ظل اليسار على المباس مصدود وقلبه ابسدا بالبخسل معقود

## يقسول فيهسا :

حتى تراه غنيا وهو مجهـود زرق العيون عليها اوجه سـود ان الكريم ليخفي عنسك عسرته وللبغيل عسل أمواله عسلل

## ويقسول:

تقدر على سعة لم يظهر الجود ترجى الثمار اذا لم يورق العود فكل ما سد فقرا فهـو معمود اذا تكرهت إن تعطى القليل ولم أورق يفير ترجى للنسوال فما يث النسوال ولا تمنعك قلتسه

وهجا حداد عجرد ، وكان صديقه فأقحش في هجائه ، وتبادلا الهجاء المقزع • كما هجا جماعة من أصدقائه كيدا أو معاتبة ، ولهذا عرف بخبث اللسمان ، وبأنه كثير الوقوع في الناس \* ومن أطراف معانيه قوله فيمن يسمى إبن قزعة :

مخافة أن يرجسي تسداد حزين قلم تنقسه الا وأنت كمسين فلا تبغلا بفيل ابن فزعة انه اذا جثته للمبرق اغلق بابه ويسخر من الصفات الجسدية لمهجويه · فقد سخر من طول عنق واصل اذ هجاه فقال :

مبالى اشبايع شبرالا لمه عنق كنقنق البلو ان ولى وان مشلا عنق الزرافة مبا يالى وبالكم تكفرون رجبالا كفسروا رجبلا

ویکاد أن یکون بشار شاعرا جامعا ، قال فی کل موضوعات الشعر ، مما یدل علی قوة شاعریته ، ومن هنا کان مقدما علی معاصریة معن اقتصر علی لون واحد مثل مروان بن آبی حفصة " وله فی الرثاء أبیات یرثی بها ابنه "

وعجيب أن يأتي هذا الرجل بالرثاء العزين ، وهو من عرفنا مع السخرية واللامبالاة ، والعبث ، قال أبو الفرج : توفى أبن بشار فجزع عليه فقيل له : أجر قدمته ، وفرط افترطته ، وذخر احرزته ، فقال : ولمد دفنته وثكل تعجلته ، وغيب وعدته ، فانتظرته ، والله لاني أجزع للنقص ولا أقرح للزيادة :

اجبارتا لا تجسرهی والیسی کائی غسریب بعد موت معمد تعمری تقسید دافعت موت معمد

اتانی من الموت المطبل تصیبی وما الموت فینسا بعسله بغریب او ان المنایسا ترصبوی لطبیب

#### ويقسول :

ويالك مئ قلب عليه كثيب وارنان إبكار النساء وثيب

فاصبحت ابسنى للعيسون تجلدا بذكرتي نوح العمام فراقسه وله في الوصف ابداع كابداع المبصرين ، وذكر عن نفسه دهشة الناس لدقة وصفه فقال في معرض الحديث عن احدى النسوة اللائي وصفهن • قال :

عجبت فطمية من نعتى لها هل يجيد النعت مكفوف البصر و يقدول مدرة أخرى :

ان تك عيني لا ترى وجهها قانها قلد صورت في القلمير

وسبق آن آشرت الى أنه استوحى صفات القدماء فى رسم صورة للصفات الجميلة فى المرأة مع تجديد فى بعض المعانى مثل وصف الحديث بالزهر وقطع الرياض ، وكذلك المعنى الذى عاب به الشاعر القديم "

انما سبلمي عصبا خيزرانـة اذا غمزوهـا بالأكف تلـين فعدل هذا القول الى قولـه :

وحبوراء المداميع من معسد كنان حديثهما ثمير الجنسان اذا قنامت بشيتها تئنت كان عظامهما من خيزوان

وتمرض مجموعة لهذه الصفات الأنثوية ممتها الجديد، ومنها القديم المجدد • يقسول:

وجنوار اذا تعلين لم تنا رجنوار في حليها أم ظياء يتعرضن في بفاترة الطنز في اذا اقبلت تناها الحياء وحيديث كانه قطع الرو ض فقيه الصفراء والعمراء

#### ويقسول:

الا يسا طيب قسد طبت ومسا طيبك الطيب ولي نقس منسن الذا ضمسك تقريب ولي نقس بساره عسلام جبرى فيه الاعاجيب ورجمه يشبه البيد رعليه التاج محسوب وعين تسبعر العسين وما في سعرها حبوب ووصف زان منتيسساك رزانته التقاصيب وجيبه يشبه السهر ركجيه الريسم سلهوب وتعسر بين حقسين يشف المسين معبوب عليمه العوم والياقسوت منعسوب عليمه العوم والياقسوت منعسوب

ويردد ألوانابداتها هي البياض والصفرة في نون البشرة ، والاحس في اللباس ويتيم باللون الأحسر فيقول :

فغسائى ملايس زيتسة ومصيفات فهى افغسر وافا دخلست تصنعى يالعسل ان العسل احمل

ولا غرو أن تلذذه بالحديث مع ذلك ، وبائشم كان أكمل • ولهذا يفيض في ابداع صفات الحديث الدى شبهه بالزهر وروض الجنان ، والثمر ، والمحمر ، ووشى المطارف •

وله في صفة الحرب ذلك التشبيه الجارى على كل لسان:

كان مثار النقع قوق رموسنا وأسيافنا ليل تاوى كواكبه

ويضع العلماء بالشعر وتقاده بشارا على ذأس المحدثين واصحاب البديع وفي مقدمتهم كما رأينا أبو عمرو بن

العلام والأصممي • وأشاد يفضله ابن المعتن • قال مستحسنا شعره معجبا برائيته العجيبة البديعة المعانى الرهيعة المبانى(١) :

رأيت صحابتي بغنا صرات فكاد التلب من طرب اليهم وفي الحي الذين رأيت خود يرود العارضين كان فاها كان فؤاده كرة تنزى يروعه السرار بكل شيء وود الليل زيد اليه ليدل يغت عيني من التقميض حتى

حسولا بعد ما متع النهار ومن طول الصحابة يستطار خلوب الدل انسة نسسوار بعيب النوم عاتقة عقبار حسدار البين لو نقع العدار مخافة أن يكسون به السرار ولم يخلق لمه أيسدا نهسار كان جغونها عنها قصبار

ففي القصيدة كثير من البديع المعنوى في تشبيه القلب بكرة الصولجان يتقاذفها اللاعبون ، وهذا المدى المجدد في قوله : 
و يروهه السرار » وقوله : و وود الليل زيد المده ليل » ومعناء الجديد البديع : و كأن جقوتها عنها قصار » ويذكر من يديع غزله :

يا منية القلب أنى لا أسميك يا اطبب الناس ريقاغير مغتبر فقدزرتنا زورةفي الدهرواحدة يا رحمة الله حلى في منازلنا

أكثى بأخرى اسميها وأعنيك الاشهادة اطراف المساويك فاثني ولاتجعلها بيضة الديك حسبى برائعة القردوس من فيك

<sup>(</sup>١) طبقات المسائين ١

وفى البيث الأخير توريه باسم محبوبته « رحمة ألله » ولكنه ورئ واستخدم التورية في المعنى اللاحق عندما شبه رائحة فمها برائحة الفردوس •

ومن تجديده كثرة الأوزان السهلة من مجزوءات البحور ، وقيها يبدو الايقاع الراقص المطرب ، من مثل قوله :

من المشهور في العبب الى قاسية القلصيد سيلام الله ذي العبرش عبلى وجهبك يا حبي فامنا يعبد يه قسرة عينى ومنسى قلبسى لقد الكرت يه عبد جفاء منك في الكتب أعبن ذنب ولا والله لله ما أحدثت من ذنب ولا والله عبد ما أحدثت من ذنب ميواك اليسوم أهواها عسل جيد ببلا لعب

وتذكرنا هذه المبيغة من صيغ الرسائل الشعرية ، بسابقتها عند أبي ربيعة ، واستخدمها كذلك أبو نواس وأخذ عن استاذه بشار بن يرد هذا الفن ، بل نظم على هذا الوزن رسالة مشهورة لصاحبته جنان •

وكان مطبوعا في معانيه وألغاظه ، لا يتكلف القدول ، ولا تشعر في شعره بجهد المثقفين ، وانعا يجرى كلامه سلسا سهلا ، كما يقول ابن المعتز : ولا يتوقف أمام بعض الالزامات اللفظية ، بل تبحث في طريقته ما يروق له من الالفاظ وقد يضع منها ما يراه ، فاذا سئل تعلل بعلة ما » \*

ومن أمثلة تحرره من الائتزامات اللفوية قوله : 
زرى روحها فلن تجلى كروحي

وأصلها فعل الأسد من زار يزور والامر للمخاطبة زورى باثبات الواو -

واستخدم ثيب في جمع ثيب والصحيح الوارد ثيب وكانه جوز أن يقال: امرأة ثيباء فقال:

فلا يد أن تقشاك حين غشيتها هواجبد أبكسار عليك وثيب

وبعد ، فان بشارا ترك فى تاريخ الشعر العربي أثرا ظلل يتردد ، وصدى يتجاوب ، وفتح للشعراء طريقا سلكوها ، وأبدعوا فيها هى طريق البديع • وكان اهتمام القدماء به عظيما ، وعلى رأسهم ابن المعتق ، وابن رشيق القليروانى ، وابن دريد سال أبا حاتم عن بشار بن بدد فقال : نظار غواص ، عطيل مجيد ، يصف ما لم ير كأنه قد رآه \*

واهتم به الباحثون ، وتذكر على سبيل المثال منهم الدكتور طه حسين في حديث الأربعاء والعقاد في مراجعات في الأداب والفنون ، والمازئي ، في مجموعة أهلام الاسلام ، والنويهي في شخصية بشار ، والحاجري في مجموعة نوايغ الفكر العربي \*

## مصادر بشار بن بسرد :

- 1 ـ الاغائى لابي القرح الاصفهائي ، طبع دار الكتب .. الجزء الثالث
- ٢ المقتار من شعر بشار وشرحه ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنش بالقاهرة -
- ٢ ــ ديوان شعره تعقيق معمد الطاهر بن عاشور بجامع الزيتونة ، ثلاثة أجزاء
   ١٩٥٠ ــ ١٩٥٧ -
  - ع بشار بن برد ـ احمد حسين القرئي ـ عليع القاهرة سنة ١٩٢٥ •
- ه بشار بن برد بين الجد والمجلون لعسلين منصور للطبع التجارية بالقاهرة
   سنة ١٩٣٠ -
  - ٦ ـ بشار بن برد ، مجموعة أعلام الاستلام للمسارتي ٠
  - ٧ ـ بشار بن برد ، مجموعة توابع الفكر العربي للدكتور طه العاجري -
    - ٨ ــ مراجعات في الإداب و الفتون للاستاذ عباس مصود العقاد ٠
    - ٩ شخصية بشار بن برد للدكتور النويهي طبع القاهرة -
- أَبُ تَارِيخُ أَدَابُ اللَّفَةُ الْعَرِبِيةَ لَلْدَكَتُورَ شُوقَى ضَيفَ ، الْحِرْمِ الثَّالِثُ ، العصر العباسي •
- 11 ـ حديث الاربعاء الجزء الثاني للدكتور طه حسين ، طبع دار المعارف بمصر •

# أبو نواس المجدد المقتسن ( توفي سنة ۱۹۹ هـ )

## وصف أبو عبد الله الجماز أبا تواس فقال:

« كان أظرف الناس منطقا ، وأغزرهم أديا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جوايا ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون جميل الوجه ، مليع النفمة والاشارة ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقمير ، مستون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف » \*

وكان قصيح اللسان جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للاشعار ، علامة بالأخبار ، كأن كلامه شعر موزون (1) \*

ولد أبو نواس من أب عربي وأم فارسية • كان أبوه من جند مزوان بن محمد الذين بعث بهم الى الأهواز \_ بين البصرة وقارس \_ وكان من دمشق • وأقام فى معسكر ظاهر المدينة • وهناك الثقى بجلبان الأهوازية الفارسية أم أبى نواس فتزوجها ولم يتم معها طويلا لانشفاله بحرب المخرسانية مع جند مروان • وبعد هزيمة جيش مروان أسام المخراسانية سرح الجند ، فكان هائى » يين من سرحوا ، وأقام مع زوجه جليان واشتغل برعى

<sup>(</sup>۱) زمو الأداب للعبرى التيرواني ، بتعتبق الدكتور ذكي مبارك ١ / ١٦٣ -

الاغتمام واشتغلت هي بالحياكمة ، تصنع الاخسراج ، وتنسبج المجوارب \* ولد لها عددة أبناء \* بينهم الحسن (أبو نواس) وولدان آخران وقتاة \*

ولد الشاعر سنة 181 هـ على أرجح الأقرال ، في خلافة أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس \* ووقد مع أبيه وأمه الى البصرة عام 187 هـ ، وسكنت الأسرة بيتا من القصب ، وظلت أمه تزاول عملها في الرعبي والحياكية ، واضطرت أحيانا الى الارضاع لتكسب قوتها وعيالها ولتعين زوجها على العيش \*

ولم يلبث أن مات هائيء ، وظلت جلبان تجاهد وتعمل حتى انفرجت شدتها بعض الشيء فسكنت بالبصرة دارا من الآجد والجص وصار منزلها مرتادا للناس رجالا ونساء للشراء ورميت بالريبة لأنها كانت تجمع بين الرجال والنساء وكان هذا الامر مما هجي به الشاعر "

ورددت الأخبار بعض لمعات أو سسمات لجلبان ، منها أنها ربما كانت بخيلة كغيرها من أهل الأهواز الذين يرمون بالبخل • لكنها على أية حال كانت مديرة استطاعت أن تقوم يعبء أطفالها حتى دفعت بهم الى الكتاب والدرس ، وتسنم منهم الحسن النسوة بين شعراء عصره •

تعلم العسن بأحد كتاتيب البصرة \_ وكانت أمه تبعث للمعلم أجره خبرا ، حتى تقدم الطفل في تعليمه وحفظ القرآن ومعرفة بعض العساب وكانت ترسل اليه بالدرهم والدرهمين \* ويبدو أن

هذا الكتاب كان يدعى بكتاب دحقص» باسم معلمه وقد وصفائنا في ذكرى استعادها لهذا الكتاب صورة طفل ناعهم من أنهداده ضربه حقص عقابا •

قال حقص اجلساوه اتسه عنسانی بلیسه فسرد فسم هالسوه بسبی البین صافیه عسود ولم یبزل مث کان فی الله دس عن السدس یجیسه عندها صاح حییبی یا معلم قمن اعسود کشفت عنده خسرون وصن الغسر بسرود

وتدرج الحسن في تعليمه من الكتاب الى مجالس الملم بالمساجد يتلقى عن العلماء والشيوخ من قدراء ورواة ومحدثين ولغريين "

قرأ على الشيخ القارىء يعقوب الحضرمى ، وكان قد ذاع صيته فى تعليم القراءات وفى العلم بمذاهب النحاة فى القرآن - وكان يعقوب زاهدا ورعا - علم أبا نواس حسبة ولم يتقاض على تعلميه أجرا ، ويبدو أنه أعجب بذكائه فألقى بخاتمه اليه وقال : اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة -

وظل يتردد على الشيوخ بالمسجد الجامع فانضم الى حلقة أبى زيد الأنصارى اللغوى النحوى صاحب كتاب و النوادد ، يسمع لما يستشهد به من أوابد الأبيات وقرائد البلاغات من كلام المدب ، وما ينشده من القصائد أو الرجز " وجلس الى أبى عبيدة معمد بن المثنى اللغبوى الراويسة الاخبارى ، فعرف عنه الكثير من أخبار العرب وأيامهم ، وقبائلهم وأنسابهم وظل يذكره بالخير دائما ويقول عنه انه : « أديم » طوى على علم "

وجلس الى خلف الأحمر راوية البصرة ، وناقدها ، وأعلم أهلها بالشعر القديم • فكان آستاذه في الشعر ومعلمه • ومسدد خطأه ، وهو الذي لقبه بأبي نواس في رواية اذ قال له : آنت من اليمسئ ـ آي قبيلة ( بنسي الحكم) فتسكن باسم من أسساء الدوين ، أي باسم أحد ملوك اليمن القدماء الذين تبدأ و بدو » فتسمى بذي نواس •

ورحل الى البادية يأخذ الفصاحة عن ألسنة أصحابها • وأقام سنة ثم عاد الى بلده • وكان يتال له : أرغبت عن والبة ومللت الكوفة ؟ • فيجيب : هي و أجدى » وأطيب من أن تمل ، ووائية لا يرغب عنه • ولكنى نزعت الى الاوطان واشتقت الى الاخوان •

واستأنف بالبصرة حياة الدرس والتحصيل بعد تلك الزورة للبادية والسرحة في الكوفة واصطحاب بعض شعرائها وارتاد في البصرة المريد ، واعتاد حلقات الشعراء به، وجمع من الشعر والعلم ما جعل الناس يرددون القول بأن « أقل ما في الحسن من بضاعة قول الشعر فقد كان فعلا راوية علامة » •

وقى غير علوم العربية ، وعلوم الأدب واللغة خاصة ، اتصل يبعض الثقافات الأجنبية قرقف على التنجيم باتصاله بآل توبخت

الذيخ اشتهروا فيه ، وفي قصيدة له يمدح يحيى بن خالد البرمكي أمثلة لمعرفته بأسماء النجوم ومساراتها -

والم بطرف من علوم الطبيعة ، والحياة ، والقلسفة والطب ، وقى شعره آثار من العلوم عن طبائع الانسان الأربع من البرودة والرطوية واليبوسة • والقسول بأقوال المتكلمين من المعتزلة ومعارضيهم من الجبرية • ولا يروق لمه جدلهم المقيم حول قضية و الجبس والاختيار » -

يا ناظرا في الدين ما الاس لا قسند ولا جيسر ما صح عندى من جميع البذي يذكس الا المبوت والقبس ومما جاء في شعره من آثار علوم الكلام ويقول في الجزء الذي لا يتجزأ:

تركبت منبى قليسلا : ومن انقليسل اقسلا يكسساد لا يتجسسزا اقسل قبى اللفظ من لا

وزعموا أن ابراهيم النظام المعتزلي أستاذ الجاحظ لما سمع ذلك من قوله قال : « أنت أشعر الناس في هذا المعنى \* والجزء الذي لا يتجزأ منذ دهرنا الأول نخوض قيه ، ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته أنت في بيت واحد » \*

وريما اتخد أبو تواس بعض معارفه وسيلة للتظرف كما قمل في العديث عن الحب يداعب المعدث الشيخ عبد الواحد بن زياد أستاذ الحديث بالبصرة واذ طلب الى الناس في طقته أن يسأل كل رجل ثلاثة أحاديث مهمة ، فقعل الناس حتى انتهى الى أبى نواس

فقال له : سل يا فتى ، فقمل بين يديه وأنشأ يقول :

ولقـــد كنـسا روينــا عن سبعيد عن قتــادة عـن زرارة ابن أوفى ان سـعد بن عيـادة قال : من مـات معيــما فلمه أجــر الشــهادة اتـــري ذاف صــوابا نتبــع منــه ســدادة

قالتفت اليه الشيخ مغضها وقال : أغرب عني يا خبيث ، وأنه لا أحدثك بعد ذلك ولا أعرف وجهك » •

## أساتيله في الشحر

## شعره التقليلي وأستاذه خلف الأحمر:

قلنا أنه اتصل بخلف الأحمر فعلمه الشعر القديم ، وشجعه على حفظ كثير منه - ويرى أن خلفا قال له : « لا أذن لك في عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مأثور للعرب ما بسين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة » - فغمل ما طلب اليه خلف وعاد اليه فقال له : انس هذه الألف الأرجوزة كأنك لم تحفظها ، ثم انظم الشعر بعد ذلك -

وروى عن أبى نواس أنه قال : ما قلت الشعر حتى رويت لمستين امرأة من العرب ، منهن الخنساء وليلى ( الاخيلية ) ، قما طنك بالرجال ؟ •

وراض الشمر على هذا النسق القديم ، فقال يرثى أستاذه : لو كان حي واثبلا من النك : لو الت شغواء في أميلا شغه وفي رثاء أبي البيداء الرياحي الأعرابي الشاعر الراوية يقلول:

هل مغطىء حتفه عفر بشاعقة دعى باخيافها شدا وطباقا وطباقا ووقيها يقبول :

وَارَ الْعَمَامِ أَبِا الْبِينَاءُ مَعْتَرِمًا وَلِمْ يَقَادِر لَهُ فِي الْنَاسِ مَطْرَاقًا

و تعلم الشعر من المولدين والمعدثين على يدى أستاذه وصاحبه والبة بن العباب ، وشيخه محمد بن مناذر في بعض الروايات .

وأثرت صحبته لوالبة في حياته وسلوكه وشمره وقد لقيه والبة صبيايتول الشعر فعرف فيه فطنة وذكاء وتعلقا بالشعر ورغبة في عمله والتجويد فيه ، فقال له : التي أرى فيك مخايل فلاح ، وأرى لك ألا تضيعها ، وستقول الشعر وتعلو فيه فأصحبني حتى أخرجك -

وصحب أيو نواس والبة الى الكوفة ، وجلس الى عصبة المجان من رفاق الشاعر المأجن أمثال يحيى بن زياد ، ومطيع بن اياس ، وحماد عجرد \* وقد عرفوا بالعبث ، والفزل بالغلمان ، وشرب الخصر والقول فيها \*

وكان والبة يتعمد اغراء السقاة بالحسن بن هانيء الفتى فيسقونه حتى التلف ، وكان يغريب بالمجلون والاستهتار حتى أفسيده •

وكانت مجالس هؤلام الغلعام الماجنين لا تغلو من انشاد للشعر ، وصنعة له على البديهة ، وهبر شعر سهل يجرى بلغة الحديث ينظمونها في آوزان خفيفة ، يتناولون بها موضوع العبث الذي يشغلون به أو يتحاورون فيه ، وكان هذا الانشاد ، وذاك الحوار الشعرى الذي يجرى على البديهة مما شجع الحسن على أن يتشد بديهة ، ينظم كما ينظمون في تلك الاوزان السهلة والألفاظ الجارية والمعانى الحاضرة ٠

وكانت هذه المجالس مصا شبعه على الولسع بالخمس ، وعمل الشعر فيها وفي مجالسها ، ثم خسرج الى ضواحى الكوفة حيث تنتشر الأديرة المسيحية في الحيرة ، وصحب جماعة المجان الى تلك الأديرة للهو وشرب الخمسر ، وكان رهبانها يمتقونها، ويطرب الوافدون ، نزلاء الأديرة ويرحب بهم أهلها ويهيئون لهم أسباب اللهو وخاصة في أعياد النصارى « كالشمانين » وفي أعياد القرس القدماء ، كالمدروز -

وتظهر في شعر أبى نواس الخمسرى ملامسح الديسارات ، ورهبانها ، وتسيسيها ، ويبدع قصائد من أجعل قصائده فنا وحسنا - كتلك التي قالها في دير حنة ، وذاعت بين الادباء ويلغت شهرتها الآفاق ، وتعلق بها الناس في أقطار المالم العربي شرقاً وغربا - وهي :

يا دير حنة من ذات الاكبراح من يصحعنك فاني لست بالصاحي

على أن أبا نواس لم يتوقف طموحه عند حدود بنده البصرة والكوفة، وأوساطها الادبية، بل رمى ببصره ، وتطلع الى أفق أوسع ، الى مركز الخلافة بقداد ، يتول :

سا بقى الفتى أما جليس خليفة 👚 يقوم سنواءا أو مغيف سبيل

وجاء بندادا ، قام قصور البرامكة ، ومدحهم ، وحدث ما حدث بينه وبين الشاعر الرقاشي من منافسة ومهاجاة ، والرقاشي من شمراء البرامكة المخلصين ، وأما أبو نواس قاته لم تدم صلته بالبرامكة ، وقيل أنه لم يلق عندهم القبول ، أو لم يلق النجاح الذي ينتظره ، وفسر المؤرخون سوم حظه مع البرامكة بأخبار كثيرة ، منها أن جمفر بن يحيى تشاءم من مطلع احدى قصائده •

ومدح أبو تواس الرشيد ، وصلته بهذا الخليقة العظيم غير واضحة المعالم ، وتربط الأخبار بينهما برباط وثيق ، وخاصة في قصص الشعب ، والعامة ، تجعله هذه القصص نديما له ومضحكا لكن المحقق أنه مدح الرشيد بجملة من قصائده ، وأنه لقي عنده بعض النجاح ، لكنه ربعا سجن في عصره كذلك ، وقاسي السجن ومرارته ، ونظم القصائد لاستعطافه كي يطلقه ،

واتمل بالامين من بعد الرشيد ، ولكن صلته بالخلينة هذه هذه المرة كانت مختلفة تماما ، فقد كان نديمه ، وصاحبه الذى لا يصبى عنه ، وربما جرت صعبة الشاعر على الخليفة كثبرا من المتاعب وربما وجد من طبع الأمين في خلواته استجابة لاستهتاره ، فتمادى الشاعرفي خلاعته ، وجهريها وأعلن اسم الخليفة ممه • كقوله :

وندمان پیری خبت علیه ادا نادیته مین نیوم سیکر فلیس بقائل نك ایسه دهستی ولکن « یا اسقنی » ویقول ایضا وذاك معصد تقدیسه نشسی

بأن يعسى وليس لمه انتشباء كفاه مبرة منك النسداء ولا مستغير لمك ما تشماء عليمك الصحرف ان أعيماك داء وحق لمه وقمل لمه الفهداء

وقيل أن الأمين أجازه على هبده القصيدة بكل بيت ألف درهم -

ولم تصف الحياة لهما ، فأثار أعدام الخليفة الناس عليه ، وشهروا به ، وجعلوا من الشاعر مادة للتشهير · وكان لابد أن ينتهى الأمر بالشاعر المجاهر الى السين ، وقد وجدوا الدليل في شعره على ادانته ، من قوله :

ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهس

الا فاستنى خدرا وقل فى هى الغدر ومثال قولسه :

يا أحمد المرتعى في كل نائية قلم سيدى نعص جيار السماوات

وبعد أن قضى زمنا فى السجن عفا عنه الامين ، وقد أخده عليه وزيره الفضل ابن الربيع عهدا يترك القول في الخدر والمجون عاطب ابن الربيع بأبيات يظهر فيها نسكه وتوبته، ولا تخفى تنمة السخرية ، يقول :

انت با ابن الربيسع الزمتنى النسك وعودتنيه والخير عادة فارعوى باطلق واقصر حبل وتبدلت عفسة وزهـــادة لو ترانى ذكرت للعسن البصرى في حسن سمته والتــاده المسابيسع في ذراعسى والمصعب هذه في لبتى مكان القــالادة

وتدوم الصلة بين الأمين والحسن بن هائيء حتى تقوم الفتنة بين الأخوين على الخلافة ، وتعاصر جيوش المأمون بغداد ، ويهب أهل بغداد للدفاع عن بلدهم ، ويتراشق الفريقان بالنبال وتصب المجانيق وابلها على المنازل والأسوار ، ويدافع شطار بفداد ويستبسلون ، ويشارك الناس كلهم في الحرب ، لكن الشاعر لا يبالى ، ويتعمرف الى كأسه :

اذا عبا أبو الهيجاء للهيجاء فرسانا وسارت راية المسوت وأم الشحيخ اعبلانا وشحبت حربها واشتعلات تنهجب نهيانا جعلنا القوس الموسانا ونبيل القوس الموسانا وقلمتها مسكان الرمياح والمطيرد ريحانا فعادت حربنا مسلما وعدنا نعين خيلانا يغنيان يسرون القنيال في اللبنة قربانا نعن ميدانا نعن ميدانا نعن ميدانا

وتنتهى الحرب بمقتل الأمين ، فيرثيه الشاعر في حرقة وألم، وصدق عاطفة ، ولا تطول بعده حياته فيقضى ما بقى من عمره عليلا يشكو العلة والهرم ، فقد قارب السنين ، ويقضى في النهاية نعبه سنة ١٩٩ هـ -

اتصلل الشاعر في مرحلته البغدادية ببعض الامراء والولاة، سافر الى مصر فلقى أميرها الخصيب ومدحه يجملة من القصائد الجيدة ، منها رائيته المصروفة :

أجمارة بيتينا أبدوك غيدور وميسور ما يرجى للبيك عسم وقيل أنه أقام في مصر عاما من سنة ١٩٠ الى ١٩١ هـ •

### شعره ، دراسة موضوعية وفنية :

يحمل شعره سمأت شخصيته ، وملامح عصره ، ومجتمعه ، وربما كان شعر أبي نواس من أصدق شعر العباسيين تعبيرا عن ساحيه وحياته ومجتمعه - وأول ملامح شخصيته الظرف ، وعدم المبالاة وحب الظهور ، أو الاعتداد بنفسه ، وركاهيته للمسرأة وحبه للغلمان -

وربما كانت هــذه الاشياء جميعا متصلة معــا بوشائج في . نفسه ، وكان لحياته ، وظروفها كذلك أثر في نموها أو تكوينها ٠

ولحد جميسل الصورة ، مطبوعا على الظرف وحلاوة الروح ، وربعا ظلت هذه الخصلة ، أى الظرف وخفة الدم ــ السعة الغالبة عليه ، حتى صار رمسزا للنادرة والفكاهة فــى الأدب الفصيح ، والأدب الشعبى جميعا ، وربعا كان جمال صورته ورقته ، سببا مع أسباب حب الظهور ، والميل الى العبث والمجون ، خاصة وأن والمبة بن الحباب ، قد غرس فيه ذلك مند صغره ، ونماه وتعهده ، وقد زكاه في نفسه نسب رماه الناس فيه ، وعقدة الموالى التنقرت في قليه تحرقه ، وتشعره كأنبداده من أبناء الموالى ، بالضعة وصغر الشآن ، فكان لابد لــه من مجال للتنفيس ، فكان التمرد ، والخروج ، والعناد ، والمجاهرة بالمصيان .

وربما كانت عقدة والدته ، وما لقيه من و جنسان ، صاحبته أو فتاته الأولى التي علقها بالبصرة من أسباب اتجاهه الى الفسزل بالمذكر ، وكراهته المرآة في أعماقه ، أو خشيته منها ، ذلك الى

ما وجد في طغولته من ميل عصبة المجان لهذا اللون من الشعر · واعتيادهم عليه باعتباره جديد خارجا وهم الولدون بكل جديد وخارج ·

ويحدثنا الأستاذ المقاد عن عقدة النرجسية أو عبادة الدات.
عنده ، وآن من أسبابها اعتداده بجماله (۱) - يقول : فالنرجسية التي تنبع أعراقها في الحسن بن هائيء ليست حالة طبيعية تلاحظ على أتداده ، وفي مثل عمره ، ولكنها حالة منحرقة - ولد ببعض أعراضها ، وجاءت الأعراض الأخرى من البيت والمجتمع والمصر الذي نشأ فيه ، وعاش سائر حياته وهي حالة لا يشابهه فيها أحد من شعراء عمره » \*

وأول دلالات الترجسية في نفس أبى تواس عند العقاد هي تكوينه الجسدى ، وجمال صورته ، وقد مأق جملة من الأخبار تشير الى ذلك ، وقد ردد هو نفسه اعجابه بجماله قال وقد جاوز الشباب:

تتيه علينا أن رزقت ملاحه فمهالا علينا بعض تيهك يا بنر فقد طالمها كتما ملاحما وريما صحدنا وتهنا ثم خيرنا الدهر

ومن دلالات نرجسيته عقدة الأنثى ، وهى عقدة علقت به مع أمه طفلا وصبيا ، حين كانت تكثر من تدليله وتترك شعره مرسلا، فيبدو في مظهر الفتاة لا الغتى ، وقد مات عنه أبوه صغيرا ، فعاش

<sup>ः</sup> भ्र

<sup>(</sup>١) أبو تواس للمتاد ، كداب الهسلال من ٨٨ -

في كنف أمه حتى يفع ، وقد سمع عن أمه الكتبر من النمز في وسط البصرة ، ومن شمراء هاجموه ، واتهموها بريبة ، وقد حاول أن ينتسب الى قبيلة والده اليمنية أو بنى الحكم ، ولهذا عرف بالحكمى ، لكنه ربما ضاق بهده النسبة ، أو هاجمه يها مهاجموه ، فنسب نفسه الى مضر ، وهي غيراليمنية وربما ضاق بهذا كله ، وبالعرب والأنساب ، وجدرى مع الشعوبية ، يفخر بأبائه وأجداده الفرس ، ويقول :

راح الشقى على الربوع يهيم بمزمزين فلوا بسدقة ليلة متقرقرين كلامهم ما بينهم نادمتهم أرتاض في أدايهم ولفارس الإحرار أنفس أنفس

والراح في راحي ، ورحت اهيم والليل منتبس الظبلام بهيم ومزمزسين خفاؤهم مفهسوم فالقرس عنوى سكرهم محسوم وقفارهم فسي عشرة مستوم

\* + +

### ويقبول عن المسرب:

بدرت الى ذكر الفخار تميم سببت تميم وجمعهم مهزوم

واڈا آناہم عصبۃ مربیۃ وعدت الی قیس وعدث قوسبہا

وكان هذا التمسرد والخروج على التقاليد ، والاعتسداد ، والمجاهرة ، مظهرا لهذه الشخصية الشاعرة ، ربما شابه بشارا في بمض ملامعه ، وربعا شابه غيره من شعراء الموالي أو عصبة المجان، أو المزنادقة ، لكنه ظل تموذجا فريدا ، وطابعا معيزا بجملة سماته المخاصة بين الشعراء جميعا ، وهي سمات فيها الجميل المحبب الي النغوس ، وفيها القبيح الذي تنفر منه ، لكنه حتى في همذا

القبيح ، هير غليظ الطبع ، ولا تقيل الظل كسابقه بشار - لكنه يظل فيه محتفظا يخفة ظله ورقته ٠

وهوبية أبى نواس ، وزندقته ، مع صلتها بشخصيته وحياته ، وظروفه الخاصة في حياته لا يمكن قصلها عن ظروف حياته ومجتمعه وقدشاعت هذه الروح كما قلنا في عصره وتجاوب الشاعر معها ، وتلاقي وبشارا وأخرين في الحملة على نهج القدماء في القصيدة ، والدعوة الى هجر مقدمتها الطللية ، وبكاء الديبار و يقدول :

قل الن يبكى عبلى رسم درس واقفها مها ضر لو كان جلس ولعله بدلك يلمح الى قول الشاعر القديم امرىء القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فعومل

ويسخر من قول السابق:

موجا عمل الطال المعيل لعلنا فيقم ول (١):

عاج الشقى على رسم يسائله يبكى الشقى على طلل الماضين من أسد ومن تميمه ومن قيس ولقهما لا جف دمع الذي يبكى على حجر كم يين ثاعث خمر في دساكرها

ثبكي الديار كما بكي ابن حدام

وعجب اسال عن خصارة البلد لادر درك قل في من بنو آسد ليس الاعاريب عند الله من أحد ولا صفا قلب من يصغو الى وتد وبان باك على نؤدى ومنتضا

<sup>(</sup>۱) دیرانسه من ۲۹۹ ۱

### ويقبول في أخبري:

دع الأطلال تسخيها الجنوب تصل اراكب الوخياء ارضا ولا تأخذ من الاعبراب لهسوا ذر الالبسان يشربهما اتباس بارض نبتها عشر وطلح اذا راب العبليب فيسل عليمه فاطيب منه صافية شمول

وتبكس عهد جدتها الخطوب تغب بها النجيب والنجيب ولا عيشا قعيشهم جديب رقيق العيش عندهما خديب واكثر صيدها في ذاك حوب ولا تحرج فما في ذاك حوب يظوف بكاسها ساق أربب

### حتى يقسول:

فاين البخو من ايسوان كسرى واين من المهادين الدروب

وهذه الدعوة الجديدة الى تبهد الحياة العربية القديمة حياة الصحراء، وما يها في الشعر والتعبير عن الحياة الحضرية، وهي حياة عراقية فارسية، تمت بعد نيتها الى حضارة الفرس القدماء وتظمهم في العيش وهذه الدعوة وان تلونت باللون الفارسي، وبدت شعوبية المقلهر لكنها دعوة الى التجديد، والملاءمة بين الشعر والحياة، وترك القيم والتقاليد المروثة والتي تمسك بها شعراء العرب وعلماء العربية ردحا من الزمن "

هنده المسرخة الى فك قبود الشعر ، والخسروج عن اطباره القديم الى اطار جديد كانت دعوة صادقة من الشاعر ، تتلاءم مع مؤاجه ، وان مقدمته الجديدة التي دعا الى بدء القصائد بها هي القول في الخمر أو النسيب الخمرى أذا صبح هذا القول "

واذا كان بدم القصيدة بالنسيب عند القدمام مدعاة لأنس السامع وتوددا الى قلبه ، لأن حديث النسيب والغزل محبب الى كل القلوب ، فان حديث الخمر في دعوة أبى نواس محبب الى من هم في مثل مزاجه ، ممن يعشقون الخمر ، ويطيفون بد ساكرها •

و يردد هذه الدعوة في مطلع كتبر من خسرياته • فيطيل أحيانا ويقصر أخرى حتى لا يذكرها الافي سطر بيت كتوله :

لا تبك ليلي ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

ومسراج أبى نواس وهو مزاج أبيقورى ، عاشت للحياة وملاذها ، يدفع به الى نشدان ملاذه كلها فى ظل الخصر ومجالسها ، لذة النساء ، ولذة الغلمان ، لذة الطعام ، ولهذة الشراب ، لذة النظر ، والشم ، وسعادة الحديث والسحر كلها تجتمع الى الخمر ، وتصبب فيها ، فكأسها ذوب اللذات ، من يد سأق جميل الصورة يضع فيها أو على أذنه عود الربحان ، وتحيط به الرياض ، والبساتين ، أو الكروم \*

وهو في مزاجه هذا لا يعول ، يدعوه أبو المتاهية الى ترك اللهو ، والامتناع عن سماع الفناء فيقول له :

أتـــراني يأمنــاهي تاركـا تـلك الملاهي أتـراني منسبدا بالنسك عنــد القــوم جـاهي

وقد كان هذا المؤاج داعيا له الى المجاهرة والتبدل ، فهو واع مدرك لطريقه وغايته غير جاهل ، ولا غافل ، لذا تسراه يجاهر بميوله المترجسية ، وحب الظهور أو الميل الى العرض - يعتب على صاحبته التي تلومه على التمادي في الشراب والاغراق في اللهو ، فيقول :

بالعهل أو ثر صحية الشطار انى الأعرف مذهب الابسرار وصرفت معرفتى الى الانكار وتعجلي عن طيب هذه الدار علمى به رجم من الاخبسار في جنية من مات أو في نار وملحة باللوم تعسب أنتي بكرت على تلومني فاجبتها فدعي الملام فقد أطعت غوايتي ورأيت اتيائي اللذاذة والهوى احسري وأحزم من تنظر أجسل ما جساءنا أحمد يغيس أنه

ويردد هذا المعنى مسرة أخرى في قوله :

ودینی واعتکفت علی المعاصی ولا اختی هنانگ من فصیاص

ائم ترنبي أتعت اللهبو نفسي كانسبي لا أعبود الى معباد

نفسية متصدة ، ألهاها اندفاعها نعو اللذة ، وأغفلها ، فعارت بالقول بالخلاف حتى يلتفت اليه الناس ، فيؤاخذونه ويلومونه ، أو يتهمونه ، ويرجمونه ، وهو لا يعبأ بهذا كله ، بل يكفيه منه أنه معروف عند الناس ، تجرى سيرته على كل لسان ، ويدور شعره الغريب في مجالسهم ، خفاء أو جهرا ، ويسعده أن يسمير همذا الشعر ويشيع ، والناس وراء كل غريب ، وخاصة العامة ، وقد لاحظ النقاد القدماء ميله لهذا اللون الغارج أو الممارخ ، الذي يسعى فيه أحيانا لرواجمه عند العامة وأوساط الناس ،

# يقول ابن شرف (١):

 د أما أبر نراس فأول الناس في خرم القياس، وذلك أنه ترك السيرة الاولى ، ونكب عن الطريقة المثلى ، وجمل الجد مزلا ، والصميه سنهلاء فهلهل المسردء وبلبل المنضبية وخلخل المتجد وترك الدعائم ، ويني على الطامي والعائم ، وصادف الأنهام قد نكلت ، وأسلباب المعربية قلله تخلخلت وانحلت ، والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت، فمال الناس الي مسا عرفوه ، وعلقت تقوسهم بما القوه فتهادوا شمره ، وأغلبوا سندره ، وشغفوا بأسخفه ، وعلقوا بأضعفه ، وكان ساعده قوى ، وسراجه أحتوى ، لكنه عرض الأنفق ، وأهدى الأوقيق ، وخيالف فشهر وعرف وأعرب ، فذكر واستطرف ، والعوام تختار هذه الأعلاق وأسواقهم اوسع الأسواق - فشعر أبي نواس نافق عند هــده الأجناس -كاسه عند أنقد الناس ، وقدد قطن إلى استضعافه ، وخأف من استخفاقه ، فاستدل بغميع طرده طرفا من جدد اللسان الأول وجدده \* وهو مجدد في كثرة التظاهر على من.غض منه بالحق الظاهر ، ليس الا لخفة روح المجسون ، وسهولة الكلام الضعيف الملحون على جمهور الموام ، لا على خصائص الأنام » ٥

وشعر أبئ نواس الجديد ، أو الذي يذهب فيه هذا المذهب الجديد ، يدور في الجمر والمجون ، والغزل بالمذكر والوصف ، والغزل بالمؤنث وان كان قليلا - ويميل فيه الى الأوزان الخفيفة الرشيقة ،والايقاع الموسيقي المطرب ، وكشيرا ما لجأ الى

 <sup>(</sup>۱) النئيسيرة قسم ٤ مجلد ١٠

مجزوءات البحور ، وكذلك حاله في أهاجيه ، وهي قليلة نسبيا ، لأن سيرورة الهجاء تقتضى السهولة في القول والبحر ، ولأبي نواس أراجيز ، ومجزوءات الرجز كقوله في الفضل بن الربيع :

ويسلدة فيهسها زور صعبراء تغطى في صعبر

ويدخل شعره المعنعة في اللفظ والصورة ، لكنه لا يسرف اسراف المتصنعين كمسلم ابن الوليد وأبي تمام • وأنمأ يجيء صنعه كالعلية البديعة -

ويرى النقاد المحدثون خلاف رأى القدماء في شعده الجديد ، اذ يعتبرونه أكثر صدقا وأظهر تعبيرا عن شخصه ، وعصره • يتول طه حسين :

« كان أبو نواس في شهره صادقا في التمبير عن أحاسيسه ، صادقا في وصفه للحياة من حوله ، فهر يصدق في وصف لذات الحياة ، وان كانت خارجة عن الدين والفضيلة لأنه لم يسرد أن يخفى نفسه أو أن يتحدث بما لا يرى ، أو أن لا يقول الشعر في كل ما يرى ، فهو صادق الوصف ، لأنه أراد بهذا الصدق أن يرضى تفسيه •

وقد دفعه هذا الصدق الى ترك ما ليس معبرا عن هذه الحياة مع أنماط التقليد الذى توارثه الشعراء كذكر الأطلال ، والرغبة في الثقعر والإخراب في اللفة والأساليب ، والدعوة الى التعبير عم الحياة الجديدة بالفاظ تتمشى بع الحياة سهولة ورقة (١) » •

<sup>(</sup>١) حديث الاربصادية ٢ ، ص ١٥٠٠

ويقول عبد العزيز البشرى (١) عنه في هذا الشعر العبادق

و هو رجل يشعرك مرسل شعره بأن نظره كان ينشد الى صميم الأشياء ، بل يشعرك بأن الأشياء كانت تلطف له وتشف ليتناول صميمها ما يشاء ، وسرعان ما يتنفس بهذا الذي أدرك شيعرا » -

ويقول أحمد أمين في شعره الجديد :

وفان كان بشار يستحق لقب و المجدد الأول ، فان أبا تواس يستحق لقب المجدد الثاني ، -

# شبعره في الغمير :

واذا كان قوله في الغمر من أبرز مرضوعات شعره الجديد ، فينبغي الوقوف عنده لتتلمس عناصره :

وليس شعر الخبر من جديد الموضوعات ، فقد عرف في شعر الجاهلية ، وبدأ عمرو ابق كلثوم قصيدته النونية بقوله :

الا هبي بصحتك فاصبعنا ولا تنسى خمسور الاندرينا

وأكثر الأعشى من ذكرهما ، وكان من وصافها المشهورين ، وربما تأثر أبو نواس بيعض ممانيه قال الأعشى :

وكاس شحصريت عصطني لمحسلة واخصرى تداويت منها يهسا

۱۱) الاطائی ۲/۸۷ •

وقال أبو نواس :

دع عنك لومي قان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي السناء

لكن شعراء الجاهلية الذين قالوا فى الخصر لم يزيدوا على وصفها ووصف شرابها ، من الندامى ، ويعضهم جعل منهم فتيانا يتحلون يخلق الفتوة العربية لا تأخف الخصر بالبابهم ، وهمم ينعمون بمجالسها ، وقد تجتمع لذة الخصر عندهم بلذة النساء ، أو بلذة الصيد والركوب ، وتجتمع هذه اللذات جميعا عند امرىء القيس في قوله :

كانى لم الركب جوادا السلة ولم اتبطن كاعبا ذات خلفسال ولم السبة الزق الروى ولم أقل لخليل كرى كرة بعد اجفسال

ولما جاء الاسلام كان بعض شعراء المدينة يذكرون الخمر في قصائد المديع كحسان ابن ثابت :

تد در عصابية تاصتهم يوما بجلق في الرمان الأل

فلما مرمهاالاسلام، أقلع الشعراء عن ذكرها، وظلوا كذلك حتى عصر بنى أمية ، وقد عرف بالقول فيها شاعر نصراني كبير هو الأخطل ، ولم يكه المسلمون بمانعي النصارى من شرب الخمر ، أو القول قيها ، وكان الأخطل مجيدا في صغة الخمر ، ومجالسها ، ولكنه جرى في ذلك على سنن شعراء الجاهلية ، وظلت الفاظه ومعانيه وصوره مكررة ، أو تمت الى خمريات البادية بصلات وطيدة

وأول ما بدا من تغير في شكل الغمريات على لسان الوليد ابن يريد ، وبعض شعراء الكوفة في الخريات عصر بني أمية أوائل

القرن الثانى للهجرة وطبيعى أن يظهر هذا اللون الجديدة من شعر الخمر في الكوفة وهي ما ذكرنا من وجودها في وسط تحيط به الأديرة النصرائية وقصد نهج هؤلام الشعرام الكوفيون في شمرهم عامة وفي الخمريات خاصة نهجا جديدا في شكله وأسلوبه ومعانيه بيميل الى الخفة وسهولة اللغظ والعبارة ونسايرة الماني لروح الحضر والمدنية ويمكن أن نذكر لهذا النهج مثالا من شعر الوليد بن يزيد (الخليفة الأموى الشاعر) ويقول فيه:

ادر الكبيباس يمينيا لا تدرفيها ليستهاد ... أسبق هيدًا تيم هيدًا صاحب العسود النفسار من كميست عتقوهها مند دهس في جيرار ختمسوها بالأفسيا ويبه وكافسور وقسار

وأمثمال هذا النهج الجديد هو الذي سمار عليه أبو نواس في خمرياته شمكلا وأسملوبا ومعنى \* لكنه أتقن فيه وتنوع وأبعدع \*

وكان شمر الخمر في الكوفة عبلى أخر عهد الأمويين وأولى عصر العباسيين في القرن الثاني قد تلون بلون الحضارة الجديدة، واستمد بعض معانيه من تراث الفرس ، أو النصارى ، وتنوخ تناول الشعراء للخمر وصفاتها ، فقالوا قلى تقديدها ، وذكر مكانتها ، ووصفوها بالعروس غالبة المهر ، وهي كريمة إلا بد وأن تسزق لكريم ، ووصفوا رائعتها ، وما يوضع حولها أو مسع كؤوسها من مختلف الأفاوية والطيب وأنواع الرياحين ، ثم ذكر

تعتيتها ،وقدمها ، ووصف رائعتها وفعلها في الأنباب ، وحالات السكرى والنشاوى معن دارت برءوسهم ، وما قد يعدثه المسزج بها مسغ فقاقيع ، وما يتسلألا من ألوانها فسى الكؤوس ووصف الكؤوس والأباريق ، ألى فير ذلك كله .

وهي أوصاف قد يكون كثير منها جديدا ، فسي صورة ، وفي الفاظه ، لكن الشاعر لم يرتبط بالغمر ذلك الرباط الذي ارتبطه أبو تواس ، فهو يحس ازارها بقدر غير قليل من الحب ، والاجلال يبلغ ذروة التقديس أحيانا ، تحسه في قوله مثلا :

اثن على الخمس بالانها وسمها احسسن اسمانها لا تجمل الساء لها قاهس؛ ولا تسلطها على مانها

وهى عدراء تزف اليه ، ومهرها غنال ، يبنال فيها البدر والياقوت ، وهى كريمة لا يخطبها الا الكرام :

يا خاطب القهوة الصهباء يمهرها بالرطل ياخذ منها مسلاه نهيا فصرت بالراح قاحدًر أن تسمعها فيطف الكرم أن لا يعمل المنبا انى بسلات لها غما بهرت بها صاعا من الدر والياقوت ما ثقبا

يا قهوة حرمت الا عبلى رجبل اثرى فاتلف فيها المنال والنشيا وهو حين يشرب الخسر من الكأس فكأنما يقبل حبيبته التح يزهر وجهها كالنجم أو البدر:

اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

وهي دائماً مشرقة منبرة ، تضيء أينما وجدت من البيت أو الحانة:

ترى حيثما كانت مؤالبيتمشرق وما لم تكن فيه من البيت مفريا عني مستدار الأذن صدغا معقريا

ينير بها سباق آغن تسرى له

وهي بأضوائها ولآلائها شمس:

فلاح من وجهها في البيت الاء كانما أخلها بالعين أغفاء لطافة وجفا عن شبكلها المباء حتى توليد انيبوار وأضواء

قامت بابريقها والليسل معتكر فارسلت من فم الابريق صافية رقت من المساء حتى ما يلائمها فلو مزجت يهسا تسورا لمازجها

وهي كالورد ، وكمين الدين حسراء أحيانا ، وحين تختلعك بالمساء ، تقور ، وتبدو فقاقمها فوقها بيضام كالحبب ، أو حبات الدر :

وقهبوة كجنب البورد خالصة قد أذهب العتق منها الذام والرنقا

ويقسول:

واشرب سلافًا كمين الديك صافية من كف سافية كالريم حسوداء . .

تنزو فواقعها منها اذا مزجت انزو الجنادب في مرج وأفياء ويقسبول:

اذا ما علاما الماء خلت حبابها تقاريق در في جوانبها شيتي ويفتن في تصوير كؤوسها وأباريقها صورا فنية جميلة ، أبدع خلقها وتكوينها - يقول في ابريقها وهو على صورة ظبي مشرف مع بكان عيال : كان ابريقها ظيي على شرق قد مد منه لغوق القانهن المنقا. و وأحيانا هي كالكراكي تمد برقابها الطويلة ورءوسها الدقيقة : لنينا أباريف كان رقابها رقاب كراكي قد نظرن الى صقر

ويجمع الصورتين معسا في واحدة فيقول:

فى أباريق من تجين حسان كظباء سكن عرض القفسار أو كراك ذعرن من صوت صقر مفزعات شواخص الابصسار

و تصب الخصر في الأباريق في الكؤوس، وهي بيضاء زجاجية، أو من تحاس مصور عليه صور الاكاسرة، أو صور الحيوان: والكوب يضعك كالغزال مسبعا عند الركبوع بلثفة الفافاء وكان أقداح الزجاج اذا جرت وسبط الغلام كواكب الجوزاء

### ويقسول:

فعل بزالها في قعر كاس: معفرة الجوانب والقرار معورة بصورة جند كسرى وكسرى في قرار الطهر جبار وجل الجند تعت ركاب كسرى باقبية واعمسدة قصسار

ويعرض هذه الصورة في صيغة أخرى فيقول:

تدور علینا السراح فی مسجدیة حبتها بانواع التصاویر، فارس قرارتها کسری وفسی جنباتها مهما تدریها بالقسی الفوارس

ويصف زوراته للحانات في قطربل أو غيرها من أماكن اللهو والشراب في ضواحي بقداد ، وغالبا ما تكون زورته بالليل والناس نيام ، يدب وحده أو مع بعض صحابته ، فيطرق باب

صاحب الحانة ، وهو نصرانى حينا، يهودى أحيانا فيجيبهم هو أو تجيبهم ابنته ، ويتوجس من الطارقين أول الأمر ثم لا يلبث أن يطمئن اليهم لأنه يعرف فيهم زبائته الذين اعتادوه ، واعتادوا أن يقدموا المال في سبيل الخمر ولا يبخلون \* فيجود لهم بأحسنها \*

### يقسىول :

وفتية كنجوم الليسل أوجههم انضاء كاس أذا ما الليل جنهم طرقت صاحب حانوت بهم سعرا لما طرقت عليه الباب أوجله من ذا ؟ فعنت : فتى نادته لذته افتح - فقهقه من قولى وقال: لقد ومر ذا فسرح يسمى بمسرجية

# ويشسول :

وضمارة للهمو فيها بقية ولليل جلباب علينا وحولنا يسايرنا الا سماء تجومها الله أن طرقنا بابها بعد هجعة شمياب تعارفنا ببابك أم نكن فأن لم تجييينا تبعد شملنا فقالت لنا: أهلا وسهلا، ومرحبا فقلت لها : كيلا حسابا مقوما

من كل اغيب للغياء فراج ساقتهم تعوها سوقا بازماج والليل منسدل الظلماء كالساج وقال بين مس الغوق والراجى فليس عنها الى شيء بمنعاج هيجت خوفي لامر فيه ابهاجي فاستل عنراء لم تبرز لادواج

اليها ثلاثا نعب حانتها سرنا قما أن ترى انسا لمديه ولا جنا معلقبة فيها أن حيث وجهنا فقائت: منافطراق؛ قلنالها: «أناء نروح بما رحنا اليك ، فادلجنا وأن تجمعينا بالبوداد تواصلين يفتيان صدق ما أرى بيتهم اقنا دواريق خدر ما نقصن ولا زدنا ولا يأخذ الشاعر في هذه القصيدة نفسه باستقلال البيت في لفظه ، بحيث تكون القافية نهاية للمعنى ، كما هي نهاية للنفم في البيت الواحد • اذ تلحظ ارتباط معنى القافية بمعنى البيت الذي يليه ، وهذا عند نقاد الشعر التقليديين عيب يسمى التضمين •

### ويقسول مسرة أخسرى :

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم فلما حكى الزنار أن ليس مسلما فقئنا على دين المسيح بن مريم ؟ ولـكن يهـودى يعبك ظاهـرا فقئنا له ؛ ما الاسم قال سعوال وما شرفتنى كنية عربية ولكنها خفت وقلت عروفها فقلنا له عجبا بظـروف لسانه فادير كالمـزور ينظـر تعـونا وقال تعمرى ثو احطتم بامرنا فعـاء بهـا زيتية ذهبية

الى بيت خمار تزلنا به ظهرا ظننا به خبرا فقل بنا شرا فاعرض مزورا وقال لنا كفرا ويضمر في الكنونمنه لك الغترا على أننى أكنى بعمرو ولا عمروا ولا أكسبتني لا سنام ولا فغبرا وليست كاخرى إنما جملت وقرا أجلت أبا عمرو، فبود ثنا الغمرا لأرجلنا شطراء وأوجهنا شطرا للمناكم ، لكن سخوسعكم عذرا فلم نستطع دون السجودالها صبرا

وتارة يكون صاحب العانة رجلا أصلع الرأس ، يقوعه أبو تواس وعصابته ليسلا فيقسوم مروعا ، لكن يفرخ روعه عند تعرفه اليهم ، وأنهم زبائن لا ينوون به شرا :

> يارب صاحب حائثة قله رعت فيعثته م عرفت ثياب الطارقيين كلابه فيبتن عن

قبعثته مىن تومىسه المتديسل قيبتن عن سنن الطريق بمعبزل

ما زلت امتعن الد ساكر دونه فعرفته والليسل ملتيس بنسا

حتى دفعت الى خضى المتسول برقيف صفعتسه وشيب المسسحل

# ويقول في صورة أخرى مع فتيسة وخمارة :

تنازعها نعبو المسام قلبوب قصبور منيفات لنسا ودروب وثيس سوى ذى الكبرياء رقيب وعباوده بعبد الرقاد وجيب وايقن أن الرجبل متبه خصيب لله طبرب بالزائبرين عجيب لننا وهو فيما قد يقلن مصيب فمنزلكم سبهل لسنى رحيب وكل التى يبقبي لليه قريب فان الدجبي عن ملكه سيفيب فان الدجبي عن ملكه سيفيب فان الدجبي عن ملكه سيفيب

وليلبة قدد سرت بغتيسة الله يبت خسار ، ودون معله فغزع من ادلاجنا بعد عجمة تناوم خوف ان تكون سعاية ولما دعونا باسعه طار ذعره وبادر نعو الباب سبعيا ملبيا فاطلق من نابيه وانكب ساجدا وقال : ادخلوا حبيتموا من عصابة وجاء بمصباح لله فانباره فهناه ارحنا عان ان كنت بانعا فابدى لنا صهباء ، تدم شبابها

ويجيد رسم مجلس الخمس فيصور الساقية أو الساقي ، وشعرها ، وتصفيف الشعر ، واللباس والزينة ، وغالبا ما تكون مجالس الشراب وسط الرياض ، أو تحت ظلال الكروم ، وقد اشتهرت قطريل والكرخ وطيرناباذ في عصره بمجالس الخمس وحانات وسط السانين :

قطريل مريمى ، ولى يقرى الكر ترضعنسى درها ، وتلعقنسى اذا ثنته الغصسون جللتي تبيت في مباتو حمائمه

خ مصيف ، وأمسى العنب يظلها والهجسين يلتهب فينان ما في أيك حوب كما ترقي الفواقيد السلب

كانسا يستغفنا الطسيرب تعاميل الطفيل مسية سيفيه

يهب شبوقى وشبوقهن معسا فقمت أحيسو الى الرضاع كما ويقسبول :

يقطربل بين الجنان العدائق رياض غدت معفوفية بالشقائق

ومجلس حمار الي جنب حانسة تجماة ميسادين علل جنباتها

ويكون هذا المجلس بالدير ، وللديارات في شمر أبي نواس صورة جميلة ، منها صورة دير بهراذان -

بديس بهسراذ ان في مجسلس وملعب وسسسط بماتيشه رحت لله ومعلى التيسة السروره يسوم شسعانيته قد أثسر الدنيسة على دينسه حتى توافيئها الى مجلس تضحك السوان رياحيته والبورد قد حف بنسريتيه

لكل طبلاب الهبوى فاتسبك والترجس الغض لسنى ورده

وقصيدته في وصف دير حنه ورهبانه وقساوسته يقول فيها :

يا دين حنية من ذات الاكراح منيصح عنك فاتم لست بالصاح وحياتات الكيرخ ذات العدائق والكروم المظللة والورود والرياض من حول الأرائك المعفوفة :

قلد تحقتنك القصبون أرديبة فيرمنك الفض بالنعيم تسلق

ومسل الى مجسلس عسلى شرق بالكرخ بين العديق معتمسه معهما صقفت تمارقها في ظبل كارم معوش خضانا

وهو يمرّج بين جمال الدييع وجلوته في ابانة ونشوة الخمر:

أبدع فيسة الربيسيع من عملسة عند اقتراب الشتاء من أجله

وأغبك على اللهبو غبير متشك عنبه فهبذا أوان مقتبلية آمسا تسرى جسنة الزمسان وما وافئ وجسوه الزمسان غاديسة

منن زهنو تتواره ومنن خلله ما كان مسد الربيع قسى أجله واقسى يطيب الهموي ومعتناسه

فاحتبل أرجباءه فادركهسا أدركت في أخريات فستوته فاشرب عسلي جسدة الزمان فقد من فهوة تذكس السرور وتنسسسي الهسم عند اعتراض مشتكله

# فتسال لهي وصف الورود والرياحين :

وادفع همومك بالشراب القاني حلل الثرى ببدائع الريعان وبنفسج وشقائق النعسان مثل الشموس طلعن من اغصان وملوئها بيدائه الالسوان أوساطهن قرائسك العقيسان ( ثملا ) يلوح بجانب البسخان

لا تخشيمن الطيارق العدثان أو ما تري أيلي السعائب رقشت من سوسن غض القطاف وخرم وجنبى ورد يستبيك بعسنه حمرا وبيضا يجتنبان وأصفسرا بمتسود ياقوت نظمن والولق ومن الزيرجاد حولهن معشالا

### ويقسول في ديسر حنسة :

من يصحعنك فاني لست بالصاحي يلعين منسا بالباب وأرواح من العكوف على الريجان والراح من العبادة تعت العِسم أطبائح خلاف ما خوفود غبع أشبياح من الزهاد عليه سحق أمساح الا اعتراقا من القلران بالراح

يا دير حنة من ذات الاكسراح 🦈 رايت فيك ظباء لا قرون لها دع التشاغل باللذات يا صاح واعدل الى فتيسة ذايت تقوسهم لم يبق فيهم فرائيهم اذا حصاوا تلقيم بهم كل معقبو مقارقه لا يلتفسون الي ماء بأنية

### تحص:

شم الأتوق من العبيد المساليت فليس حبلهمو مننه بمبتنوت وعاج يعنو عليهم عاطف الليث مشعولة سبيت من خمر تكريت لما عججتما يربعات العوانيت طباء يحاربه من هوله التوتسي فىي زي مغتشع للسه زميت من كل سمح يقرط الجود متعوث بذل الكرام وقول كيقما شبيت كفئم داود من اسلاب جالوت حتى اذا ارتعاوا عن داركم موتي عنك الصباح فقلنا بل بها ايت اذا رمت بشيسران كاليسواقيت في الليل بالنجم مراد العقاريت فالكاسمنيين دامىالخصرمتكوت قَالَتُ قَلَ الْتَغْلُبُ مِنْ عَهِلُ طَالُوتُ في الأرش مدفونة فيطن تابوت فعاذروا اخلها فهالكاس بالقوت كنفح مسك فويق النار مفتوت شبیاك در منل دیباج یافوت كانبه اشتق منه سنعر هاروت ويا دار هند بذات العِز ع حييتم

وفتية كمصابيح الدجسي غسرر صالواعلى الدهر باللهو الذيوصلوا دار الزمان بافسلاك السعود لهم ناد متهم الرقف الاسفنط صافية من اللواتي مظيناها على عجسل فيى فيلق لللجا كاليم ملتطم اِدًا يِكَافِرَة شيطاء فيدَ بِرِرْتُ قانت؛ من القوم • قلنا: من عرفتهم حلوا بدارات مجتازين فاغتتمى فتك ظفرت يصفو العيش غائمه قاحيي بريحهم في ظل مكرمة قالت فعندي الذي تبغون فانتظروا هي الصباح يجلي الليل صفوتها رمى الملاتكة الرصاد اذ رجمت فالبلث كضياء الشمس بارغسه قلنا لهاكم لها ألى الذن أذ حجيت كانت مغباة في ألذن قد عنست فقد اثبتم بها من كنه معدنها تهنئ الى الشرب طبيا مند تكهتها كاتها بسزلال المسؤن أذ مؤجت يديرها قمبر في طرفه حسور وعندنا ضارب يشعدو فيطربنا

اليسة الحاظلية تنسى اعتها من اهل هيت سغى الجرم دو الب فيتسرى بفصيح اللقظ من نقم حتى اذا فلك الآوتار داريسا فرنا بها فسى حديقات ملفقة تنهيك أطيارها عن كل ملهية لم ينتنى اللهو من فشيان موردها عنى اذا الشيب فاجانى بطلعته غدا الفواني اذا ابصرن طلعته فقد ندمت على ما كان من خطلي ادعوك سيحانك اللهم فاعف كما

# صور الساقي والساقية:

ونعن يسين يساتين فتنفعنا يسعى بها خنث فى خلقه دمث مقرطق صغب الارداف ذو غنج عيناه تقسم داء فى محاجسوها انى لاشرب من عينيه صافية

### ويقسول :

وساق غرير الطرف واللل فاتن

### والساقيلة :

وذات وجه كان البدر حسل به مطبوحة الشعر في قمص مزررة فلو يراهسنا خبائم يلمحهسنا تدعى لان كملت في حسنها عللا

فلو ترانسا اليسه كالمباهيت له اقول مزاحا هات يسا هيتى مثقفات فصيحسات بتثبيت مع الطبول ظللنسا كالمسابيت بالرند والطلح والرمان والتوت الذ ترنسم فسى ترجيع تصويت وقم اكن من دواعيها بصميت اقبح بطلعه شيب فسير مبغوت وقسد اذن بتسويع وتشستيت ومن اضاعة مسكتوب المواقيت عفوتياذا انملاعن صاحبالعوت

ريح البنفسج لا نش الغزاماء يستأثر العين في مستدرج الرائي كان في راحتيه رسيم حنياء وريما نفعت في حولة الداء صرفا وأشرب إخرى مع نداماتي

ربيب ملوك كان والنهم كسرى

يهدى لك الورد والتفاح خداها فى زى ئى ئى ذكر سيما وسيماها عض الأتامل لولا اللحظ أدماها قد غير الاسم خوف العين مولاها

### والسياقي :

يسقى بهبا كالقضيب منجدل كان وجنته حسين خنصا تفاحمة في يمين ذي كلف

### الساقى : وقعنـة شبعره :

یدیر بها ساق آغن تسری له سقانی ومنانی بعینیسه منیست ویقسسول :

تمد بها اليك ينا غالم ينسوء بردف فساذا تمشى فان جمشاه خلبتك منسه يكاد مين البنلال اذا تثني

### الساتية القينية:

قعاءت بها تعدو بها ذات مزهر كثيب علاه غصن بان اذا مشي واقبل محمود العسال مقرطق يشم الندامي الورد من وجناته وقي ساق اسمه المملل:

ومختلس القلوب بطرق ريسم اذا امتحنت محاسنه قابلت تقاصرت العيبون له قاغفت السه لقب يليبق بناطقيسه يقال لبه المعلل وهبو عندي يعللنا بصافيسة ووجسه

زرقن أصداعَت ولواهيا من يبده الغمير ثم تناهيا طبيها جاهيدا وطراهيا

على مستدار الانن صدغا معقربا فكانت الى قلبى السدّ وأطيبا

أغَـنُ كانــه رشــا ربيب تثنـى في غلائلــه قضيب طرائف تستغف إلها القلـوب عليك ومن تساقطـه ينوب

يتوق اليها الناظرون ريب تكاد له صحم الجبال تنيب الى كاسمها لا عيب فيه أريب فليس به غلي الملاحمة طيب

وجيسا مهاة بدرتى هفساب غرائب حسنه من كل باب عن العظات خاضعة الرقاب بديع ليس يعجم في الكتساب كما قالوا وذاك من المسواب كبند لاح من خلل السحاب

### وقىي ساق:

يسعلي بهامثل قرنائشمس دو كفل كانبه كلما حاولت نائلسة يسطو على بعسن لست انكره الساقي :

مدام ربت في حجر نوح مديرها كان ضياء الشمس نيطت بوجهه فلما بنت ازرار جيب قميصه وقيال:

وأحود مغلوع الزمام تغالبه مريض جفون المفلنيين مرتبر فلو أنه يقطان أو في مناسبه يخر لصرف الكاسق السكر ساجدا أدار علينا بالتحيسة كفسه

### ويتــرل:

يسقيكها مختلق ماجيسن منقطع الردق هضيم العشيما قد عقربت رابيسة صدغسه

### ويقسول:

تازعتهم قهسوة صفراء صافيسة
مغنث اللفظ يسبيني بمقلته
كان اكليله تساج ابن مسارية
وقد يغنيك من سكر ومن طرب
( لله درك السد عذبتني حرقسا
يديرها هاشمي الطسرق معتدل
حن المحدام وغنائها على طرب

یشفی الفیجیج بنی ظلم وتشنیب نو تخوة قد نشا بین الاعاریب یا من رآی حملا پسطو علی ذیب

على تقيل الردف مضطمر الفصى ويدر النجى بين التراثب والتعر تطلع منها صورة القمس البدر

قضيبا من الريعان بهتز اخضرا له شخة من مصها مص سكرا يجدود لاعمى بالولاء لايصدرا وان مزجت صلى عليها وكبرا وسريلها لونا من الراح أحمرا

مصود المسقى تعريص (حود فنى مينيسه تقتسير فالصندغ بالعنير مطرور

بشمادن خنث كالنصن ميماس مقرطق قرشي الوجمه عباس اذ راح معتصبا بالمورد والآس والكارس يختال من ساق الى الحامي بالقرب واليدروالاطماع والياس) أيهمي اذا مشي من طاقة الأس (الأنطاب الهوى المعشر الناس)

#### سائية:

وخــد من كف مساقية وصيف لهـا شـــكل الاثــاث وبين بين فاحــياتا تقطب حاجيهــا

# فاحيانا ثقطب حاجيها

نازعتها وأضبح الغدين معندلا مقرطق حرسبوه في حداثته

# س\_ائية :

السلاقي :

من كف جارية حوا مقرطقة تظرت بعيني جوذر خرق فشريت من يدهما ومن فمها قالت وقعد جمعلت تمايمل لي وجهمي اذا إقبلت يشمقع لي

### ســـان :

یستیهم نو وفسره احسور یکسبر السراء وتکسسیرها ان رام اعبالا آیسی ردفسه ویقسبول:

ينور بها ظبى فريسر متسوج فليس كمثل النمسن فيلقل ودفه له مقريا صدغ عسلى ورد خده فلما جرث فيه تفنيي وقال في

رخيم السدل ملئوغ الكلام ترى فيها تكاريسه الفسلام واحيانسا تثنى كالعسسام

يعكى ببهجته للناس يلقيسا لم أرد والله في حرو ولا طوسا

ناهیك من حسن ومن ظرف وتلفتت بسوالف الخشیف ورشفت فی ملعن الرشف كتمایل الماشیی عیلی البدق وعداب قلیبك حسن میا خلقی

يسبيل صدغا فاتر الطرق يعصو الى السبتم منع المعتف أورام عطفسا جنسس للعطف

بتاج من الريحان مثل القراطق اذا ما مشى فى مستقيم المناطق كانهما نونسان من كف ماشسسق يسكر الإهات أسقنا باللوارق

# السياقي:

علَبِ الشمائل طيبِ الملتم وقفت على التقبيسل والشم خليم الأعنة فيه بالقسم معزوجية من فيه بالقليم يسمعى اليمك بها أخمو هيف نو وجنسة خجماي موردة ومؤزر يدعو الكهمول المي تسقيك كاسما ممن مشعشمة

# الساقي والساقية معن ونعم:

آخ وأخته فيالقوم واسمهما أسم تندعو أخته يوما معكوسة تعم

يديرهما دعجاء رود و(دعسج يقال لبه معلن فامنا نكسته

### ويقسول:

تدعوك أجفائسة الد الريب

يا حسنها من بنان في خنث ويصنف الساقيات :

مانيتي حب غلاميسسات متوميسات القدد مهضميات يصلعان للاطلقة والزنساة افدیک خذها من بدی وهات ذوات اصلاح معتربات یعشمین فنی قعص مزررات

# الساقى المغنى من الروم أو اليونانيين :

مصحبوب بتبساج وهبو مثنى كالمناجسي كسل ضيسق لانقسراج وغـــزال مــن بنى الأصفــر شــخصه منــى بعيـــــه كلمــا ســـــقاك خنـــــى

### الساقي المربي:

من نسل أذين بو قرط ودراج والشمس غرتسه واللون للمساج

يديرهما خنث قسى لهوء دمث يزهى ملينا بان الليال طرتبه

### والسباقي المربي :

فاتسر الطسرق سسامرا منتاجا یا اسیری ان کتت ہے ملهاجا

مسرّج الكأس في غسسرًال أريب 👚 هاشمي أصباب فيها المزاجسا فتعسبتهما وناولت ظبيهما قال نی والمسدام تاخسید فیسه 🦳

### الساقية القيطيــة:

الجعلها للصبحوح مقتاحها بالله لا تعيسن اقداحها

ملن كف فيطيله مزنبرة تقسول للقسوم من مجانتها

### السائي المنسة:

والشمس في مقرقها جائعة ونقبسة فس كيسائ قادمية

وغنابة هاروت فسى طرفها تستقدح المسسود بأطرافها

# السياقي:

لطيف الكشح مهضوم الوشاح ودار بكاسبتا رضنا رخيسم

# الساقى نصرائي من بني البياد من الحيرة:

يسقيها من يني العباد رشسا منتسب عيسه الى الأحسد اشرب من كفية الشعول ومن فينه رضابا تجبرى على بسرد

#### السائية :

فالغمر يافوتة والكاس لؤلؤة تسقيك من ينها خمرا ومن فيها في تشوتان والمنامان واحسادة

السباقي:

فقام كاليدر فد شسنت قراطته

الساقي المنتي:

مبا زال یستی ویستی وانساب نعبسوی یغتسی ( سقیت صبوب الفسوادی

طرف الساقي يسكر مثل كأسه :

مــا تُسكرتني الشِمول لكنْ

السيقاة:

حتى اذا نقلت كاساتها خسرد

السساقي : ا

فقلنا انسقاها على وجسه أهيف

السساتي :

قد تحسيتها على وجمه سماق يقمس طعس النياجسي يوجمه يسعر الممين من يهماء عيضه

فی گف جاریة ممشوقة القسد خمرا، فما لكفی سكرین من بد شیء خصصت به من بینهم وحدی

ظبسي يسكاد من التهييف ينعقد

حتى انتنى المسسواد مطربسيات وينسساني يسادي إسادي

طبرق منین پنه احتوران

من بين فن فرطق او ذات زنسار

المه تبيمه معشوق وشغرة شاطر

خالع قبی هوای کیل میملار ضوؤه قبی النجی صباح نهار باتی ذاك من بهساء بهسار

يتثنى كانسه غمن بسسان بابى ذاك من غــزال غريـــر

كم شممنا من خسده الورد غضا

### سساق :

من كف خليسي أمَنْ ذي مُنسج اميسد مرتجسة روادفسه کان خدید فی بیاضهما كأن صدقيسة في سوادهما كالبيبة يرة معيسرة ٠٠٠

#### سيان :

عاطنيهما كمسا وصفت خليسلي علم السعر مقلتية احورارا وجهه البسدر والثدامة يسدر

### سياق:

بكف أضن مختضب بنائسا للبا منبه بكفيه مسدات كسان الشرب مقبلسة علينسا

### سياق:

وغيزال يديرهما ببنسان كلما شئث علني برضاب

ميلتسه الريساح بالاستعار قسى قباء معال الأزراو ومزجنا رضابيه بالعضار

اكمسل من قرئه الى القسلم معتلم أو دويسن معتلسم أشربت وجنتاهما يسدم خيطا على الوجنتين بالقلسم علقها راهب على صئح

من يادي شادن رخيم الكلام شيب تفتيره بلون المدام بالبدرين ركبا فبي نظام

مذال الصدغ مضفور القرون يغاطبنا بها كس الجقون تمشي في قلائمة باسمان

ناءسات يزيدها القسن ليسا يترك القلب للسرود خدينا

# ساق عليه أطواق الياسمين : ( ابن أذين )

حملة مسن ياسسمين وردتـــا اذريــــون غايسة في الشكل والطسس في وقسرد في المجسسون

ييصلني ساق عليصة وعصلى الأذنصين متصحه

### ســاق:

ولكن وجنه ساقيهسنا شنجائي بدا في من ينبي رخص البنسان واحيسا مسن يديسه اذا مسقاني وسنكر منئ رحينق خسروائي طما يلقي له قسي الحسن ثاني اذا ما اهتر قلت الشبيب بسان

لعمري ما يهيسج الكاس شوقي حبيدت الكأس والإبريق لمسا أموت اذا أزال الكياس عسي فل سکران مثنیه : سکر طرف -تجمع فيسه أصشاق المعانبي اذا ما اقتر فئت سناء بسرق

### ساق كالشمس:

ريق السعاب على النجيع الماني شمس الجمال ، فبيئنا شمسان وتنبيب حبن تنبيب في الايسدان

وميثر قد صب في قارورة شمس السدام يكفسه ويوجهسه والشمس تطلع من جدار زجاجها

#### مــاق:

من السراح المعتمق طريتهن حريضا قد منيت بكريتيين وثالثية مضبت ولليلتسين سبقاني من يديه ومقلتيله فبت مرنصا من شربتيه ميبلال فوقبه يسادر فتسع يدير من المدامسة بنت سبع وواحسة مشيت بعد النتيج السول له وقد طردت كرانسا ادرها واستنا بالراحتين

> . ساق:

ويديسع العسسن قسد قبا في الرشسا حسسنا ولينسا كلمسا ازددت اليسسسه تظلموا زدت جنوتسمسا

\* \* \*

# حسال المطربين والمغنين والمنشدين وآلاتهم في مجانس الخمر

. . .

#### الأدوار :

- ا) حتى تقتى ومبا ثم الثلاث له حلو الشعائل معصود السجيات « يا ثيت من ماني ومن ولدى انسى أجالس ثبتى بالعشيات »
- ۲) وأصبحت السن أوتساره الله حسرك المثنى بمضرابه
   ثم شسدا لما جبرت كاسه حرفا ومبرت بعن أقرابسه
   ه عاود قلبى كنه إطرابه من حب من أصبحت أعنى به »
- ٣) وغنى لنما صوتا بحسن ترجع «سرى البرق غربيا شعن غريب»
   فمن كان منا عاشقا فاض دمعه وعماوده بعمد السرور تعميه
- ع) وجلت السنة عارية الليالي قبران النفيم بالوتبر القميح ومسمعه اذا ما شئت غنت « متى كان الغيام بذى طلوح »
   ومغين كلميا فتيب بيت تغنيسي واشيبارا

ومنان كلما فتالله المتالي والسادا والسادا والسادا والسادا والمادا والماد والماد

#### وصف مفتيسة وعسودها .

وخاذل من جواری العی یسعدها من بین بسم الی مثنی ومثلثة تیطت علی بنن کالعلی لیس له

أصوات مختلف من وقع اوتسار وما خسلا ذاك من أصوات أوتار روح ولكنسه من نعت نجسار

أنساه في غيضة فاختار جيده معقرب الراس كالمسراج صنعته نمت ملاويه حتى خلت خلقتها يحكي صدامهجيد الصوتاذ نطقت

وظل ينحى له قطعا بمنشار سحر وما مسه تعقيد محار أصابعا حركت من مقصل جار منه اللقات على طبل ومزمار

#### ويتسبول:

سترا له من ناظس العدثان ألا ترنسم السن العيدان وبكاء خابية وضعاك فنانسي

في مجلس جلى السرور صباحه لا يطرق الاستماع في ارجائه دوما وتصفيق الجليس تطربا

### مغنيسة :

ومسعمه جاءت باخرس ناطق لتبدي من العاشقين بصوته تري فغذ الألدواج فيها كانها أصابعها مخضوبة وهي خمسة اذا لعنت يوما لوت اصبعا لها تقول وقد دبت عقاد كانها « سلام على شخص اذا ما ذكرته فبعض الندامي في سرور وشبطة

یفید اسان ظل ینطق بالسعر کما تنطق الاقسلام تجهر بالسر الی قسام تیطت تضیح الی الزمر تغتمن بالاتار فی العسر والیسر فتحکی الینالصب منحرقة الهجر دم ودموع فوق خلد اذا تجری حدرت منالواشین انیهتکوا سری و ویعض الندامی للمدامة فی اس

#### اسمها قبيل :

فقال هات واستمعنا على طرب فاحسنت فيه لم تغرم مواقعه ثم استهشت الى صبوت تملعه فما تمالكت هينى أن تبادرها

(ودع هريرة أن الركب مرتعل) والكاس في يدها في جوفها حلل مانا معيوك فاسلم أيها الطلل، دمعى ، وعاودها من دلها خيل

فقال احسنت،ما تدعين؟ قلتله: فظار وجدا بها والغمر ياختها (ان العيون التي فيطرفي مرض) فقدر معتجدزا مما ترادفسه فاستخبلت قتبدي الورد يضحلتف

معكوسة لبق فدا هو المشل وقال: هات، فانت العيش والأمل فرجعته بلعن وقعسه شسكل منها وقلت لهما : أحسنت يا قبل خد إنبق لها يا حبدا الغجل

### ننــم:

طفى الفنساء بنفسم يضرب المثل (ودع هريرة أن الركب مرتحل) اکرم بهـم وینقـم من مغنیـة هیفـاء تسمعنا والعود یطرینا

# حال التدامي والسكاري:

يقول في سكره وظل يشرب طوال الليل حتمي الصباح ركانت الغمر قد لعبت براسمه :

فما هجم الصباح على حتى رئيت الأرض دائسرة الفجماج في الندمان وقد مسكر فارتمشت يسداه :

قاورث فی (نامله ارتصادا تکن یسراه للیمنی عمصادا بها منها تزیید صا استعادا توقرنی فان یسی ازدیسادا عیلی آنی ساجعلها جیادا اذا مازدته منها استزادا توسید عند ذلک ام وسیادا وندمان ترادفسه خمسان فئیس بمستقیل الکاس سا لمم رفعت له یمدی وهنما بکاس وقال الست متبعها باخری فقلت لمه : یملی وباخریسات فقلت دایمه لیمالا ودایسی الی ان خص ما یمدری زارشا

#### ويقسبول:

استنى حتى ترائىسى احسب الديك حسمارا

# ويقول في التدامي وقد غلبهم السكر :

فما برحت حتى الصباح يديرها فين صريح قد تجندل طافعا فلما رأيت الصبح اسفر وجهه طففت أفدية وأدعو بأسمه فقلت له: تقديك نفس وأسرتي الست ترى ضوء الصباح ونوره فتم فاصطبعها وانف عنك خمارها فما زال حتى ذاقها متكرها

فما زال حتى ذاقها مت ويقـــول :

نبهته يعد ما حسل الرقساد له فقلت كلسك خذها قال معتجرا ثم استدار به سكرا فمال يسه قد دبت الغمر مرا في مفاصله فلسم أزل أتفسيناه وارقعسه حتى افاق وثوب الليسل منفرق

عقدا من السكر الا إنه تمسل حسبى اللتى إنا فيه أيها الرجل فتمت أسعى اليه وهو منجدال فمات سكرا ولكن حاطه الأجدل عن وهدة الأرض والنشو انمجتمل وغار نبع الثريا واغتلى ذحدل

ويجرى بنا في كل حق وباطل

الى ذي وساد مائل الرأس زائل

وخفت نواقيس النجهاني الهياكل

فقال مجيبا : ماتشا ، يتثاقل

ويقديك طرا كل حساق وناعل

وتسمع تغريد العمسام الثواكل

فليس لها مثل الصيوح العاجل

فردت الية روحة في المقاصل

#### ويتسول:

رفعت له النداء بقدم فقداها فقدام وقعت من الموين قاما اجدر الزق وهدو يجسر رجالا

وقد أخدث مطالعها النجوم هسنى طحرب وليلهما بهيهم

ويقدول في وصف ما يخيله السكر :

ذكس النمسام:

خلتا الظليم بعيرا عند تهضتنا والتبل منبطحا في قد تهالان

طلوع الصياح:

يصوره في صور مختلفة:

فمن بين مسرور وباك من الهوى وقدمًابت الشعرى العبورو البلت

صنعته الشمرية ( موسيقاه ) ا

الترصيع كما في قوله:

في بيت كافيرة بالغمر تاجرة قبيتها حسرم وقولها نعم وعندها قمس في طرف حارر مفاكسه عبث مقالسه (نث يسقيك من يده خمسرا وناظره

وقد لاح من ثوب القسلام فيوب نجوم أنثريا بالصبحاح تشوب

شهمطاء شهاطرة تعتبل بالوالي وكيلها حسكم فهي كل مكيال في دئية خفس في حسن تمثال في طرفه نفث مثال أيطهال معراء ومن قمه سكرا على حال

ومن أوزانه ما أعمل فيه الترصيع والتقسيم الموقع :

كدميع جشن كغمر هينن دبيب فسرس حسليف سيجن تها توجسى قلم يشسن ننا وملت حسلول دن يبوم سيبوح وغيم وجسن الى تسلافي بمساء ميزن سلاق دن کشمس وجن طبیخ شدس کلون ورس رایت علجها بباطر نجا حتی تبات وقد تصدت فاحت بریح کریح شیح بسقیك ساق ، علی اشتیاق اذا تكفيا من التثني دواء داء مين التجني دواء داء مين التجني ثنات قد ومي تفنيي وحسن شيكل وخبث جني اللهبو شياني فلا تلمني يريسا الا السلو عنيي فاين إينيا الفيران منيي وعيل صبري بطوق حزني

یدیس طرفها یعسی حتفیها

علی غتماء وصوت نساء

ولئم خد کطعم قنسه

غنما بسدل وضرب طبیل

یا من لعانی عبلی زمانی

امثلت قبولا فیلا تنال لا

امسخفت عینا تراک زینسا

الأوزان الراقصة ومنها قوله :

ويجلس مالسه شلبه حل بعطرفينه السلوور سلما پديشا شهدته في شلباب صلفي ما ان

حسل بالعسن والجمسال بدیضمة مالهسا انتقسال ما ان بموازی لهم قعسال

### نسق قصيدته الغمرية :

ويتبع في قصيدته الخصرية نسقا غالبا، وقليلا ما يمدل عنه، هو أن يبدأ باللبوم على من يصف الطلول أو يتف بها ، ويبكى هندا وأسماء وغيرهما من نساء العرب ، ويطلب أن يدع الناس هذا كله لأنه بلاغة القدماء ، وليس أنسب للمحدثين من وصف الرياض والقصور والخصر بآلاتها ، وسبقاتها غلمانا وفتيات ، قهذه هي لذات الدنيا • تجتمع في مجالس الخصر: جمال الطبيعة، وجمال الوجلوه والورود من السقاة ، وجمال الحديث ، من الندمان ، ولذة الخصر ونشوتها ، ثم جمال الصوت بالغناء •

وغالبا ما تختم قصيدته بصوت من الأصوات المعروفة التي يتغنى بهما في عصره ٠

#### الفاظيسة:

تلاعبه باللفظ أو توليده :

يريه أن يعبر عن معنى أن الخمر لا يشربها الا كريم فيشتق من الكرم الكرم ويقول مناسبا بين الألفاظ ومولدا :

وخذها ان شربت وبعض خمر لتجعمل همذه عرسما لمهمذا ولا تسمق المعدام فتمي لثيما لأن النمرم من كمرم وجمود

بصاء المرن من نطف الفيدوم فان القطار يصال للكاروم فانسى لا أحالك للتيسم وعاء الكرم للرجال الكاريم

### الوصف:

يقول من أوصافه في بستان نغيل وأشجار فاكهة وزينة :

ينتها الاحت باعناقها اعتاقها النعسل مقصودة يسموط الدر تتصبل فض العقارى حلاها الربطوالعلل وها فأصبعت وبها من شعلها حبل ورعا بالا صداق ولم يوجد لها عقل عها فمال منتئرا عرجونها الرجسيل عها شهرين بارحية وهنا وتنتعل لمجة صقرا وحمرا بها كالجمر يشتعل ضعه حتى تمكن في أوصاله العسل سلها او كان يصلح منها الشم والقبل

نخسل اذا جليت ابان زينتها اسقاط مستبدة فيها الالتهسا ينتضها فطن عليج يهيا خيس فافتض اولها منها واخرها لم نمتنع عنة منه ولا ورعاحتى اذا لقعت ارخت عقائصها فيينما هيي والارواج تنفحها ارخت عقودا من اليالوت ملمجة فلم تزل يمدود الليل ترضعه ياطيب تلك عروسا في مجاسدها

خلالها شجر فی فیئة نقد ان جثت زائرها غناك طائرها من بلبل غرد ناداله من غمس هذه قصفة وقل فی وصفه سددا ما بین ربع ولا رسم ولا طلل

لایرهبالذئب فیهاالکیش والعمل برجع آنعانه فی صوته همدن یبکی لیلیلة آودی یهما خیما مدت لواصفه فی عمسره الطسول افزی، وبنیتی فی حکم الهوی عمل

### غزله بالمسرأة :

لئن كان أبو تواس قد وهب شعره للخسر ، ووهب كذلك عاطفته وأحاسيسه كلها فان المسرأة لمبت مع الخمر دور باعث اللهذة ، أو هي كانت عنصرا من عناصرها ، فالجمال الأنثوى متمم للذات ، وان كان عند أبي نواس يتأخس عن مرتبة الخمر والنظمان •

ولكن ديوانه مع ذلك يحوى قصائد دوات عدد في الغزل والنسيب ، ومنها ما يكشف عن عاطفة ما حملها الشاعر للمرأة ، لعلها تكون أول حياته أو في شرح الشباب وميعة الصبا ، وفلسغة اللهذة لم تتبلور عنده على تلك الصورة التي جملت من الخمر قطبها ومن الغلمان والسماع والطبيعة معرضها ومجلاها .

ومن هذه الأبيات التي تحس فيها بحرقة العاطفة بعض الشيء قوله ولعله قالها شايا كما قلت :

> حامصل الهسوى تعب ان بكى يعسق لسه تضعكسين الاهيسسة تعجبسين من سسقمى كلما انتفسي سسبپ

یستغفی الطیری لیس ما یا العیا والخیب ینتخییی صحتی هی العجاب منیات جاءنی سیب

وتربط الأخبار بينه وجارية مسن جسواري البصرة اسمها و جنان ۽ ، وتصور علاقة حب بينهما ، كانت جنان جارية لال عيد الوهاب الثقفي • رآها مرة تمن أمامه وهو بالمربد في مجلس مع جماعة من أصحابه • وكانت مقدودة حلوة بديمة الحسن ، أديبة ظريفة عاقلة تعرف الأخبار وتروى الأشمعار • واتفقت الأخبار على أن أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها "

ويصور في مقطوعة لقاءه بصاحبته جنان بدين جماعة من الجوارى ، وقد أقبله من رصافة البصرة في أثم زيئة يحفقه بيئان كالثماثيل العسان • فقال :

تزلن من غسرق الجنسان ومضمخيسات بالعيسسي كاسسا عقدن بها لسائي راضعتهن منن المبسسا فة كالتماثيل الحسان إقبلن منن بناب الرصيبا يعقفن أحسور كالقائل الرامس أمسرار العنسان يمشي بردق كالنقسا فساذا انجسليت فجامسيلي

يغتسال تعت لقيب بان كيبالا أموت عبلي المكمان

وتمرف الى جنان ، وكان يكتم حبها أول الأس لكنه لم يطق الكتبان قلهج بذكرها ، وردد اسمها :

راحية المستهام في الاعتلان لإبيعين حرمية الكتميان اق جهادى فنسات العينسان فسد تصيرت بالسكوت وبالاطن تركتني الوشاة نصب المريبيب سن واحدوثه بكل مكسان ما أرى خاليمين للسبر الا قلت ما يقلبوان الا تشاتي

#### وقسال:

الما تكثيف منبى إنشى كلف كشفت أيضا لهمم ممن به الكلف الله تهجي اسمها او خطه الله جيسم وجدت لها نونين بينهما يضمه من تقيف بعض دورهم ما بينكم بعد 15 التيبان مختلف

وله مع جنان هذه توادر كثيرة ، يقال أنها هجرته لما سمعت بتشهيره بها في شمره ، وسجل صدها له وابتعادها عنه في قوله :

زهدت جنان في اللئي رغبت الها فيه نفسي فرهندت في الدنيا وصنا رث منيتسي فسي زور رسسي وطلويت عيني أن تسرا ني عينها وامت جرسيي كيسلا يسروع ذلك الوجهه الجميسل سمعاع حسى

#### ويتباول:

جنبان تسبئي ذكرت بغير وتزعم انني رجل خبيث وان مودتسي كلب ومسان وليس كبذا ولا يسرد عليها وق قلب ينازمني اليهسا رات كلفي بها وقليم وجسلى

وأنسى للسلائ تطسوي بشبوث ولكن الملبول هبو التكبوث وشوق بإن أضلاعي حثيث قملتني كبذا كيان العنبيث

ولكنه لم يطق الصبر طويلا ،وعاد لترديد اسمها واللهج به حتى قال فيه الناس وعنلوم:

ولا تبقسي مسلى هسدًا اللسان أما يقني حديثات في جنان قكم هنا أما هنا بضان إكل اللهسر قلت لهبا وقائت

وتذكل أخبارهما أنها عزمت الحج مع أهلها ، وسمع هو يذلك فعزم على أن يصحب الركب خفيسة وأن يتوى الحج لبراها هناك في مكة وعند الطواف - وقد لجأ الي هذا لمنا طلبها فلم تحصل له ، وكان طلابها عليه عسرا :

اللم تلل انتلى اقتيت عمدرى بمطلها ومطلهما عسير فلما لم أجد سبا اليها يقربنى وأعيتني الأمسور حججت وقلت قدد حجت جنان فيجمعنني واياهسا المسسير

ويلتقيان فسى الطواف ، وتقترب لتلثم الحجس الأسمود ، ويقترب هو منها ويلتقي عليه خداهما ٠

> وماشقين النف خداهما فاشتفيا من غير أن يالما لولا دفياع النياس اياهميا فلالنا كلائبا ساتر وجهة نفعل في المسجسة ما ثم يكن ـ

منك التثام الحجس الأسوة كانما كانيا عيلي موعسه بدا استقاقا آخس المسهد يما يسل جائيسة باليسد يقمله الابسران في المسجدة

وملى أننا نجد من شعره في جنمان شعرا وجدانيا جيدا مثل قولسه:

> ياذا الذي عن جنان ظل يغبرنا قالوا اشتكتائوقالت ما ابتليتبه ويرقع الطرق نحوي انمررت يه وان وقفت لمه كيمما يكلمني ما زال يقعل بي عدا وينمته

بالله قل وأعمد يا طيب الغبر أراه من حيث ما أقبلت في أثرى حتى ليغملني من شدة النظر فيالموضع الغلو لهينطق منالعص حتى لقدصار منعمى ومنوطري

وريما ترك حب جنان فى نفسه بعض حرقة الهوى ، وهو الذى لم يبد فى شعره حرقة ، ولا لوعلة ، لكنا نمثس مع بعض شعره فى الخصر حرقة غير معهودة كثيرا فى خمرياته مثل قوله :

> وقهبوة عثقت في دير شعاسي مزاجها دميع حاسيها فأي فتي سلم وتكتها حبرب لذائقها

تفتر فی کاسها عن ضوء مقباس نمییک اذ ذاقهامن حرقة الکاس یا حبدا باسها ما کان من باس

# ويقول في موضع أخس :

ما لا تدريان الكاس ما تجسماي بحث الوجسما

ردا عبلي الكياس الكميا لو تلتميا ما فعلت ما مزجت

وبعد فلعل هذا هو الحب الوحيد فسى حياته الذى خلف فى نفسه حرقة ، ولعله فشل ولم يبلغ منه مراده ، فحز فى قلبه أسى ، ومن يدرى لعل فشله فى الحب ، مع عقدة أسه جلبان وما كان يسمع عنها ومنها تركا فى نفسه احساسا مريرا من المرأة ساعده على أن ينحرف أو يحيد عنها ، ويشق فى حياته الجنسية طريقا في السوى ، فيخرج الى هذا الشدود فى الفرام بالغلمان وكراهة النساء أو المروف عنهن ، ربما كان الأمر كذلك ، وربما كان المشود المقاد ،

ولكن سائر شعره الغزلي في النساء مع ذلك طبع بطابع جديد ، يختلف عن شعره في جنان ، ويختلف عن ضحرل الغزلين و فيه خرف وقيه تندر و تحس بروحه المدية ودعابته تجريان مع القاطه وصوره و مثل قوله :

قسل التدامساي وجلاسسي او قائسل يفيسرها حالفسا فراجعي الوصيل قان زرتكم

هل فی من عیدخه مدن اسسی آ آن لیس منها یسی من یساس قسند فراقی فاحلقی راسی

### وقولسه:

فئنی برجهك مخبرا باسمی من قبل أن أهواك عن علم لا تقتلي فنی ضني منا جنرم ان تغلضني مثلي على أمنی اسمى لوجهك يامنى صفة الله وقبق والسنثى لسه الله قسى التسلى معذبتسسى لا تفجميسي أمسى بواحدهسا

ويعلو له أن يداعب بعض الجوارى ممن يثقاهن ، ويصور تلك الدعابة في شعره • فيقول :

این الجواب واین رد رسائل فمدت کفسی ثم قلت تصدقی ان کنت مسکینا فجاوز باینا یا ناصر المسکین عند سواله

قالت تنظر ردها من قابل قالت نم ، بعبارة وجنادل وارجع ، فمالك عندنا من نائل الله عاتب في انتهار السائل

وقد يماكس احدى الجواري في الطريق:

أمشين الى جنبها أزاحمها وما في الطريق من ضيحق

ويقول في جارية قصرية من جوارى قصور الخلافة أو الأمراء:

وقصریت آبصرتها خویتها هو ظما تمادی هجرها قلت واصلی فقا فقلت نها لو کان فیالسوق آوجه تبا نتیرت وجهی واشستریت مکانه لعا وان کنت ذا قبح قانی شسامر طق

هوى عروةالمدرى والعاشقالتهدى فقالتبهدى عدل فقالت بهدا الوجه ترجوالهوى عدلى تباع بنقد حاضر ويسوى نقد لعلك أن تهوى وصالى من بعد فقالت: والواصيحة فالمقالج عدى

ويقول وقد طلب قبلة من جارية فتأبت عليه وقالت له ، لا تلم في الطلب كالطفل:

> سالتها قيلة قفارت بها فقلت بحالك يحسا معذبتني فابتسمت ثم ارسات مشالا لا تعطسين الصيسي واحسدة

بعد أمتتماع وشمسخة الطلب جودي باخرى أقضى بهبا أريي يعرقنه العجسم ليس بالكنثب يطلب أخرئ ياعنفه الطلب

وهو يمرف حب القيان ، وأنهن لا يثبتن على العهد ، وبهذا يخاطب و عنسان » جارية الناطفي وكانت أديية شاعرة ، وكثيرا ما كانت تجالسه مع بعض أصحابه :

> انى لأهسواك وأثسى جبسان يصلن مهن واصلته خدمهه ئست اری ومیلك أو تعلقي أو فذريتس ومسسنى جاهسسلا

قد قلت قولا فاستمعى ذاكتم منى وردى مثلته ينا منسان أفسرق من علمي يعذر القيسان بكبيرة الطرق ومسزح الليسان ألا تغوني ، وتقي بالضمسان يلقسي من القسرة فيك الهوان

### شعره التقليلي :

### المديسحة

وتخرج من حديث الخمر والغزل الي المديح وكان مديحه طلبا للمال ، أو استعطافا أو تشربا أو خشية ، كذلك كان مديحه للرشيد وللفضل بن الربيع والأمين والخصيب » \* ولكتبه أخلم إحيانًا أذا ما رضي أو أذا شعر بالمودة بينه وبين من يمدح كما هم الحدال في يعض مدائحه للأمن - فيخاطبه فيها مخاطبة النديم

والصاحب ، ومدائحه للخصيب والى مصر ، لأنه أرضاه ، وأطلق له المنان في ملاهيه -

ومدائحه تجرى على سنن الشعر التقليدى ، فتبعدا غالبا بالنسيب ، ثم يمدح بالصغات المعروفة للمديح ، والتي يتناولها الشعراء ويجرون فيها على نهج واحد ، وان اختلفت المدور والاساليب ومن أجمل مدائحه ميميته في عدح الأمين ومطلفها :

يا دار منا قعلت بنك الأبيام فنامتك والأبنام ثيس تضام

وقد يروى الشطر الثانى : « لم تبق فيك يشاشة تستام » • وقد وقيل أن هذه القصيدة من أول ما أنشد أبر نواس في مديعه • وقد وصلة عليها بالف دينار • وهما يتردد من أبياتها في كتب الأدب وعلى السنة الرواة اعجابا قوله :

والقنفون مع الغواة بداوهم ويلغت ما يلغ امرؤ بشيابه

واسمت سرح اللهو حيث اساموا فاذا مسسارة كسل ذاك أثسام

#### وقولسه:

واذا المطنى بنا بلقن معملها قريننا من خبر من وطىء العصى رقع العجاب لنا قلاح لناظر ملك اذا علقت يلدك بعلله

فظهورهن على الرجال حسرام فلها علينا حرسة ودسام قسر تقطيع دونيه الأوهبام لا يعتريك البؤس والامسدام

وكذلك قمىيدته في الخصيب :

أجبارة ببتينا أيبوك غيبور

وميسور ما يرجى لديك سنير

#### ومن جيسه قوله فيهسا:

تقول التي من بيتها خف مركبي اسا دون مصر للفنسي متطلب فقلت لهما واستعجلتها بسوادر ذريتسي اكثر حاسديك برحلة

عزيز علينا أن ثراك تسير يلى أن السياب القنى لكثير جرت فجرى في أثرهن عبير الى يليد فينه الغصيب أمير

### ويعنف هذه الرحلة من بغداد الى الفسطاط فيقول :

رحلن بنا من عقرقوف وقد بدا فما نبسات بالمباء حتى رأيتها وغمرن من ماء النقيب بشربة وواقبين اشراقها كنائس تلمر يؤممن أهمل القوطنيين كانما وأصبعن بالجولانيرضغن صغرها وأصبعن قد قوزن من أهر يكك وأصبعن قد قوزن من أهر فطرس طوالب بالركبان غيزة هاشم وناها أتت فيطاط مصر أجارها

من الصبح معتوق الأديم شهير من الصبح مفتوق الأديم شهير وقد حان من ديك الصباح زمير وهن الى رعن المداخن صسود لها عنك أهل القوطتين تؤور ولم يبق من أجراحهن شلطور سنا صبحة للناظرين يند وهن عن ألبيت المشدس زور وهن عن ألبيت المشدس زور على الفرما من حاجهن شهور على ركبها أن لا تزال تجدير

#### وله مع قصيدة أخرى :

انت الفصيب وهسلم مصسر لا تقعدا بي عن مسلى أمسلي ويعسق في اذ صسرت بينكسا النيسسل ينعش مساؤه مصسرا

فتدفقها فكلاكمها يعسر شيئا فمالكما يسه عستر الا يعسل يساحتى فقسس ونداك يتمش أهله الغمسر ويمدح المباس بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور برائبته الاعرابية الدائمة ومطلعها :

أيها المُنتاب من عقارة لا أفود الطلع عن شليجر فاتصل أن كنت متصلك خفت ماثلور العارث فيادا خصاب من أسلون ال بليا

لست من ليلى ولا سمره قلد بلوت المر من ثمسره يقلوى من آنت من وطلره وغلف ادني المتقللات

+ + +

فبامض لا تمنين عبل مبدا منبك المسروق مبن كسبلاه

# رثساؤه:

ورثاؤه كذلك كمديحه من اللون التقليدى ، وربما كان أقل حظا من حيث الجودة من مديحه • بل ربما كان الرثاء أضعف شعر أبي تواس كما يقول طه حسين • وهذا طبيعى لأنه لم يكن رجلا محزونا ، ولا ميالا للحزن ، وانما كان رجلا مبتهجا بطبعه • ويقول طه حسين : و وأنا أزعم أن أبا نواس لم يصدق في رثائه

الا مرة واحدة ، ودَلْك حين رثى الأمين بهذه الأبيات :

وليس لما تطوى المنية ناشر احاديث نفس ما لها اللحر ذاكر فاكر فلم يبق لى شء عليه احادر فقد، عمرت ممن احب المقايس

طوى الموت ما بيتى وبين محمد فلا وصل الا عبرة تستديمها وكتت عليه إحلر اللهر وحده لئن عمسرت دور يمن لا أوده

هجاؤه: مختلف متعدد الموضوع والمناسبة ، فهر يهاجي غيره مع الشعراء ممن تصدوا له أو ناقشوه أو نبشوا عواره ونسبه أو عاب دينه وزندقته ومن هؤلاء يقف الرقاشي وأبان ابن عبدالحميد اللاحقي في المقدمة «

وريما هجا العرب جميما ، أو بعض قبائلهم ، ويصح أن يكون هذا الهجاء سياسيا فهو يدهب فيه مذهب الشعوبية في التمرض للعرب وتراثهم وحياتهم وعقائدهم ، وعاداتهم ، فيزرى بهم ويذكرهم ضمعة حياتهم في الصحراء ، بين الضباب والدئاب، يشربون اللبن ، ويتزودون بتعرات .

ويهجو العلماء أحيانا من اللغويين وأصحاب الكلام ، ولمل أشهر من هجا منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى "

ويهجو بعض من بلقى من المنبين والقيان ، هجاء نفور وتقبيح ، لأنه لم يلق عنده قبولا أو لم يقع في نفسه موقعا حسنا -

قفیما پتصل بآبان بن عبد الحمید یقول این المعنز : « کان فی جمیع أحواله أرفع طبقة من أبی نواس وقد هجأه أبو نواس بشعر کثیر ، فما سار فیه شیء علی شهرة شمره \* ولم یقل فی أبی نواس غیر ثلاثة أبیات ، وقد سارت فی الدنیا ، وهی هذه :

> إيو تـواس ابن هانـي وامـــه جلبـــسان والتــاس افطـن شيء الى حــسروق المانــي ان زين بيتـا على ذي ما عشت فاقطـع لساني

### ويهجو التوامي الرقاشي فيقول:

رايت قدور الناسسودا منائصلا يضيق يحيزوم البعوضة صدرها يبتيتها للمعتفى بغنائهم اذا ما تنادوا للرحيل سعى بها

وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر ويغرج ما فيها على طرف التلقر ثلاث كعظ الثاء من نقط العبر أمامهم العولي من ولسد السلر

# ويهجمو اسماعيل بن نوبخت كذلك بالبخمل فيقول:

على خبر اسماعيل واقية البخل وما خبره الا كاوى ترى أبنها وما خبسره الا كمنقاء مفسرب. يعدث عنها الناس من غير رؤية

فقد حل في دار الامان من الاكل ولسنا نراها فيالعزون وفيالسهل تصور في بسط الملوك وفي المثل سوى صورة ما ان تمر ولا تعلى

ويخرج هجاؤه عن هؤلاء السادة من الناس ، أو عن زملائه من الشعراء الذين نابدوه القول هجاؤه لبعض من يستثقل ظلهم أو لا يستريح اليهم من الناس ، وخاصة من يتصل بهم في حياته التصالا مباشرا ، في أوقات لذته ، أو طربه ، وأوقات جده سواء بسواء • فيقول في مفض استثقله :

قبل لزمير اذا اتكا وشدا سفتت من شنة البرودة حتى لا يعجب السامعون من صفتى

اقلل او اکثر فانت مهسلاار صرت عنسای کانک نسار کننگ الثلج بسارد حسار

### الإهباد والنسبك :

ولأيئ نواس شعر في الزهد اختلف الناس فيه ، لكنه على إية حال يأتي أكثره في مرحلة متأخرة من حياته، ولعله شعر شاعر

أسرف على نفسه ، وشعر بأنه مثقل بالاثسم ، ينتظسره الحساب المسير ، أو لعله ملل من اللذة ، ولم يعد في الجسم شدة الشباب ، ولا سورته ، بل أضعفته العلل ، وأسكنت من نوازعه ،

### ومن هذا الشعر قوله :

يا كيع السفتب عقبو اللسدسة من فتيسبك اكبسبر ليس للانسسسان الا مناقضى الله وقسسطر ليس للمفسلوق تديسي بسل الله المديسسر أعظسم الأشهاء في أصفاسان عقبو الله يصقبس وله عدة منظومات آخری مثل کتاب مزدك ، وکتاب السندیاد، وسیرهٔ آردشیر ، وسیرهٔ آتو شروان \*

وله قصيدة كونية في أحوال الدنيا تسمى ذات الحلل ، كما نظم في فرائض الصوم وصنف كتبا في حكم الهند ، والصيام والاعتكاف و وكتب بعض الرسائل وقال أبن المعتن : يقتضب الخطب ويرسل الرسائل الجياد واتصل الهجاء بينه وبين أبى نواس فقد رد عليه فصيدته المذكورة وكان ينفى عليه مكانته عند البرامكة ، يقول أبو نواس :

انت اولى بخسة العنظ مسنى قبلوا منه حين خنسى لديهم شبيه شبيه شبيه شبيه لم يكن فيك ضبر شيئين مما لحية سبعة وانه طويل فيك ما يعمل المفوك على الغرق قيبك قبح وفيك عجب شديد بارد العارف مظلم الكتب تيا

المسمى بالبلبان السيساح أخرس المدوت في ذي المساح مصا يكبون تحت الجنساح قلت من بعد خلقك اللحداج وهباء سواهما في الريساح وطساح يفوق كل طماح وطساح يفوق كل طماح والمداح عديث غث المازاح

# وتوفى أيان به عبد العميد سنة ٢٠٠ هـ (١) -

 <sup>(</sup>۱) راجع فيه : الاغاني طبع بولاق ج ۲۰/۲۰ وما بعدها ، تاريخ بغداد المنطيب
 البضندادی ۲/۶۶ \*

الاوراق للمبولي 1/40 وما يعدما ، الفهرست لابن النديسم 114 سـ 134 ، الوزرام الجهشباري من 704 -

حدیث الاربستاء لطه حسسین ۲۹۲۴ مد ۲۷۸ ، عمی المأمون لاحمد قرید الرقاعی ۱/۴۲۹ ـ ۴۳۶ ۰

ويمكن أن نفسف إلى هذا الاتجاه المطبوع بالكوف أمثال مطبع بن اياس ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ، وقد كان معهم أحيانا أبو العتاهية ، وانضم اليهم أبو نواس وتخرج على يدى والبة • كذلك ربما اتصل بهم حماد عجرد •

وتمثل هذه المدرسة الكوفية من المطبوعين اتجاها بعينه قد يبدو منه الاستخفاف بالحياة وبكل ما هو من مقدساتها ، والاستخفاف بالقيم الدينية والاجتماعية ، والمضى في ذلك الى حد التطرف -

ونشر الى واحده من هده المدرسة وهو مطيع ابن اياس ولد ونشأ بالكوفة ، ويرى أبو الفرج أن نسبه فيى ينى كتانه بن اياس (1) ( توفي سنة ١٦٩ هـ ) • والمعلومات عن حياته قليلة وغامضة ، ويبدو أنه مات ولم يعقب ذكورا ، وكانت له بنت واحدة •

وقد اشتهر في أخريات الدولة الأموية بعد اتصاله بالوليد ابن يزيد الخليفة الأموى • وظل ملازما له الى أن قتل فماد

 <sup>(</sup>۱) طبقات شخواء المعدثين لابن المعتز ۲۶۱ ، تناريخ آداب اللغة العربية ليروكلمان به ۳ ص ۱۰۵ طبع دار المعارف ٠

الشاعر الى الكوفة • ونعرف أن الوليد كان عابثا مستهترا رقيق الاعتفاد والدين ، أو قل هكذا صوره التاريخ ، وقد ذكر من أخلاقه وشعره ما يقارب أخلاق مطيع وشره وقد بعث الوليد اليه يحضره من الكوفة ليقيم معه قبى قصره بالرصافة في البادية وظل ملازما له حتى قتل •

وصف أبو الفرج ابن اياس فقال : أنه ظريف خليع ماجن ، وأطرى حسن عشرته ، واعتبره من جماعة المرنادقة ،

وليس من شك في أن مطيعا لم يكن مهتما بالشعائر الاسلامية، وهو لم يثبت اعتقاده كذلك في دين من أديان الفرس أو غيرهم كالمانوية والديصائية والمرقيونية ، لا نستطيع أن نميزو اليه مذهبا خاصا سوى بعض الميل الى التشيع ، وكان هذا الميل غالبا على بيئة الكوفة ، كما كثر معتنقوه بالبصرة ، بل وكان اتجاها شعبيا غالبا في فصر العباسيين .

كان مطيع اذا معروفا بالظرف والزندقة ، والظرف ملازم للزندقة بمفهومها الاجتماعي والزندقة بهذا المعنى تعنى الجمع بين ضروب من العبث والمجون كشرب الخمر والتهالك على اللذات والمعبث بالنساء والغلمان .

ونسوق مثالا من شدره يمسور طايعه العمام ، بل طابع شمرام الكوفة أيضا ، وهو طابع البساطة وعدم التكلف ، والتعبير عن وقائع الحياة يسهولة دون عناء • يقول : ان قلبی قب تصبیبی بعد منا کان انابیا ورمناه العب منی بسهبیام قاصیبابا قبد دهناه شبادن بلیست بیش فی الجیک سخابا قهنو بند فی نقساب قاذا القبی التقابیا قلت شیمس بیسوم دجین حسرت عنها البیعابیا

واتصل مطبع بجماعة من رجال عصره ومشاهده ، ولعل أشهرهم الوليد بن يزيد الخليفة الأموى العابث ، كما أشرنا ، والمصل كذلك بعبد الله بن جعفر بن أبى طالب والى الدى سنة ١٢٧ هـ ، وقد لازمه الى أن غلبه جنود مروان عند خروجه عليهم ، ثم قتله بعد أبو مسلم الخراسائي سنة ١٢٩ هـ -

ولم تصلنا أخباره بعد مقتل الطالبي وقيام الدولة العباسية أيام السفاح ، لكننا نسمع عنه يرتاد مجالس محمد بن خالد ابن عبد الله العشرى أمير الكوفة سنة ١٣٢ هـ • ذهب الى البصرة فيما يبدو بعد أن نفاه المنصور ومنعه من منادمة ابنه جمفى ، ويبدو أن المهدى عطف عليه ، ولم يحجر عليه ، على ما عرفه فيه من الزندقة ، مع تشدده في تعقب الزنادقة ، لاعتقاده بأنه يتزندق زندقة اجتماعية سلوكية لا زندقة فكر وعقيدة ، وربما اعتبرت عذه الزندقة ضربا من الحرية الاجتماعية والفردية التي لم يكن المهدى يهتم بالحجر عليها - بل ان خلفاء بني العباس أطلقوا بعض القيود ، وتركوا للناس كثيرا من الحريات ما دامت لا تمس كيان الدولة ، والعقيدة الاسلامية من قريب • وبعد موت المهدى اتصل بالهادى ومات في أوائل خلافته سنة ١٦٩ هـ •

ويتمل اسم مطيع وأخباره بعمبة المبان بالكوفة ، وهي جماعة من الشعراء ذكرنا أسماءهم يذهبون الى الزندقة الاجتماعية والحرية أو التحرر في القول والعمل ، وربعا كان منشا هذه المصبة ببلاط الوليد بن يزيد ، يل لعلها نشأت أصلا بالكوفة ثم آوى الوليد جماعة منهم وشجعهم واتخذ موقفهم ، وعمل عملهم وقال كالشعر الذي قالوه روحا وأسلوبا .

وكان مطبع يمى رأى الناس فيه وفى جماعته ، ويقابل تلك الأراء بعدم الاكتراث ، وقد أطلق عليهم الناس اسم الخلعاء ، أى الذين خلعهم المجتمع ، والعجيب أنهم كانوا يتباهون بهذا اللقب فكل منهم يسمى نفسه الخليع ، ويخاطب أصحابه بعد تباهيا لا تتابذا أو ازدراء ،

وكان طبيعيا أن يرتبط مطيع بجماعية الغلعاء من عصبة المجان ، أو الزنادقة ، وتكثر صلاته واجتماعاته بهيم ، كما أنه كان من الطبيعى أن يحدث بعض الخلف ويتبادلون الهجاء ، والعيث والتنابذ ، وقد يفعشون في عبثهم ، وممن ربطت الاخبار بينه وبينهم حماد عجرد ، ويحيى بن زياد المحارثي "

وكان كثير الماحكة لهذا الأخير، وكان كثير الحب له وملازمته حتى أخر حياته \*

ولم تكن صلاته قاصرة على هذه العصبة ، بل اتصل بجماعة مع العلماء والكتاب في عصره \* وكان مطيع مثالا للخلماء الزنادقة في حلاوة الحديث وظرف اللسان ، وجاذبية الشخصية فقد كانت تلك سممات عامة لكل زنديق - وأبو نواس يقول:

#### « تيسه مغسن وظهر في زنديق »

وكان كثير الاتصال بالتينات والجوارى في بيوت القيان ، يعابثهن ويعابثنه ويروى شعره كل ذلك ، كما علق بالغلمان ولم يوله بهم وله غيره أمثال والبـة وأبى نواس •

وكان حديثا صبيحا عن تلك الصلات حديثا صبيحا مكشوفا لا مواربة قيه ولا حياء ، مثله في ذلك مثل بشار في شعره المفاضح \*

وريما عثرنا في بعض شمره في ذلك العبث والمجون ، وشعر الجنس • على شدرات من شمر العاطفة ، وخاصة في تلك الفتاة التي تدعى و جوهبر » ، يذكر بشعر بشار في عبدة • وهو أظهر ما تهجره وثفارقه •

وجوهر جارية من كثيرات تعشقهن ، أو غازلهن ، أو علق بهن زمنا ، ونسمع منه عن مكنونة وريم ، وبرير \*

و نفهم من حديثه عن جوهر أن لها صاحبة كانت تسمى بربر، ويبدو أنها كانت تدير بيتا للقينات -

#### ومغ شارله :

شا خرجن من الرصدا فقة كالتماليدل العسان يعقفن أحسود كالغسرة لل يمير في جدل العنان فطعن قلبي حسسرة وتقسما بين الأمساني ويبلي على تلك الشهما لل واللطيف من المهاني يا طبول حسر صبابتي بين الفواني والقيان

ويتول وقد خرج الى الحج كما فعل بشار مع صاحبه ، فعرجا على دير بالحميرة :

خرجنا نبتغى مكسة حيساجا وزوارا فلمسا قسلم العسيرة حسادي جملى حارا وقعد كساد يفهور النجسسم للاصباح أوغسارا فقلت أحطط بها رحلى ولا تعفسل بمن سسارا فجددنا عهسودا سبلفت منسسا وآئسسارا وقضينسا لبانسات لنبا كانت واوطسارا وصاحبتا بهسا ديرا وقسيسسا وظيها عاقسدا بين (1) النقيا والغصر زنارا

## ويصف دعوة اجتمع فيها مع صحبته (١) :

نعسم لنب نبيب وعندنسا حساد وخبسينا كنسي والغسب مستزاه وكلنها من طسرب يطبع او يكساد فلهونها لليسسية لم يلهه العبساد ان تشتهى فسيادا قعندنها الفسساد او تشستهى فلامساد فعندنسا زيسساد

<sup>(</sup>١) الاقائي ۾ ١٢ ۽ الديارات ۽ دشعراءِ عباسيون 46 ه

### ويقول معيرا عن اتجاهه وأصحابه :

اخليع غدارك في الهيوى واشرب معتقية الدنيان وصل القبيسح مجاهرا فالعيش في وصل القيان تهدوي فيان العمر قان

لا يلهينك غلع مسا

ويصنع سوى هذا الشعر في اللذات ، والمجون ، شعرا أخر قيه الطَّابِمِ الانساني، فيه الحنين والحنان، وفيه الاسي من فوت الزمان وضياع الشباب، ونيه اللوعة بالفراق • ومنه تلك الأبيات التي قالها في وداع ابنته (١) :

ياتسكاب النموع قليسا كثيبسا طاشا حسر بمعكن القلسويا وتريني في رحلتي التعذيبا ريب ما تعذرين حشى اوبا

ولقك قلت لابئتي وهي تبكسي استكتى قد حزنت بالنمع قلبي ودعي إن تقطعي الإن قلبي فصى أنه أن يدافع على ليس شيء يشاؤه ذو المعالى بعزيز عليه فادعسى المجيبا أنا في قبضة الاله اذا كنه سن بعيدا أو كنت منه الربيا

ويقول في تخلتين قامتا في بلاد فارس النائية حيث لا ينبت النخل في بلد اسمه حلوان هناك ذكرتاه ببالاده المربية حيث النخيل ، فيعن ويتذكر ويقول في نغمة يمزج فيها الاسي والحنين :

ق بين الآلاف والعسيان

اسمدائي يا تخلتي حلوان وابكيا ال من ريب هذا الزمان واعلما أن ريبه ثم يزل يقس ولعمرى لو ذلتما الم الفرق \_ ق ابكاكما الملق ابكاني اسمدائي وأيقنا أن نعسسا سوق يلقاكسا فتفترقان

<sup>(</sup>١) شعرام عباسيون من ٣٣ ، الاغاني ۾ ١٣ ٠

كو رمتني صروق هلي الليالي بفراق الأحباب والغيلان قيت من فرقة ابنيه الدهقيان ويستى دئوهسا امسزاني فجعتنى الأيسام اغبط ما كف ست بعسدع للبين فع مسان ويرغمى أصبعت لا تراهما العمد مسين منى وأصبعت لا ترانى ان يكنقد تركتني فقد تركت بي لهيا في الشمير ليس بدوان كحريق الفرام في قصب الفها برمته ريعان تغتلفان قطيمك السملام منى ما صماح المسلاما عقلي وفاض السماني

غيير اني ليم تلق نفس كمالا جارة في بالري تذهب همي

ومثل هذه النفعة الحزينة التي بدأت تظهم في شمره المفاخس نجدها في الأبيات التي يشكو فيها فراق الشباب يقول (١) :

ناري اذا ما استعرث في الهبسي يسان بالسبواب جسدة فشب على جبينسى تهسدل العنب راب ریپ ایسی فلسم مسرپ قمت سما ہی لاعظم الرتب وكان حصني في شلة الكرب الوكان تغنى مقالتي يابسي كان شحري لوثوي فلم يغب صرت لسه في الأثن وفي التعب اكسره جهوا على من كثب

ائى لباله على الشباب ومسا أعرف من شبوقى ومن طريسي ومن تصابيي ان صيوت ومن أبكس خليسلا ولى بيهجنسه على الأفحيم الأثيث مهتبدلا كان صفيى دون الصفى وذا الألقب سبقة منى في الود والعلب كان خليل على الزمان فان كَانَ أَذَا تُمِتَ قَالِ قَمِ فَاذَا وكان أنسى اذا فرغت له وابابي أنت مين أخيى ثقية كبل خليسل مضي فقارقتني فارعبه على يا زمان فشد ویعسك یا دهر كیف جثت بما

<sup>(</sup>۱) - شعرام عباسيون س ۲۳ •

شوهتني بعبد منظير حسين كبان فيسبه سيانك الستهب قلبت لوثى الى السواد وقد ما زلت ترمی مخسی فترهقسیه 🔻 حتى كائى ولم الخسم لقب

بيشت راس اسسان كالعسب وتنتصى بالفتور في عميسي وكتت أعلو المقرى بملا ثقب

ولمطيع ابن اياس ديوان جمع بعد وقاته وذكره أبن النديم في الفهرست ، لكنه لم يصل الينا ، وكان يقع في ١١٠ ورقات ٠

ويرئ العلماء أن مطيعا لم يكن من الفحول ، وأنسه لم يكن المقدم كذلك في طبقته ويقدم عليه الجاحظ أبان بن عبد الحميد.

وقد تناقلت شمره كتب الأدب، وغنى فيه للفنون في بلاط الخلفاء لرقته وسهولته، وتناقلته عاملة النأس بالكوفة والبصرة ويغيداد أكثر من خاصتهم ٠

### التمط الأعرابي ومدرسة البداوة :

ونترك هذه الجماعة من المطبوعين الى لون أخر ، واتجاء غيره هو الاتجاه الاعرابي أو الشعر البيدوى الطابع ، ويقف على الطرف المقابل لشعر المطبوعين من أبناء الامصار والحضر ممن ذكرناهم و

ومن دهب هذا المدهب من الشعر الأعرابي عبد الملك بن عبد الرحيم العارثي ، وبكر النطاح والحسان بن مطير وأبو الشيعي ، وأبوحية النمري \* يقول ابن المعترفي طبقات المحدثين عن عبد الملك (١) : و حدثني أبو الأسود الشاعر قال : كان العارثي شاعرا مغلقا مفوها مقتدرا مطبوعا ، وكان لا يشبه بشعره شعراء المحدثين الحضريين ، وكان نعطه نعط الأعسراب ، ولما قال قعبيدته المعروفة العجيبة انقاد الشعراء وأذعنوا ، وهو أحد من نسخ شعره بعاء الذهب ، والقصيدة التي ذكرناها هي :

ها أثدًا ينا طالبي سناعي معتضس يسري الى الداعسي

فاجمعت الشعراء والأدباء على أن هذه الأبيات ليست من نمط، عصره ، وأن أحدا لا يطمع في مثلها ، ولمعرى أنه لكلام مع فصاحته وقوته يقدر من يسمعه أنه سيأتي بمثله ، فأذا رامه وجده أبعد من الثريا وكذلك الشعر المتناهى الذي ليس له في الجودة غاية •

ويشير ابن المعتز الى مثال آخس لهذا النمط الأعرابي فسى شعره ، في رثاء أخيسه ، ينهج في أبياتها نهج متمم بن نويرة في رثاء مالك أخيه (٢) ، ويبلغ اعجاب ابن المعتز به حد قوله في أحد أبيات القصيدة : هذا البيت سجدة الشعراء ، ولو لم يكن في كتابنا الاشعر الحارثي لكان جليلا ،

#### ومنه توليه:

ونا حضرنا الانقسام تراثه وجدنا عقیمات النهی والماتسر أى لم نجد مالا وائما وجدنا قمالا .

<sup>(1)</sup> طبقات شعراء المحدثين ص ٢٧٦٠

<sup>(</sup>٢) طبقات شعراء المحدثين ص ٢٧٧٠

### شسعراء القسزل

## العبساس بن الأحنيف

أصله من عرب خراسان ومنشؤه ببنداد • ولم تزل الملماء تقدمه على كثير من المحدثين ، ولا تزال ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين •

وذكر أبو الفرج أنه كان شاعرا غزلا مطبوعا ، شريفا • وله مذهب حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولمانيه عدوبة ولطف • لم يكن يتجاوز الغزل الى المديح أو الهجاء ، ولا يتصرف فى شيء من هذه المعانى • وقدمه أبو العباس المبرد فى كتاب الروضة على نظرائه • وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه • قال : وكان العباس من الظرفاء ، ولم يكن من الخلعاء • وكان غزلا ، ولم يكن فاسقا • وكان ظاهر النعمة علوكى المدهب ، شعره • شديد التزين • وذلك يتبين فى شعره •

وكان قصده الغزل - وشغله النسيب - وكان حلوا مقبولا ، غزلا ، غزير الفكر ، واسع الكلام كثير التصرف (١) وحده » -

قال : قال عنه الجاحظ نقلا عن يموت بن المزرع : لولا أن العباس بن الأحنف أحدق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد ولا يجاوزه لأنه لا يهجو

<sup>(</sup>۱) الإهاني ٨/١٥ .

ولا يمدح ولا يتكسب ، ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا التزم قنا واحدا لزومه فأحسن (١) فيه وأكثر ،

وقال فيه الأصمعي : قبل للأصمعي : ما أحسن ما تحفظ من أشمار المحدثين ، فقال : قول العباس ابن الأحنث :

لو كنت عاتبة لسكن لوعتي امل رضاك وزرت هي مراقب الناتب الن

وقال ابن المعتز في طبقاته : لو قبل ما أحسن شيء تعرفه لقلت : شعر المياس ابن الأحنف - ومن رقيق غزله المضرى قوله :

قالت ظلوم سمية الظلم مالى رايتك ناحل الجسم يا من رمى قلبى فاقصده انت العليم بعوقع السهم

#### وقسال:

سلبتنى من السرود ثبابا وكستنى من الهموم ثبابا كلما أغلقت من الوصل بابا فتحبت في الى المنيسة بابسا مذبينى يكسل شيء سوى الصسسسد فمانقت اقسيمن الصدود عدابا

وللمباس بن الأحنف من المعانى الجميلة فى الوصف قوله فى الليل:

ايها الراقبنون حول أعينو في في الليل حسبه واقتدارا
حدثوني عن النهار حديثا أوصفوه فقيد نسيت النهارا

#### وقسال:

والنجم فسي أفسق السمام كانه اعمى تحسير ما لديسه حايسر

<sup>(</sup>۱) الاخاتي ٨/ ۲۱٠

# مراجع العباس بن الأحنف:

- الاغاني ۲۵۲/۸ 1
- ۲ ـ تاریخ الطیسری ۲/۱۰ ۰
- ۲ ـ تاريخ بفسداد ۱۲۷/۱۱ ۰
- 2 انشعر والشعراء لابن قتيبة •
- ه \_ شقرات القعب لابن العماد ١ /٢٣٤٠
  - ٣ \_ معجم الإدباء لياقوت ٠
  - ۷ \_ معاهسته التنصيص ۱/-۲ •
  - ٨ ــ القهرست لابن النديم ١٦٣ -٠
    - ٩ ــ الكامل للميسود ٠
- 1- طبقات الشعراء المعدثين لابن المعتى ١٥٤
  - ۲۲/۱ بروکلمان ۲۲/۱ -

### شنعراء الحكمية

ويذهب بعض شعراء العصر (في القرن الثاني) الى الحكمة والقلسفة ، فيضعون أشعارهم في هذا اللون ، حتى يغلب عليهم ، وعلى رأس هنذا الاتجاء بالبصرة صالح بسم عبد القندوس وعبد العمد بن المعدل ، وبشر بن المعتدر -

# صالح بن عبد القلوس:

وكان كما يقول ياقوت في معجمه (١) حكيما أديبا فاضلا ، شاعرا مجيدا ٠

وكان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ، ويقس على الناس • واتهم بالزندقة الفكرية ، وكان ممن اجتمع مع بشمار في البصرة للنظر ودراسة بعض العقائد القديمة ، واتخاذ موقف منها ،وربعا مال أو اتهم بالميل الى رأى الثنوية القدس •

وقد أخذه المهدى بالزندقة ، ودمنه بقصيدة سينية يقول فيهسا:

والشيخ لا يتبرك اخلاقيه حتى يبواري في ثرى رمسه اذا أرعبوي عيماد الى جهله كذي الضنة عيماد الى نكسه

قال البغدادي : قال له المهدى : الست القائل هذه الأبيات ؟ قال : يني يا أمير المؤمنين، قال: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك يحكمك في نفسك ، ثم أمر يه فقتل وصلب على الجسر .

<sup>(</sup>١) سمجم الادباء ، طبع الرفاحي ١/١٢ -

وقيل أن المهدى أبلغ عنه أبياتا يعرض فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم فأحضره المهدى وقال له : أنت القائل هذه الابيات ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، والله ما أشركت بالله طرفة عين ، فأتق الله ولا تسغك دمى على الشبهة - وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : ادرءوا الحدود بالشبهات -

قال البندادى: ويقال أنه كان مشهورا بالزندقة ، وله مع أبى الهذيل الملاف مناظرات ، وشعره كله أمثال وحكم وآداب •

# ومن مستحسنات شعر صالح القصيدة القافية (١) :

المرء يجمع والزمان يقرق ولثن يعادى عاقبلا خبير له ولثن يعادى عاقبلا خبير له فارغب بنفسك لا تعادق احمقا وزن الكبلام اذا تعقت فانما ومن الرجال اذا استوت احلامهم حتى يجول بكل واد قلبسه فبذاك يوثق كبل أمر مطلق وان أمرؤ لسعته افعى عسرة

ويقلسل يرقع والغطوب تغسرق من أن يكون لله صديق أحمق أن الصديق على الصديق معيلق يبدى عيوب ذوى العقول المتعلق من يستشار أذا استشع فيطرق فيعلق فيعل فيعلق ويعرف ما يقول فينطق وبذاك يعلق كسل أمسر يوثق تركته حسين يجسر حيل يفرق

وقد عاش صالح بن عبد القدوس في البصرة ، وهرب منها عندما طلبه المهدى الى دمشق ويذكر له كتب في الديانات منها كتاب و الشكوك » ، وذكر آبو هملال أن ديوان صالح ابن عبد القدوس اشتمل على ألف مثل من الأمثال المربية وألف مثل

<sup>(</sup>۱) التحلة البهيئة من ۲۱۷ •

من الأمثال غير العربية - وجمع لويس شميخو قطعا من أشعار صالح في مجلة المشرق أعداد ٢٢ ص ٨١٩ ــ ٩٣٨ - ٩٣٨ - ٩٣٨ -

وصالح هذا بطـل قصة صالبح بن عبد القدوس مع راهب الصين التى تشرها لويس شيخو بمجلة المشرق في المدد ٢٧٤/٢٤٠ - ص ٢٧٨ ـ ٣٣٨ - ٣٣٨ -

وقتل صالح وصلب ببغداد سنة ١٦٧ هـ (٢) -

<sup>(1)</sup> شرح اللاميسة من ٤٧ ·

 <sup>(</sup>۲) ذكره توماس ارئولد في كتابه عن المتزلة ٠

# مختارات من شمر صالح بن عبد القدوس :

#### بقيلة القافيلة :

ما الناس الا عاملان أهامل قد مات من معلى وآخر يغرق والناس في طلب المعاش وانما بالجلد يرزق منهم من يمرزق لكنه فنسسل المليك عليهم همذا عليمه موسع ومضيح وافا الجنسازة والعروس تلاقيا الفيت من تبع العرائس ينطبق ورأيت مما توائح يترفيرق ورأيت مما توائح يترفيرق

#### ويروى هذان البيتان :

واذا الجنازة والعروس تلاقيسا

لو سار ألف منجج في حاجـة ان الترفـق للمقيـم موافـق

#### ويقــول:

ان الغنى البذي يرضى بعيشته لا تحقسون من الإيسام محتقسرا قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه

م معتقسرا كل امرى دسوف يجزى باللى اكتسبا رى فيركبه حتى يكون الى توريط سببا

ويقول ياقوت : واشهر شمره قصيدته البائية التي مطلعها :

والدهس فيه تفسرم وتقلب ال ببلقعسة ويسرق خلب واجهد فعمرك مر منه الأطيب

ورايث بمنع تواتنج يترقبرق

ورأيت من تبسع الجنازة ينطق

لم يقضها الا البلني يترفق

واذا يسافس فالترفيق اوفيق

لا من يقال على ما قات مكتثبا

صرمت حبالك بعد موتك زينب وكذاك ذكبر الغانيات فانه فدع الهبا فلقد عداك زمانه

#### ومنها:

واحتر معاشرة الدنسي فانهسا بلقاك يعلف أنسه بسك واثق

تعلى كمايعلش الصحيح الأجرب واثنا تعارى منك قدو العقسرب

#### ومن شنعره :

گیس من م<del>ات غاستراح ببیت</del> انمسا المیت من یمیش کثیب

وقولسه:

اذا قلت قلو ان قولك عرضة : وان اموءا الم يغش قبل كلامه

وقسسال:

لا أخون الغليل في الس حتى أو تعور الجبسال مور سحاب

انما المِن ميت الأحيساء كاسفا بالبه قليسل الرجساء

ئيساردة أو حجسة لمفاصسم الجسواب فيتهى نفسه غير حازم

ينقل البحس في الغرايل نقسالا متقالت وعت من المسام بعسالا

# مراجسع:

- 1 \_ تاريخ بغداد للغطيب البغدادي ٣٠٣/٩ \_ ٣٠٥ -
  - ۲ \_ تاریخ دمشق لاین عساکر ۲/ ۳۷۱ \_ ۳۷۹
    - ٣ ــ معجم الادباء آياآوت ٢٦٨/٦ ٠
    - ع ـ فوات الوفيات لابن شماكر ١٩١/١ .
- ٤٠٦ = عصر المامون الحمد قريد الرقاعي ٢/٢ ٤ = ٤٠٤ .
  - ٦ ... وجلة الشرق ثلاب لويس شهدو ...
    - ٧ ہے معلی الابت للویس شیخو ،
  - ۱۷۱ م نکت الهبیان الصفدی می ۱۷۱ ...
- ٩ ــ عبون التواريخ ــ حرادث سنة ١٦٠ ١٦٧ .
  - ، إحد أ**بالى الرتشى ا/** «١٠ ٠
    - 11 ــ الكارل البيرد ٢٢٧ .
  - ١٢ ــمجاضرات الادباء للراغب الاصبهائي ١٨٥/٢
    - ١٢ ـ القرست لابن النابع ٢٣١ •
    - ٢٤١/١ هياة الحيوان قلميري ١٤/١

# أحمد بن المعدل (١) :

عاش بالبصرة ، وكان صاحب زهد وورع وعبادة ، وانقطاع هن الناس وتقدم في الاعتزال وكان أخوه الشاعر عبد الصمد ابن المدل على الفد منه صاحب مجون ، شهديد الاقدام على الأعراض ، ردىء السيرة خبيث الهجاء -

حكى أنه كان في مكان وتعته عبد المدد في جماعة من أصحابه ، وقد انهمكوا على شرابهم وعكفوا على لذتهم ، فعلت أصواتهم وجلبتهم ، بما هم فيه من صوت الملاهى والغناء ، وغير ذلك ، فشوشوا على أحمد في تعبده ، فناداه : يا عبد المدد ، أمنت أن يحل بك وبهؤلاء عذاب من الله ، فرقع عبد المدد رأسه اليه ، وقال : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »

وله هجو طريف في أخيه عبد الصمد • وهو قوله :

قال لى أنت أحَسو الكلب وقبى ظنه أنه قد هجانسي واجتهسه أحمسه اللبه تعبسالي أنسبه ما درى أني أخو عبد الصعسمة

قال الصفدى : وهندا الهجنو في غايبة الأذى عبلى منا فيه من اللطافة (٢) -

1.

<sup>(</sup>۱) راجع ترجعته في الاغاني ٢٢٦/١٣ ، الكامل للمبره ١/٢٢٤ ، وطبقات ابن المعنو ٣٦٨ ٠

<sup>· (</sup>Y) شرح لامية العجم ٢٤٥/١ -

#### شبعراء الزهب والومظ :

وريما اتصل شعراء هذا الاتجاه بسبب بالاتجاه السابق في الحكمة ، وقد يشاركونهم بعض معانى أشعارهم ، الا أن الطابع الديني هنا أغلب ، والزهد هنا ربما كان متخذا من عناصر غير أسلامية الا أنه يعتمد على تفكير وتراث أسلاميين من القرآن والحديث ونشير من أصحاب هذا الاتجاه الى شاعرين أحدهما مشهور وهو أبو العتاهية والآخر لا يعرفه غير الخاصة وهو محمود الوراق ، وسابق البريرى -

# أبو العتاهيسة:

ولد أبو المتاهية بالكوفة سنة ١٣٠ هـ ، وكان عنزى الولام • وكان أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين • وقيل له في ذلك ، فقال : أريد أن أحفظ كلامهم •

وكان تظيمًا أبيض اللون ، أسود الشعر ، له وقرة جيدة ، وهيأة حسنة ، ولباقة وحصافة سمى أبا العتاهية لميله الى المجون ، والتعته ، وقيل أنه سمى كذلك لأن المهدى قال له : انك انسان متعنداق متعته \*

اتصل من خلفاء بنى العباس بالمهدى والهادى ، وهارون الرشيد ، وحظى عند هارون خاصة حتى قبل انه كأن لا يفارقه في سفر ولا حضر • وكان يجرى عليه في كل سنة خمسين ألف

درهم ، سوى الجوائز وقبل أنه تزهد في آيام الرشيد • ويروى انه لما قدم الرشيد من الرقة لبس أبو العتاهية الصوف وتزهد ، وترك حضور المنادمة والقول في الفزل • وطلب الرشيد اليه أن يعود الى حاله الأولى فرفض عليه وحبسه لذلك وضيق عليه •

وعمر أبو العتاهية قتوني سنة ٢١٠ هـ أو سنة ٢١١ في سنة ٢٢٣ قي خلافة المأمون ٠

وعرف أبو العتاهية بسهولة شهره وعلم تكلفه التول ، ولذلك سلك مع أصحاب الطبع كالسيد الحميرى وأبان بن عبد الحميد •

وقال أبو الغرج: وقال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال: أطبع الناس بشار والسيد الحميرى وأبو المتاهية وما قدر أحد على جمع شمر هؤلاء الثلاثة لكثرته وكان أبو المتاهية غزير البحر، لطيف المانى ، سهل الألفاظ وكثير الافتنان ، قليل التكلف ، الا أنه مع ذلك كثير الساقط والمردول .

وكان الأصمعي يقول: شعر أبي المتأهبة كساحة الملوك، يقع فيها الجوهد والذهب، والتراب والغزف والنوى •

وقالوا: أنه أقدر الناس على وزن الكلام ، حتى أنه يتكلم بالشعر في جميع حالاته ، ويخاطب به جميع أصناف الناس "

<sup>(</sup>۱) ترجم له ابن المعتز في طبقاته من ٣٦٨ وقال توفي سنة ٢٢٠ هـ ٠

قال المبرد : كان أبو العتاهية حسن الشمر ، قريب الماخذ ، لشمره ديباجة ، ويغرج القول منه كمخرج النفس قرة وسهولة واقتيدارات

وحاول التجديد في الآوزان ، قال محمد ابنه : سئل أبي : هل تعرف العروض ؟ فقال : أنا أكير من العروض - وله أوزان لا تسخل في المروض و يمنى أنه كان يخسرج عن تلك الأنماط المذكورة المترددة بين الشمراء والتي حصرها الخليل في الأوزان المروفة بالبحسور -

وقال الشمر في موضوعاته المروفة ، وكان في شيايه يتغزل ، قال ابن المعتر : وغزله لين جدا ، مشاكل لكلام النساء ، موافق لطباعهن (١) :

وعرف غزله بمتية من جوارى القصر ، ومنه قصيدة مشهورة يقول فيها:

> متها على شرق مطل وشكوت ما القي البهساء والمدامسع تسستهل اشــــكو كما يشكو ا**لأ**ذل ميا تقبول - فقلت كيل

إعلمت عتبسة أننسي حتى اذا يرمث يمسا قالت : قباي الناس يمسلم

وهي تصيدة كان يتغنى بها ٠

۲۲۸ طبقات (بن المعنز ۲۲۸ •

قالوا ربعا بنى شعره على أعاريض غريبة ليست من بحور الشعر • قال ابن المعتن : «كان أبو المعتاهية لسهولة شعر » ، وجودة طبعه فيه ربعا قال شعرا موزونا ليس من الأعاريض المعروفة • وكان يلعب بالشعر لعبا • ويآخذ فيه كيف يشاء » • وذكر أنه جلس يوما الى قصار ، فسمع صوت آلته (١) فقال باقتداره شعرا على ايقاعها منه هذا البيت :

المنسون مقضيات واحسدا ثسم واحسدا

كأنه نظر الى القصار أخذ ثوبا بعد ثوب ، فشبهه باخذ انسان بعد انسان وأخذ الوزن من وقع الكوبين (٢) \*

#### زهسته:

زهد أبو المتاهية ولبس المدوق ، وقصر شعره على المواعظ وذكر الموت والحشر والمتار والجنة •

وقال ابن المعتز متهما اياء بالزندقة : والذي يصبح لى أنه كان ثنوية يعني يعتقد بالهين -

ونقل ابن المعتن أنه كانت له بنتان احداهما يقال لها بالله والأخسرى لله • وكان له ابن زاهد ناسسك •

<sup>(1)</sup> آلة والكرب، ومن المنسرك -

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن المتن ٢٢٩٠٠

#### يتسرل:

ما اسرع الأيسام في الشنهر ليس بلس ليست لنه حيلة فاخط مع الدهر اذا ما خطا من سنايق الدهسر كيا كبوة

وأسرع الأشبهر في المسر موجبودة خبير من العبير واجر مع الدهر كما يجري لم يستفلهما أضبر العمس

ولا ندرى على وجه التحديد ما الذى حدا بأبي المتاهية الى أن يستفرقه هذا اللون الجديد من الشمر أهنى به الزهد ، أكان فشله في الحب كما تقول بعض الروايات ؟ التي تقول أنه كان مفتونا بجارية لآل معن اسمها سعدى ، فلم يظفر في حبه منها بطائل • كذلك يروى أنه كان مفتونا بجارية من جوارى المهدى اسمها عتبة ، ذكرها في شعره فقال :

الا يا عتبـــة السماعة السماعة السماعة السماعة ويقال انه ألقى في السجن لغزله يها •

وريما كان اتجاهه إلى الزهد ضربا من الرجعة أو التوبة ، أو ضربا من التعويض عن شعر النقص باعتباره من الموالى ، فوجد القول في الزهد ارضاء لنقسه كما وجد بشار في الهجاء والازراء بالعسرب ترضية نفسية له • ولمل الشعوبيسة بمعنى الايمان بالمساواة بين الناس، وبين العرب والموالى خاصة كان من دواقعه إلى هذا اللون حيث يقف الناس جميعا عبادا لله سواء بسواء •

ومهما يكن من أمر فانه قال في الزهد ، ولم يبق لمنا سوى هذا الشمر الذي يضمه ديوانه المتداول بين الناس ، ولم يبق من

موضوعاته الأخوى سوى قصائد مفرقات ، وأبيات منثورة هنا وهناك في كتب الأدب كالأغاني - وقيل انه لما تزهد أحرق ما كان له من شعر في الغزل •

وتتعدد معانى الزهد عند أبسى المتاهية فهسى دعسوى الى التناعة والرضا بالتليل في هذه الدنيا ، فالحباة فبها خيال زائل ، وكل ما أصاب الانسان فمقدور عليه ، مكتوب -

ولذلك ينبغي على الانسان أن يعتبل الدنيا دار عبور والآخرة دار قرار ، وهو يعمل في الدنيا ليحمد في الآخرة ، وحسن العمل دخيرة في دنياه وفي عقباه ، وينبغي أن لا يؤلم بمعنه أو يجرح غسيره -

### يقبول:

لقلمسا يتغطساك اختلافهما لتجذبني يسد النئيسا يقوتهسا لله وثيبا أنباس وأثبين أهيا كسائمات ترتع تبتغلي سلمنا

ياصاحب الروح ذي الانفاس في البدن . بين النهار وبين الليسل مرتهن حتى يقرق بسين الروح والبدن الى المنايا وان نازعتهما رسني قد ارتبوا فرياض الفي والفتن وحتفها لو درت في ذلك السمن

ومن مشهور شمره في الزهد مزدوجته المشهورة ذات الأمثاله : يقول فيها\_ :

> حسبك ممسا تبتغيبه القبوث الفقس فيمسا جساون الكفافسا

ما إكلس القوت لمن يمسوت من اتشى الله رجبا وخافسيا ان كنت اخطات فما اخطا لقلس ما (طول الليل على من لم ينبم وخير أجسر المسرء حسن فعلمه ورب جسن جسره المسراح مبلغات الشبر كباغية لكسا مقسدة للمسرء أي مقسده يرتهن السراي الاصيل شبكة نقص عيشها كله فتهاؤه

هى المقادية فلمنى أو فلتر لكل ما يؤذي وأن قبل ألم ما انتفع المرء بمثسل عقله أن الفسياد ضيفه الفسلاح من جمل النمام عينا هلكا أن الفسراخ والشباب وأتجمله ينتيك عن كل قبيح تركه مما عيش من أفته بقاؤه يا رب من أسخطنا يجهماه

\* \* \*

-۳أصحاب البديـع
مسلم بن الوليـــد
« صريـع النـواني »

كوفى المولد ، نشأ بها وتوجه الى بنداد فى شبايه ، وكان الشمر بضاعته ، فأخذ يرتاد مجالس الكيراء وندوات الوزراء والقادة من أمثال البرامكة ويزيد بن مزيد الشيبانى \*

قال المبرد : و وكانت البرامكة ويزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد يرونه ويتمطنون عليه : ، ويتفقدون أحواله » -

ولم يمدح الخليفة ، لأنه فيما يبدو لم يستطع بلوغ مقامه ، ولم يكن له حظ المثول بين يديه منشدا كغيره من الشعراء ، بل لانه رأى من هو أقل مكانة منه يحظى بالمكانة في بلاط الخلافة من دونه \*

وقال المبرد: « ان مسلما كان يمدح من دون الخليفة ، ولا يطمع فيه ، فكان يقول : أرى نفسى تدوب حسرات من أنه يحوى جوائز الخلفاء من لا يوازينى في أدب ولا يماثلني في نسب ، ولا يصلح أن يكون شمره خادما لشمرى » "

واستطاع مسلم أن يبلغ مقام الرشيد وأنشده واحددة من روائعه ومنها قوله :

وما العيش الا الاتروح معالسها صريع حميا الكاس والاعين النجل وقيل أن الخليفة لقبه بصريع الخواني ٠

وكان الشاعر غزلا معبا للهو ومجالسه ، ينفق ماله في سبيل متعه مع أصحابه وجلسائه - يقال أنه و كان اذا كسب مالا جمع من أصحابه فلم يخرج من بيته أكلا وشربا ولمبا ولهوا حتى يبقى مما كسب قوت شهر فيظهر » •

واشتهر بهذا باللقب الذي عرف به بين الشعراء ، وربما كان ما تسبه اليه الرشيد تحصيلا لواقع ما عرف به بين الناس ، أو لما تردد كثيرا في شعره ، وروى أنه علل اللقب أيضا مؤكدا ذاك المنسى :

ان ورد الغدود والأمين النجل وما في التفييسور مين أقعيسوان واسوداد الصدقين في أوضح القبيد رما في الصدور من رمان تركتني ليدي الفوائي صريعا فلهيدا أدعي صريع الغوانيي

ومع استهتار مسلم بهذا اللقب فلم يبلغ في تهتكه ومجونه مبلغ غيره ممق سمعنا عنها مق معاصريه أمثال بشار بن برد وأبي ثواس ويحيى بن زياد • ووالبـة • • وغيرهم •

ونقل عن مسلم بن الوليد أنه لم يكن يجهر باللهو ولم يتهتك عيره ، وإن شبرا في شعره بالخمر والنساء -

ولقد كان الوقدار ملازما لمه ، والتأديب من سماته • ولعل شخصيته تلك قد انعكست على شعره ، فقد عرف بالتوقر فيه ، والتكلف أحيانا -

وأعد مسلم نفسه في الشمر اعدادا طيباً ، حفظ كثيرا من شعر العرب ، وروى لفحولهم أمثال امرىء القيس وزهير والنابخة ولبيد وعسر بن أبي ربيعة -

وكان يحب شمر الغزل ويترنم به ، وخاصة في شبابه ٠

وقد جمع في شبابه بالكوفة بين شمر البادية وشمر المحدثين ، وامتزجت في نفسه الطريقتان وتعانق النمطان •

ولما كان شعر المديع عماد الشمراء في حياتهم للتكسيم به فقد لجأ اليه مسلم وقصد به كبار الرجال وضمن قصيدة المديع طرائف صنعته ، ويديع فنه •

وياتي بعد المديح شعر الرصف والفيال ، وخاصة وصف الغزل ، وخاصة وصف المخمر ومجالس الشراب -

وكان طبيعيا في بنداد في هذا العصر وتلك البيئة أن يبدع في المنين معاكما أبدع من قبل بشار وأبو نوأس \*

وصف مجالس الخمر كما وصفها آبو نواس ، وجملها مجوسية الأنساب مسلمة البعل ، ربيبة الشمس قد غذتها في كرمها ، وراح الشاعر يخطبها ويفاني في مهرها ، وتدود الخمر يبسد مساق أو

ساقية ، وفي أثناء الشرب تفنى القينة العسناء ، فتبعث أو تارها بالمود ، أو تنفخ في مزمار \*

F: - - -

وفي صفته للنساء في غزله صفة أسريء مدله في حبهن ، قد نالت منه الاعين النجل، وهو اذا وقع في هوى واحدة منهن ، يكاد يموت صبابة ، وقصص زيارات الحبيباته واضحة جميلة شيقة في شعره ، تذكر بقصص امرىء القيس أو عمر بن أبي ربيعــة .

وهكذا يجمع مسلم بين لذة الغمر وحب النساء في شعره وهو القائميل :

ما للة الدنيا اذا سالم تكن قال يمدح يزيد بن مزيمه:

أجررت حيل خليع في الصبا غزل هاج البكاء على المن الطموح هوى كيف السلو القلب راح مختيساً عاق العزاء خداة البين منهمل لولا عداراة دمع العين الانكشفت أما كفى البين أن أرمى بأسهمه

الى أن يقــول :

وليلة خلست للعمين مسن سنة قدكان دهرى ومابى اليوممنكير اذا شكوت اليهما العب حقزها كم قد قبلعت وعين الدهر راقدة

فيها فتي كاس صريع حبائب

وشمرت همم العسدال في العدل مفسرق يسين توديسع ومعتمسل يهنئ يصاحب قلب غسير مغتبل من الدموع جرى في اثر منهمسل مني سرائر لم تنظهر ولم تغسل حتى رماني بلعظ الأعين النجل

هتكت فيها الصباعن بيضة الحجل شرب المدام وعزف القيئة العطل شكواى فاحس خداها من الغجل آيامه بالصبا في المهو والجسدال

# ويقول في قصيدته المشهورة التي مدح بها الرشيد :

اديرا على الراح لا تشربا قبل فما حزنسى انى أموت صبابة احب التى صدت وقالت لتربها: أماتت واحبت مهجتى فهى عندها وما ذلت منها ناتلا غير أنتى بن ربما وكلت عينى بنظسرة كتمت تباريح الصبابة عاذل ومانحة شرايها المال قهوة ربيبة شمس لم تهجن عروقها تصد بنفسى المرء عما ينصه قد استودعت دنالها فهو قائم بعثنا لها منا خطبيا لبحشها

ويقول في صفة الخمس:

اغارت عملي كف المدير باونها

ودارت علينا الكاس من كف طفلة وحن لنا عبود أياح يسرنا تضاحكه طورا وتبكيه تسارة اذا ما اشتهينا الإقعوان تبسمت ونستنها المزميار يشلو كائيه

وسساقية كالريم هيفساء طفلة تنزه وجهى فسى معاسن وجهها سائقاد للسذات متبسع الصبسا

ولا تطلبا من عند قاتلتى ذحل ولكن على من لا يعل له فتلى دعيه الثريا منه اقرب من وصلى معنقة بين الواعيل والمطلل يشجو المحبين الاولى سلقوا قبل اليها تزيد القلب خبلا على خبل فلويند مايى فاسترحت من العدل مجوسسية الانساب مسلمة البعل بنار ولم يقطع لها سعف النخل وتنطق بالمحروف السنة اليغلل بها شغنا بين الكروم على رجل فجاء بها يمشى العرضنة في مهل

فصاغت لــه منها أنامل كالذبل

ميثلة حبوراء كالرشا الطفيل كان عليه ساق جارية عطيل خد لجة هيفاء ذات شوى عبل لنا عن ثنايا لا قصار ولا ثعل حكى تاتعات بتن يبكين من ثكل

بعيدة مهوى القرط مقعمة العجل أذا احتثت الطاسات يفنى من النقل واغدو صريع الراح والأمين النجل وتحسب عمد بن أبى ربيعة قدد بعث في حكايته لهذه الزورة من زواراته الليلية :

وزائرة رعت الكرى بلقائها انتنى على خوف العيون كانها اذا ما مشت خافث نميمة طبها فيت أسمى اللر طورا حديثها الهائن رايت الليل منكشف الدجى

وعاديت فيهاكو كي الصبح والفجر اختول تراعى النبت مشعرة ذمرا تدارى على لنشى الغلاخيل والعطر الطورا الناجى البدر أحسبها البدرا يودع في ظلمائه الأنجم الزهرا

وبلغ مسلم بن الوليد في شعره منزلة رفيعة بين علماء عصره، وأدبائه ، لأنه كما قلت جمع بين القديم والحديث ، أو بين الطابع البدوى والحضرى •

قال فیه أبو حاتم السجستانی: و خلیج صاف ینزع من بعر كدر ، كالزند يوری تارة ويصلد آخری ، » وقال أبو الفرج: «كان متفننا متصرفا في شعره » •

وقال المبرد: كان مسلم شاعرا حسن النعط ، جيد القول في الشراب - وكثير من الرواة يقرئه بأبي نراس في هذا المعني ، وهو أول من عقد هذه المعانى الطريفة واستخرجها ، -

وقال ابع دريد فى أماليه : و أمسا مسلم فانه مسرَج كلام البدويين بكلام المحضريين ، فضمنه المعانى اللطيغة وكساء الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة المحضريين » •

وقال ابن رشیق فی الموازنة بینه و أبی تمام : « ومسلم أسهل شمرا من حبیب و أقل تكلفا و هو زهیر المولدین » •

وقد نعته نقاد الشعر بالصنعة المتقنة للشعر ، وحسن اختياره للنظ ، وتأنقبه فسى البديع ، أكب ذلك المحسري حبين قال : « ومسلم أول من لطف البديع وكسا المعاني حلل اللفظ الرقيع » •

وقال ابق شرف: « وأما صريع الغواتسي فكلامه مرصع ، وغزله مستعدب » •

وقال المرزباني : و وهو شاعر مطلق مستخرج و للطيف المماني بحلو الألفاظ ۽ -

وكان مذهبه في الصنعة مخالفا لمذهب غيره من شعراء العصر في الطبع • وهو يعثل أمام هذا الاتجاء أي اتجاء الصنعة ، وهو الذي سار فيه أبو تمام وغالى • ويقابل هذا الاتجاء اتجاء أصحاب الطبع من أمثال أبي العتاهية وأبان بن عبد الحميد اللاحقى والسيد الحميد اللاحقى

ولم يرض أحدهم عن مذهب الآخرين ، فقد قبل أن مسلما اجتمع بأبي العتاهية عتدارسا قول الشعر ، فقال مسلم لأبي المتاهية في كم يوم تصنع القصيدة ، فقال أبو العناهية : أنها - بنت لبلتها • فقال مسلم : اذا كانت من مثل قولك :

الا يا متبعة السماعة أموت السماعة السماعة

قهدًا ليس يشعر ولكني أقول:

موق على مهج في يوم ذي رهج كانه اجمل يسمعي الي أمل اثي أسهر في صنعتها الليالي العلوال - وقد وقر مسلم بن الوليد لشعره زينة اللفظ وجمال المعنى • واستخدم من البديع ما أكسبه جمالا ولم يثقله -

فقد يعمد الى بديع اللفظ من الجناس والترصيع مثل البيت السابق - أو قد يلجأ الى الاستعارات يأخف بعضها برقاب بعض قولسه :

أحيى البكا ليلة حتى اذا بلغت غادى الشمول فعاطته سمادرها كانها وسسنان الماء يقرعها ` حتى اذا الراح نامت عنه فترتها

نفساللجي واستنار الصبح كالوقك طيفا به الفت روحا الى جسد مقيقة ضعكت في عارض بسرد ربع الكرى واقامت كسرة الغلد

قهده الاستمارات الكثيرة ، التي تعاقبت قد تبدو حجابا يستر المعتى ، لكنها قسى الحقيقة اكسبته حسلاوة الصور المتتابعة - وابتعدت به عن التقرير والتعبير السهل المباشر -

قهو ببساطة يريد أن يقول انه سهر الليل يعاقر الخمر حتى السباح ، وشرب فلما أغذت الخمر بلبه تخيل حبيبته أو جاءته بطيف الحبيب ، وهو يشبه الخمر التشبيه المآلوف ويرسم لها السور التقليدية عند أبى نواس وغيره من شعراء الخمر ، لكنه يمبر هذا التعبير الجديد عن معنى الفتور وعا يصيب الرأس من صداع بعد أن ينجاب السكر ويصحو الشارب من النوم "

# موقف النقساد منسه :

ذكره ابن قتيبة فقال : « وهو أول من ألطف في المعانى ، ورقق في القول ، وعليه يعول الطائي ( أبو تمام ) في ذلك وعلى أبي نواس (١) » -

ويقول التبريزى في شرح العماسة: و وكان متفننا ، متصرفا في شعره ، شاعرا حسن النمط ، جيد القول في الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى اللطيفة واستخرجها ، وهو أول من أفسد الشعر بهذا النوع الذي سماه الناس البديع » \*

وذكره ابن رشيق في المددة من بين أصحاب الصنعة (صنعة البديسع ) •

و - - غير أنا لا نجب المبتدىء في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم ابن الوليد ، لما فيهما من الفضيلة لمبتغيهما ، ولأنهما طرقها الى الصنعة ومعرفتها طريقا سابلة وأكثرا منها في أشعارهما تكثيرا سهلهما عند الناس وجرأهم عليها » \*

على أن مسلما أسهل شعرا من حبيب وأقل تكلفا - وهو أول من تكلف البديع من المولدين - وأخذ نفسه بالمستمة وأكثر منها ،

۱۱شس والشيراء ۲/۸۰۸ ...

ولم يكن في الأشعار المحدثة قبل مسلم صريع النواني الا النبذة اليسيرة، وهو زهير المولدين، كان يبطئء في صنعته ويجيدها (١) -

ویقول : و کان مسلم بن الولید نظیر آبی نواس و وفوقه عند قوم من أهل زمانه فی آشعار، الا آن آبا نواس قهره بالبدیهة والار تجال ، مع تقبض کان فسی مسلم واظهار توقر و تصنیع و وکان صاحب رویة و فکرة ، یبده و لا پر تجل (۲) » \*

ونقل ابن رشيق أن البحترى حضر مجلس عبيد الله بن طاهر، فسأله : يا أبا عبادة أمسلم أشحر أم أبو نواس ؟ فقال : بل أبو نواس ، لانه يتصرف في كل طريق ، وينزع في كل مذهب ان شاء جد ، وان شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقا واحدا لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه • فقال أله عبيد الله : ان أحمد بن يحيى شملها لا يرافقك على هذا • فقال : أيها الأمر ، أبس هذا من علم شعلب وأضرابه ممن يحفظ الشمر ولا يقوله ، فانما يعرف الشمر من دفع الى مضايعة (٣) » \*

وسئل آپور حباتم عن مسلم بن الوليد فقال : و خليج صاف يتزع من يعر كدر كالزند يورئ تارة ويصلد آخرى » "

<sup>(</sup>١)السنة ١٣٠/١ -

<sup>\* 151/1</sup> Famil (Y)

<sup>· 1-6/</sup>Y Result (T)

ومخ آیات شمرہ قصیدته اللامیــة قـے مدح یزید بن مزید الشيباني ، يقول نيها :

وشعرت همم العدال فيي عدى مقرق بسبن توديسع ومعتمسل يهتى بصاحب قلب غير مختبل اجررت حبل خليع في الهوى غزل هاج البكاء على المين الملموح هوى كيف السلو لقلب بات مغتبسلا

# ويتسول فيها:

أذا تفير وجه الفارس البطل كانه اجــل يسعــى الى أمـــل كالموت مستعجلا يأتى على مهسل كالبيت يفضى اليه ملتقي السبل يقرى الضبوف شعوم الكومو البزل ويجمل الهام تيجان القثا الذبل فهن يتبعنه في كل مرتعل

يفتر عند افتران العرب ميتسما موق على مهج في يوم فورهج ينال بالرفق ما يعيى الرجال به لا يرمل الناس الا نعو حجرته يقرى المنية أرواح العداة كما يكسو السيوق رءوس الناكثينيه قد عود الطر عادات وثقن بها

# .. وقال في صفة النساء :

بوجه لوجه الشعين من علثة مثل ولل تلاقينا قضي الليل نعيسه لقينا المتي فيه فعليمزنا البستال وخال كغال البلد في وجه مثله وله في الأوساف وخاصة في الغمر وأدواتها أبيات مغردات

#### كترليسه :

بقالانة جعلت لها اكليلا فاذا يه قد صيرته قتيالا لطف المزاج لها فزين كاسمها قتلت وعاجلها المدير وثم تفسط

#### وقبيال:

وحكى المبر بمقلتية غازالا ويعيدها سن كفسه جريالا

ابريقنا سلب الغزالـة جيـدها يسقيك باللعظـات كاس صبابة

#### وقسال:

ظلا تقتلاها ، كل ميت معبرم فاظهر في الألوان منا اللم اللم اذا شئتما آن تسقیانی مدامـــة خلطنا دمــا من کرمة بدماثنا

#### وقسال :

كاسا الله بها من قبك تشفيني ولمون خليك ثون المورد يكفيني

ان کنت تسقیتی غیر الراح فاسقینی عیناك راحی وریعانی حدیثك فی

وهل يمكن أن يكون وصف مسلم بن الوليد بصريع النوائى وصفا واقعا في معله؟ أي هل كان مسلم بن الوليد غزلا مجيدا في الغزل به مدلها في العب أم أن هـدا الوصف ظاهـرى لا يدل على حقيقــة •

وتتبعنا لأبياته في الغزل تقفنا على قدره فيه ، وهو قدر لا يسمو الى درجة المجودين المبدعين كالمباس بن الاحتف أو عمر بن أبي ربيعة ، وانعا هو غزل جيد بقدر ما أودعه من الصنعة وجمال اللغظ ، ورشاقة المبياغة كقوله :

احب التي صلت وقالت لتربها أماتت وأحيت مهجتي فهي عندها وما نلت منا نائلا غلج أنني بلي ، ربما وكلت عيني بنظرة

دعیه الثریا منه الرب من وصلی معلقه بین المواعید والمعلی بشجو المعیین الأولی سلفوا قبلی الیها تزید القلب خیلا علی خبل

فهذا غزل مصنوع مثل يقية شعره ٠

+ + +

		: :

القسم الشائي

شبعراء من القرنين الثالث

والرابيع

# القسرن التسالك الاطسار السياسي للعصر

يبدأ هذا القرن الثالث بخلافة المأمون، وقد تولى الغلافة فى أعقاب النزاع الذى ثار بينه وأخيه الامين، وكانت لهذا المنزاع آثاره كما كانت له أسبابه وحوافره، منها مما يتصل بالبيت المعاسى نفسه، وما كان يدور فيه من خلافات حول ولاية المهد بين المأمون والامين، وتعصب العنصر المربى للامين والغارسي للمأمون، ومنها ما يتصل بالاوضاع السياسية عامة والخلاف الذى كان لا يزال يلقى بظلاله على الدولة والرعية بقسميها من الفرس والعرب، وقد كانت وقعتا أبى جعفر بأبى مسلم الغراساني، وهارون الرشيدبالبرامكة تؤرجان الخلاف، وتثيران كوامنالفتن، وكلما خبث نارها نفخ فيها المثيرون، من الجانبين وكلما خبث نارها نفخ فيها المثيرون، من الجانبين وكلما خبث نارها نفخ فيها المثيرون، من الجانبين

وكان المراع الاجتماعي بإن العرب والموالي لا يزال يمد نار الفتح بالوقود ، وهكذا تولدت فتنة النزاع بإن الاخوين ، وتغلب المأمون وجنده من الفرس على الامين وجنده ، وقتل الامين عمام 198 هـ وتولى المأمون الخلافة • وأحاط به الفرس، ووزر له وزيره الفارسي الفضل بن سهل ، وكان المأمون ربعة أبيض جميلا ، طويل اللحية رقيقها ، وخطه الشيب قبل الموت •

وقد كانت للفضل ميونه العلوية زيادة على عصبيته الفارسية ، فعسن للمأمون أن يولى عهده على بن موسى الرشى ، فعهد اليه وكتب بذلك كتابا بخطه • قال ابن الطقطقى (١) :

<sup>(</sup>١) الغنري من ١٦٢ طبع الرحمانية بمصر ١

« وكان الفضل بن سهل وزير المآمون هو القائم بهذا الامر ، والمحسق له ، فبايع الناس لملي بن موسى من بعد المآمون » \* وأمر المآمون النامل بخليع لياس السواد شيعار بنى العباس ، وليس الخضرة شمار العلويين \*

ولم يرض المباسيون ببنداد ، وجماعة ممن يدهبون مذهبهم ويلتفون حولهم من قادة العرب فشاروا ، ونقلوا الخلافة الى ايراهيم بن المهدى عم المآمون ، وكان رجلا قاضلا وشاعرا ، فسيحا آديبا ، مغنيا حاذقا \*

وبلغ المأمون ذلك بوكان بخراسان ، فغضب ، ودس للفضل به سهل من قتله ويقال أنه تخلص كذلك من عبل الرضا بدس السم وربعا كان ذلك صحيحا ، أو كان موته من أكل عنب في وقته مما مهد الطريق لان يستعيد المأمون سيطرته على الدولة ، ويلقى قبول العباسية والعرب باعادة السواد وولاية المهد العباسية و

وظلت خلافة المأمون حوالي عشرين عاما ، أمكنه فيها اعادة الهيبة الى الخلافة والدولة كما كانت في عهد أبيه الرشيد والتي اهتزت في عهد أخيه الامين - وذلك لانه كان رجل دولة يحسن تدبير الامور ، واسع الاطلاع ، جادا ، مفكرا ، حازما به دهام الساسة -

قال ابن الطقطقى : و وقام المأمون بأعباء الخلافة وتدبسير الملك ، قيام حزماء الملوك وفضلائهم » •

ولم تخل أيامه من بعض الثورات الملوية التي أخمدت ، ومع قلاقل في الثنور تغلب عليها واستتب له الامر من بعدها \* وتوقى المأمون سنة ۲۱۸ هـ وعمره ثمان وأربعون سنة \*

وخلفه أخوه المعتصم ، وقد ثار بعض أنصار المأمون رغبة في

تولية ابنه العباس لكنه أخمه ثورتهم بمبايعة عمه • وواجمه

المعتصم في خلافته بعض الفتن والثورات، منها ثورة المحراسانية
في أصفهان وهمذان ، فقضي عليهم ، وفتنة خلق القرآن وحبس
ابن حنبل في بغداد ، والصراع بين أهل السنة والمعتزلة • وثورة
البايكية ، وكانت ثورة عارمة أصيبت لهما الرعيمة بالمنعم ،
وأفسدت في الارض ، فقتلت وشردت ، وقد أحصى عدد المقتلي
بأيدى البابكية فكان مائتي ألف وخمسين الفاوخمسمائة
انسان • وتمكن المعتصم من الانتصار على بابك الخرمي وقتله ،
وبذلك أخمدت ثورة البابكية سنة ٢٢٣ هـ • وكان قائده الافشين
ماحب اليد الطولي في القضاء عليه •

وتمرضت بعض ثغور المسلمين مع البيز تطيين للاعتداء من قبل السروم ، فكان أن نهض المتمسم الى عمورية سنة ٢٢٥ هـ وهاجم ثغور الروم وسبى وأحرق • وخامر الاقشين على الخلافة

مع مازيار لنقل الخلافة الى العجم ، فعمله المعتصم الاثنين معا سنة ٢٢٥ هـ أيضا • وحرقا بالنار بعد صلبهما • وفي هذا اليوم أيو تمام رائيته المشهورة التي يقول فيها :

ثانيه في كبد السماء ولهم يكن الاثنان أن هما في الفار

وتوفى المعتصم سنة ٢٢٧ ، وقد أقسام فسى الغلافة ثمانى سنوات وثمانية أشهر وكان قد استكثر من الترك وتولى الواثق ، وهو هارون بن المعتصم ، وكان قاضلا عاقلا شاعرا ، استوزر محمد من عبد الملك الزيات الوزير الاديب وقد كانت في ابن الزيات قسوة على أعدائه ، وظل طبوال خلافة الواثق ، وكان الواثق يتشبه بالمأمون ، وأحسن الى الطالبيين، ولم تقع في أيامه فتوح كبيرة أو أحداث عظسام ومات سنة ٢٣٣ هـ وحدثت في أيامه معنة خلق القرآن ، وعوقب من لم يقولوا بخلقه أشد المقاب

وتولى أخره المتركل ، وكإن شديد التعصب على آل على ، وقعل بسبب ذلك ما فعل من الاشياء الغريبة كحرث قبر العسين ، وكان عمره يوم تولى سنة • فولى أبناءه الثلاثة أقاليم المخلافة -

وحدثت في خلافته عدة أحداث في البلاد الخاضعة له فسي أرمينية ، وبعض الثغور مع المروم \*

وقتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ بعد خلافة استمرت أربع عشرة سنة ، وقتل ممه وزيره القتح بن خاقان ·

وتولى بعده ابنه المتتصر ، وقد بايع له قتلة أبيه ، ولم تدم

حياته بعده أكثر من ستة شهور وشغب الاتساك من قادة الجند مرة أخرى ، لمبايعة ابن المنتصر وخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ، وبعد وفاته تولى المستمين بعد مشاورة بين الترك بنا الكبير وبنا الصنير وأتاش .

وسيطر الترك على مصير الخلفاء بعد ذلك وظلت في آيديهم مقاليد الامور يولون من يشاءون ويعزلون من أرادوا - قال صاحب تاريخ مختصر الدول: « لما توفي المنتصر اجتمع الموالي في الماروتي من الند ونيهم بنا الكبير وبنا الصنير وأتاش وتشاوروا، وكرهوا أن يتولى الخلافة واحد من ولد المتوكل لمنسلا يغتالهم ء فأجمعوا على المستمين أحمد بن محمد بن المعتميم وبايموه • وفي سنة ٢٤٩ ه شغب الجند والشاكرية ببنداد لما رآوا من استيلاء الترائ على الدولة ، يقتلون من يريدون من الخلفام ويستخلفون مع أحبوه من غير ديانة ولا نظير للمسلمين • فاجتمعت العامة بيقداد بالمتراخ والنداء والنفيء وقتحوا السجون ، وأخرجوا من فيها ، وأحرقوا أحد البسدين ، وقطعوا الآخر وانتهبوا دور أهل اليسار ، وأخرجوا أموالا كثيرة ، فقرةوها فيمن نهض الى الى حفظ الثفور • وأخرجها المتهن من الحبس ، وبايمها له بالخلافة ، وخلموا المستمين - وكانت أيامه سنتين وتسعة أشهى في المستمين الى بغداد سنة ٢٥١ هـ وحوصى بها ، ثم في سنة ٢٥٢هـ خلع نفسه من الخلافة فبايع للمعتز ابن المتوكل وخطب للمعتز في يقداد • وقتل المستعين -

ووقع الشر بين العباسيين ، فقتل المعتن المستمين ، وحبس

المؤيد أخاه حتى توفى في السجن وفي سنة ٢٥٥ هـ دخل جسند الترك على المعتز مطالبين بارزاقهم ، فقيضوه ، وصلبوه بالشمس حتى مات ، وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر \*

وفي عهد المستمين قتل أحد أثمة العلويين ، وهو أبو الحسين يحيى بن عمر من ولد الحسين بن على رثاه ابن الرومي بقوله :

المامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى : مستقيم وأعوج يقدول فيها :

سلام ، وريدان ، وروح ورحمة عليك ، وممدود من التنل سجسج ولا برح القاع الذي أنت جاره يرف عليه الاقتدوان البلج

تناول فيها بني المياس بالتجريح -

وخرج في عهد المعتز بالله الصفارية بفارس وهم قرقة من الخوارج استولت على اقليم فارس ، ولم يستطع الترك مقاومتهم ويعد موت المعتز تولى أحدد أبناء الواثق وهر عبد الله محمد يق الواثق ولقب بالمهتدى بالله ويقول ابن الطقطقى : و وكان المهتدى مق أحسن الخلفاء مذهبا ، وأجملهم طريقة وسيرة وأظهرهم ورعا ، وأكثرهم عبادة وكان يشتبه بعمد بن عبد العزيز ودوكان يجلس للمظالم فيحكم حكما يرتضيه الناس وكان يتقلل في مأكوله وملبوسه »

وكان قيه زهد في الدنيا وانصراف عن مظاهرها ، فاطرح الملاهي،وحرم الفتاء والشراب وفيأيامه بدأت ثورةالزنج بالكوفة • وشغب عليه يعض المجند من الترك ، وخلموه ، ومات في أيديهم سنة ٢٥٦ هـ ولم يتم عاما في خلافته ، وتولى بعده المعتمد ابن المتوكل وكان محبوسا ، فأطلقه الاتراك وبايمسوه وفي سنة ٢٦٥ هـ حدث نزاع بينه وأحمد بن طولون في مصر وكان أخوه الموفق يمينه في دولته وتولى حرب الزنج وتوفي المعتمد والموفق سنة ٢٧٩ هـ وكان الامر في معظم دولته للموفق ، ويقال أنه ضيق عليه في المبال ، وحمد من مصروفه وكان مستضعفا يقول ابن الطقطقي : ووكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في المخلفة للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بأمرة أمير المؤمنين ، وقدود المسكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الامر والنهي ، وقدود المسكر ومحاربة الاعداء ومرابطة المنصور وترتبب الوزراء والامراء وكان المتمد

وتولى بعد المعتمد المعتضد بن الموفق سنة ٢٧٩ هـ وبعث اليه خمارويه بن أحمد بن طولون والى مصر بالهدايا والالطاف وزوجه ابنته قطر الندى سنة ٢٨١ هـ • وفي أيامه ثار الاكسراد والاعراب ، وبنو حمدان بالموصل ، فخرج اليهم وأوقع يهم ، وفي عصره ظهر أمس القرامطة بالبحرين ، وانتشروا في أطراف المراق حتى بلغوا الكوفة سنة ٢٨٩ هـ وتوفي في آخس سنة ٢٨٩ هـ • وتوفي في آخس سنة ٢٨٩ هـ • وتوفي في آخس سنة

قال صاحب الفغرى: وكان المعتضد شهما عاقلا فاضلا ، معدت سيرته • ولى والدنيا خراب ، والثنور مهملة ، فقام قياما

مرضيا حتى عمرت مملكته ، وكثرت الاموال ، وضبطت الثنور ، وكان ثوى السياسة ، شديدا على أهل الفساد \* حاسما لمراد أطماع عساكره عن أذى المرعية ، محسنا الى بنى عمه من أل أبى طالب • وكانت أيامه أيام فترق وخوارج كثيرين » •

وقد مات وفي المغرائن عشرة آلاف ألف دينار -

وكان المكتفى من أفاضل الخلفاء على ما يذكر ابن الطقطقى ، وفى عهده قويت شوكة القرامطة ، وتعرضوا لحجاج بيت ابة ، وقد بعث اليهم المكتفى بالجيوش ، وقتل بعض زعمائهم و ثارت القبائل التركمائية فيما وراء النهر ، وقضى فى عهده على الدونه الطولونية بعصر بمقتل آخر أمرائها وهو هارون بن خمارويه سنة ٢٩٧ هـ • وحدثت قلائل على الثغور الرومية ، وقد ترفسى المكتفى سنة ٢٩٠ هـ •

وتولى المقتدر بعد المكتفى ، ويقولون انه رد للخلافة بهاءها ، ولم يحفظ مال الخلافة على كثرته ، وما كان بين يديه من كنور أيانه فأنفقه باسرافه ، وقتل في أيامه الحلاج سنة ٢٠٩ وقوى نفوذ الحمدانيين أمراء الموصل ، وحدث النزاع بينه وابن المتن على الخلافة ، وأمكنه الاحتفاظ بها دونه وقتل ابن المعتز - وكان القائد المسيطر على دولته مؤنس الخادم ، وقد كانت نهاية المقتدر على يد أحد أعوانه -

وكان المقتدر آخر الخلفاء العباسيين في هذا القرن الثالث واستمرت خلافته حتى عام ٣١٧ هـ -

ويبدو مما عرضنا من أحوال الخلافة ذلك الإضطراب الشديد الذي أصابها ، وكان من أسبابه زوال هيبة الخلفاء بتولى بعضهم منقار السن ، واستكثارهم من الخدم الاتراك والجنود المرتزقة ، وقد بدأ بهذه السنة المعتصم، وكان جند الاتراك وقادتهم من أسباب كثير من الاضطرابات وكانوا يشيرون على الخلفاء ويقتلونهم ، ويشهرون بهم على صورة تسقط من هيبة الخلافة ومكانتها في نفوس الرعيبة -

ومما زعزع الخلافة كذلك كثرة الثورات في أتحاء الدولة الاسلامية في المشرق بين علوية ، وبابكية ، وصفرية ، وفي سواحل الخليج والبصرة والكوفة بدين ثورة الزنج الى ثورات القرامطة - وكان العامة في يغداد وغيرها من العواصم كثيرا ما يشيرون الشغب ، ويصطدمون بالجند ، كما أن الجنود المرتزقة كثيرا ما طالبوا بأرزاقهم ، وتأسروا ضيد الخلفاء مع قادتهم وأمرائهم -

وقد انتهاز بعض ولاة الاقاليام فرصة ضعف الخلافة ، فأقاموا دولا مستقلة ، أو قطعوا الاموال عن الماصعة ، وخطبوا لانفسهم ، وسكوا النقود بأسماتهم كالطولونيين قلى مصر " وقام قلى البين ومكة بعض الطالبيين "

وقد أدى تغلب العناصر غير العربية من فسرس وتسرك على الخلافة والسلطة الى تسورة المناصر العربية على دولسة الخسدم

والمسوالي فيني بقداد • وكان من أبوز أمراء العسرب الذين خرجوا على الدولسة نصر ابن شيث وآل حمسدان بالموصل •

وكانت دعوة ابنشيث في شمالي العراق قائمة على أساس الانتصار للعرب • وكان يقلول : « انعا حاربت بني العباس معاماة عن العرب ، لانهم يقومون عليهم العجم » •

وهكذا كان القرن الثالث الهجرى عصر بدر بدور الفتئة التي انهكت الخلافة المباسية وهدمت أركانها ، وكان القرن الرابع متمما لهذا القرن الثالث ، مبمثا للاضطراب الشديد في كل مكان -

### العيساة الاجتماعية

كان المجتمع البغدادى مجتمعا خليطا من أجناس مختلفة بين ترك وعرب وروم وقرس ، ولسم تكن السيادة قيمه للمرب ، وإن ظلوا يحتفظون لانفسهم بمراكن السيادة والقيادة فيما عدا قيادة المسكر فقد نخلوا عن معظمها للترك وكانت طبقة القواد من المخدم أمثال بقيا ومؤنس وأشباههم واحتفظ المرب يمرائب الوزارة ، وكانت منهم جماعة من كبار الوزراء أمثيال محمد بن عبد الملك الزيات ، وأحمد بن أبى دؤاد ، وأبى الصقر ابن بلبل وكندا ما يتقدم هذلاء بالكتابة الرحاني المنادة ، ما بن ما بن

وكثيرا ما يتقدم هؤلاء بالكتابة الى جانب الوزارة ، بل ان الكتابة والوزارة كانتا متلازمتين .

وقد قام المنصر المربى فى هذا القرن الثالث يكشير من الثورات فى أنحام الجزيرة المربية والمدراق والشام وأدرك المباسيون الثنافريين العرب، وتقيلهم بين الشيع والاحزاب واختلاف أهوائهم، فشجعهم ذلك على التمكين لملكهم بضير العرب وقد سأل عربى بالشام المأمون عن سبب اعتماده على الغرس تقال : « يا أمير المؤمنين أنظر الى عرب الشام كما نظرت الى عجم خراسان » وال المأمون : « أكثرت على يها أخها الشام، والله ما أنزلت قيما عن ظهور الحيل الا وأنا أرى أنه لم يبق فى بيت مالى درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتنى قط، أما قضاعة فانها تنتظر السفياني وخروجه، فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فسأخطه عملي الله عن وجل مد بعث نبيه سلى الله عليه وسلم في مضر ، ولم يخرج اثنان الا خرج أحدهم شاريا وعرب فعل الله يك » والم يخرج اثنان الا خرج أحدهم شاريا وعرب فعل الله يك » و

وكثر المحوالي والرقيق من الحصوب والتجارة ، وتعددت أجناسهم ، واختلطوا فيما بينهم وامتزجوا بالعرب ، فولد منهم الهجناء ، وكاثوا يسمون أبناء الاماء والسرارى كذلك يقول أحد الشمراء :

ان اولاد السراري كثروا يسادب فينها دينان المخلفسي بسادد لا ارى فيها هجينا

وظهر من شعراء هذا العصر والعسر السابق من الهجناء من يرح وتفوق في الشعر وبلغ مرتبة المقدمسين كالحريسي ، وأبي

تواس ، وابن الدومي ، كما تولى من غسير العرب ، او من الموالى مراتب الدولة العليا كالكتابة والوزارة -

وعرفت كل جماعة ، واشتهر كل جنس من الاجناس التى كونت المجتمع المباسى آنذاك بالمهارة في صناعة أو حرفة بعينها ، فاليونان عرفوا بالحكمة والادب ، والسريان عرفوا بالطب والنتجيم ، والنبط عرفوا بالزراعة ، وعرف الترك بالبصر بالحرب وآلاتها والمهنود بالحساب والنجوم وأسرار الطب والخرط والنجر والتصاوير ، واليمن بالتجارة ، وأهل السند بالصيدلة ، واحتفظ العرب بالاشتفال بالادب والشعر ، وقيافة الاثر وحفظ الانساب ، واليصر بالخيل والسلاح ، والحفظ لكل مستوع ، فلم تكي مهمتهم التجارة ولا الفلاحة ، لخوفهم من صغار الجزية ، تكي مهمتهم التجارة ولا الفلاحة ، لخوفهم من صغار الجزية ،

وكان القرن الثالث قصة الحضارة التي بلنتها بضداد، وقصة الترف بما صب فيها من الاموال، وتجمع اليها من أقاليم الدولة الاسلامية في الشرق والغرب من الخيرات، وبدت مظاهر الترف في كل جانب من جوانب الحياة البندادية - لم تقتصر على علية القوم، وسراة الناس بل غلبت كذلك على عامتها، وانمكس الترف على طبائعهم، وعاداتهم، وطرائق سلوكهم ومعيشتهم -

ومن مظاهرالترف المادية كثرة القصور الفارهة ، التي تأنق فيها بناتها ، فوشوها بمختلف أنواع الزينة والزخرف ، وزينوها بأصباغ الذهب والفضة ، وأعلوا في بنائها وأحاطوها بالحدائق ، وأجروا اليها الانهار ، وحفروا فيها البرك وأحواض المياه وجلبوا البها الاسماك بأنواعها بهجة للمتنزهين "

ومما جاء من بديم وصف القصمور أوصاف البحصرى للجعفرى ، والكامل من قصور الخلفاء • يقول في الكامل :

ذعس العمام وقد ترنم قوقه رفعت الفترق الرياح ساموكه وكان حيطان الزجاج بجوه وكان تغويف الرخام اذا التقلي حياك الغمام رصفن بين منس نيست من الذهب الصقيل سقوقه فترى العيون يجلن في ذي دونق

من منظر خطر الزلة هائل وزهت عجائب حسنه المتخايس لجج يمجن عبلي جنوب الساحل تأليف بالمنظر المتقابل ومسيد ، ومقارب ، ومشاكل نورا يشيء على القالام العاقل متنهب العبائل ، انيق الساقل

وكانت تلك القصور حافلة من الداخل بأنسواع العيساة الزاهرة، تعمرها الجوارى والغلمان يأزيائها الجميلة ، وتتجمل قاعاتها بالفرش والطنافس ، ويؤمها السادة ، والقادة ، والعرس والخدم ، وكلهم في كامل البهجة ، وتمام الرونق "

وتعقد مجالس الغناء ، وتتزين الجاوارى المغنيات بأيهى زى ، من ثياب مصبغة وموشاة ، عاقدات على الرءوس الممائم تتدلى منها السنايل الذهبية • وصف أحد مجالس الواثق فقيل ان وأحد الشعراء أدخل المردار مفروشة المععن ، ملبسة الحيطان بالوثبي المسنوع بالذهب ، ثم أفضى الى رواق أرضه وحيطانه ملبسة يمثل ذلك ، واذا بالواثق في صدره على مرير مرصع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، والىجانيه فريدة المغنية عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود » •

وقد كانت الجوارى والغلمان زينة قصور الخلافة ، وعلية القوم ، وكن يكسبن الحياة البهجة ، بظرفهن وجمالهن ، وغنائهن ٠

و تعفيل كتب الادب بالحديث عبن الجدوارى والفلمان ، وأزيائهن وأحاديثهن ، وظرفهن ، وكانت الجوارى والغلمان من لوازم القصور ، ومجالس اللهو والسمى ، واختلفت جنسياتهن ، وعلمن ، وثغفن ، وثقن قول الشعر والغناء و وكانت الواحدة منهن تقوم بما تملك من قدرات في حفظ الشعر والغناء وحسن الحديث والمسامرة ،

وكان منهن الهنديات والسنديات والمكيات والمنيات ، والمحيات والمنيات ، والسودانيات ، والارمنيات ، والارمنيات والتركيات والباحظ في رسالة الجواري والغلمان الى ميزة كل جنس منهن ، وما يتفوق فيه ،

وتكاثر اهل السراء بما يملكون من الجدوارى والغلمان ويروى أن المتوكل جمع في قصره أربعة آلاف سرية من أجناس مختلفة ودخل أحمد بن صدقة على المأمون في يوم الشعائين وبين يديه عشرون وصيفة جلباء روميات ، مزنرات قد تزين بالديباج الرومي وعلقه في أعناقهم صلبان الذهب ، وفي أيديهن الخوص والذيتون ، فقال له المأمون : ويلك يا أحمد ! - قد قلت قدى هؤلام أبياتا فغنني فيها ثم أنشد :

مسلاح في المقاصيين علينا في الرنسانع كاذنساب الزرازيسس كاوسساط الزنسايس

ظبهاء كالدنهاني جلاههن الشعانهين وقد زرفن اصداغها واقيلهن باوسهاط

وأشاعت الجوارى جوا من الاناقة ، ودماثة السلوك بين الناس ، واشتهرت بنداد بالظرف والظرفاء ، وكان من سحات الظرفاء ، أناقة اللباس وجمال المظهر ، ونظافة الهندام ، وحسن المعشر ، ورقة السلوك ، ولياقة الحديث - ويؤلف الوشاء كتابا في سمات الظرفاء يسميه المرشي -

وقد خست في بغداد أحياء للخلفاء والاساء وعلية القدوم تقوم بها قصورهم ، وتزدهر حدائقها تطل على دجلة ، فيكو ناهم المراسي ترسو فيها أنواع المراكب كالحراقات وغيرها ، ويتخذون لها صور الحيوان والطبي ، ويعقدون فيها مجالس السمر والغنساء والشراب ، وتمخر بهم في ليالي بغداد أو فسى الاعباد وقد زينت بمختلف ألوان الزينة -

وتمن مواكب الترف والرفاهية تمخر عباب النهن ، وتثلالاً أثرارها على مياهم ، وتزدهى القصور حولمه مشرقة بقبابهما وأبراجها تعكس صورها على صفحة الماء .

و تملأ شوارع أحياء بغداد المترفة الجوارى ومراكب السادة بالتقوش، وكانت البغال مراكب من خيل مطهمة وبغال مزدانة

أصحاب القلم غالبا من الكتاب وأشباههم ، أما الخيل فكانت مراكب أصحباب السيوف •

تلك حياة أحياء الاغنياء وللفقراء أو الطبقة الوسطى في بغداد وضواحيها أحياء عامدة بالحياة ، من أشبهرها الكدرح وطيرتاباذ ويئي \*

يقول المقدسى : « أعدر موضع بها قطيعة الربيع والكرخ في الجانب الغربي » • وكانت الكرخ متنزها مشهورا ، يقول على بن الجهدم :

سقى اش ياپ الكرخ من متنزه مساحب اذيال القيان ومسرح ال لو أن امرأ القيس بن حجر يعلها

الى قصر وضاح فبركة زلزل حسان ومثوى كل خرق معدل الأقصر عن ذكر الدخول فعومل

وسكن الكرخ من المشهورين أبو دلف العجلي أحد ممدوحي أبي تمام وكثير من شعراء العصر وكانت آسواق الكرخ عامرة بمختلف السلع ، وتعمر دكاكيتها بطرائف الثياب ، ويحمل التجار من كل مكان أجمل ما في الاقاليم من بضاعة ينفقونها في مدينة السلام ، ويحمل تجار الروس فراء الثمالب وغيرها من الجلود الثمينة ، وتحمل البها السيوف الهندية من الهند وجرجان ، ويحمل البها التصر من البعرة ،

وتحفل الدروب بأنواع الباعة وصناع الطمام من صانعي الزلابية ، أو الرقاق ، أو السمك وما اليه • وقد جاء ذكر هذا كله في شعر المصر •

وتعددت دور اللهو في أحياء الكرخ وغيرها ، وكان أصحابها من أهل الذمة والكتابيين من اليهود والنصارى ، وتقدم في تلك الدور أتواع الشراب ، وتغني المغنيات أو المغنون وتعزف الموسيقي ويؤمها أصحاب الخلاعة واللهبو -

وتتجمل بفحاد والعواصم العراقية في الاعياد بأيهي زينة ، ويخرج الناس زرافات متجملين وقد أخف المسرب المسلمون عن الفرس بعض أعيادهم كعيد النوروز وهو رأس السنة الفارسية ومعناه اليوم الجديف وكان الناس يعتقلون أجمل احتفال ، كذلك احتفلوا بأعيماد النصاري وشماركوهم قيها مثل عيد الشمانين ، وكانوا يخرجون الى الاديمرة خارج المدن ، يمتعون أنقسهم بمناظر النصاري يحملون أغصان النخيمل والورود ويسيرون في مواكب من والى أديرتهم وكم تغنى الشمراء بهذه الاعياد وتقزلوا بفتيات وفتيان النصاري في كنائسهم وأديرتهم أنه بثلك الاعيماد وتتواور وختيان النصاري في كنائسهم وأديرتهم

وكانوا يهتمون بأعياد الربيع ومواسم الزهور ، ويحتفلون لها أشد احتفال ، فيستقبلون الورد عند بدء تغتجه ، ويحملونه مهنئين يه ، وقد شغف المتوكل بالورد ، وكان يحلى مجالسه به ويهب الجوائل لمن يبشره بظهوره \* واذا ظهر البنفسج داروا به في الاسواق ، وتجملوا عليه \*

ويقول المقدسى : و وفي اخلاقهم وطاء ، وهم أهل الظرف ، غير أن العيارين اذا تحركوا ببغداد هلكوا » • وقد كانت للعيارين والشطار انتفاضات كثيرة ببنداد ، وظهرت هذه الطبقة فكانت من سمات المجتمع البغدادى ، وهي طبقة تجمع بين سمات (الفتوة) و (البلطجة) لها نظمها وتقاليدها ، ونقوذها في الادساط والبيئات الشعبية ، وجاء ذكرهم كثيرا في الادب شعره ونثره ، ووردت تنوادرهم وحكاياتهم كذلك عند بعض أصعاب النوادر وفي كتب المعاضرات ،

وقد نهضت الموسيقى والغناء نهضة كبرى ، واشتهر جماعة من كبار الموسيقيين والمغنى والقيان ، ومن أشهر هن عريب ، وقد يلغ ما صنعته من الغناء ألف صوت جملته في دفاترها وصحفها •

# العيساة الفكريسة والثقافيسة

جمعت بضداد بكونها عاصمة للدولة خصائص كثيرة من المواصم الاقليمية ، فاستقطبت علماءها ومفكريها ، وصناعها ، وأدياءها ، وكان موقع بضداد على نهسر دجلة أقسرب إلى التأثير الفارسي ، وقد كثر الفرس ومن ينتمى الليهم من المسوالي - أو المولدين في المجتمع البغدادي ، وظهرت آثار العضارة الفارسية غالبة ، ومناهضة للعضارة العربية ، وامتزجت العضارتان في يوتقة الاسلام لتظهر منهما حضارة السلامية مطعمة بعناصر أخرى يونانية وسريانية وضرها -

وفي حديثنا عن مصرى المراق الكبيرين البصرة والكوفة ، وما طبع كلا منهما من خصائص تميزه عن الآخر ، وقفنا على دور

البعمرة في تنويع الثقافة العربية ، واثراء الفكر الاسلامي بأنواع مع الثقافات المختلفة نتيجة تنوع عناصر السكان بالبصرة ، وكونها على شط العرب ثفرا يفد اليه الناس من كل مسكان - وقد كان مقابلا لها اقليم الاهواز الفارسي ، وقد ورثت البصرة ثقافة وفكرا يونانيا مما خلفه اليونانيون في مستعمراتهم الشرقية ، وتوارثته الاجيال من سكان البلاد ، والنصاري من أهل العراق والنساطرة وغيرهم ، فغلبت عليها الثقافة اليونانية ، وأثرت الفلسفة والمنطق على علمائها ونتاجهم العلمي في جوانبه المختلفة الماسرة أول مدرسة فكرية اسلامية تأخذ بالفلسفة والمنطق ، وشرائع المعقل في يحوثها ومناظراتها تلك هي مدرسة المعتزلة ، أو فرقة المعتزلة كما تسمي أحيانا في كتب التسراث .

كذلك ظهر الاتجاء التقنيني في الدرس اللغوى ، ونشسأت مدرسة القياس البصرية في النحو يتزعمها سحيبويه مساحب و الكتاب المشهور ، وظهر في الادب الاتجاء الواقعي الاجتماعي، الذي يعرض لصور الحياة الجارية ، كما ظهرت الاتجاهات المتحررة التي تدعو الى التحرر من القيود والقيم التقليدية والمتوارثة، وقد عرفت هذه الاتجاهات بالزندقة سواء أكانت زندقة غكرية أو اجتماعية ، وكان أثرها على الادب واضحا فيما عرف بالمجون أو باتجاه جماعة الزنادقة ، أو عصبة المجان ، وقد يصدأ هذا الاتجاه عند بشار بن برد ، ومضى فيه فرقة من شمعراء

البصرة أمثال مطبع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، وأبى نواس ، ووالبة بنالحباب وكانت نتائجها في الشمر الدعرة الى ترك بعض التقاليد في بناء القصيدة كالمقدمة والوقوف على الاطلال ، ودكر الرحلة والراحلة - والاستعاضة عنها بمقدمات مناسبة للمصر كالغزل العصرى ، أو ذكر الخصير ، ووصفها أو البدء مباشرة بموضوع القصيدة -

وكان شعراء الفرس أول من دعا إلى هذا الاتجاء ، وارتبطت دعوتهم بالشعوبية ، وهي الحركة المعادية للعرب •

وصاحب هذا كذلك الاتجاء الى الصنعة ، والبديع ، والجدير بالملاحظة أن رواد شعراء الصنعة جميعاً كانوا بصريان ، فبشار وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، والعتابى كل هؤلاء كانوا من البصرة ، وكلهم كانوا ممن يجمعون الى الشعر العلم ، بل كان يقال ان الشعر أقل بضاعتهم • واذا كان لهذا دلالته ، فان معنى مصاحبة اتجاء البديع للعلم ، هو أن الاهتمام بالعلم ، وتحكيم العقل ، والاخذ به في تثقيف الشعر والصنعة البديمية كان ظاهرة بمعرية • وهو نتاج لتلك البيئة العلمية الآخذة بمقاييس العقل والاعتماد عليه •

كذلك كانت الكتابة والغطابة تأخذ بمقاييس المنطق والمقل، ولم ثعد الخطابة مجرد كلام يلقى ، ، عماده الزخرف ، والسجع ، وجمال العبارة ورصانة المنطق وقصاحة اللفظ بل كان عمادها

الاقتاع المقلى الى جانب الاقتساع الحسى أو العاطفى ، ومن هنا ساد أسلوب الجدل والحجاج "

وكان المعتزلة قادة هذا الاتجاء الجديد في الخطاية ومنهم واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد والشار بشار بن برد الى قرة عارضة واصل في الخطب وعلموا ناشئتهم الجدل والحجاج والاخت بآسياب المنطق والفلسفة في الخطاية والجدل ليواجهوا أعداء الاسلام والمعارضين ممن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين ممن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين ممن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين ممن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين ممن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين ممن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجج المقل الاسلام والمعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجم المقل المعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجم المقل المعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجم المقل المعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجم المعترب المعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجم المعترب المعارضين مدن يوجهون مطاعنهم قياسا على حجم المعترب المعارب الم

وشاع اتجاء الواقع والمقل في أدب الادباء ، وبدأت الكتابة التي تعرض لمشكلات الحياة والمجتمع ومعاولة تحليلها وتعليلها بناء على الاسباب والنتائيج ، والتجربة المملية والمشاهدة ، وظهرت آثار هذا كله في مؤلفات كاتب بصرى مشهور هو أبو عشمان عمرو بن بحر الجاحظ -

تلك اذا كانت حال البصرة وآثارها على الفكر العربى والاسلامي ، ونتائجه على الادب البصرى في القرن الماضي الثاني الهجرى ، وانتقلت الثقافة البصرية والفكر البصرى والادب البصرى الى بنداد العاصمة ٠

وكانت الكوفة بمكوناتها الجنرافية والتاريخية مختلفة عن البصرة ، فأد آثرت بيئتها وموقعها على حافة الصحراء ، على عزلتها ، فلم تكن مدينة مفتوحة كالبصرة ، وأحاطت بها الاديرة المسيحية التى حافظت على الموروث الديني والفكرى المسيحي الى

جانب مخرون ثقافى وعلمى مسا يحتفظ به رهبان الدير وقساوسته ، وكان هذا كله ذا أثر على فكر الكوفة قنمت يها الاتجاهات الواقية التى تعتزل الحياة بمظاهرها المترفة وترى السعادة فى التأمل والحياة الاخرى حياة الروح لا حياة الجسد ، وابتعدت الكوفة لهذا عن الاخذ بمنطق المقل وقياسه السارم ، وحكمت الفلسفات الغيبية ، واتجهت الى الباطنية ، والغيبيات دون الواقع والتجربة ، والتسليم بالموروثات دون الاجتهاد ، والتلقائية والفطرية دون المسنمة والتكلف .

ومن هنا بدت في ثقافتها العربية تأخذ بالسماع ، والنفل عن العرب ، والتسليم بما يروونه عن الثقات في اللغة والنحر ، واعتبار السماع من العرب هو الاصل ، على غير حمال البصريين الذي جعلوا القياس هو الاساس والخروج على القاعدة حتمى لو كان صحيحا سماعا هو الشاذ وكان التقنين مماد العلم البصرى، على غير الحال لدى الكوفيين الذي سلموا بالنقل \*

وقد كان لهذا آثره في علوم التفسير ، والفقه ، والمقائدة والفرق المناهبية ، فلم يظهر الاجتهاد العقلي واضحا في علم الكوفة وتفسير مفسريها بل مالوا الى التفسير المأثور أو الغيبي والمعاطفي، وشاعث عقائد العلوية الباطنية بالكوفة ، ووجدت في بيئتها مرتما خصيا على مدى القرنين الثاني والثالث ، وحتى نهاية القدرن الرابع "

وفسى الادب كانت الاتجاهسات الطوية والشيعية غالبة على

الكوفة ، وكان الطبع وعدم التكلف سمة المسعولم المبارزة ، كان منها السيد الحيرى ، وأبو المتاهية ، واشتهر تيار المزهد والمختلف بموروثها المثقافي والمقدى المسيحي وغيره •

وانتقلت الثقافة الكوفية كذلك بمقوماتها الى بغداد

وكانت بفداد باعتبارها الماصمة الجديدة للدولة العباسية تخط لنفسها اتجاها يجمع بين كل الثقافات وتصب فيها كل التيارات - وقد بدأ القرن الثالث في بغداد بعصر المأمون ، وكان رجلا طلعة يحب العلماء والمفكرين والادباء والمترجمين ويشجعهم -

وقد كان المنصور جلد المأمون كلمًا يملم الفلسفة والنجلوم فلما أفضت الخلافة الى المأمون تمم ما يدأ به جده المنصور ، فأقيل على طلب العلم في مواضعه ، وداخل ملوك الروم ، وسألهم صئته بما لديهم من كتب الفلسفة ، فبعثوا اليه منها ما حضرهم ، فاستجاد لها مهرة التراجمة ، وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن - تم حرض الناس على قراوتها ورغبهم في تعليمها وتعلمها » (1) -

يقول صاحب تاريخ مختصر الدول :

ويأنس بمناظراتهم ، ويأنس بمناظراتهم ، ويأنس بمناظراتهم ، ويأنس ويأنبذ ، يمدّاكراتهم علما منه بأن أهل العلم هم صفحوة الله من خلقه ،

<sup>(</sup>١) - تاريخ مختصر الدول ، طبع بيروث ، ص ١٣٦ -

ونخبته من عباده ، لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل قضائل النفس الناطقة » (١) •

واشتهر جماعة من علمام المنجمين ، وألغوا الكتب والازياج، واشتهر من بينهم آل نويخت ، ومحمد بن موسى الخوارزمي . وأقيمت المراصد بيفداد ودمشق لرصد النجوم .

وكان من الحكماء يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المآمون ، كان أمينا على ترجمة الكتب الحكمية (الفلسفية) ، وكانت الفلسفة أضلب عليه من الطب (٢) \*

ومن الاطباء فسى عصر المأمون سهل بن المورويعرف الكوسج ، ويوحنا بن ماسويه ، وجيورجيس بن بختيشوع ،

وقد شجع المأمون المعتزلة وأصحاب الكلام وتبسه قسى ذلك خلفاؤه المعتصم والواثق ، وحدثت في عصر الواثق محت خلق القرآن ، وحبس أحمد بن حنبل ، وجاء المتوكل فأطلق ابن حنبل من حبسه ووصله وأمر بترك الجدل في القرآن ، وأن التسمه بريئة ممن يقول بخلق القرآن .

وتعلق شباب المثقفين ، وناشئة الادباء بالثقافات الواقدة من يونائية وقارسية وغيرها ، وآخذوا بأسباب المنطق والفلسفة ، الى تعليمها ، وقد لاحظ ذلك

<sup>(</sup>۱) تاريخ مختصر الدول ، س ١٣٦٠ ٠

<sup>(</sup>٢) المسدر نفسه، س ١٣٨٠

عليهم ابن قتيبة فنمى هذا الاتجاء واسف له في مقدمة كتاب أدب الكاتب و قدال :

و وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئًا من تقويم الكواكب وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعين ، وهو لا يعرف معناه • وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله وقد رضيعوضا من الله ومما عنده بأن يقال : قلان لطيف • وقبلان دقيق النظير ، يدهب الى أن لطف النظر قد آخرجه عن جملة الناس ، وبلغ به علم ما جهلوه ، فهو يدعوهم الرعاع والغثاء ، والقمر ، وهو لممر الله بهذه الصنفات أولى ، وهي به أليق ، لانه جهل ، وظن أن قد علم ، فهاتان جهالتان • ولان هؤلاء جهلوا ، وعلموا أنهم يجهلون، ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الاسلام برايه نظس من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدى ، وبلج اليقين - لكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب ، وفي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته • وفي علوم العرب ولفاتها وآدابها ، فنصب لذلك ، وعاداه ، وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون ، وقل فيه المناظرون له ترجمة تروق يلا معنى ، واسم يهول بلا جسم -فاذا سمع الغمر والحدث النو قوله الكون والقساد وسمع الكيان ، . والاسمام المفسردة ، والكيفيسة والكمية ، والزمسان والدليل ، والاخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الالقماب كل فائدة ، وكل لطيقة ، فاذا طالعها لم يقن منها بطائل ، انما هو الجوهن يقوم بنفسه ، والمرض لا يقوم بنفسه » -

ثم يقول: « ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائل الكلام في الدين والفقه والفرائض والتحر أمد نفسه من البكم ، أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لأيقن أن للمرب الحكمة وفصل الخطاب » •

وقد دافع ابن قتيبة في هندا الحديث عن الثقافة المربية الاسلامية ضد تلك الاتجاهات اليونانية الممثلة في علوم الطبيعة والحكمة والفلسفة التي استهرت شباب عصره .

وكان أهذا المراع الفكرى والمقدى بين الثقافات المختلفة يعضها وبعض ، وبينها والثقافة العربية الاسلامية أثسر واضح على الادب شعره ونثره ، وقد شبه الدكتور طبه حسين المراع بين الثقافتين الفارسية واليونانية ، في عصر المأمون وما بعده بالمعراع بين الثقافتين الفرنسية والانجلو سكسونية في عصرنا العديث -

وقد ترجم في هده المرحلة من كتب العلوم والآداب عن الفارسية واليونانية ، وكان قد ترجم قبل كتب في هذا الميدان على أيدى اين المقفع ككليلة ودمنة ، وقد تظمها أبان بن عبد الحميد شدرا ، كما ترجمت بعض كتب أرسطو ككتاب الحيوان ، وحد المنطق ، ، و والشمر » وكان لكتاب الشمر الذي عرفه العلماء في القرن المثالث هو وكتاب الخطابة أشرهما في البلاغة وعلوم المنقد منذ هذا القرن ، وربما تأثر غير واحد بهما من أمثال الجاحظ وابن طباطيا وقدامة بن جمغر ،

ويرجع بعض الباحثين آثار هذين العملين الخطابة والشعر الى ما قبل ذلك ، وعلى أية حال فقد ساعد هذان الكتابان وغيرهما على تكويق مفهوم عام للحدود التعبيرية او لفنون التعبير وصسور الكلام ، ويقال ان حدود قدامة بن جعض وتصوره المسام للشعر من خلال تقسيماته يرجع الفضيل فيه الى ارسيطو ، لكن كتاب الشعر لم يبرز في دراسات مباشرة ، ولم يشر اليه علماء المسلمين صراحة الا في القرن الرابع للهجرة وما بعده في ترجمات عربية أو تعريفات وتطبيقات ومقارنات أمشال ابن سينا والفارابي وابق رشد من فلاسفة المسلمين ومفكريهم ،

وقد أثرت المناهب الفكرية والمقدية في الشعر والكتاية ، فكان من الشعراء والكتاب من عبروا عن تيارات فكرية أوعقدية بعينها، وكانوا لسانها الناطق من أمثال على بن الجهم الذي كان شاعر أهل السنة ، ودعبل الذي كان لسان الشيعة والعلوية ، ولم يقف غيرهما من الشعراء جامدين حيال تلك التيارات ، بل نجدها قد تسللت الى أشدمار بعضهم بصدورة أو أخرى كالبحترى وابن الرومي .

وكان من الكتاب والمفكرين من أهل الكلام والاعتزال أمثال بيشر بن المعتمر ، والنظام وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وابح أبى درًاد ، ومحمد بن عبد الملك الزيات - كذلك كان من المتصريق للسنة والعرب من الشمراء والكتاب أمثال البحترى وابع قتيبة ،

وقد كان البحدى يكره المناطقة ، وادخسال الملوم العقلية والقلمية الى الشعر ، فقال :

كلفتمونا حسلود منطقكم والشعر يفنى عن صدقت كذبه ما كان ذو القروح يلهج بالتسسيعاق ما أصله وما سببه

ولكن المنطق وعلوم الفاسفة والكلام أدت خدمات جليلة للادب عاملة ، وفنى الكتابية والشعر خاصلة ، دلك أن الخطب والرسائل اتخدت سعات معينة ، وصارت لها مقدمات ونتائج ، ويؤخذ فيها بنظام خاص تقدم فيه بين يدى الموضوعات استهلالات أو افتتاحيات مناسبة بها تنام عليها أو تمهد لها ، شام يسطت الموضوعات بسطا وقسمت أقساما ، تسلست فيها معانيها بعضها تلو بعض ، ويأخذ احدهما بوئاق الآخر ويؤدى أولها الى تاليها ، شم ختمت بخواتيم مجملة للقول كله، وموجزة لنقاطه وموضوعاته .

وبنى الشعر بناء الرسائل ، ولم يعد أبيانا مهملة ولا سطورا مفرقة تجمع بينها القافية ، بل ظهرت له وحدة موضوعية : ويناثية متكاملة ، في المعانى والالفاظ ، يتولد بمضها من بعض ، ويؤدى بعضها الى بعض حتى نهاية القصيدة .

وقد نهج هذا النهج وأبدعه ، وكان علما فيه لا يبارى ابن الرومي ، وهو المبدع حقا في يناء القصيدة ونهجها ، وطريقة تناول معانيها • واذا كان أبو تمام قد ابتدع طريقة التضاد والتقابل واستخدمها فنا تمبيريا في شعره حتى غلب عليه ،

وأغرق في تطويع المبديع لافكاره ومعانيه ، فأن ابن الرومي قد امتاز بالبناء والتصميم المتماسات لقصيدته -

وهكذا ، أضفت الثقافات المنوعة على الادب في هذا القرن الثالث حيوية ، وعمقت معانيه ووسحت جوانبه ، ولم يتتصر تناول الشعراء على المعانى التقليدية المتداولة في الشعر القديم ، يل جدت معان أخسرى مستحدة مسن تلك الثقافات المتنوعية ، واعتمد بعض الشعراء على المعاني المقلية العميقة المعتمدة على المعرفة ، ولم يكتفوا بالمعانى الظاهرية المطروقة •

وغنيت اللغبة بزاد من اللفظ الدخيل والمعرب من أصول غير عربية فارسية ويونانية وسريانية ، يعضه من مصطلح العلوم والحضارة ، وأسمأء الاشبياء من منجزات تلك العضارات التي أمتزجت بالعربية مادية كانت أو معنوية - وبعضه من اللفظ الجارى في الحياة العادية لاختالاط تلك العناصر الفارسية واليونانية والتركية والنبعلية بالعنصر المربى ، وتداخلهم فيهم، فغلب على لفة الكلام والتفاهم كثبير منها ، ونقلها الكتاب فيما كتبوا من نوادر وحكايات ، وفيما صوروا مع حياة المجتمع ، أو تسريت تلك الالفاظ عن طريق أصحابها معن الفيوا باللغة العربية .

### الشعر والشعراء

## الاتجاهات القنيسة فسي الشعر

في القبرن الثالث الهجرى نمت الاتجاهات الفنية المجديدة التي عوفهما الشمر العربي في القبرن الثاني وهمي من حيث الموضوعات شعر الزهد ، وشبعر الفلسيفة ، والحكمة ، وشعر القصص العلمي ، والشعر المتملق يصور الحضارة والحياة المدنية ، والشعبي -

واستمرت المرضوعات التقليدية كالمديح والهجاء والفخير والغوّل والوصف والاعتدار، إلى جانب الشعر السياسي، المذى ظهرت بشائره منذ صدور الاسسلام ، وشسعر الفسرق والشعر الديني التعليمي \* والمثنوي في منظومات العلوم \*

ومع الناحية الغنية فقد دخيل القصيدة تعديلات من حيث الشكل والبناء ، فلم تعد المقدمة التقليدية على صورتها المتوارثة على ما كان الحال عليه في شمر القيرن الثاني ، بل أخذت طابعا آخر فيه تغير ، وتشبكيل جديد مغايس لما كانت عليه المقدمة الطلاية أو الغزلية عند الشعراء المقلدين و فصارت المقدمة صورة أو رمزا نعطيا ، لا يفصل فيه الشاعر ، ولا يطبول نفسه بل أصبحت كالحلية الجميلة الغالية بعراقتها تعلق على رأس القصيدة ، وقد رأى ابن قتيبة أن تظل المقدمة كما هي دون تعديل بالوقوف على الاطلال ، وان لم يكئ ثمة أطلال في حياة

الحضر في بضداد ، ولم يجز أن يستبدل بها الشعراء الوقوف على البساتين الناضرة والديار العامرة ، مجازاة للحياة الجديدة، لتظل سمة عزيزة ، هي رمز ، وحلية عريقة أكثر منها لازمة لمرضوع الشاعر أو غرضه -

وقد أعرض عنها كثير من شمراء العصر بالدخول مباشرة الى موضوعاتهم أو البدم بالغزل والوصف ووصف الطبيعة خاصة أو ذكر مجالس الخمر والغناء ، أو ضمهما مما ، وريما مزج الشاعر المناصر الثلاثة : الطبيعة ، ووصف مجالس الخمس والغناء ، والغسزل • وقد أصبح هذا المزج سمة لكثير من مطالع القصائد من بعد في القرنين الرابع والخامس وسا بعدهما • وتمسك الاندلسيون بذلك وألحوا عليه في شعر القرن الرابع وما بعده •

ومن حيث البناء ، فقد حرص ابن الرومى على بناء قصيدته يناءا واحدا متكاملا ومتصلا لبناته ، فعاد للقصيدة تلك الوحدة المتصلة في الشكل والمضمون ، ولم ينفرد ابن الرومى وحده بهذا العمل ، بل شاركه فيه غيره من معاصريه كأبى تمام والبحترى ، وان كانت هذه الظاهرة غير مطردة الاعند ابن الرومى •

ومال الشعراء الى الاكتبار من استخدام البحبور السهنة المخنيفة ، ومجزوءات البحور ، كما نظيم بمضهم المسمطات ، والمخمسات ، والمثنوى ، أو المزدوج ، ومن أشهر مزدوجات هنذا القرن الثالث مزدوجة ابن المعتز التاريخية التى يقول فيها :

#### وكسل يسوم ملك مقتسول: إو خانف مسروع ذليسل

وقد تأثر أسلوب الشعر بحياة الترف والغناء ، فرق ، وسهلت الفاظه ، وكان موضوعا للسعر في مجالس الخلفاء والظرفاء ، ومادة للتسلية والمتعة ، يتناشده النسوم في ساعات الصفو وفي مجالات اللهو ، وكانت بعض المغنيات تصوغ الشعر على الالحان كمريب جارية المأمون والواثق وأنشدت فضل بن حميد معاتبة في مجلس من تلك المجالس شعرا رقيقا فيه تلك الصفات التي ذكرنا . قائت :

يا من أطلت تفرسي في وجهنه وتلفسي افنينك من متدليل يزهنو بقتسل الانفس هبشتي اسات ومنا أسنات ، ينز أقبول أثبا المسي احلفتني أن لا أسنا رق نظرة فني مجلس فنظرت نظرة مخطيء انبعهنا يتفندس وتسبيت أنسي قبد حلف نت ، فما عقوبة من نسي 18

فقام سيدها وقبل وأسلها ، وغنت عريب في هذا الشعر •

وظهر في هذا القرن الثالث اتجاهان واضحان للشعر ، اتجاه أصحاب البديع ، أو الصنعة ، واتجاه طريقة العدرب " ووصف أصحاب البديع بأنهم خارجون على عمود الشعر العربي وطريقة العرب في قول الشعر وذلك أنهم لم يتبعوا المقدماء في التمبير عن معانيهم ، أو في صيافة تشبيهاتهم واستعاراتهم ، وفي بناء قصائدهم ، ومجاراتهم في الوقوف على الاطللال وذكدر النؤى والاحجار "

وحمل لواء هذا الاتجاء البديمي في القرن الثالث أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، وقد تقدم خطوات فيه على ما تركه عليه مسلم بن الوليد في القسرن الماضي ، كان مسلم قسد وضع أمس مناهب البديم ومكن له وكان يبنى شمره بناء محكما ، يمنى فيه يصياغة ألفاظه ، ورصانتها ، وجمالها بما يوقره من جناسات صوتية بين الكلمات والحسروف ، أو الايقاعسات الداخلية في الابهات ، وما يحدثه من قواف جزئية متتابعة ، وما يسوق، من صور متعاقبة في تشبيهات أو استمارات - ومثاله قوله :

لا تدع بي الشوق ائي غير معمود نهي النهي عنهوي الهيف الرعابيب

#### وقولىيە:

كاثبة أمسل يسمعي الي اجسل

موق على مهج في يوم ذي رهج

#### وكقولسه:

نفس النجرواستنار الصبح كالوقد طيفة يه ألفت روحا الى جسب عقيقة ضحكت من عارض بسرد ريع الكري وأقامت كسرة الغلد أحيى البكا ليلة حتى اذا تلفت غائق الشمول فعاطته سمادرها كانهها وسينان الماء يقتلها حتى اذا الراح غامت عنه فترتها

وجاء أبو تمام قلم يتوقف عند احمكام الصنعة ، وملاحقة الجناس في الجرس اللفظي وتوفير الاستعارات والتشبيهات في الميناء المعنوى ، بل أدخل الطبهاق والمقابلة بصهورة ملحوظة ، وحرص على تجاور الاضداد ، والاغراب في المائي ، واقتناص الغريب البعيد معتمدا على التلميسح والرمسز أحيانا ، ومستعينا

بالإشارة أحبانا ، ومستخدما غرائب التشبيهات وبعيد الاستعارات مما لم يؤلف في أقدوال الدرب أو التدراث الشعرى القديدم ، واستخدام مقلوب التشبيه والاستعارة ، واقامة أود المانسي بالحجاج العقلى ، ودعمه بالمثل • كل هذا كان من صنعة أبي تمام أو تصنيعه • ونشر الى أمثلة من مذهبه في أبيات لنقصل بعدها عند الحديث عنه مفردا ٠ يقبول :

> غلت تستجيراللمع خوف توي غد وانقذها من غمرة الموت انبه فاجرى ثها الاشقاق دمعا موردا هي البدر يغتيها توند وجهها ولكنتى للم أحلو وقرأ مجمعا ولم تعطني الايام نومسا مسكنا وطول مقام المرء في الحي مغلق فائي رأيت الشمس زينت معبة

وعاد قتادا عندها كل مرقب صنود فيراق لا صنود تعبيار من الله يجري قوق خد مورد الي كل من لاقت وان لم تودد ففترت بسه الا بشنمل مبسدد ألبذ بنه الا يتسوم مشترد لديباجتيه م فاغتبرب تتعبد الى الناس اذ ليست عليهم يسرمد

ففي هذه الابيات ممظم خصائص اتجاء آبي تعام وصنعته ، وقد قدمناها ، فقيها المقايلات والطباق ، وتجماور الاضمداد ، والصور الشريبة ، والمعانى العقلية المدعسة بالدليل المسادى ، والحسى كما في البيتين الاخرين • وفي قول :

لا تنكروا ضربي له من دونسه مثلا شرودا في النسدي والباس

فالله فتد ضرب الاقبل لنبوره مشلا من الشكباة والنبراس

وقد أدى هذا الاتجاء عند أبي تمام الى معارضته ، وكان على رأس ممارضيه من لم يكن هواهم سع الثقافات الواقدة ، ممن كأن حرصهم على التراث المعربي وتقاليه، مذهبا يدينون به ودينا ٠

وأيده جماعات الكتاب ، والمحدثون من الادياء ، ومن يميلون الى فلسقى الكلام -

ولى مقابلة مذهب آبى تسام فى البديع ، والخروج على طريقة العرب أو عمود الشمر كما يقول معارضوه كان الاتجناء الآخر المحافظ التقليدى ، ويتسم بسمات اعتبروها عناصر لعمود الشعر ، منها البيان والوضوح وسهولة المطلب ، وقرب المآتي ، والبعد عن المنامض والغريب وفلسنى القول ، والاعتدال فبي الستخدام محسنات اللفظ ، ومراعاة الالف ، والمناسبة فيى التشبيهات والاستعارات ، وكان على رأس هذا الاتجاه أبو عبادة البحثرى ،

وقد غلبت على البحترى سهولة مخارج اللفظ وحسن الديباجة، والرونق، وكثرة الماء على حد تعيير العلماء بالشعر ومن ذلك قولسه :

طوالع من سنا بسرق کلیل مشایعه فینک بینه الشبکول وصوب المنزن فی راح شنمول علی ، (لا منینری من عنول طربت بستی الأراك وشوقتنی وذكرنیك ، والذكسری عنساء نسیم الروض فی ریح شسمال عنیری من عنول فیسك ینعی

ويتظم المدئي واللفظ المتداول نظما حلوا ، ويعرضه عرضا جميلا قيشول متغولا :

وجدال العرض حسنة البعدري ، وسيئة أبي تمام سوء عرضه أحيانا ، واعتماده الطباق ، وتعسف اللفظ ، ومحاولته التميي عن معناه على حساب ألفاظه ، ومن هنا كان استواء شعر البحدري واختلاف شعر أبي تمام -

والى جانب أبى تمام والبحترى عرف جماعة من كبار الشعراء كانت لهم اتجاهاتهم الفنية لكنهم لم يختلفوا في مناهجهم اختلاف هذين الشاعرين على تقارب ما بينهما في الوطن والعلاقة الخاصة بين أستاذ وتلميذ •

أما جديد ابن المعتز فكان قائما على رشاقة التعبير ، وأنافة التشبيه ، واختياره للصور البراقة الزاهية ، وتأثر ابن المعتز لاشك ببيئته الملكية في مزاجه ، وخيالاته ، فهو ينسج شعره نسج الحادق بخيوط الذهب والفضة ، ويضفى عليها بهاء النعمة ، ورونق الحياة المترفة -

وقد حفلت أشهار ابن المعتبى بصور القصدور ، ومجالس المعتاء ، وآلات الطرب ، وأدوات الذهب والفضة ، وقرش المحرير، وطناقس الوشي المرقوم •

ويلحق بشمر ابن المعتر شعر جماعات الوزراء الكتاب ومن في طبقتهم ممن يعايشون الملوك والخلفاء ، ويقلدونهم في العيش ، والسلوك • وقد شاع هذا اللون من الشعر أي شعر الكتاب ولحقت به سمات بعينها ، أشهرها أنه بلفظ سهل آنيق ، تتناول بعض المعانى الجارية ، على مشل قسول آحمد بن يوسف متفولا:

> فلبسي يعيسك يبا مثى لاكبون فسردا فسي هسواك

قلبسی ویبغشن من یعیات فلیت شعری کیف قلبات

وكقول سليمان ين وهب :

والمسا يسوعظ الاديب كذاك عيش الفتسى ضروب الا ولسس منهمسا نصيب نوائب الدهس أديتنسي قد ذقت حلوا وذقت مرا منا مس يؤس ولا تعييسم

وأكثر شهم الكتاب مقطعات ، وقل ما يكون منه قصائد مطولات -

وعرض ابن المعتز في كتاب طبقات شعراء المحدثين لبعض الاتجاهات المعاصرة في الشعر وأشهر الشعراء • فذكر أصحاب المديع ، وذكر المطبوعين من الشعراء ، ومن بينهم ربيعة الرقي ،

واختاره كثيرا من شمره • وقال عنه : « وما أجد أطبع ولا أصبح غزلا من ربيعة وهو القائل :

### أنا للرحمن عاص لجنوتي برخاص

فهذا كما ثرى أسلس من الماء ، وأحلى من الشهد » • ويقول عن شمر آخر له : « وهذا أطبع ما يكون من الشمر ، وأسلهل ما يكون من الكلام » • ويذكر منهم أبا عيينة المهلبي •

وروى في كتب الادب مصطلحان يعبران عن شسعراء المصر هما مصطلحا المحدث والمولد ويخلط الناس بينهما الا أن بعض الملماء يقرقون بين ثلاثة مصطلحات في طبقات الشعراء ممن نجم بعد عصر بني أمية المولى ، والمولد ، والمحدث •

ويجمع ابن رشيق في العمدة بين المولدين والمحدثين (1) ، وان كان ترتيبه يجمل المولدين طبقة سابقة على المحدثين أحيانا ، وأحيانا أخرى يجعل المحدثين مقدمين على المولدين ونجعل أبا تواس من المحدثين ويمود ليرى أبا نواس وطبقته من المولدين ، ثم يرى من تلاهم من المحدثين و

ويذكر ابن جنى طبقة يشار وأبى تواس ومن جاء بعدهم فيصنفهم بالمولدين • ويقول : « المولدون يستشهد بهم في الماني، كما يستشهد بالقدماء في الالفاظ » •

وقد نص صاحب جوهب الكنين على الفرق بين المركدين

<sup>(</sup>۱) المصدة من ۲۰۰ ما ۱۰۱ -

والمحدثين ، وقدم المولدين وأخر المحدثين ، ولم يسبقه أحد الى هذا التحديد ، فقد اضطرب بينهما ابن رشيق -

قال ابن الاثير المحلبي في حديثه عن طبقات الشعراء (١) يمد الامويين :

ورقية بن المجاج ، ومن يجرى مجراهم ، ثم بعد عدّه الطبقة طبقة المولدين من المجاج ، ومن يجرى مجراهم ، ثم بعد عدّه الطبقة طبقة المولدين من الشعراء ، وسمى الشاعر منهم مولدا لانه كانعربيا غير محض ، فكان شمرهم غير شعر المرب العاربة ، ولا يستشهد بأشعارهم في اللغة وخالطوا المجم ، فصاروا مولدين بهذا الاعتبار مثل بشار بن برد وأبى نواس ، ومسلم بن الوليد صريع الغوانى وسلم الخاسر -

ثم بعد طبقة المولدين طبقة المحدثين ، وهم الذين حدثوا عن المولدين كأيسي تمام والبحثرى وعلى بن الجهسم وعلى بن المبلس ومن يجرى مجراهم •

فكأن مصطلح الشعراء المعدثين قد استقر على شعراء القرن الثالث الهجرى - وربعا أخذ المتأخرون هدا المصطلح من كلام ابن قتيبة عن شعراء المحدثين في كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ابن المعتز عن كتاب طبقات شعراء المعدثين •

<sup>(</sup>١) جوهس الكتن من 65% - تحقيق دا محمد زغلول سلام طبع منشأة للمارف-

وقد سمى صاحب الجوهر شعراء القسون الرابع بمصطلع آخر هو طبقة « الطراز المذهب » (١) -

وقد طغی أبر تمام والبحتری علی شعراء العصر فأهملا ذكر كثیر منهم " یقسول ابن رشیق : « ان حبیبا والبحتری قد أخملا خمسمائة شاعر كلهم مجید " ثم یتبعهما فی الاشتهار ابن الرومی ، وابن المعتز ، قطار اسم این المعتز حتی صار كالحسن ( این هائیء ) فی المولدین ، و أمریء القیس فی القدماء » (۲) "

ویتول: و و آما حبیب و البحتری و این المعتن و این الرومی قطیقة متدارکة قد تلاحظوا ، و غطوا علی من سواهم حتی نسی معهم بقیة من أدرك أبا نواس كاین المعتدل و هو من فحول المحدثین و صدورهم المعدودین ، غمره حبیب ذكر و اشتهارا ، و كایی هفان أیضا ، أدرك آیا نواس ، و لحق البحتری قسستره ، و كذلك الجماد » (۳) ،

وديك الجنّ وهو شاعر الشام ، لم يذكر مع أبى تمام الأ مجازا ، وهو أقدم منه ، وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلة من شعره يحتــذى عليها فسرقها و دعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقا ، على تقدمه في السن والشهرة ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المتر الا من ذكر بسببهما في مكاتبة أو مناقضة ،

<sup>(</sup>١) جرمي الكتن سن ١٤٤١ -

۱--: ۱ مسعد (۲)

۲۰۱: ۱ المسدة ۱ : ۲۰۱ -

وكان معظم هؤلاء الشمعراء الكبار محترفين أو متكسبين ، شعرهم معظمه في المديح وكان ممدوحوهم كبار رجال الدولة من خلفاء ووزراء وكتاب وقادة ، وسادة ، وولاة وكانت تغدق عليهم المعطايا على ما يقدمون من جيمه الشعر ، ويقف على أبوابهم ممرسون بصفة الشعر يقومون الشعراء بما يتقدمون به لينال الجائدة .

وطرق الشعراء غير موضوع المديح صلب شعر العصر وشعر التكسب عامة موضوعات جديدة منها في الاوصاف خاصة موضوعات لم تكن مطروقة من قبل ، أو كان التعرض لها سريما عابرا مثل ما رواه المسعودي من وصف حمامة على غصن :

متفق ماتفسسة الدنها الباب ببدين دات طوق مثبل عطف النو ن اقندى الطرفيين وتسرى ناظرة نعبوك مسن ياقوتندين ترجع الانفياس من نقبيبين كاللؤلاتين ونهسا ساقان حميرا وان مثبل الوردتين نسبجت فيوق جناحيد ها نها برنوسيين

كما حظيت مظاهر اللهو ، والفن وآلاتها يعظ غير قليل من عناية الشعراء ، فوصفوا الكؤوس والقنائي وصورها وهياتها ، ووصفوا الاعواد والطنابير والجنك ، وما اليها من آلات الطرب ووصفوا أنواع اللباس وأدوات الزيئة ، والفرش ، وحيوان اللهمو وطميره كالطواويس والبيناوات -

وتأكد في هذا القرن الثالث المتيار الشميي في الشعر الذي

بدأه، أبو دلامة وكثرت صور الحياة الشعبية الملتقطة من الاسواق، ودكاكين الحرفيين ، فوصف ابن الرومي صانع الزلابية والرقاق وغيرهما ، وصدور من الشخوص تصاويد كاريكاتورية مسا تخترنه مخيلته في مسيرته اليومية من هيات البشر بين أحدب وملتح ، وقبيح وجميل ،

وكان لشمر الكتاب مكانته بين الناس و وفي مجالس الادب ، ورجال الدولة خاصة وكان معظم هؤلاء الكتاب ممن يلون مناصب في الدولة ، ويملكون من السلطة والجاه والمال ما يمكنهم من حياة رغدة هانئة و

وعرف شعر الكتاب بالظرف والرقة ، وكان معظمه مقطعات تنظم فى مناسبات أو يتراسلون بها فيما بينهم ، أو يمدح بعضهم بعضا ، ومن أشهرهم فى همذا القسرن ابراهيم بن العباس ( ت ٢٤٣ هـ )، يقول فى مديم النضل بن سهل :

الفضال بن سنهل يند تقاصير عنها الامسل فباطنها للتبسيل وظاهرها للقبسيل ويستنطقها للقبسيل وسنسطونها للأجسسال

ومن رقيق شمره الذي يظهر هذا اللون في شمر الطبقة :

سعور معاجر العلقبه المليح ۽ والذي خلقبه سيبواء قبلي رمايتيه المجانيبة ومن عشلقه قبل قمارا اضاء لئا اللاليء تسوره اقتيبه

### ومثبة تولينه :

وليلة من الليالى الزهـر لم نك غـي شـفق وبـس

ومنهم أحمد بن أبي طاهر الذي روى له ابن طباطبا قوله :

اذا أبو أحمد جادت ثنا يسده وان أضحاء لنا نسور بغرته وأن مضى رأيه أوحد عزمته من لم يكن حذرا من حد سطوته حلو ، أذا أنت لم تبعث مرارته سهل الغلائق الا أنه خشن لا حية ذكس في مثل صولته أذا الرجال طفوا أو أذ هم وعنوا الجود منه عيان لا ارتياب به

ثم يعمد الأجودان البحر والمطر تضاءل الاتوران الشمس والقمر تاخر الماضيان السيف والقدر أميد ما المزعجان الغوق والعثر فان أمسر فعلو عنسده الصبر لسين المهسزة الا المسه حجسس انصال يوماولا الصمصامة الذكر بالامر رد عليه الرآى والنظر اذ جود كل جواد عنسه غير أم

قابلت فيها بدرها بيبدري

حتى توثث وهي نصف البهر

وعلق عليه يقوله : د انه يجلو الهم ويشحد الفهم ، وانه الشعر الصفو الذي لا كدر قيه ، (1) -

وغلب على الشعر العربى في هذه المرحلة ثقافة العصر المتعددة الجوانب، والتي طبع عليها الفكر والفلسفة وعلومها ومن هنا كان الاتجاه الى الحكمة في شعر بعض الشعراء ، وكان ميل بعضهم الى العمق وقلسفي الكلام ، رغبه بعضهم الى اتخاذ أساليب الجدل وتشقيق القول فعل أصحاب الكلام .

<sup>(</sup>١) - عبار الشعر طبع منشأة المارف س ٢٠٠

وشاعت في الشعر الفاظ العلوم ومصطلحها ، ودخل البديع طرف منها كالمقابلة والطباق ، أو تقابل الصفات وتعارضها ، واستغدام أسلوب الحكيم والتعمية ، وما الى ذلك -

كما طال نفس الشاعر ، واستطال ، وعمد يعض الشمراء الى بسط المعانى وتوليدها ، ولم يعد الايجاز وحده طابع الشعر كما كان كذلك من قبل ، بل اقترب أسلوبه من أماليب الكتابة في الشرح ، وتتويع صور عرض المانى على ما عرف عند الجاحظ من المزاوجة أو عرض المعتى بصورتين أو أكثر من اللفظ ويشير أبي طباطبا إلى أن شعراء العصر أعدادوا عرض المعانى القديمة في معارض جديدة حتى تلبس على السامع \*

يقول: « وستعشر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم ولطفوا في تناول أصولها منهم ، ولميسوها على من بعدهم، وتكثروا بايداعها ، فسلمت لهم عند ادعائها للطيف سحرهم فيها وزخرفتهم لمانيها » (۱) .

وريما آدى هذا الاتجاه الذى أشار اليه ابن طباطبا الى اتهام المعلماء بعض الشعراء بالسرقة لاعتمادهم على معانى السابقين حتى وان زخرفوها والى تتبع بعضهم من أسرف من الشعراء فى استخدام ذلك السحر اللطيف الذى عرف بمحسنات البديع لفظا ومعنى "

<sup>(</sup>١) - فيار الشعن من ٢٢ -

# ومع شمراء السنة في هذا العصر :

# على بن الجهم :

وهو شاعر عربي الاصل ، مسن قريش ، وأحيانا ينفون عنه نسبه اليها ويلعق ببنى نجيه وكان فمسحا مطبوعا - خص بالمتوكل •

وكان سيئًا متعصبًا ، يدم الشيعة ، ويهجو أحيانًا آل أبي طالب أو العلوية ويدهب في ذلك مدهب مروان بن أبي حقصه -قال فيه البحتري ممرضا بذلك :

> ii ما حصنت عليا قريش وأو أعطاك ريبك ما تمتع

فلا في العبر أنت ولا النفسر لنزاد الخلق فيي عظم الامنور عالام هجنوت مجتهدا عليا بسا لفقت من كانب وزور

وقد وقع في يعض كبار المعتزلة كذلك كابن أبي دؤاد • قال فيه عندما فلم في مطرن موته :

> ثم يبق مثك سوى خيالك لامعا فرحت بمصرعك البريسة كلها کے مجلس ہو قب عطائبہ 🔄 وفكسم مصابيسح لنسا إطفاتهها ولكسم كريمسة معشر ارملتها \_ أنَّ الأماري في السجون تقريبوا وغسدا الصرعك الطبيت فلا تعد

فنوق الفراش معهندا يوسناد من كان منهم موقنها بمعساد كى لا يحدث فيه بالاستاد حتى تزول عن الطريق الهادي ومعسلت أوثثت فسي الافيساد غيبا أتتبك مواكب المسواد شبيتا للاأبسك حيلسة المرتساد

وقد كان شعره المقدى موجها الى هذين المذهبين و الشيعة و و المعنولة » وشدد النكس على الطالبين خاصة • وتعميب الرافضة وسخر من أقوالهم من ذلك قوله :

وراقضية تقول بشعب رضيوى اسلم خياب ذلك من امسام اميام من ليه فشرون القيال من الاتبراك مشرصية السبهام

يشير الى دعوى الرافضة الغيبية الباطنية ، و نهج العباسيين العملي في الاعداد والقوة - وقد أسف ، وقبح في هجائه -

وكان ابن الجهم كثير الرحلة ، ولاقي في حياته عناءا وعنتا ، وسجئ، وصلب وقال في الحالين شحرا ، ومدح من الخلفاء المتوكل ، كما مدح جماعة من القادة وكبار رجال الدولة كطاهر بن عبد الله والى خراسان • واستشهد في كتب الادب بممانيه الجديدة المبتكرة كقوله في الحبس (١):

قالوا مبست فقلت ليس بضائرى حبس واي مهنسد لا يغمسك والبندر يدركه السرار فينجل والشمس لولا إنها معجوبة

أو ما رأيت الليث يالف غيله كيسرا واوباش السباع تسردد اليامسية وكأثبسة متجسيده عن ناظريك لما أضاء الفرق

# وقال في صلبه بمكان الشاذياخ (٢):

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الــــ تصيوا بحمك الله ملء فلوبهم

النان مسبوقا ولا مجهاولا شرظا وملء صدورهم تبجيسلا

 <sup>(</sup>۱) تجرید الاغائی ۱۱۹۹/۳ -

<sup>(</sup>٢) - تجريد الاخاني ٢/١١٩٧ -

ما ازداد الا رفعة ينكو له ما كان الا اثليث فارق غيله لا يستمن الاعسداء من شسداته ما عابسه أن بسر عنسه ثيابه

وازدادت الاعبسداء عنبه نكولا فرايتبه فسى محمسل معببولا شدا يقصسل هامهم تقصيلا والسيف أهسول ما يسرى مسلولا

وقال يصفه الليل في غريته بعلب ، ذاكرا وطنه وبيته على نهــر دچلة ببغداد (١) :

أسسال بالليسسل سسيل أم زيد في الليسل ليسل دكسرت أهسسل وجيسل وايسن منسى دجيسل

وتوفى ابن الجهم وكان قد ربطت بينه وأبى تمام صداقــة وثيقة قال فيها شعرا -

ومن شعراء العلوية:

# دعيسل بن على الغزاعي

أبو على محمد بن على رازين الغزاعيى ولمد سنة ١٨٤ هـ وتوفى سنة ٢٣٦ هـ، ومكان مولده غير معروف على وجه التأكيد، ولكنه قضى طفولته وجانبا من شبابه بالكوفة حيث التحق يصحبة من الشطار ، ولحقته يعض اتهامات بارتكاب حوادث كالسرقة والقتل ، لكنها لم تثبت وتفتقر الى دليل - ومثل هذه الاتهامات لم يكن وحده المتهم بها من الشعراء الذين عاصروه ، فقد وجه مثلها الى حماد الراوية وبكر بن النطاح -

<sup>(</sup>۱) المختار من شعر بشار من ٦٧ -

وينتسب دعبل الى خزاعة ، القبيلة العربية اليعنية ، ويعض الناس ينفى عنه ذلك النسب ، ويرميه بالكناب فى انتحاله ، ويقول بأنه غير هربى الاصول و ومثل هذا الاتهام بانتحال النسب العربى ، أمر كثر القول به ، وتبادل السباب به جماعة من شعراء العصار و

وتضافرت الاخبار على أن دعبلا نشأ في عائلة كان رجالها من الشعراء ، ورأس عائلته الجد الاكبر ، بديل بن عبد الله الخزاعي، وكان يسكن مكة قبل الاسلام ، وله فيها مكانة ونفوذ • وعرف جمده وأبوه وابنه بقول الشعر •

والتقى دعبل بمسلم بن الوليد وتتلمذ عليه •

وانتقل بين مدينتي الكوفة وقرقيسية ثم ارتحل الى يغداد حيث اتصل بجماعة من رجال الدولة كعيد الله بن طاهر الذي قدمه الى هارون الرشيد في آخر حكمه ومكنه قربه من مركز السلطة من تولى بعض المناصب فقد تولى بعض الاعمال في سلمنجان لعباس بن جمعد بن الاشعث وتولى متصبا بمصر بمدينة أسوان للمطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي الذي ولى مصر من سنة ١٩٨ الى سنة ٢٠٠ ه •

ولكنه لم يستقر طويالا في أساوان لان المطلب سرعان ما عزله هنه ، ويروى الاخباريون لهذا أمرا ثار بينهما ، ويروون

قصة عن تطور العلاقة بين الامير والشاعر تكون صحيحة أو باطلة، لكنها تصور عنف دعبل ، وانتهت العلاقة بينهما بهجاء مقدع من دعبل لعبد المطلب ، أثارت غضبه ، فحاول قتله ، وسخر منه دعبل سخرية لاذعة بالرد عليه يقوله : ان عليه أن يطعمه أولا حتى لا يعوث جوعا ٠

ويبدو أن الرجلين اصطلحا ، واتعمل بينهما الدود مدة أخرى ، وظل دعيل يوالى عبد المطلب بمديحه ، ووعمد بأن يظل كذلك حتى أخر حياته -

وعرف دعبل بتشيعه لآل البيت ، ولم ينتسب لاحث فروع العلويين ، وربما كان تشيعه حبا في آل البيت عامة ، وعلى وأبنائه خاصة وقوى الاتجاه عنده صلته بعلى الرضا امام الشيعة والذى عامر المأمون ، وأوشك آن يتنازل لبه عن الخلافة سنة ٢٠٢ هـ وأومى بخلافته من بعده ، ولم يلبث الاسام الرضا أن سات بخراسان ،

وقد نظم دعبل قصيدته المشهورة في آل البيت مخلدا هذا الحدث الذي اجترأ عليه المأمون وأغضب منه العباسية \*

وآول علاقة دميل بعلى الرضا كانت على يد الشاعر الكاتب

ابراهيم بن العباس الصولى ( ت ٢٤٣ هـ ) الا صحبه الصولى الى خراسات لينشدا شعرهما عليا الرضا ٠

وبعد وفاة الرضا ( ۲۰۳ ) هـ ) في ظروف غريبة ، وعودة دعبل الى بغداد ، شارك الشاعر بعض العلوية في اتهام المآمون بالدس للرضا ، وقتله سلما • ونظم قصائد في هجائه ، وهجاء أبيه هارون الرشيد ، وخلفاء بني العباس عامة من بعده المعتسم والواثق والمتوكل • وكان المتوكل قد آثار الشيعة لتدميره قبر على بن أبي طالب في النجف والحسين بن على في كربلاء •

واتصل الهجاء بين دعيل وعلى بن الجهم وصاحبه أبي ثمام •

وقد عادى دعبل آبا تمام ، لاتصاله بعلى بن الجهم ، ولامور أخرى جرت بينهما ولم تقتصر عداوة دعبل للطائي على الهجاء ، بل تمدتها الى تعصبه لشعره وانكاره لكثير منه ، واتهامه بآنه أقرب الى النثر منه الى الشعر ، والى أنه أى آبو تمام لجأ الى معانى المتقدمين فادعاها لنقسه ، وقال انه لا يصلح من شعر أبى تمام غير الثلث ،

وتجاهل دعبسل ذكسر أبي تسام في كتابه عن الشعراء المحدثين ، فأثار حفيظة أبي تمسام ، وانسساره - وهمكذا كأن مستهدفا منهم ، وتعرض لحملة كبيرة ضده -

وكما استهدف دميل في شمره ، كذلك استهدف في شخصه ،

واضطهد سياسيا من الدولة • وظل كذلك في تصده وسخط الناس والدولة عليه حتى توفي سنة ٢٥٩ هـ •

#### شستعره:

وتقوم شهرة دعبل في الشعر على الهجاء ، مثله في هذا كابن الرومي ولكنه مع ذلك كان شاعرا قديرا يمكس شعره كثيرا من جوائب شخصيته في أحاسيسه ومشاعره ، وفكره ، وعقيدته ، كما يمكس جوائب من أحوال عمره ، وبعض صوره للطبيعة ومظاهرها المختلفة -

ومن حيث بناء القصيدة ، فقد أخذ باتجاه القدماء من تقديم للنسيب على موضوعه ، وبنائه لاجزائها على النهج الموروث ، لكنه مع ذلك لم يتبع القدماء في الاسلوب وطريقة عرض معانيه ، بل مال الى التحرر من قيود التعبير القديم والمسيغ التقليدية ، وانطلق يعبر بأسلوب متحرر خال من التكلف ، قريب من أسلوب بعض معاصريه من شعراء المحدثين \*

واذا ما نظرنا الى شعره بالمقارنة الى بعض المدعين أمثال أبى تصام والبحترى ، فقد نجده خالبا نسبيا من مظاهد الابداع ، وجمأل العرض في اللفظ ، والخيال لكنه يملك المقدرة على التعبير عن معانيه دون حاجة الى التكلف في اصطناع الجمال الشعرى .

وقد جمع العبولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ديوانه ، وأشبار الي

ذلك ابع النديم في الفهرست ، وقال انه كان في حوالي ثلاثمانة ورقة • وسيقه الى جمع شعره أحمد بن أبي طاهر (سنة ٢٨٠ه) في كتابه « مختارات من الشمر والشمراء »

ويذكر صاحب كتاب و أعيان الشيعة » أن ديسوان دعبل كان موجودا حتى القرن الثاني الهجري ولكنه الان مفقود -

وأعجب كثب من العلماء ، ومؤرخت الادب قديما بشعر دعبل المخزاعي ، من أمثال أبي الفرج الاصبهائي وابن الانباري ...
وابن رشيق القيروائي •

ووصنه ابن رشيق في كتاب العمدة في آخر طبقة أبى نواس، وقدمه البحترى على مسلم بن الوليد قائلا : و ان أسلوبه وروح شعره أقدرب الى طبيعة الشعر العربي ، أو طريقة الدرب في الشعر » "

ولدعيل غير الديوان و كتاب الشمراء و وكتاب قبى مثالب المدب ومناقبها • واعتبر حجة في الشعر والشعراء وأخبارهم ، وعده ابن شرف القيرواني عالم الشعراء وشاعر العلماء •

وأشهر ما قال ثائية في آل البيت ، وهي التي نظمها في مناسبة مبايعة المامون على بن موسى الرضا ، قال :

ذكرت محسل الربع من عرفات وقل عر صبري وهاجت صبابتي مدارس آيات خلت من تسلاوة لآل رسول الله بالخيف من مني ديار مسئي والتعسين بن جعفر منسازل كانت للمسلاة وللتقي منازل جبريل الامسان يزورهما منازل وحسي الله ، معدن علمه -دیار عفاها جسور کل منابسد

الأجريت دمسع ألعسين بالعبرات رسبوم ديباز اقفرت وعبران ومنزل وحسى مقفس العرصات وبالركن والتعريف والجمرات وحدرة والسجاد ذي التفتات(١) وللصوم والتطهيع والعسنات من الله بالتساليم والرحمات سبيل رشاد واضح الطرقات ولسم تعف بالايسمام والسنوات

## ويذكر فيها مقاتل الطالبيين فيقول:

نقوس لدىالنهرين منبطن كريلا اخاف بان ازدارهم ويشوفني تقسمهم ذنب المنبون فما تري . فهم عقبلة مفشية الجعرات

# ويمير عن ولائه لهم فيقول:

نبدت اليهم بالمودة جاهدا وسلمت نفسي طائعا اولاتي فيارب زدني في يقيني بمسيرة ر أحب قصى الاعل من أجل حبكم وأهجر فيكم زوجتسى وبناتسي وزكتم حبيكم مخافة كاشم عنيف بأهل العبق ، غير مواتي

معسى سبهم متها بشط فرات معرسوم بالبرع من نفالات

وزد حبہے یا رب فی حسناتی

ويتحسر لان أل الرسول لا يلقون ما يليق بهمم من المكانة ، بينما يميش أعداؤهم ممن ينكلون بهم حياة رغدة هانئة :

وأيديهم من فينهم صفرات وآل زياد غنظ القصرات(١)

اری فیٹھم فسے غرہم متقسما غال رسيبول الله نجف جسومهم

<sup>(1)</sup> السجاد در الثنعات عر لتب زين العابدين على بن الحسين ٠

#### \_ YYX \_

وال زيساد تسمكن العجسرات ونادئ منادى الغير بالصلوات

ديار رسلول أشاصبعن يلقعا بنات زياد في القصور مصونية وأل رسيول الله في الغلوات اذا وتروا سعوا للى واتريهم أكشأ عن الاوتسار منقبضسات سايكيهم ماذر في الارض شارق

وقيل ان المأمون يكي عند سماع هذا الشمر وأمر يصلته •

# أبو تمسام

# حبيب بن اوس الطائي ( ١٩٢ هـ ـ ٢٣١ هـ )

ولد أبو تمام بقرية جاسم بالشام عام ۱۹۲ هـ في آخريات خلافة هارون الرشيد ، وعاش بصصر زمانا دهو صبى يسقى الماء في جامع عمرو بن العاص ، ويذكر له الكندى أبياتا قالها بين عامى ۱۱۲/۲۱۱ هـ ـ ۸۲۹/۸۲۱ ، ويبدو أن الاقامة بمصر لم تطب له ، فلم يطل بها وقفل راجعا الى الشام وكانت قد ثبتت قدمه في قول الشعر •

وحاول بالشام أن يدخل الى المأمون عند وصوله اليها ، فلم يحظ بما أراد ، وتنقل فى بالاد الشام ، وتوجه الى الموصل بالعراق ، فأقام عامين ، عاملا للحسن بن وهب على البربر واتجه الى أرمينيا ، واتصل بواليها خالد بن يزيد الذى عرف بقتاله للسروم ، فأجزل له خالد العطاء على مدائعه فيه .

وحل ببخسداد سنة ۲۱۸ هـ بعد وضاة المأمون ، وتقرب من المعتصم ، فنال العظوة لديه ولدى كبار رجال دولته كمعمد بن يوسف ، رجل السيف والقائد المشهور الهزيمته بابك الخرمى ، والقاشى أحمد بن أبي دؤاد صاحب المحولة ، والعلم ، في دولة الواثق -

وتنقل بين الماصمة وعواصم البلاد والاقائيم الاسلامية

يتصد الولاة والامراء فقصد آل طاهر ، ومنهم عبد الله بن طاهر بخراسان ، فأقام عنده زمنا ، وقصد همدان فأقام عند آبي الوفاء بن سلمة فأكرمه •

ولقى الشاعر كثيرا ، وجمع مالا وفسيرا ٠

وكان أبو تمام أسمر اللون طريل القامة ، قصيح اللهجمة ، بلسانه تمتمة ، صوته أجش - وكان ينوب عنه في القماء شعره راوية حسن الصوت -

وقد عرف بذكائه العاد ، ومعرفته الواسعة ، واطلاعه على كثير من تراث المرب في الشعر وجمع الى معرفته الشعرية وثقافته العربية اهتماما بعلوم الاوائل من فلسفة اليونان وعلوم الفرس وتأثر شعره بهذه الثقافة فتنوعت معانيه ، وعمت أفكاره وظهرت عليه آثار الجدل وتفتيق القول و

وعاش ابو تمام حوالي أربعين عاماً ، وتوفيي بالموصل عام ٢٣١ هـ -

وعرف أبو تمام باتجاهه الخاص في الشعر ، وطريقته التي اشتهر بها بين النقاد والملماء بالشعر وتتلخص في ميله للبديع والاكثار من المستعة في اللفظ والمنبى ، وتعمد البحث وراء الطريف البعيد على حساب سلاسة العبارة ، ورونق اللفظ ، مع عدم مراعاة القيم التقليدية المتوارثة في عمل الشعر "

وكان اغراقه في معاولات التجديد في المماني والخروج عن المقيم التقليدية سببا الى غموض بعض شمعره، وستقرطه قمي المهيب • وكان يميسل بطبعه الى التعقيد والالتواء بالعبارة فلغته تبدو للسامع لاول وهلة غير مهلة بناء ونحتا •

وكثيرا ما اعتمد على محفوظه الشعرى في معانيه ، يعيد عرضها وصياغتها ، فهو يلجأ الى ما يعرف بالاعتدام ، أى هدم البناء القديم ليعيد منه ابنية جديدة في معارض غير مألوقة تلتيس على الناس ، لكن ذلك لم يفت العلماء ، وتتبهوا له ، فاتهموه بالسرقة من القدماء "

ويمد أبو تمام العلقة الرابعة من سلسلة أصحاب البديع التي بدأها بشار وأبدو نواس و العتابى ومسلم بن الوليد شم أبو تمام •

ويصف أبو تمام شمره فيقول :

خذها مثقفة القوافى ربها لسواء حسناء تمسلا كل عسين حكمة وبالاف كالطعنة النجلاء من يك تائر بأخيه كالسدر والمرجان أنف نظمه بالشد كشقيقة البرد المنمنم وشسيه في أد يعطى بهاالبشرى الكريم ويعتبى برواة

لسوابيخ النعماء ضبي كنبود وبالأفة ، وتبدر كل وريساد بأخيه ، أو كالفرية الاختلود بالشبد في عنق الكتاب الرود في أرض مهارة أو بالد تزيد بروائها في المعلى المعلى المشهود

وادًا كان البديع عند بشار بداية لـون جديـد فـى الشعر المحدث ، أو شعر المولدين وفي نهجه الفنـي ، وعند أبي نواس

ضربا من الفن المبدع ، وأداة من أدوات الخلق الفني الجديد في الشمرء وعند مسلم بنالوليد حرفة وصنعة يدعمها الفكر، ويرتدها العقل والصنعة المحكمة ، فالبديم عند أبى تمام قضية فنية وفكرية مما ، لم يمد صيمًا فنية تكسب الشمر رونقا ظاهريا ، وحسلاوة شكلية فعسب -

يقول شارحا مذهبه الشعرى:

ختماابنة الفكر الهنب فيالنجي

ويقسول:

تلك القواقي قد أتينك تزعسا من كل شاردة تقيادر يعدهيا تنهيو يعاجيل حسنها وتعلهما وجديدة المعنسي اذا معنى التي

ويقول لابي دلف:

اليك أرحنا عازب الشعر بعلما تمهل في روض المعاني العجانب غرائب لاقت في فتائك انسها 🛒 من المجمد فهي الان في غرائب

وتغلب على شعر أبي تمام الموضوعية ، فهو سابق في المديح ، وصوره كلها صور ذهنية ، تتناول موضوعات عصرية ، ولذلك تفي عنه بعض العلماء الشاعرية ، فقالوا انه عالم أو خطيب أو حکیے ۰

وقال دعيمل : لم يكن أبو تمام شاعرا ، أنما كان خطيبا ، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر •

والليسل استود رائعتة الجلياب

تتجشم التهجار والتغليسا

حظ الرجال منالقريض خميسا

علقسا لاعجسان الزمسان نفيسا

تشبقي بها الاسماع كان لييسا

وروى الآمدى في الموازنة ما قيل من أن أبا تمام حكيم وليس شاهرا وأما الشاعر فالبحترى •

ويصنع قصائده في المديح صنعة معكمة يبدؤها أحيانا بداية تقليدية في شكلها وأن غير في صياغتها • كقوله من قصيدة مشهورة في أبي دلف :

على مثلها من أربع وملاعب اذينت مصونات الدموع السواكب اميدان لهوى من أتاح لك البلى فأصبعت ميدان الصبا والجنائب

فيذكر الربع والطلل ويسكب الدمع عليه ، ويتأسى على دروسه ، بقمل الريح والرمال على عادة العرب القدماء \*

وغالبا ما يتجه بهذا المطلع التقليدى للقادة الدرب أو لمن هم من أصل عربى ، كأبى دلف العجلى أو خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، والذى يبدأ مديحه بقوله أيضا :

لقد (خنت من دار ماوية العقب العانى للبلي هي أم ثهبه أو يقسمول :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئى بداك شهيدا أو مالك بن طوق التخلبي • يقول له :

لو أن دهـرا رد رجـع جـوابى أو كف من شماويه طول عتابى لمذلتـه قـي دمنتـين تقدمــا ممحوتـين لزينب دور بـاپ أو أحمد بن أبى دوّاد ٠ ان يقول :

سقى عهد العمى سيل العهاد وروض حاض منه وبادي وحان يتجه بالمديح الى غير هؤلاء من الفرس ، أو ذوى الاصول غير

العربية نهو يختصى المقدمة الطللية ، ويبدأ متغزلا ، مقصرا نيه كقوله في عبد الله بن طاهر بخراسان :

هن عبوادي يوسف وصواحب فنزما فقدما أدرك السؤل طالبه أو يقول في الحسن بن سهل :

أبلت أسى أن رأتني مغلس القصب وآل ما كنان من عجب إلى عجب وقد يدخل الى مديمه مبأشرة دون تمهيد كما يقول فسي الحسن وسليمان ايتي وهب :

سأشحكر لابتى وهب الهملة التي هلى اللود صائباه بحسن صيانة

وقارن الآمدي بين مقدمات أبي تمام والبحتري ، ومقدمات الشمراء القدامي في مماني الوقوف ، وذكر بقايا الديار ، ومسا يحدث لها من آثار البلي ، وتماور الرياح • ويشر الآمدي الي ما ذكرناه آنفا في صنعة أبي تمام عاسة من الاهتدام ، ومعاولة اعادة يناء قديم المعاني يصبياغات جديدة ٠

ويخرج من هذه المقدمة الطللية في قصيدة المديح الي ذكر الرحلة ومماناتها ، وما يقاسيه الشاعر وراحلته من ضنى المسير • ولابي تمسام في هذا المنسى معاولات جيسدة لقيت اسستحسان معاصريه ومن بعدهم من التقاد من مثل قوله :

> وقلقل تای من خراسان جاشها لامر عليهم أن تتم صلوره على كل منوار المبلاط تهدمت رعتسه الفيافي بعد ما كان حقية

فقلت اطمئني أنض الروض عازبه وركب كاطراف الاسستة عرسوا على مثلها والليسل داج غياهيسه وليس عليهم إن تتسم عواقيسه حريكتك العليساء وانضم حالبك وعاهاء وماء الروض يتهل ساكبه

ويصل الى ممدوحه فيضفى عليه صفات عامبة في معانى المديح التقليدية كالشجاعة والاقدام ، والبر ، والسلخاء ، كما يضفى عليه صفات خاصة لائفة بالمقام ، ان كان المدوح خليفة فهو العادل الامين على الامة الراعى لمصالحها -

وان كان من قادة العرب نسبه الى قبيلته ومفاخرها كتولــه في أبي دلف المجلى :

اذا افتخرت يوما تميم يقومها وزادت على ما وطلبت من مناقب فانتم بدئ قار آمالت سليوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ويسجل في شعر المديح أحداث عصره الكبرى ، ومنها ثورة البابكيين ، وممارك الثنور مع الروم البيزنطيين ، وأهمها معركة عمورية ، وانتصار المتصم فيها على الروم -

ومن خلال قصائد المديح ينظم أبو تعمام أبياتا في الغمزل والوصف ، تبلغ حدا من الجودة والاتقان في الصياغة وتناسق اللفظ مع المعنى • قمن غزله الرقيق في مطلع المديح قوله:

غدت تستجيرالدمع خوق نوى فد وانقدها وانقدها من غمسرة الوت انسه فأجرى لها الاشفاق دمعا موردا هي البدر يغنيها تودد وجهها

وعاد قتادا عنبها كل مرقب صدود فيراق ، لا صدود تعمد من الدم يجرى فوق خد مورد انى كل من لاقت وان ثم تودد

ويبدو جمال هذه الابيات في جمال الصنعة لا رقة العاطفة ، ولا صدقها ، وللحظ اهتمامه بالمقابسلات والعلبساق ، والتواذن

والتناظر في المعنى واللفظ والتقابل بين الاضداد - ومثل هذا ينطبق على غزله في قصيدة أخرى مما أعجب به أنساره • قوله :

أظبن بموعها سبتن القريب، وهي سبلكاء من نصر وجيد لهمة من لوعمة البين التمدام يعيد بنفسها ورد العسدود

حمتنا الطيف من أم الوليد خطوب شبيت رأس الوليد

ومن أوصافه وصف صلب الافشينوتحريقه بالنار ، وحريق عبورية ، ومنه قوله بمبدح المعتصم :

رقت حواشي البعر فهي تمرمر وغبدا الثري في حليله يتكس ومنها في الربيع أبياته المشهورة .

> يا صاحبي تقصيسا تظريكما تريا لهارا مشمسا قد شابه دنيبا معاش للبوري حتى اذا تضحت تصوغ يطونها لظهورها من كل زاهرة ترقرق بالنسنى تبسدو ويحجبها الجميع كانهسا

تريا وجوة الارض كيف تصور زهس الربئ فكانما هو مقعر حيل الربيبع فانعا هي متظسر نبورا تكادلته القلوب تنبور فكأنها عبين اليك تحصدر عستراء تيسلو تسارة وتغفس

وصوره الوصفية ، لقطات جزئيسة ، تتراصف ، ويضع واحسدة منها ازاء الاخرى لا تنصل اتصالا عضريا • ولا تنم عن خاصية بعينها في نظرة متعيزة ، وأحساس مفرد أو موقف شعوري ينبيء عن نفس واحدة لا نفس عامة هي نفس أبي تمام • وهذا لانبه يمنف بمثله لا بحسه وعاطفته

وقد لاحظ عليه ذلك بروكلمان فقال : و وقلما وجدنا في شمر أبي تمام شيئًا من العنين والصبابة » • وليس معنى هذا أن شعره كله خال من العاطفة ، اذ قد تبدو هذه أحيانا ، مجتازة سياج عقله ، وصرامة صنعته ، ومن قصائده القليلة التي نلمس فيها حرارة العاطفة قوله في صديقه الشاعر على بن الجهم ، وقده أراد السفر :

هى فرقمة من صاحب لك ماجد ففسدا أذابة كل دمع جماعه يقول فيهما :

ان یکد مطبرق الاخاء فانتا نفدو ونسری فی اخاء تالد او یختلف ماء الوصال فمازنا علی تعبدر من غمام واحد ومثل هذا نجده فی أبیات له یرثی ابنین لمبد اشت بن طاهر یتول فیها:

نجمان شباء الله أن لا يطلعها الا ارتداد الطهرف حتى ياقه لا ان الفجيعة بالرياض نواضرا الاجهل منهها يالرياض نوابه لا ولكنه مع ذلك لا يبلغ في عاطفته تلك ما بلغ شعراء المراثى ، وهو لا يتخلى هنا عن صنعته التي أشرنا اليها .

ولابى تمام مقدرة على فن من الصنعبة الشعرية عرف عند المحدثين ، وتباروا فيه ، وهو التخلص ، وقد يسمى في بعض الاحيان بالاستطراد • كقوله متنقلا من وصف الربيع والروض الى مديح المتصم :

صيغ اللذى قولا بدائع تطقله ما عاد أص خلق اطل من الربيع كانسه خلق ا في الارض من عدل الامام وجوده ومن النباذ

ما عاد اصفر بعدما هو اخضر خليق الامسام وهديسة التنثر ومن النبات الغض سرج تزهر

تنسى الرياض وما يروض فعله ان الغليفة حين يظلم حسادث

أيـنا عيني مين الليـالي يذكر عين الهـنائ وله الغلافة معجر

وكانتقاله في موضع من وصف القرس الى ذم واحد اسمه عثمان :

بين السنايك من مثني ووحدان من صغر تلمر أو من وجه عثمان

فلو تراه مشیعا والعصبی زیم ایقنت ان تم تثبت ان حافسره

## مواقف الشعراء والثقاد منه :

روى الصولى فى أخباره أن البحترى وعلى بن العباس الرومى كانوا اذا ذكروا أبا تمام عظموه ورفعوا من مقداره فى الشعر حتى يقدموه على أكثر الشعراء ، وكل يقر باستاذيته وأنه منه تعلم \* وهما أعلم أهل زمانهم بالشعر ، وأشعر من يقى »(1) \*

وقال این المعتز : و جاءنی محمد بن پزید المبرد یوما فاقضنا فی ذکر آبی تمام ، وسألته عنه وعن البحتری فقال : لابی تمام استخراجات لطیفة ، ومعان طریقة ، لا یقول مثلها البحتری و هو صحیح الخاطر ، حسن الانتزاع ، وشعر البحتری أحسن استواء ، وآبو تمام یقول النادر والبارد • • • وما أشبهه الا بالغائص یخرج الدر والمخشلبة (خرز آبیض) » •

وداقع آيو يكن الصولى عما اتهم به من مأخذ عن السابقين فقال : « ولو جاز أن يصرف عن أحد من الشعراء سرقة لوجب أن

<sup>(1)</sup> أخبار أبي تمام سن ٦٨ -

يصرف عن أبى تمام لكثرة بديمه واختراعه ، واتكائه على نفسه » (١) -

ويقول الصولى: « جيد أبي تمام لا يتعلق به أحد من أهبل زمانه ، والنما يختل في بعض قصائده لفظه لا معناه » •

وذكره ابن رشيق القيروانى في أكثر من موضع من كتاب العمدة وقال انه يميل الى الصنعمة والتدقيق في عمل الشعر ، ويقول انه عدل بين الفاظه ومعانيه ، فهو كالقاضى يضع الالفاظ والمعانى مواضعها المناسبة ، وأنه صناع يظهر جيب شعره من سائره .

ويقف ابن الاثير في القرن السابع الى جانبه مدافعا عنه ضد اتهامه بعدم اجادته في الغزل فيقول: « ومن الناس من يزعم أنه ليس لابي تسام غزل يحسن كسا لغيره وكذلك يزعم أنه ليس للمتنبي أيضا من الغزل ما يروق ويحسن " وهذا القول لا يصدر الاعق تعميب أو جهل و وأى غزل أحل وأعذب وأرق وأدمث من قول أبئ تسام:

انت في حيل فزدني سيقما وارض لي الموت بهجريك فيان معنية العاشيق ذل في الهوي ليس منيا مين شيكا علته

اقن صبرى واجعل اللمع دما المن نفسسى فزدها المسا المسا واذا استودع سرا كتما مبن شكا ظلم حبيب ظلما

<sup>(</sup>۱) آخبار آیی تصام ، س ۱۰۰ ۰

و هل لكثير من المتقدمين أو لابن الدمينة أرق من هذه الابيات؟! وكذلك ورد قوله في طيف الخيال:

استزارته فكرتسى في المتسام فاتانسى فيسى خيفية واكنيام فالليالي أخفى بقليسى اذا منا جرعته النبوي من الايسام ينا لهنا لنق تتسزعت الار ـ واح فيهنا سرا من الاجسسام مجلس لم يكن لننا فيه عيب غير أنا في دعوة الاحسلام

وهنه الابيات في الطيف لم يؤت بآرق منها ولا أسلس » •

ووقف منه بعض العلماء والنقاد موقف المعارضة ، فعابوا عليه شعره ، وكان من بينهم من معاصريه الشاعر دعبل بن على الخزاعى الذى اتهمه بالسرقة والاخذ من سابقيه واخفاء مسايخة بصنعته ، كذلك أخذ عليه أبو العميثل الاعرابي، ميله الى التمقيد -

وحكى عن ابن الاعرابي أنه قال وقه أنشد شهوا لابي تمام: ان كان هذا شعرا فما قالته المرب باطل -

وروى الأمدى في الموازنة كشيرا من عيوب أبي تمام في سرقاته القبيحة ، وتعمده البديع وعويص اللفظ كقوله :

يدى الن شاء رهن ، لم يدق جرها من راحتيك درى ما الصاب والعسل ومثل هذا يسمى الماطلة أى ركوب الكلام يعضه بعضا وتقديره : يدى رهن لمن شاء ان كان لم يدق جرعا من راحتيك ففرق بين ما تعطيه ( وهو العسل ) وما يعطيه غيرك وهو الصاب أى العلقم •

ومن أسباب غموض شعره لجوءه الى المعنى البعيد يصوغهه في الفاظ تتوالى فيها أشكال البديع ، وبخاصة الطباق ويلوى المعنى ليتم له الطباق ، فهو يؤثر صحته على صحة المنى وتمامه ويقب ولد :

#### ولهت فاظلم كل شيء دونها وأضماء منها كل شيء مظلم

فلكى يتم له الطباق مع ما أراد من المعنى أجهد السامع أو قارىء شعره معه ، وجعله يظن بهذا الذى يبدو لغزا أول الامر ، فيتبين له بعد لاى أنه معنى بسيط ، عقده بطلب الطباق ، وهو لا يريد لسامعيه أن يبلغوا ما أراد بلفظ يسير سهل ، بل لابد أن يركيهم العبعب ، وأبو تمام يريد أن يقول فسى بساطة ان هذه الفتاة ولهت فأظلم ما بينى وبينها بسبب ما نالتى من الجنزع لولهها ، ثم وضح لى منها ما كان مستترا عنسى من حبها اياى ، فأضام ذلك ما التبس دونى .

### ومن هــذا القبيل قولمه :

يتجنب الأثمام ثم يغافها فكانما حسناته أنسام ويقع في حيرة من أمر الطبأق والممنى في البيت ، وكيف يستقيم أذا تجنب المسرء الأثمام وخافها فكيف تكون حسناته أثاما ؟! ٠

ولكن يتضبع بعد تفكير أن الشاعر انما يريد أن يقول انه يتجنب الآثام فيكون بذلك قد جاء بعسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة، فكأنما حسناته آثام! - دور عجيب أدى به اليه غرام بالطباق ، واعمال للعقل في الشعر ، وهو ابن الماطفة وسهولة التعبير ، وعدوية الروح -

وولع أبي تمام يغرابة الاستمارة أوقعه في سيئات كثيرة ، لعدم الالف بين المستعار والمستعار له ، وافتقاد المتناسب والقربي:

#### كقولسية :

انزنته الايسام من ظهرها من بعد اثبات رجله في الركاب و كقولسه :

رقيق حواشي العلم حتى لو الله بكفيك ما ماريث في انسه يسرد وقد وقع في هذا البيث فسى مخالفة للعسرف في التعبير عن ثقل الحلم ، وتحول ما أراد من مديح بالعلم الى ذم بخفة الاحلام ، ثم يصبر على هذا ، بل تمادى وأو غل فجمل الحلم بردا \*\* ومثله في الايفال في الاستمارة وعدم المناسبة :

فضربت السناء في اختصيه ضربة خلفته عدودا ركوبها وأخل عليه الآمدى مآخذ كثيرة في اللغة والعروض -

وأشار بعض العلماء إلى أنه كان يعد قوافيه أولا ثم يبنى عليها الشعر ، ولهذا ظهر التعسف أحيانا في بناء بعض الابيات • وربما كانت هذه الطريقة متبعة عند كثير من شعراء العصر ، فقد أشار اليها ابن طباطبا في عيار الشعر •

ومهما يكن من أمر أبي تمام ، فقد كثر حوله الكلام ، كثرة لم يحفظ بها شاعر إلا المتنبى من بعده ، واختلف الناس فيه ، لكنه يقي علما من أعلم الشعر العربي على مدى العصور ، وعرف يطريقته الخاصة ، في عمل الشعر ، وقلده فيه من تبعه من الشعراء يدءا بالبحثرى وتوالوا حتى القرون المتأخرة ، وقيل ان المتنبى اعتمد عليه ، وكان يصحب ديوانه ، وقد ألف يعضهم في مآخذ المتنبى من أبي تمام (١) - وصارت بعض قصائده نماذج في مآخذ المتنبى من أبي تمام (١) - وصارت بعض قصائده نماذج لمنية يحتذيها الشعراء ، وبرزت من بينها بائيته قلى عمورية ، ورائيته في عمورية ، ورائيته في عمورية ، ورائيته في عمورية ، وسارت بعض أبياته مسرى الامثال المناف فيها من العكمة وحقائق الكلم (٢) -

# من مغتارات شــعره :

قال يمدح أبا دلف بن عيسى العجلي:

على مثلها من أريع وملاعب اذيئت مصونات اللموع السواكب أقول لقرحان من البين لم يضف رسيس الهوى بين الحشي والترائب

ومنه قوله يمدح آبا العباس عبد الله بن طاهر :

أهن عبوادي يوسف وصواحيه : ﴿ فَعَرْمَا فَقَدْمَا أَدْرِكُ السَّوْلُ طَالِيهُ

 <sup>(</sup>١) ابن الدهان في كتاب و الماخل الكندية من الماني الطائية و • ويؤون:

<sup>(</sup>٢) أيروكلمان : ٧٤/٢ ترجمية الدكتيور ميد العليسم النجار وطبع دار المدارق -

وقوله في صلب الافشين وحرقه :

العق أيلج والسيوق عبواري قعللار من أسد العربين حبذار وقصيدته الذائمة في فتح عمورية :

السيف اصدق أنياء من الكتب 💎 في حده العد بين الجد واللعب

#### ومن الشعراء العلماء

# إبو بكر محمد بن داود الاصفهائي (١)

يعتبر أبو بكر ابن داود الظاهرى فقيه الشعراء أو شاعر الفقهاء في هذا القرن الثالث الهجرى وكان من أدباء آصبهان في هذا القر ن على الفتوى والقضاء شابا ، وأحب المناظرة مع أترابه من العلماء واشتهرت مناظرته مع أبن سريج القاضى وكانا يتناظران ويترادان في الكتب » وكان شمره في معظمه غزلا ، ولم يشتهر شاعرا كاشتهاره أديبا كاتبا بتأليفه كتاب والزهرة » وهو من أول ما ألف في الحب أو الالفة والالاف وقد وضعه في شبابه وضعته كثيرا من شعره على لسان بعض و أهل المصر » و

ومن رقيق شمره ما يمثل هذا الموقف المشحون بالضراعة أمام حبيبتمه • يقول :

وحظ نفسی من دینی ودنیائی ایام رایك فیتا غیر دا الرائی فاستجمعت مدراتك العیناهوائی وصرت مونیالوری متصرت مولائی وقل اعدای مل قبلت اكفائی یا متیة القلب لو آماله انفسحت قل لی تناسیت آم انسیت الفتنا کانت لقلبسی آهاوام مقرفیة فسار معمدتی من کنت آحساه حتیاذا استیاس العساد مندرکی

<sup>(</sup>۱) للدكتبور أحمد عبد المبتار الجوارى ، درامتة من ابن داوود الاصفهانى الطاهرى ولكتابه ، الزهرة » كما كتب الدكتور تورى ممودى القيسى دراسة عنه ومن شهره في مقدمة ، آوراق من ديوانه » - طبع بنداد سنة ۱۹۷۲ -

حميت طعم الكرئ عيني فاهتجرا من خان هان ۽ وقلبي رائد ڙيدا لابد لي متك قاصنع مايدا لك بي

قصار طيبالكري منيعض اعدائي ميلا اليك على هجري واقصائي فقد قدرت على قتالي واحياثي

وقد صنور ابن داود الحب المف أجمل تصوير ، وعبر عن أحاسيسه ، وأشجانه أدق تعبير ، يقول :

لو كنت شاهدنا والدار جامعة مستأنسين بما تغفى ضمائرنا قان معا الشوق قرط الانس أوحشنا أنس العوادل أن جدوا وأن تعبوا عانيث منزلة في الظرف عالية في عفة تتحامي (ن يلم بها

والشمل ملتثسم والسود مقترب على العثاق ورعى الود تصطعب ورتبة قصرت من شاوها الرتب سوم الظنون وأن تغتالها الريب

وقد كانت مماني الرفاء ، والصدق ، والتفاني في الوجد ، والسمو بالماطفة الى مرتبة صوفية ، رائقة ، كل هذه كانت دائسرة فسى شعره ، قمما قاله في معنى الوقاء حتى التزمت به جوارحيه من يصر ولسان وخاطر وجنان ٠

> كان رقيبا منك يرعى خواطري قما عاينت عيناي بعدك منظرا ولا بدرت من في يعدك فرحة اذا ما تسلى الفابرون عن الهوى وجنت الذي يسل سواي يشوقني

وآخر يرعى تاظلوى ولسناني بسسوءك الاقلت قد رمقائسي لفيرك الاقلت قيد سيمعاتى يشرب مسدام أو سسماع قيان الى قريكم حتى أمسل مكانسي

ورغم تجاهل العلماء له ، وعدم ذكره بين شمراء عصره الا أن شعره في الحب قد انتشر في عصره ، وعرفه الناس في العراق ، وسار في يقيداد ميم الطرقياء والعشاق - فقد روى الخطيب البقدادي أن القاضي محمد بن يوسف ساير أبا بكر محمد بن داود الاصفهائي ببغداد قاذا جارية تفني بشيء من شمره هو :

وأنت في عظم ما القي تقلله

أشدكو غليل فدؤاد أنت متلفه شكوى خليسل الى الف يعلله سقمى تريد مع الايسام كثرته والله حرم قتل في الهوى سفها . وانت بيا قاتسل ظلمسا تعلله

وقد جرت بين أبيه وجماعة من أدباء الممر ومتكلميه مناظرات ومحاورات ، كما جرت بينه وبين هزلاء مناظرات ومحاورات أتم يها مواقف والده ، ومن أشهر من ناظر في ينداد الناشيم الاكبر ابن شرش ومحمد بن جرير ، وأبو عيسى الضرير - ويجلس الي بعض الملماء من مماصريه فيروى عنهم ، كما ينشد مباشرة هن ا بعض شمرائهم كأحمد بن أبي طاهر والبحترى \* ويلتقي بابن الرومي ﴿ وقد نعته بفقيه العراق ﴿ وقد جِماء ابن الرومي يوما ا الى مجلسه ، وقدم اليه رقعة بها بيتان هما :

يا ابن داود يما فقيمه العراق أفتنما في قواتمل الاحمداق هل عليهن في الجراح قصاص الم ميناح لهنا دم المشتباق

## فكتب له في الجواب:

يسبهام الغبراق والاشتياق

كينف يقنيكسم قتيسل صريسع وقتيسل التلاقسي احسن حمالا عند داود مسن قتيمل الفسراق

والاين داود الظاهري مؤلفات أدبية أشهرها كتأب الزهرة في

الادب ، ومختار الاشعار ومعظم ما روى عن مؤلفاته في القشبه والمسائل الجدلية -

ولا يحدد العلماء تاريخا لمولده ، كما يختلف في تاريخ وفاته بين سنتي ست وتسمين ومائتين ( ٢٩٦ هـ ) وسبع وتسمين ومائتين ( ٢٩٧ هـ ) ٠

## ومن الشعراء العلماء :

# أبو العباس الناشيء الاكبر

كان أبو العباس النائيء شاعرا مجيدا ، وعالما فاضلا ، لا تستطيع أن نحكم على ذوقه في النقد ، ولا أن نقدر جهده الااذا عرضنا لبعض جوانب تكوينه الانساني وبناته الفكرى والفني مع خلال التعرف على شخصه وحياته ، وبعض شعره وعلمه •

والناشيء الاكبر هو أبو المباس عبد الله بن معمد الانباري المعروف بابن شرشر و لقبه الناشيء يطلق على رجذين من شعراء العصر العباسي ، أحدهما هو هذا أبو العباس وقد أطلق عليه الناشيء الاكبر ، وقد جاء الناشيء الاكبر ، والآخر أطلق عليه الناشيء الاصغر ، وقد جاء بعده (۲) .

وكانت عادة العرب وعلماؤهم من قديم اذا اشترك اثنان في لقب فيميز السابق منهم باللقب متبوعا بكلمة الاكبر، واللاحق متبوعا بكلمة الاصغر، وكذلك كان الامر بالنسبة الى الاختشين الاكبر والاصغر، وهما من علماء النحو المرموقين -

قلك بالنسبة الى لقبه الناشيء ، أما شرشير الذى لقب به أبوه ، ولاق به هو أحيانا فاسم لطائر معروف بالديار المصرية يعيش في شمال الدلتا ، يغشى المصارف والترع وموارد المياه ، ويفد الى مصر شتاء ، هو أكبر من الحمام ، وهو صيد طيب .

ولا نعلم مما ورد من أخباره شيئا عن سبب هذا اللقب الذي الحق بأبيه أو به ، وكثيرا ما تلحق الكنى والالقاب بالناس دون سبب ظاهر ، وكم عرف جماعة من أجلة العلماء والشعراء بالقاب من أسماء الحيوان والطبر والجماد ، فتعلب وأبو ذؤيب وابن عصفور وابن حجر ٠٠٠

قيل ان أصل أبي العباس من الانبار وينسب اليها كثير من علماء الدولة العباسية وكبار أدبائها ، وقدم بغداد فأقدام بها زمنا ، نضبج علمه وأدبه ، والتقى بكثير من علماء دار السلام وأدبائها وشعرائها في القرن الثالث ، وعقدت بينه وبين بعضهم أواصر الود والصداقة ، أو وشائج العلم والمناظرة -

وأولى اهتمامه دراسة الفلسفة والمنطق والجدل والخلاف ، وأعجب بعلم الكلام ، فانضم الى زمرة المتكلمين وقد كانت للكلام مكانة في بقداد في القرن الثالث أيده بعض الخلفاء ممن ناصر المتكلمين وقربهم ، أمثال الخليفة المأمون ، والخنيفة المتصم ، وقد عاش في كنفهما جماعة من كبار المتكلمين وفلاسفة المسلمين .

وأولع أبو العباس بالفلسفة والجدل ، وغشى حلقات المتكلمين وغيرهم من علماء بغداد آنداك وأحب المناظرة ، ومقارعة العلماء ، وكثيرا ما أتهم بمشاغبتهم ، وممارضة المشهورين منهم حتى رمى بالهوس ، وقال المرزباني : و وكان أبو العباس الناشيء منهوما شديد الهوس » .

وتألب عليه علماء بغداد لهذا ، فضيقوا عليه المقام بدار

السلام ، فلم يلق ما كان يصبو اليه من مكانة صرموقة ، ففادرها الى مصر (٤) ، وربما زاد في ضيقه بالمقام ببغداد آنذاك أنها نكأت على المتكلمين ، وقلبت لهم ظهر المجن بعد محنة خلق القران المشهورة ، وثورة الحنابلة على المعتزلة والمتكلمين عامة ، وانتصار المتوكل لمذهب أهل السنة وعدائه للمتكلمين والمعتزلة (٥) .

قال المرزباني انه أخذ نفسه بالغلاف على أهل المنطبق والشعراء والعروضيين وغيهم ، ورغب في أنه يعدث لنفسه أقوالا ينقض بها ما هم عليه فسقط ببغداد فلجأ الى مصر وأقام بها بقيلة عمله ه

و نقل آنه كان موجودا بمصر عام ثمانين ومائتين من الهجرة حيث أنشد أبياتا بدأها بقوله :

ئيس شء احر في مهجة الما شق من هدده الميون المراض والغدود المضرجات اللواتي شيب جريالها بعسن البياض

وظل أبو العباس يقول الشعر ويؤلف في فروح العلم بعصر حتى توفى عام ثلاثة وتسمين ومائتين ( ٢٩٣ هـ ) •

والف الناشيم كثيرا من الكتب فيما أتثن من علوم العربية وعلوم الاوائل ، وكان متقنا للنحو وعلوم الدين والمنطق ، قال ابي خلكان : « من العلماء بالادب والدين والمنطق » ، وقال أيضا : « وله تصانيف جميلة » ،

ونظم الشعر التعليمي - قال ابن خلكان : و له قصيدة على

روى واحد وقافية واحدة في أربعة آلاف بيت فيفنون من العلمه -

ووقف منه العلماء والمؤرخون مواقف مختلفة بين مزر به متحامل عليه ، ومعترف بغضله مقدر لجهده وعلمه ، مثن على كتبه وشهده .

قمن تعامل عليه المرزباني من علماء القرن الرابع وصاحب كتابي : « معجم الشعراء » و « الموشح » فقد نمت ، بالتهوس كما رأينا ، وقال : « أخذ نفسه على أهل المنطق والشعراء والمروضيين وغيرهم ، ورام أن يحدث لنفسه أقوالا ينقض ما هم عليه » •

ومن عرف فضله ابن خلكان فقد قال فيه : « وكان بترة علم الكلام قد تقض علل النحاة وأدخل على قراعد الدروض شهبها ، وكل ذلك بحدقه وقرة فطنته » (٦) •

وكلام كل من المرزباني وابن خلكان يدور حدول موضوع واحد جعله الاول مأخذا والثاني محمدة وبيده أن الرجدل ارتأى رأيا في علم النحو أو بعض قواعده وصل البه واستنبطه مع دراسته المتعمقة في علم المنطق وعلوم الفلسفة وحاول فيه أن يخرج على اجماع علماء النحو في عصره في فضوه وقاوموه وكذلك فعل في عروض الخليل الذي ارتاى فيه كذلك رأيا مخالفا للعلماء وبدت له في أصول الخليل كما يقول ابن خلكان شبه أو مآخذ ، ومثل لبعض ما وفق اليه في علم المروض بأمثلة

غير ما دريج عليها الناس ، فرأوا فيها مروقا على علم الخليل ، واتهموه بالهوس "

ولسنا على علم بهذه الاشياء جميما حتى نحمكم عليه أو له فنكون مع المرزباني أو نكون مع ابن خلكان . ومع ذلك قان موقف المرزباني من الناشيء قد تعترضه بعض الشبه ، منها أنه كان قريب العصر من أبي العباس وأنه كان بنداديا ، ولابد أن أصداء الخلاف بين الناشيء وعلماء بنداد كانت لا تزال تدور في أوساط العلماء أيام المرزباني ، وهو بندادي على كل حال ، ومعاصر ، وهذا وحده كفيل بأن يلقى ظلالا من الهوى على حكمه ومعاصر ، وهذا وحده كفيل بأن يلقى ظلالا من الهوى على حكمه ومعاصر ، وهذا وحده كفيل بأن يلقى ظلالا من الهوى على حكمه ومعاصر ، وهذا وحده كفيل بأن يلقى ظلالا من الهوى على حكمه ومعاصر ،

أما ابع خنكان فبعيد عن معاصرة الناشيء لانه من رجال القرن السابع أي بعده بأربعة قرون كانت كفيلة بترجيح الرأي السديد وتصفية المعركة والحكم له أو عليه بروح الانصاف دون هوى • فضلا عن أن ابن خلكان لم يكن وحده الذي قرط الناشيء وأثنى عليه ، بل سبقه الى ذلك أحد أدباء القرن الرابع الفضلاء معن لا ينكر رأيه ، ويؤخذ قوله في الادب مأخذ الجد والاعتبار ، وأعنى أبا حيان الترحيدي الذي نعت بالجاحظ الثاني •

وفي كتبه يقول المرزباني : « وقد رأيت بعض كتبه فدلتني على هوسه واختلاطه » \* وفيها يقول ابن خطكان : وله عدة تصانيف جميلة \*

ويقول ابن تغرى بردى : كان فاضلا بارعا ، وله تصانيف رد فيها على الشعرام •

#### شسعره :

قلك مبلغ أمره في العلم ، وأما أمره في الشمر قلم يكن أقل من أمره في العلم اذ اختلف العلماء حوله اختلافهم حسول علمه ، فألمرزبائي يراه شاعرا مكثرا وهو مع كثرة شعره قليل الفائدة ، ويقول ابو حيان عن شاعريته : « وله مدهب حلو وشعر يديع ، واحتفال عجيب » (٧) ، ويقول ابن الجوزي : « وله شعر حسن » (٨) ،

وقال ابن خلکان: وله أشعار كشيرة في جوارح الصيد ولاته ، والصيود وما يتعلق بها ، كأنه كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم في كتاب و المصايد والمطارد في مواضع » ، منها قصائد ، ومنها طرديات على أسلوب أبو نواس ، ومنها مقاطيع ، وقد أجاد في كل » و

وقال نی موضع آخر : ه شاعر مجید یعد فی طبقة ابن الرومی والبحتری » (۹) \*

ولم يبلغنا ديوان كامل للناشيء الاكبر حتى تحميكم عليه أو تقومه ، وكل ما جاءنا منه مقطوعات وقصائد مفرقات في أسفار الادب ومجموعاته ، ومن بين تلك الاسفار مما جمع له كثيرا من الشمر كتاب و البصائب والنخائب » لابي حيبان التوحيدي ، و د زهب الآداب » للحصري القيرواني ومحاضرات الراغب

ومن تلك الاشعار المفرقة ، وما أشار اليه ابن خلكان في نصه السابق ، وفي مواضع آخرى نجه أن شعره يضم موضوعات الشعر التقليدية كالنزل والفخر والمديح والهجاء والوصف ، كما تروى عنه قصيدة مطولة في الشعر التعليمي في فنون العلم عني روى واحد تبلغ أربعة آلاف بيت (١٠) - وله شعر كثير بين قصائد ومقطعات في الطرد والصيد وآلاته على ما ذكر ابن خلكان فيما نقلنا عنه -

وقد وصف الناشيء شعره في أبيات جيدة تقول :

يتحير الشعراء ان سمعوا به فكانه فيي قريبه من فهمهم شهر بندا للعين حسن نباته فاذا قبرنت أبيبه بعطيف القيت معتماه يطابق الفظله وأتماه متسقا عملي احسانه فيعلنه لك باقيما

في حسن صنعته وفي تاليقه وتكولهم في العجز عن ترصيقه وتأي عن الإيسدي جني قطوفه وقرنتسة بفريسة وطريقه والنظم منه جليسة بلطيقه قد نيسط منه رزينية بغفيقه ومنعت صرف الدهر عن تصريفه

يصنف شعره بالسهل المعتنع المحكم الرصف الطبع الابى الذى يجمع بين الشرابة والطرافة فى تألف من المعنى واللفظ والنظم ، دون خلل فى أيهما أو فى تألفهما جميما مصا فى نسق واحمد مهذب لا شدود فيه ولا شرود ، فعاد شعرا خالدا على الزمن ، باقيا على صرف الدهر لا يغير منه كهر الزمان . عاصر الناشيء جماعة من كبار شعراء العياسيين أمثال البحترى وابن الرومي، ولم يشتهر شهرتهما، وان كان ابن خلكان قد وضعه في طبقتهما وقعمد بشعره كبار رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة ، فعدحهم وكان من بينهم من قعمده ابن الرومي كابي العبقر ابن بلبل الوزير العباسي صاحب القمسة المشهورة مع ابن الرومي ، والذي كانت له معه مواقف سجلها في قعمائه طويلة ذوات عدد وقال نيه أبو العباس الناشيء:

تبلج بروح الياس أو روحة الفنى أو الصدق ليافي الوعد أوطلب العثر فعالى تقى يحيى، ولا حلم يوسف ولا صبد آيوب ولا مسند الغشر

ويجمع شعره سمات المالم والشاعر، ففيه الصياغة الرصينة، والكلمة الواقعة موقعها ، والمعنى البعيد ، والفكرة ، الى جانب حلاوة النفس ، وعنوبة الجرس ، وجمال العدورة ، وأعجب أبا حيان التوحيدى قوله متغزلا :

> لها جيد ظبسي واهتزاز براعة و ولفظية مناع ، ولعظية بساذل و وايماض ذي جد،واعراض هازل و

وعینا مهان ، واعتدال قضیب وعتب بسریء واغتیاب مریب وسورة ذی طیش وعطف حبیب

وعلق عليه يقوله : فهذا فن لطيف المقام ، حلو جدا (١١) .

وما جاءنا من شمره في الفزل رقيق فيه تلك الحلاوة التي أشاد يها التوحيدي • ومنه هذان البيتان في وصف السم فوق خد الحبيب ساعة الفراق :

بكت للقبراق وقد راعتى بكاء الدبيب لبعد اللهار كان اللموع على خلفها. بقية طال على جلنسار وحلاوة البيتين مستمدة من جمال التشبيه للهالبيت الثاني. ومع جميل ممانيه في الشكوى قوله :

لنظى ولفظك بالشكوى قد ائتلفا يا ليت شعرى قتلبانا لم اختلفا ومن نسيبه حلو النفس قولمه (١٢) -

وأيةن منسأ بانقطباع المطائب فعجن عليتا من صدور الركاتب لنا كتبا أعجمنها بالعواجب قلمسا قرأناهن سرا طويتها حذار الإعسادي بازورار المناكب

ولما راينها البين زمت ركايه طلبن على الركب المجدين علبة فلما تلاقينا كتبن باعين

جمعت بين رقة النسيب ، ودقة المعانى ، ومبتكر التعبير ، و تلاحظ ذلك كله في البيتين الثالث والرابع بخاصة -ويرسم بالكلمات صورة شمعرية جميلة لعازفة على العمود قیقول (۱۳) ۰

وإذا بصرت بكفها البسري حكت يد حاسب تلقيم اليك صنوف وكائما المضراب في أوتاره قلم يمجمع في الكتاب حروفا في النقر تنفي بهرجا وزيوف

ويجيبسه ابهامهسة فكأنها

## ويفخس ينفسه وقوسله فيقلول:

الا وتحن بنورها وتجومها من كل حمادثة فتعن حريمهما يتسلئ فمنسا تستهل خيومها

لم تين في الدنيا سماء مكارم واذا سمت يوما للمس أديمها تجهوى ابالسها فنعين رجومها واذا سمعت بتعسة معرومة واذا اليعث للأنسام بسوارق

ويشكو هجس المبديق وتنسره:

انى ليهجرنى الصديق تجنيسا فاريسه أن فهجره اسسبابا واخساق ان عائبتسسه اغريتسه

فارى لسه ترك العتساب عتابسا

وشعره يجرى على هذا النعط من الشاعرية المعترجة بالفكر والتأمل ، لا يطسرى المعنى السهل القريب ، ولكنه يجسرى وراء المعنى البعيد ، فيأتى به ليضعه أمامك في لفظ سسهل لا تشعري يأثر الجهد فيه ، فهو غير متكلف اللفظ ، ولا متعنث العبارة كبعض الشعراء من أصحاب المانى ، وهو مع ذلك لا يرقى الى رتبة البحسترى في طلاوة الشعر ولا الى درجة أبى نواس في رشاقة التعبير .

ومع ذلك فهو لا ينحط عن درجة هؤلاء وأولئك كثيرا ، بل يعتبر شعره من جيد الوسط •

## كتباب الشبعر:

واذا ما تركنا شمره الى نقده ، والحديث عن كتابه فى الشمر وآرائه فيه فيتبقى أن نهتدى آولا بحديث آبى حيان فى البصائر عينول : ووما أصبت أحدا تكلم فى نقد الشمر وترصيفه أحسن مما أتى به الناشىء المتكلم ، وان كلامه ليزيد على كملام قدامه وغميره » (١٤) -

وهذه العبارة تحتاج الى وقفة تأمل ، لأن أبا حيان حكم على على على على النقد وقال إنه لم يصب أحدا من ألنقاد الى عصره — أى أخريات القرن الرابع — تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن مما أتي به الناشيء وهو لا شك قد قرأ كتب النقد السابقة أو عرفها ويشير بصفة خاصة الى كتاب قدامة بن جعفر و نقد الشعر ويقدمه عليه وعلى غيره معن عرض لهذا الموضوع \*

وهو لا يمنسى من النشاد بالضرورة من تعرض للشعراء وطبقاتهم ، بل يعنى بصفة خاصة من تعرض منهم لمسنعة الشعر ، وقد صبقه الى القول في صنعة الشعر جماعة كابن المعتز صاحب البديع ، وابن طباطبا في عيار الشعر ، وكتاب ابن المعتز قليل المخطر ، وان كانت له أستبقية الحديث عن البديع وتبويبه ، وأخطر منه عيار الشعر لابن طباطبا ، وأن لم يحظ بالشهرة التى حظى به البديع لابن المعتز ونقد الشعر لقدامة - ولا شعرى لم أهمل أبو حيان عيار الشعر عند حديث عن كتاب الناشيء ، والكتابان فيما يبدو مما بقى من أجزاء كتاب الناشيء قريبان من بعضهما في الموضوع ، لانهما يعرضان لهمنة الشعر - ومؤلفا والشعر » و « عيار الشعر » شاعران يعملان المنة الشعر - ومؤلفا و الشعر » و « عيار الشعر » شاعران يعملان المنوق ويحكمان المنبذ الذائية ، ومعاناة النظم ، وليس آدرى بأسراره كمن دفع الله مضايقة كما يقول البحترى - وكلام قدامة في صنعة الشمر كلام عالم مقنن لا شاعر مجرب ، وقرق بعيد بين الكلامين -

ومهما یکن من أمر فان کتاب و الشعر » للناشیء کتاب یتعدت فی صنعة الشعر وفنه ، ویشهد علی ذلك ما وصلنا من مقتطفات من الکتاب فی بعض کتب الادب ، وفی کتابی «البصائر والدخائر» لابی حیان التوحیدی ، و و زهد الآداب » للحصری القبیروانی بخاصة •

ونورد هذه المقتطفات محاولين ترتيبها من عموم الي خصوص -

# ونبدأ بتعريفه للشعل وحديثه عنه • يقول (١٥) :

و الشمر قيد الكلام ، وعنال الأداب ، وسور البلاغة ، ومعدن البراغة (١٦) ، ومجال البنان ، ومسرح التبيان ، وذريعة المتوسل ، ووسيلة المتوسل ، وذمام الغريب ، وحرمة الاديب ، وعصمة الهارب ، وعدة الراهب (١٧) ، ورحلة الدانى ودوحة المتمثل ، وروضة المتحمل ، وحاكم الاعراب ، وشاهد الصواب » •

وهو في هذه الفترة لم يعرف الشعر التمريف المالوف ، بل عرفه التعريف المالوف ، بل عرفه التعريف المالوف ، بل عرفه التعريف المجامع لخصائصه ، وطبيعته وغاياته ، وفوائده ، وكل من عباراته الموجزة تحتاج في الشرح الى صفات تبسط مجملها ، وتنشر مطويها -

وأولها قوله إن و الشعر قيد الكلام » يعنى أنه يقيد المعانى والافكار بأحكامه وموسيقاه ونظمه ، بتفاعيله ، وقوافيه ، ويعنى أنه حافظة الملم ، وخزائة الادب ، وهر أيسر وسيلة لسهولة علوقه بالذهن ، وهو دعقال الآداب » أى قيدها ، ومجتمعها - فيه الحكمة ، والممرفة • وهو أسسمى فنسون الادب ، وأشرف أنماث التول ، وكان العرب يتواصون بحفظه ، ويوصون مؤديى أبنائهم المتول ، وكان العرب يتواصون بحفظه ، ويوصون مؤديى أبنائهم بتعليمهم أياه • وهو و سور البلاغة ومحل البراعية ، ومجال الجنان ، ومسرح البيان » ويعنى سمو منزلته في البلاغة والبيان، فهو في المقدمة من فنون القول جميما ، لا يسبقه منها أحد ، ويكاد

يقتصر علم الادب عند العرب على الشعر ، فقد غلب على ما عداه ، والبليغ الحق هو الشاعر الفحل ، والمقول الفذ و فسى الشعر تبدو البراعة ، وتتكشف المقدرة ، اذ تحكمه الاوزان والقوافى والقوافى واللغة الغاصة ، اللغة الشعرية ، والشاعر الفذ هو الذى يستطيع أن يؤلف بين معانيه والفاظه وأوزانه وقوافيه ، فلا يضطره الوزن الى اصطناع الضرورة في بناء العبارة ، أو التكلف في القافية فتبدو ملحقة بالقول أو خارجة أو فضلة زائدة ينتهى الكلام قبلها ، لهذا أعجبوا بالشعر الذى تلتصن قوافيه ببقية الفاظه ، أو تؤدى أوائله الى قوافيه دون تكلف أو عناء و ونسمع كثيرا من العبارات في كتب النقد تصف تلاؤم القوافي مع الوزن ، أو تلاؤمها مع بقية لفظ البيت و المناء و المناء و المناء و المناء و المناء و تلاؤمها مع بقية لفظ البيت و المناء و ا

وتلك العبارات التي سلفت كلها متصلة بصنعة الشعر ، وما جاء بعدها في الفقرة من عبارات يتصل بغايات الشعر وقوائده ، فهمو : و ذريعة المتوسل » ، ورغم المزاوجة الطاهرة بين العبارتين فهما تعبران عن موضوعين مختلفين -

قدريعة المتوسل يعنى أنه يتخد ذريعة الى أمر فيتوسل به ، أو يتشفع فيه • وهنا يمكن أن يدخل المتاب ، والاعتدار ، والتحبب ، والقربى الى المحبين وفيه معنى كون الشعر سببا في المفو عم جرم ، أو الصفح عن أثم • • وتحدث عن هذا الدور للشعر تفصيلا ابن رشيق في كتاب المعدة •

وقى الققرات التالية و وذمام الفريب ، وحرمة الاديب ، وعصمة الهارب وعدر الراهب » يواصل الناشيء ذكر فوائد الشعر وبيان فضائله •

ثم يختم بفقرات تتصل باستخدامات المشعر في الادب واللغة، ودوره في ايضاح المعانى ، وضبط القواعد والاعراب ، وضبط الفاظ اللغة في استخدام أبيات الشعر وشواهد على هذا كله -

قهو يحق كما قال: ودوحة المتمثل ، وروضة المتحمل، وحاكم الاعراب ، وشاهد الصواب ) •

وقد أشرنا الى أن العلماء بالشعر فصفوا ما أجمله الناشيء، وتخصص منه مم عيد الكريم النهشالي (١٨) ، وابن رشيق القيرواني (١٩) \*

## خصائص الشعر الجيد:

ويمرض في فقرة أخرى بنقلها الحصرى في زهر الآداب به لاسلوب الشعر ، وموضوعاته فيقبول : « الشعر منا كان مسهن المطالع ، فصل المقاطع ، فحل المديح ، جزل الافتخبار ، شبجى النسيب ، فكه الغزل ، سائر المثل ، سليم الزلل ، عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المدرة حسن المعتبة ، مطمع السالك ، فانت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعانى ، نائى الاغبوار ، ضاحى القرار ، نقى المستشف ، قد هريق فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له

تور الرجاحة ، فأنهل في صادي الفهم ، وأبهل في بهـم الرأى ، لمتأمله تشوق ، ولمستشفه تألق ، يروق المتوسم ، ويسر المتبرم "

قد أبدت صدوره متونه ، وزهت فی وجهه عیونه ، وانقادت كواهله لهوادیه ، وتطالعت آثاره لمستوضعه و أشبه الروض فی وشی ألوانه ، وتعمم أفنانه ، اشراق انواره ، وابتهاج أنجاده وأغواره و أشبه الوشی فی اتفاق رقومه ، وانساق رسیومه ، وتسطیر كفوفه ، وتحبیر حروفه و وحكی العقد فی التئام فصوفه ، وانتظام وصوله ، وازدیان یاقوته بدره ، وفریده بشنره وانتظام وصوله ، وازدیان یاقوته بدره ، وفریده بشنره و

قد كشف الايجاز موارده ، وجلت مداوس الدربة مناصله ، وشحنت مدارس الادب فواصله ، فجاء سليما من المعايب ، مهذبا من الادناس ، تتحاشاه الابن ، وتتحاماه الهجن ، مهديا الى الاسماع بهجة ، والى العثول حكمة » (٢٠) .

ومرة أخرى أوجن الناشيء في هذا الفصل ما قصله غيره من العلماء من خصائص الشعر الجيد ، لفظا ومعنى ، فجمع خصائص اللفظ الشعرى ، والمعانى الشعرية ومناسبة الاسلوب واللفظ والمعنى لموضوع الشعر وأغراضه •

ويهتم بسهولة المطالع ، ويوضوح مقاطعه وفصوله ، وهو بدلك يستوحى أصول الشعر الجاهلي وتقاليده ، فقد كان الشعراء يتحرون سهولة المطالع ، لاجتذاب السمع ، وقبول الدهن لما يرد عليه - وفي النقد العربي مواقف كثيرة للنقاد مع هذه الخاصية

ولعل أشهرها موقف ابن الاعرابي من غموض مطلع أبي تمام :

هن عوادي يوسف وصواحبه فعزما فقدماأدرك السؤل صاحبه
وقوله للشاعر : لم لا تقول ما يفهم ؟

وموقف نقاد المتنبي مين غموض مطلع المتنبي وتعقيده في قوله :

أهاد ، أم سداس في أحاد ليبلتنا المتوطنة بالتنافى وينتقل إلى مناسبة الكلام للموضوع من حيث القوة والضعف، والجزالة والرقة ، فيرى ضرورة الفحولة والقوة عند المديح ، وهذا أمر طبيعي لان المديح يقتضى من الشاعر وصف الممدوح بصفات الرجولة والشجاعة والاقدام ، وهذه المماني لا يناسبها سوى قوى اللفظ ورصينه ، وقد أورد النقاد أمثلة كثيرة لمناسبة معاني المديح لالفاظه ، وهي غائبة على الشعر الجيد ، ولكن مخالفة ذلك تبدو في شواهد قليلة يتناقلها النقاد - مثل ما نقله ابن طباطبا في عيار الشعر من عدم مناسبة قول كثير لمديح الخليفة الاموى في قوله (٢١) :

وما زالت رفياك تسل ضفيني وتغيرج من مكامنها ضبابي ويرقيني لك الراقبون حتى أجابت حيبة تعت الثيباب

فهذا كلام أليق بأن تخاطب به امرأة ، لا أن يخاطب به خليفة المسلمين وأمير المؤمنين •

وحال الفخر كحال المديح ، فلاب أن تكون ألفاظه جزلة كذلك ٠

وقد فرق الناقد وهو في القرن الثالث بين موضوعي النسيب والغرل و كثير من النقاد لم يعتادوا هذه التفرقة ، بل جمعوا بيئهما ، وقليل منهم من التزم هذه التفرقة بين الفنين وان كانا جميعا متعلقين بالملاقة بين الرجل والمرأة والاحوال التي تجرى بينهما من العشق والمحبة ، وأحوال الهوى وتصرفه معهما ، من لقاء وفراق ، ويعد وقرب ، ووصل وهجران ، وسهر ، وأحوال العذال • وما الى ذلك ، وبوصف جمال المرأة ومحاسنها الجسدية أو القولية ، والسلوكية •

ومن قول الناشيء ندرك أنه يسرى النسيب هو المندى يعمن أحوال الهوى والمحبة وتصرفهما بين المحبين ، بينما الغزل هو ما يتصل بمحاسن المرأة وجمالها جسدا ولفظا وسلوكا \*\*\*

قهو يتطلب في النسبب الشجى ، أى المطرب ، وأن يطبرب لسماعه الناس ، وما يطربون الآلانه يقع في قلوبهم موقعها ، وقد علل ابن قتيبة تمسك الشمراء بمقدمات النسيب في بناء القصيدة التقليدية بقوله بعد ذكر الاطلال والوقوف عليها وما يتصلل بذلك ٠٠ « ثم وصل ذلك بالنسبب قشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق ، وفرط الصبابة ليميل نحوه القلبوب ، ويصرف اليه الوجوه ويستدعى الاسماع اليه ، لان النسبب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جمل الله في تركيب العباد من محبة الفنزل والف النساء » (٢٢) ٠

ووميت الغزل بالفكه ، ولا يعنى هذا التعت ما اتصل باللفظ

في لفتنا المعاصرة من معاني الاضحاك ، بل لعله أقرب في مدلوله المقصود الى معني المسرة وهو الشعور الذي يحدثه وصف الجمال في صوره المختلفة ، فجمال المرأة باعث على المتعة والمسرة ، وهذا ما يقصده الناشيء من ضرورة أن يكون الشاعر الجيد فكه الغزل وقد خلط صاحب جوهر الكنز بين مدلولي النسيب والغزل (٢٢) ، مع أنه جاء متأخرا في القرن السابع ، وكان حقه أن يفرق بينهما بوضوح بعد أن سبقه إلى التفريق بينهما علماء أفاضل لعل أقربهم البه صاحب العمدة "

ويتصل بموضوعات الشعر ما جاء منه في المثل والحكمة ، وان لم يفرد الشعراء قصائدهم للمثل والحكمة ، اللهم الا القليل منهم من أمثال صالح بن عبد القدوس وأبي العتاهية في قصيدته المعروفة بدات الامثال وقد يختم بعض الشعراء بأبيات من المثل والحكمة كما قعل زهير بن أبي سلمي في معلقته ، ولكن معظم الشعراء ينثرون آبيات المثل والحكمة في أثناء القصيدة فتسير دون غيرها ويستشهد بها الناس ، ويحب الناشيء كما هو واضح من قوله أن تنعلوى القصيدة على « سائر المثل » وقديما سمى الشعر الخالى من المثل السائر أو عيون الشعر « بالمسيح » \*

ويمرض للهجاء فيى أن يكون رائعا ، أى يروع الناس ، لا أن يكون باهتا عاديا فالهجاء الرائع هو الهجاء الحار اللاذع يروع يلفظه أو معانيه الساخرة ، أو صوره الفكهة التي تصم وتدمغ الهجو .

# وقد أتفق النقاد على مثل قول الناشيء أو قريب منه -

وقوله أن يكون الشعر سليم الزلل ، عديم المخلل فهما صفتان عامتان فالزلل والخلل في الشعر يعرض له من جوانب كثيرة ، وينسحب هذا الكلام على ما تحدثنا عنه من قبل فيما يتصل بأسلوب الشعر وألفاظه ومعانيه وموضوعاته ، وقريب من هذا ما ساقه من نعوت بعد ذلك ينبه فيها على حقائق الفن الشعرى، والخصائص التي تكشفها الممارسة والمتعلقة بمواطن الحسن ، فقد نبسه الى ضرورة أن يجمع أسلوب الشعى الجيد بين جمال التعبير وعدوبة اللفظ ، وسداد القصد والغاية وسلامة المدى وضعة الفكرة ·

ويفصل بعض الخصائص التركبية في أسلوب القصيدة ، وينائها الفنى مما يفى بشرطي الحسن والسلامة أو الصحة ، الامر الذي يثير في المتلقى أو السامع الاحساس بالمتعة والمسرة ، والفهم السليم من مثل قوله : « ثم أبدت صدوره متونه ، وزهت في وجوهه عيونه ، وانتادت كواهله لهواديبه ، وتطالمت أثباره لمستوضحه » • وفي هذه العبارات يؤكد خاصة كثر حديث النقاد فيها ، وخصها علمام البلاغة بأنبواع من البديع ، كقولهم في التوشيح ودلالة الصدور على الإعجاز ، وما الى ذلك •

ويجرى الناشيء مع القائلين بأن الشعر صنعة كغيره من المستاعات ، يتبغي لمن يتمسدي لعمله أن يتقن أسرار صنعته ، وهو وهو يرى كنلك في الصنعة ضروبا من التحسين والتجميل ، وهو

كالصناعات الجميلة ، كالنقش في الثياب ، أو صياعة الحيل الذهبية ، أو العقود وما شابهها مما أكثر القدماء تشبيه الشدر به من تلك الفنون والمناعات •

## فقولۍه:

و وما اشبه الروض في وهي الوانه ، وتعمم أفنانه ، واشراق أنواره وابتهاج أنجاده وأغواره ، وأشيه الوشى في اتفاق رقومه ، واتساق رسومه وتسطير كفوفه ، وتحبير حروفه ، وحكي المقد في التثام فعموله ، وانتظام وصوله ، وازديان اقوته بدره، وفريده بشدره » \*

وينهى هذه الكلمة بعديث عن طبيعة الاسلوب والصياغة ،
مهتما يضرورة الايجاز ، وهو ما يتمشى مع طبيعة الشعر ، وطبيعة
تركيبه ، فهو من قنون القول أولى بالايجاز ، تحمكمه موازين
عروضه وقوافيه وينبه الى ضرورة تثقيفه وتهذيبه ، ويدين على
ظلك طول السربة والممارسة وطول المراجعة والمدارسة حتى ينفى
عنه خيثه ، ويخلو مما يشينه من عيب اللفظ ، أو هجنة التركيب،

ويرى أن ما كانت تلك صفته من الشعر الصقيل المهذب يهدئ الى الاسماع بهجة ، والى العقول حكمة ،وتلاحظ أنه يؤكد هذين الجانبين كلما عنت له فرصة ، أو واتته مناسبة ، وكانه كما قلنا يرى ضرورة توفس المتعبة واللهة ، والفكيرة أو المعرفة في الشعر ، وهما عنصران يتمان جماله ، ويتقاسمان جودته ،

وقد وقد النقاد من هذين المنصرين في الشمر مواقف تتفق وتختلف عن موقف الناشيء ، فالبحترى مثلا ، يؤكد ضرورة توفر عنصر الجمال والمتعة في الشعر ، وتأتى الفكرة لاحقة لهذا العنصر ، واتجه الآمدى هذا الاتجاء الذي ذهب اليه البحترى ، فحاول الفصل بين الشعر والحكمة • ورأى الشعر في جمال التميح وطلاوة اللفظ وقرب المعانى وبدو الرونق ، فغلب الصنعة على الفكرة • وذهب أنصار أبي تمام والمتنبي مذهبا مخالفا ، ورأوا الشعر في عميق المدنى ، والحكمة المفيدة عقلا وأدبا •

ويورد أبو حيان قسلا من كتاب الشمر يتناول موضوعات القصيدة الشعرية وما يشتمل عليه كل موضوع من المعانى ، مبتدئا بالنسيب :

# يقول (۲٤) :

و أول الشعر إنما يكون بكاء على دمن ، أو تأسفا على زمن ، أو نزوعا لفراق أو تلوعا الإشتياق ، أو تطلعا لتلاق ، أو اعدارا الله سغيه ، أو تخمدا لهفسوة ، أو تنصلا من زلسة ، أو تحضيضا على أخف بثأر ، أو تحريصا على طلب أو تأر ، أو تعديدا للمكارم ، أو تعظيما لشريف مقام ، أو عتابا على طوية قلب ، أو عتابا من مقارفة ذنب ، أو تمهسدا لماهسد أحباب ، أو تحسرا على مشاهد اطراب ، أو ضربا المثال سائرة ، أو قرعا لقوارع غائسرة ، أو تزهيدا في حقير عاجل ، أو ترغيبا في جليل نظما لحكم بالغة ، أو تزهيدا في حقير عاجل ، أو ترغيبا في جليل أو حفظا لقديم نسب ، أو تدوينا لبارع أدب » "

وينقل التوحيدى فمسلا أخس يتمل من موضوعات الشعر بالفزل والنسيب بخاصة فيقول (٢٥) :

و ومخاطبات النساء تحلو في الشعر ، وتعذب في القريض ، لاسيما لمغانية قد أطر الفتاء شاربها ، وزوى الاباء حاجبها ، وأشمل الجمال قوامها ، وأفرد الحسن تمامها ، وانجل الهلوى عينيها ، وأمرض الزهو جفنيها ، وأذابت الصبابة الفاظها ، وفتر الرتو الحاظها ، وأرهف الظرف أعطافها ، وألانت التعمة أطرافها، ولد للراشف مبسمها ، وأطرد سام النعيم بين رياض وجناتها ، وترقرق جريال الشباب على سحناتها ، وجدل للضم قدها ، ومالت للجذب ضفائرها ، ودالت للغاصب غدائرها ، وشخصت للوثوب ماكمها ، وظمئت فضولهما ، وسهلت للعيون حجولها ، وطاب للمتنسم ملاغمها ، وأرخت للمتنعم قواغمها ، فكيف اذا هيي پرزت من حجابها ، وسفرت من نقابها ، وتهادت بين أترابها ، وقد هر الربح أردافها ، وأسعر المراح أكتافها ، بل كيف هي اذا أملها سائلها ، أو اكلها مقاولها ، وأعرضت عنه صدوقا ، وتأوهت منه عزوها ، وقد قطب التيب جبينها ، واستنهض الانف عرنينها ، واستخفها الطرب ، واستهواها المجب فافترت مبتسمة عن شنب إنيابها ومعسول رضابها - وكيف تقس نفس عاشبتها اذا هي لسنته بمتابها ، ولمحنته يسبابها ، وقد لاثت فوابل أثوابها ، وحسرت فواضل أسلابها ، وطفقت تعد ذنوبه بمعاجرها ، وتأبى معاذيره بمكاسرها

وهل تطوح لها أمنية اذا اعتبته بعد صدها ، وبذلت له مصيون ودها ، ثم أسعفته بزورة وسنت لها عين راقبها ، وغيلت لها نفس عاقبها ، وقد التفعث له ملاء ليل ، أو وطنت اليه عقبات قبل ، فقد خذل الاين أباطلها ، وبل البحر غلائلها ، وحسدت له أعاليها وأسافلها ، وأوجيل الوجيل قرائصها ، وأوجيا العجيل أخامصها ، ثم طفقت تستبتب نفسها وتستكفها ، حتى اذا أسمحت بها قريحتها ، والسجحت لهما سجبتها ، وسكن إلى الايتاس قلقها ، وأسرح الى الابساس علقها ، قاسمته من حديثها بما هو أقر لعينه، وأشهى الى نقسه من طول يقائها ، ودوام تعمائها • ولنا في هذا الباب ما لم يخرج من مذهب القوم مشه :

قديتك للو انهم يعقلون الردوا النواظر عمن ناظريك الم يقرأوا ، ويعهم ما يرون -وقد جعلوك رقيبسا علينسا

من وحسى فلبك فسى مقلتيك فمن ذا يكسون رقيبسا هليك

ونقل العصرى في زهر الآداب: « قال الناشيء : وقد قلت في الشعن قولا جملته مثلا لقائليه ، وأسلوبا لسالكيه ، وهو (٢٦) :

وشددت بالتهذيب اسر متونه وفتعت بالإيجاز غبور عيونيه ووصلت باين مجمله ومعينه شبها به فقرنشه بقرينه اجريت للمغزون ماء شؤونه دهرا ولم يسر الكبرى بجفونه وقضيتيه بالشكر حبق ديونه

الشعر ما قومت زيسخ صدوره ولاممت يالاطنان شعب صدوعسه وجمعت بين قريبه وبعيده وعهدت منه لكل أمسر يقتضى فاذا يكيث به الديار وأهلها ووكلته بهمومسه وغمومسه واذا منحت بله جلواد ماهدا

أصفيته بصفيسه ورضية فيكون جزلا باتضاق صنوفه واذا اردت كنايسة عسن ريبسة فيعلت سامعه تسوء شكوكه واذا عتبت عسل أخ في زلبة فتركته مستأنسسا لرياضة واذا كتبت الى التي علقتها واذا اعتذرت الى أخ في زلبة فيحسور ذنبك عند مسن أعتبته والقسول يعسن منه في متثوره

ومنعتسه بغطسيره وثميته
ويكون سهلا في اتساق فنونه
بايئت بسين ظهسوره وبطونه
ببيانه وظنونسه بيقينسه
المعت شاته له في لينه
متستما لرعونسه وحزونه
ان صار منسك بغاشيات شؤوته
وشغفتها بغيينسه ودفينه
واشبكت بين معيله وستينه
عتبا عليك مطالعا بيمينه
ما ليس يعسن منه في موزونه

ونقل الراغب الاصبهائي قولت كذلك في الشعر (٢٧) :

خهسور الاقسسوال والاشسمان ه بعسن الايسراد والاصدار بعيد الاغوار ، صسافي القرار انما الشعر ما تعصل من قبل فاتى لفظه يطابق معنا مطمع مويس قريب الى الفهم

قد يكون هذان النصان من قصيدته المطولة التي نظمها في أصول أربعة آلاف بيت ، وجعلها في العلوم ، أي جعلها متنا في أصول العلوم ، ومن بينها علم الشعر \* واذا صبح قول ابن خلكان انها على روى واحد فانا نفترض على الاقل قطعة منها ، ولعلها الاولى النوتيسية \*

#### التعليقيات

1 ـ تشر دراسته في كتاب بعثوان:

The Life and Writings of Dibil. B. ALi

طبع بمطبعة جامعة كنتكي بالولايات المتعلمة الامريكية 1941 م •

- ٢ ـ يروى بعض المؤرخين أن وفاته كانت ٢٠٣ هـ ٠
- ٢ الناشيء الاصفر هو على بن عبد أنه بن وصيف البغدادى توفى ٢٦٦ هـ ،
   راجع معجم المؤلفين ٢/١٤٢ ٠
  - ع \_ راجع تاريخ بغداه ثلغطيب البقدادي ٢٣٠/١ ٢٣١ •
- ١٠١ ص ١٠١ عشير ابن كثير في البداية والنهاية الى انه كان معتزليا ج ١٠١ ص ١٠١ ٠
- ٩١/٣ عيان الاميان تعقيق احسان عياس ـ طبع دار الثقافة بيروث ٩١/٣٠.
  - ٧ ... البصائر والذخائر ١٧١/٢ -
    - ۸ ـ المنتظم ۲/۹۹ ۰
    - 4 \_ وفيات الاعيان ١٤/١١ ٠
  - 1 \_ ريما كان منها ما جاء بالشعر على ما بيناه في آخر هذا البعث -
    - 11 \_ البصائر والذخائر ١٢١/٢ •
    - ١٢ \_ زهر الأداب تعقيق الدكتور زكى مبارك ١٥/٣
      - 12 \_ المعادل تقسسه •
      - 16 البصائر واللخائر ٢/ ٢٧١٠
- 10 \_ هذا النص وره في البصائر والدخائر وزهر الآداب على خلاف في بعض
  - ١٦ \_ هكذا في زهر الآداب ٣٩/٣ وفي البصائر ٢٧٣/٧ ( ومعل البراعة ) ٠
    - ١٧ \_ في البصائر ( ومنّر الراهب ) ٠

- ١٨ ــ راجع تاريخ النقد العربى للدكتور معمد زغلول سلام الجزء الثاني طبع
   دار المعارف بعصر ص ١١١ -
  - 19 ... في كتابه العمئة في نقد الشعر ، وراجع المصدر السابق ص ١٧٨ -
    - ۲۰ ــ زهــر الإداب ۴۰ ۲۰
- ٢١ ــ راجع عيار الشعر تعقيق د٠ محمد رُغلول سلام طبع التجارية بمصر ص
   ٩٢ ٠
- ٢٢ ــ راجع مقنمة الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق الشيخ أحمد شاكر طبع دار
   المعارف بمصر ص ٧٥٠٠
- ۲۲ ــ راجع جوهر الكنز لابن الاثير بتعقيق الدكتــور معمد زغلول ســالام طبع
   منشاة العارق س ٤٥١ ٠
  - 24 البصائر والدخائر 4/272 ،
    - ٠ ٢ ــ المصلى تقسيسة ٢١٩/٢ -
      - ٩/٣ ــ زهر الإداب ٩/٣ -
  - ۲۷ ـ معاضرات الراغب الاصبهائي ۲۸/۱ -

## ومن الشعراء العلمساء

## العتسابي

## كلنسوم ين عمسرو

شاعر من شمراء الدولة المباسية الكيار وعالم كاتب خطيب من أدبائها المرموقين ، كانت حياته حافلة ، وله أثـار باقيـة في كثير من الكتب بين أخبار وأراء حكيمة عليمة ، ونوادر تدل على خبرة بالحياة والناس ، وفكر متفتح فنى ، ونشاط متعدد تـردد بين العراق والشام متنقلا في البلاد وبين الامصار الكبرى قنسرين والرى والبصرة ويغداد وغيرها •

والمتابئ شاعد عربى خالص المدوية ينتسب الى عمرو بن كلثوم جده الاعلى وهو تغلبي من أبناء الجزيرة الفراتية ، وكانت لتغلب كثير من البطون تسكنها " ويبدو أن حياته الاولى كانت بدوية الطابع ولذلك تركت آثارها على حياته ، وبعض تصرفاته مما كا نمدعاة إلى السخرية والتفكه أحيانا "

ومهما يكن من أمر في حياته ، فثقافته الاولى ومعرفتنا بها قليلة ، بل نادرة ، لقلة اهتمام المسادر بها ، فاننا شلم أنه كان طلعة منذ شبايه الاول وأنه رحل عن بلده قاصدا بغداد أو البعرة ليلقى أدبامها وهسمراءها الكبار ، ويبدو أنه أعجب ببشار وشعره ، وكانت شهرته قد طبقت الأفاق كما قبال عن نفسه :

قدفعه هذا الاعجاب الى أن يشد الرحال الى البصرة • ويذكر أبو الفرج أن المتابي جاء وهو حدث الى بشار فأنشده :

وعهدك بالصبا عهد قديم على عزماته السدير العديم شابيب يفيض يها الهموم على أرجائه ماء ســجوم

أيصلف عبن أمامة أم يقيم أثول استفاد القلب على أما يكفيك أن دموع عينى أشيم فبالا أرد الطرف الإ

قال فمد بشار يده اليه ثم قال له: أنت يصبر ؟ قال: نعم • قال: عجيب لبصير ابن زانية أن يقول هـذا الشمر • فخجـل العتابى وقام عنه ، وما زال يروض الشمر ، حتى اشتد عوده فيه ، وطرق به أبواب الاعيان وكبار الرجال فأجازوه ، وتقـدم الى بـلاف الخلقاء ، فمار شاعرا يتردد على مجالس هارون الرشيد ويمدحه بالشعر الجيد ، كما طرق باب المأمون وكان رجلا كهلا • وأجازه المأمون وأكرمه •

ويبدو أن المتابي كان قصب القامة من قوله في بعض شعره: نهى طراف الغواني عنمواصلتي ما يفجأ الدين من شيبي ومن قصرى

وقضى حياته زاهدا يلبس خشن الثياب حتى عيب عليه ذاك ، وسخر منه أصدقاؤه ورفقاؤه لتعمده الخشونة فى الملبس ، وعدم رعاية الهندام فى المظهر و روى العصرى أن يعيم بن خالد البرمكى عابه على لباسه ، وكان لا يبالى أى ثوبيه أبتذل ، فقال أبعد الله رجلا مهمه أن يكون جماله فى لباسه وعطره ، انعا ذلك

حظ النساء وأهل الاهواء حتى يرقعه أكبراه: همته ولبه ، ويعلو يه معظماء لسانه وقلبه ٠

ويروى أيو المقرج أن صديقه وتلميذه منصورا النسرى اتغذ من ابتداله في لباسه مادة ليمزح معه وليغرى الرشيد به •

ولم يتزوج فقيل له : لو تزوجت ؟ فقال : انبي وجدت مكابدة المفة خرا من الاحتيال لمملحة الميال •

ويبدو أنه كان قليل الاقبال على المدح واتخاذه وسيلة للتكسب اللهم الا اذا اضطره العيش كي يقصد الاعيان وكبار الرجال • ومما يروينه المحصري فني زهنر الآداب أننه قينل لنه : أمدحت أحمدا ؟ قال : لا ، وليس لي على ذلك قدرة فقيل له : فقد مدحت الربيع ، فقال ذلك ليوم يستحق فيه المدح فقلت :

ومعشلة قيام الربيع ازاءها ليعين ركن الدين ثنا تهلمها بمكة والمتعبور رهن كما إتي غداة عداة الدين شاحدة الغدى

أخا الوحى دامي ربه فتقدما اليه وشول العرب فاغدرة فما

وله مع دلك شعر يسأل فيه العطام، ولكنه يعسرو ذلك الي المُقَدُّ ، وهو يهدم المكارم والآلاء :

> اتى امرق هنم الاقتار ماثرتي أتا ابن عمرو بن كلثوم يسوده أرومية عطلتشي من مهارمها

واجتاح ما بنت الايام من خطري حيسا ربيعة والامياء من مغى كالقوس عطلها الرامي من الوثر

وندكر من ممدوحيه المشهورين ، عبد الله بن هشام بن عمرو التغليي من أمسراء قبيلته ، وقد ذكره كثيرا في شعره ورسائله كما يقول أبو الفرج ، وكان ابن هشام هذا جوادا سمعا وولي السند (1) •

واتصل بالربيع كما في الغير السابق ، وبالبرامكة ، وكان له معهم شأن منقطعا اليهم ، وقد وصفوه للرشيد ووصلوه به ٠ ذكر ابن المعتز انه كان ممن يختص به جمفر بن يحيى البرمكي ویقربه ویباشره (۲) ۰

وذكر ابن هفان أن الرشيد لقيله بعد قتبل جمفر بن يعيى وزوال نعمته فقسال ما أحدثت يا عتابي ؟ فأنشده ارتجالا :

تلوم عطى تسرك الغني بأهلية رأت حولهاالنسوانيرفلن فعالكسا اسراك انى تلت ما نيال جعفو وأن أمسى الوُمنان أغصنني مفصهما بالرهفسات البسوارد فرينى تجئنس ميتتسي مطمئنة

طوى التهبرعنها كلطرق وثالك منظمسة الجيادهسا بالقلائس من الملك أو مانال يعيى بنخاله وأم أتجشتم هول ثلك المتوارد

وكانت لجمقر عليه آياد بيضاء ، فقد ذكر أبو الفرج أنه كان بلمُ الرشيد عنه ما آهدر به دمه نخلصه جمعَى فقال فيه :

ما وَلَكَ فِي غَمرات الموت مطرحا ﴿ يَضْيِقَ عَنِي فَسِيحِ الراي مِنْ جِيلِي فلم تزل دائبا تسعى بنطفك ل

حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

<sup>(</sup>١) الاغائي طبع دار الكتب ١٨٨/١١ •

 <sup>(</sup>۲) مليقات الشعراء لابن المتر ٢٤٣٠

كذلك روى أنه جاء يحيى بن خالد فكلمه في حاجة له كلمات قليلة فقال له يعيى : لقد ندر كلامك اليوم وقل ، فقال له : وكيف لا يقل ، وقد تكنفنى ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد ، فقال له بحب : لئن قل كلامك لقد كثرت فوائد، ،

ولكن صاحب زهر الآداب ذكر أن صلته يهم قد اعترتها فترة، وأورد الحمرى بيتين يدلان على ذلك وهما قوله :

ان البراميات لاتتعيات الجيية بصفحة اللين من نجواهيم ثلب تصرعت حجج منهيم ومنصلهم مضرج بعدم الاسيلام مختصب

ولا تدرى مدى صحة نسبة هذين البيتين البه ، وان كانت الاخبار تفيد يوفائه لهم يعد حتى ان الرشيد أراد ان يختبره في الخبر السابق فرجده على عهده ٠

واتصل بهارون الرشيد ، ومهد البرامكة لهذه الصلة ، فبلغ عنده كل مبلغ وقد حدثت بينه وبين الرشيد أحداث ، حتى قيل انه أهدر دمه ، فاستنجد بيحيى بن خالد فمفا عنه الرشيد • وقال ابن المعتز انه تمكن من الرشيد بعلمه وغزارة أدبه قانه كان بحرا لا ينزف -

وله فيه كثير من قصائد المديع ، ولعل أشهرها الرائية التي يختار ابن المعتز منها أبياتا ، وهي التي يقول فيها :

يا لليلة في حوران ساهرة حتى تكلم في الصبح الحسافير

### وفيها يقب ل:

ماذا عسى قائل يثنى عليك وقان فت المدائسيج الا أن السننا

ويقسول فيسسه :

اسام لبه کف یفسم بنانهسا وعن معيط بالبريسة طرفها وارجع يقطان يبيت مناجيا وسمع اذا ناداء من تفسر كرية -

وقال قىسىە ئ

رغي أمة الاستبلام فهو أمامها مقيم بعستن الفلا حيث تلتقى طوارق أبكار الغطوب وعونها

ناداك في الوحي تقنيس وتطهر مستنطقات يما تغفى الغيمائر

عصا الدين ممتوعا من البري عودها مسواء عليه قربها ويعيدها له فيألحشنا مستودمات يكبلها منساد كفته جمسوة لا يعيساها

وادئ البها الحسق فهو منبهسا

وقد كان منصور النمرى فيما يبدو سببا فيما حدث بينه وبين الرشيد من جفوة ويسروى آبو القرج قصلة دخوله على الرشيد واستهزائه به ، كما يروى الحصرى قصة أخرى جرت بينه وبين منصور النمرئ عوش قيها بالرشيد ، وربما كانت هم السبب في تمقيه اياء واعدار دسه ه

فيروى آن النمرى من بالمتابي وكان منسوما فقال له العتابي: مالُك أعزك الله ؟فقال امرأتي بطلق منه ثلاث ونعن على يأس منها • فقال له العتابي : وان دواءها منك أقرب من وجهها ، قل هارون الرشيد فان المولد يخرج!! ، فقال : شكوت اليك ما بي فأجبتني بهذا ؟ فقال: ما أخذت هذا الا من قولك:

ان اخلف القيث لم تغلف إنامله ﴿ وَ صَاقَ آمِس ذَكَرَنَهَاهُ قَيْنُسُعُ

<sup>(</sup>١) وعسى الأداب ، ص ١٤٦٠

ويذكر المصرى غضبة الرشيد عليه فيقول: « وكان منمبور التمرى سمى به إلى الرشيد فعافه ، فهرب إلى بلد السروم " وله قممائد فيها جيدة مختارة ، وهو يشبه في حسن الاعتدار بالنابغة الذيبانى " ومن جيد اعتداره:

جعلت رجاء العقو عثرا وشبته
وكنت إذا ما خفت حادث نبوة
فائزل بي هجراتك الباس بعدما
إظل ومرهاى الجديب مكانه
ولم يثن عن نفسي الردى غير أنها
عي النفس محبوس هليك رجاؤنا
وتعت ثباب الصبر من أن لوعة
فتى ظفرت منه الليالي بزلة
حنانيك اني ثم أكن بعث عزد
فقد سمتني البحران حتى إذقتني
فها إنا مقصى في رضاك وقابض

بهيبة اسا غافس او معائب جعلتك حصنا من حثار التوائب طلت بواد منك رحب المشارب وآوى الى حافات آكلس ناضب تنسوء بباق مسن رجائب نائب مقيسلة الأمسال دون المطالب يفلسل يمسى مستثين الجسوائب فائلب فائله وأحرزت المنى بالمواهب مقويسة ذلاتي وسسوء مناقبسي عقويسة ذلاتي وسسوء مناقبسي على حد مصقول الذبابين قاضب عيني وحاجبي

وقيها ما ثرى من الندم على ما قدم ، أو بدر منه من خطأ في حقبه أو مساس من بعيد أو قريب بمقامه ، واظهار لمدى ما مسه لهذا الخطأ من البحران والبعد عن جنابه ، وقد كان يجد فيه كل اطمئنان وهناء ، فهر البحوم في خوف البطش والهلكة في أنحائها - فيشمر وكان الليالي تطارده في صورة وحش كاسر تعود المنتك بالفرائس -

<sup>(</sup>١) رَحْنِ الأدابِ ١٤٩ ٠

ويعود في آخر القول للتوبة معاهدا النفس على أن ينزع عن كل ما يكره ويجعل ذلك نصب عينيه ويظل العتابي في تودده واعتداره ولعله لم يجد من الرشيد استجابة آول الامر ، ولما ضاقت عليه الحيل رأى أن يقدم على أن يقف بين يدى الرشيد بنفسه ويتوسل للعفو عنه ، وعلى ما في هذا من الاقدام والمخاطرة الا أنه آثر أن يفعله و وتحايل للدخول على الرشيد ، فيقال انه دخل عليه سرا مع المتظلمين بغير اذن ، فمثل بين يدى الرشيد وقال له : يا أمير المؤمنين قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك، وردتي ابتلاؤهمالي شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسي كنت ، لو أعانني عليك الصير وقي ذلك أقول :

اخضى المقام الثمر ان كان غرتى سيناخلب أو ذلت القلمان التركثي جساب الميشة مقتسرا وكفاك من مساء النسائ تلفان وتجعلنى سنهم المطامع معلمسا بللت يعينى بالنسلك ولسانى

فاعجب الرشيد قوله ، وخسرج وعليه الخلع ، وقد أمس له بجائزة ، قال الراوى : د قمسا رآيت المتسابى قط أبسط منسه يومئذ » (۱) •

واتصل حبل ما انقطع ، وعاود التردد على مجالسه ، وعاود الرشيد سماع علمه ومآثور حكمه وأقواله عسا خبر وجرب من أمور الحياة ، وما قرأ ومارس من ضروب المدفة ،

وذكر المصرى أنه دخل على الرشيد فقال له : تكلم يا عتابي،

<sup>(</sup>۱) الاطاني ۱۲۲/۱۲ -

فقال: الایناس قبل الایساس ، لا یمدح المرء بأول صوابه ، ولا یدم بأول خطنه ، لانه بین کلام زوره ، أوعی حصره •

وبعد موت الرشيد اتصل حيله بالمأسون ، ولم يذكس في أخياره اتصاله بالامين ولا يعرف موقفه من النبزاع بين الاثنين اثناءه - لكنه فيما يبدو قد ساءه قتل المأمون لاخيه ، وان كان قد التقى به أثناء خلافة أخيه ، ووجوده بخراسان •

وذكر العصرى أنه عاتب المأمون بعد أن لها عنه ولم يأذن له ، وكان قد سأله زيارته أن صار له من الامن شيء بهذه الابيات التي يعرض فيها بقتل أخيه وغدره به أو نكثه لما عقد الرشيد . قصال :

ما عبلى ذلك افترقنا بسندا ق ولا هكذا عهدنا الاخاء لم أكن احسب الخلافة يازدا د بها ذو الصفاء الا صفاء تضمرت الناس بالمثقفة السالم على غدرهم وتنسى الوفاء

فلما قرأ المأمون هذه الابيات أمر أن يدخل عليه ، فلما سلم قال :

يا عتابي بلغني وفيادتك فسرتني ،وقد كانت يلغني وفاتك
فساءتني ، وائي لحرى بالغم لبعدك والسرور يقربك ، فقال : يا
أمير المؤمنين : أو قسم هذا الكلام على أهل الارض لوسعهم عدلا
وأعجزهم شكرا ، وان لرضاك غاية المني ، لانه لا دين الا بك ولا
دئيا الا مصك ---

وقال : و وقفت مرة بياب المأمون انتظر من يستأذن في عليه قاذا أنا بيحيى بن أكثم ، فقلت استأذن في هلي أمير المؤمنين \* قال لست بحاجب • قلت : صدقت ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان • قال : سلكت بى غير سبيلى • قلت : ان الله قد أتحفك بجاء وهو عليك مقبل بالزيادة ان شكرت ، وبالتقصير ان كفرت • وأنا لنفسك خير منك لها • أدهرك الى زيادة النمسة وبقائها عليك فتأباها •

فلمخل على المأمون وحكى له ما جرى بينى وبينه فاسمتحسنه وأذن لى » \*

وقيل انه بلغ به من التقديم والاكرام أعلا محل .

واتصلت أسبابه بالمأسون وكانت تدور بينهما مساجلات كلامية ، يدلى فيها كل بقدرته البيانية وخيرته ومدى علمه ، وكان المتابى قد اكتهل ، واتصل برجال دولته الكبار أمثال طاهر بن الحسين ، وعبد الله بن طاهر .

وقد علا قدره ، واعتزل المياة في بنداد فيما يبدو بعد أن مرم ، وقعدت به السن عن السمى ، فالتزم منزله بالرقة \*

قال العصرى واجتاز عبد الله بن طاهر بالرقة بمنزل العتابى فقال : و اليس هذا منزل كلثوم بن عمرو قيل : نعم ، فثنى رحله ، ودخل عليه ، فألقاء جالسا في بيت كتبه ، فعادته ، وذاكره شم المعرف ، فتحدث الناس في ذلك وقالوا : ان الامير لم يقصد ، وانا اجتاز به فاضطر الى ذلك الزيارة ، فكتب اليه :

یا مین (فادتنی زیارته فائسوا الزیسارة خطسرة فادفیع مقالتهیم بثالثیه لا تجملین الوتسر واحسده آ

بعد الغماول بناهة الذكر ومهاد خطارك ليس بالغطاس تستنقد المجهاود من شاكرى ان الشادث تتماة الوتس

فيعثه الابيات إلى أن زاره ثلاثا ٠

## صلاته بشعراء عصره:

وكان للعتابي صلاته المتعددة يكبار شعرام عصره ، ومنهم بشار بن برد الذي تأثر به في اتجاهمه الفنمي ، وأبو نواس ، ومنصور النمري ، والعباس بن الاحنف •

و تروى كتب الادب بعض ما دار بينه وبينهم من مطارحات شمرية أو مناظرات ومحاورات ومما يروى من ذلك قولهم انه لقي أبا نواس مرة فقال له: أما تستحى من ألله بقولك:

واخفت اهمل الشرى متى انه لتخافسك النطف التى لم تغلق فقال له أبو نواس : وأنت أيضا أما استحيت من الله بقولك :

مة زلت في غمرات الموت مطرحا يضيق عنى وسيع الراي من جبل من المراد الله الماء عنه المنابعة الماء عنها الماء ا

ققا أبالمتابئ : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ، ولكنك أعددت لكل سؤال جوابا (١) -

۱۳۰ س ۱۳۳۰

وكان الرشيد أمر بحبس أبي تواس حتى يدع الخمر فقال في الحبس:

قسل للغليقسة انسى حتى أراف بكل باس من ذا يكون أبا نوا سك أن حبست أبا نواسك ان انت لسم ترفع بسه راسا هنيث فنصفه راسك

فقال العتابي : ما أحسن نصف رأس الخليفة يرفع ! فقال له : وجعلني الله فداءك يا أبا عمرو لا تنبههم لهذا فتهلكني » (٢) \*

ومن العتابي بأبي نواس وهو ينشد :

ذكر كرخ نازح الاوطان فيكى صبوة ولات اوان فلما رآه قام اليه ، وسأله الجلوس ، فأبي وقال : أين أنا منك ، وأنت القائل وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الغصيب حبسالا آمنتنسا طوارق العدالان وأنا القائل وقد جار على وأساء الى :

لفظتنى البلاد وانطوت الالقب ساء دولى وملنسى جيرانى والتقت حلقة على من اللهب سب قعاجت يكلكل وجران نازعتنى أحداثها مبنية الفقب سبس وهنت أحداثها أركائسى خاشع للهموم مغترق القلب سب كتيب لنائبات الزمان

وقد توفى أبو نواس قبله ، وعاش بعده العتابي حتى • وكان ممن عاشره من الشمراء متصور التمري ، وهو شاعر

۲۷۸ - الموشیح ۲۷۸ - المینیانی

مشهور من شعراء العباسيين ، من الجزيرة الفراتية ، التقى بالعثابي فلازمه وتتلمل عليه وكان راويته - وذكر أبو الفرج انه أخذ عليه وبمذهبه تشبه في الشعر -

وقد قسدت الحال بينهما وتباعدت لامور لا تعرف تفصيلها ولكن نقف على آثارها بعضها من نقده شعره من ذلك ما يرويه النجاجى في مجالس العلماء قال : قال أحمد بن الحارث الخزاز : أنشد العتابي كلتوم بن عمرو :

یا لیلة لی بحسوارین ساحرة حتی تکلم فی الصبح العصافیر فقال له منصور النمری: العصافیر تتکلم ؟ فقال العتابی: نعم تتکلم و تنطق ، ویقال ذلك لما أعرب عن نفسه بحال تری فیه فیقال: آخیرت الدار بكذا ، و تكلمت بكذا فكیف ما له نطق ، اما سمعت قول كثیر:

سوى ذكرة منها إذا الركب مرسوا وعبت عصافيد الصريم التواطق وقيولُ الْكميث :

كالناطقىسات السادقىسا ت الواسقات من اللخاثر قال فسكت المنصور منقطعا (1) •

وسعى منصور النمرى بالمتابى الى الرشيد ، فغضب عليه وأحل دمه ، وطلبه فستره جعفر بن يعيى • ومازال يتحايل للرشيد حتى استل ما في نفسه وأمنه وعاد اليه (٢) •

<sup>(</sup>١) مجالس العلماء للزجاجي ٢٣ \*

٠ ١١٩/١٢ : الاغساني ١١٩/١٢ :

وروى أبو الفرج أن منصورا النمرى شكا المتابى إلى طاهر ابن العسين فوجه طاهر إلى المتابى فأحضره ، وأبقى منصورا في بيت قريب منهما ، وسأل طاهر المتابى أن يصالحه ، فشكا سوء فعله به ، فسأله أن يصفح عنه فقال لا يستحق ذلك - فامر المنصور بالخروج فخرج وقال للعتابى لـم لا أستحق هـذا منك - فأنشأ العتابى يــو العتابى يــو :

اصحبتك الغضل اذلا أنت تعرف ثم ترتبطك على وصلى محافظة ما من جميل ولا عرف نطقت به

ولا أعاذك مما أغتا لك الاثب الا الى وان الكسرت بتنسب

حقا ، ولاتك في استصعابه ارب

قال فأصلح بينهما طاهر (١) :

## يلاغتسه وأدبسه :

واجتمع للعتابي الثقافة والاطلاع في الكتب ، ويبدو مما وصلنا من أخباره أنه كان طلمة معبا للكتب والدفاتر ، فقد من عليه يعض جيرانه ذات يوم وهو ينظر في كتاب فقال : ايش ينفع الملم والادب من لا مال له ؟ فأنشد المتابي يقول :

يا قاتل الله الخواسيا اذا تعفوا قالوا وليس بهمم الا تفاسسته وليس يدرون أن الخط ما حرموا

ذا انلب ينظر في الآداب والعكم أنافع ذا من الاقتسار والعسلم لعاهم الله من علم ومن فهم (٢)

<sup>(</sup>۱) الاغاني ۱۲/۸۱۲ -

<sup>· 114/17 ...</sup> الاهادي ١١/٨/١٢ .

كذلك يروى أنه كانت لــه بمنزلــه بالسرفة ، بيت كتب ، اجتاز به مرة عبد الله بخ طاهر فرجد، جالسا فيه (١) .

وكان كاتبا عالما يطرق الكتابة والاقلام وما اليها حتى أن الاصعمى سأله مرة فقال له: أى الانابيب أصلح للكتابة ؟ وعليها أصبر فقال ما تشفى بالهجير ماءه ، وستره عن تلويحه غشاؤه ، من البرية القشور الدرية الظهور • القضية الكسور • قال : فأى نوع من البحرى أكتب وأصوب • قال له : البرية المستوية القط • • • الخ (٢) •

医血管性炎性炎病炎

وتروى في بلاغته وقوة بديهته ، وقدرته على الترسل والنظم أخبار كثيرة متمددة • فالجاحظ يقول : « ومن الخطباء الشعراء من كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو المتابى ، وكتبه أبو عمرو ، وعلى ألفاظه وضروة ومثاله في البديع يقول جميع من ينكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنعو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى وأشباههما (٣) •

وقال الجاحظ: «وكان العتابي يحتدى حدو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أصوب بديما من بشار وابن حرمة والمتابي» "

<sup>(</sup>٣) زخر الأداب ٦٢١ -

<sup>(4)</sup> رخر الأداب ٦١٩ •

البيان والتبيين طبع مارون ١/٥٠٠٠

وقال الجاحظ : و والبديع مقصور على العرب ، ومن أجلهم فاقت لنتهم كل لغة وأربت على كل لسان - والراعى كثير البديع في شعره ، وبشمار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع » (٢) -

كذلك ذكره ابن المعتن في طبقاته وقال : « وكان العتابي مصورا على الشمر ، عذب الكلام كاتبا جيد الرسائل حاذقا - وقلما يجتمع هذا لاحد (٣) •

وقال ابن المعتن : و ما سمعت كلاما قط لاحد من المتكلمين أحسن من كلام العتابي وما رأيت كاتبا تعلم الشعر مع الكتابة الا وجدته ضعيف الشعر غيره ، فائله كان فحل الشعر \* جيد الكلام ، (٤) \*

وقال نيه (بو الفرج: « شاعر مترسل بليغ مطبوح ، منصرف في فنون الشمر ومقدم من شعراء الدولة المباسية » (٥) \*

وقال عنه الحصرى في زهر الآداب: « وكان صاحب بديهـة في المنظوم والمنثور حسن العقل والتعيز ، والعـرب تقول: من تعنى دجلا حسن العقل ، حسن البيان ، حسن العلـم تعنى شيئا عسيرا - وقد أصبخ ذلك كله للعتابي (١) -

<sup>(</sup>٢) البران والتبيين طبع هارون ٤/٥٥٠

<sup>(</sup>٣) طبقا الشمراء المدتان ٣٦٢ ٠

<sup>(4)</sup> طبقات ابن المدي ۲۹۲ -

۱۰۹/۱۳ الاقسائي ۱۰۹/۱۳ •

<sup>(</sup>٦) زخر الأداب ٦٢٠ •

ومعا بروى من كلامه المنثور ، مقتطفات متفرقة يدور معظمها حول تجارب الدهر والحياة ، مسوقة في قالب حكمة ، في أسلوب موجز ، فيه كثير من القدرة البلاغية والالمام بمواطن الكلام حتى انه قد يعمق أو يغض أحيانا على السامدين •

قمن ذلك قوله : « حظ الطالبين من الدرك يجب ما استصبحوا من الصبر » -

وكتب يقول: « أما بعد قاته ليس بمستخلص غضارة عيش الا من خلال مكروهيه ومن انتظل بمعالجة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الايام فرصته » •

وكتب الى بعض اخرانه (١): « لو اعتصم شوقى اليك بمثل سلوك عنى لم أبدل وجه الرغبة اليك ، ولم اتجشم مرارة تماديك، ولكن استخصئنا حبابتنا فاحتملنا قسوتك العظيم قد مودتك ، وأنت أحق من اقتص لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من ابطائه » •

وله: « كتبت اليك ونفسى رهيئة بشرك ، ولسانى علق بالثناء عليك والغالب على ضميرى لائمة لنفسى ، واستقلال لجهدى في مكافأتك وأنت أصلحك الله في عز الغنى غنى ، وأنا تحت ذل الفاقة الى عقوك وليس من اخلاقك أن تولى جانب النبوة منك من هو عان في الضراعة اليك » \*

وقال: [ما بعد • فاته ما بين مستخلص غضارة عيش الا من

<sup>(1)</sup> زهير الأداب، من ١٨٦٠

خلال مكروه ومن انتظر بمعاجلة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الايام فرصتها » -

وكتب الى آخر : « من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك ، واتجاز الى مؤاحيك لم يخش المطنب في الثنماء عليك أن يكون مفرطا فالاعتراف بالعجز يكون مفرطا فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التفريط أولى من الاطناب الذي غايته المتقصير وماله الى الحشو » (١) •

وقال يصف رجلا بليغا: « كان يظهر ما غمض من الحجة ، ويعمور الباطل في صورة الحق ، ويغهمك الحاجة من غير اعادة ولا استمانة ، قبل له : وما الاستمانة ؟ قال : يقول عند مقاطمة كلامه : يا هناه ، وأسمع ، وفهمت وما أشبه ذلك وهذا من امارات العجز ، ودلائل الحصر ، قائما ينقطع كلامه فيحاول وصله بهذا فيكون أشد لانقطاعه » (٢) .

وقال في البلاغة : البلاغة هو الكلام بمبانيه اذا قصر ، وحسن التأليف اذ طال (٣) •

وذكر له الجاحظ أقرالا في البلاغة قال: «حدثني صديق لي قال: قلت للمتابي : ما البلاغة قال كل من أفهمك ما فيه من غير اعادة ولا حبسه ولا استعانة فهو بليغ ، فيان أردت اللسان الذي

<sup>(</sup>١) - معجم الادياء من ١٩٤٩ ج.٣٠

۲) زهــر الإداب ۱۰۱/۱ ٠

 <sup>(</sup>۲) زهبر الأداب ۱۲۷/۱ •

يروقه الالسنة ، ويقوق كل خطيب ، فاظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل صورة الحق » (١) •

وقال في البلاغة : رسائل المسرء في كتبه أول على مقدار عقله ، وأصدق شاهدا على غيبة لك ، ومعناه فيك ، من اصفاف ذلك على المشافهة والمواجهة » (٢) .

وقال يخطب: « أما بعد قائه لا يخبر عن قضل المسرء أصدق من شركه تزكية نفسه ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من اعتماده برعيته ، وانتمائه اياهم على حرمانه » (٣) \*

وقال العتابى : « الشيب تاريخ الكتاب » لان تاريخ الكتاب يكون في آخره ٠

وكان نهذه البلاغة والحكمة ، تمتبر أقواله من المأثورات التي تحفظ ويرويها الملماء والادباء • وقد روى أن يحيى بن خالد قال لولده : « أن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو المتابي فضلا عن رسائله وشمره فلن تزدا أبدا مثله » (٤) •

#### شستفره :

وأما شمر المتابئ فقد اختلف الناس فيه ، فمن قائل أنه

<sup>(</sup>١) البيان والتبين ١١٣/١ ٠

<sup>(</sup>٢)البيان والتبيين ١/ ٢٢١ ٠

۱٤١/٢ البيسان ٢/١٤١ -

 <sup>(</sup>٤) الافساني ۱۲ / ۱

فيه كزازة وروى المرزبائي ذلك فقال: ذكروا المتابي فقال رجل: هو كن لا رقة له ويروى أبو الفرج مثل ذلك ، وقد مدح ابن المعتز شعره فقال: و واشعار العتابسي كلهما عيمون ليس فيهما بيت ساقط (١) ، وروى له بعض مختار شعره ومنه قصيدته:

ومى القلب بأس من سليمى فاقصدا وكان بهما هيامسة القلب مهاسدا وقال ومن شسعى :

ردت الیك ثدامتـی أمــلی وجملت متبــك متب موعظـــة

#### واستحسن لمه أيضا:

تعنب دار العامريسة انهسا تكلفه عهد العبا والكواعب منازل لم تنظر بها العين نظرة فتقلع الاعن مصوع سواكب ولا وصل الا أن تعاج مطية على دارس الاعلام عافى الملاعب وقال دعبل: ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابي على قولسه (٢):

هيبة الاخسوان قاطعة لاخي العاجسات عن طلبه فياذا بسا هبت ذا أسل مات ما أملت من سببه وذكر أبو الفرج أن جماعة تناشدوا شسعر العتابي فقسال بعضهم: فيه تكلفة ، ونصره بعضهم فقال شيخ ماضر : ويحسكم أن يقال أن في شعره تكلفا وهو القائل :

<sup>(1)</sup> طبقات الشعراء لابن المتن ، ص ٢٦٤ ٠

۱۱٦/۱۳ الاضائی ۱۱۲/۱۳ •

رسسل الفدي اليك تتبرى بالشوق ظالعية وحسرى مسا جيف للعينسيان بعد سبك يا قرير الدين مجرى فاسطم سسلمت ميسره من صبوتي ابدا معرى ان العبايسة لم تسلع مني سوى عظم ميري وملامس حسري وملامس عسيري حسلي كبد عليك الدهسر حسري أو يقال أنه متكلف وهو الذي يقول:

قلو كان للشكر شخص يبين اذا ما تامله الناظليو كمقالته لك حتى تراه لتعلم الى أمرؤ شياكر

ووازنوا بينه وبين بعض شعراء عصره فروى المرزباني والحصرى مناظرة أبي أحمد على بن يحيى بن المنجم رجلا يمرف بالمثقفة الموصلي في العباس بن الاحنف والمنتابي - فعمل على فيي ذلك رسالة أنقدها اليه -

#### البعستري

#### ( F- 1 a \_ 0 / 1 a)

هو الوليد بن عبيد الله البحترى الطائى ، ونسبته البحترى الى أحد أجداده بحتر • ولد بسنبح سنة ٢٠٦ هـ بالشام ، وتقع بين القرات وحلب على مقترق الطرق التجارية القديمة الواصلة بين المشرق والمغرب عبر الجزيرة القراتية وشمالى الشام •

ونسبته الطائى الى قبيلة طىء فقد كان منها والده ، أما أمه فكانت شببانية ،وأتبحت له نشأة عربية خالصة في بلدته منبج ، وفي باديتها وكان أهل منبج على عهده عربا خلها ، ويضرب في هاديتها بطون من طيء تصل ما بينها وشواطيء القدرات .

وعاش البحترى معظم صباء في بلده ، وتنقل في مطلع شيابه في بعض مدن الشام والثقي بآبي تمام في حمص فسمع منه الشعر وشجمه ، وكتب الى يعض معارفه ومعدوحيه بمعرة النعمان وغيرها يقرظه ويقدمه شاعرا ٠

ويبدو أن البحثرى لازم أبا تمام زمنا ، وتخرج عليه في قول الشمر ، فهو يقر بأستاذيته ، واقتدائه بسه ، وريمها اعتمد على شعره في كثير من لفظه ومعانيه على ما بين بعض النقاد \*

وظل تنقل البحدرى في البهلاد حتى بلغت به قدمه بفهداد

عاصمة الخلافة ، وهناك التقى ببعض العلماء والشعراء ، وحظى في مجالس السادة من القيادة وكبيار الكتاب والوزراء ، وتقدم بمدائعه اليهم فنال ما تمنى من القربى والمال والشهرة .

وقدمه أحد معدوحيه الوزير الفتح بن خاقان الى الخليفة المتوكل فلقى لديه قبولا وقربه ، وصار شاعره الاثبر عكثر حضور مجالسه ومنادمته ، وشهد في النهاية مقتله هو ووزيره على يدى أحد جند الاتراك على يدى أحد جند الاتراك على عدى

وغادر البحترى يغداد في رحلات ينتجع بلاد المسلمين طالبا المطاء وقاصدا يشمراء الامراء والولاة • ولقي يمسر خمارويه الطولوئي فعدجه ، وبقي بجوازه زمنا •

واتصاله بالخليفة العباسي وكبار رجال دولته قهر له السبيل كي يكون شاعر الدولة الرسمي ، وداعية عباسيا - وقد ذكر الملماء أنه كان عباسيا في اتجاهه الرسمي اذا تحدث عن حقهم في الخلافة والإمامة وأشاد بهم ، ونافع عنهم ضد من ينكرون حقهم ذاك - وفي مدائعه المتوكل تعلم هذه النغمة ، فهو عنده الذي أحيى السنة بعد أن أصبح الناس حبرى بعد أن ضلوا في رأيه بغلبة الاعتزال وعلم الكلام - فقد نصر المتوكل أهل السنة على المعتزلة بعد أن غلبوا على بلامل الخلافة منذ زمن المامون -

#### يتـــول :

واذا كانت العباسية هي لونه الرسمي ذان لاقوال العلماء في حقيقته التجاها آخر ، ذلك أنهم رموه بالتقلب والتحول ، يكون معتزليا ثم يتخلي عن خلك ليصبح سنيا ، يروى المرزباني أنب قيل له : ويحك ! أنقول :

#### ويجرفون كلامسله المغلوقسا

أصرت قدريا \_ يعنى معتزليا ؟ \_ فقسال : كان هذا ديني أيسام الواثق ، ثم نزعت عنه أيام المتوكل -

#### البعتري الرجيل:

كان البحترى لا يحسن اختيار بنته ، طويل اللحية ، رث الهيئة • وقد تواترت الاخبار في ذلك ، واتخذها بعض أعدائه من الشعراء سبة له ، يهاجمونه بها • وقالوا عنه : كان من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة ، وأبخلهم على كل شيء ، وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلهما جوعا ، فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمي اليهما يثمن أقواتهما مضيقا مقصر! •

وكان يلازمه غلام له اسمه نسيم لا يطيق فرائه ، أكثر من ذكره في شعره ومنه قوله :

دعا عبرتى تجرى على الجود والقصد أغلن تسيما قارف الهم من بعددي خلا ناظرى من طيقه بعد شخصه فيا عجبا للنهس فقد صلى فقد

وكان نسيم غلاما روميا ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله بابا مئ أبواب الحيل على الناس فكان يبيمه ويعتمد أن يصيره إلى

ملك بعض أنامل المرووات ، ومن ينفق عنده الادب قاذا حصل في ملك شبب به وتشوقه ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفي الناس أمره .

وكانت هيئة البحترى عند انشاده الشمر تدعر الى السخرية منه • اذ كان من أقبح الناس انشادا • يتشادق ، ويتزاور في مشيه مرة جانبا ومرة القهفرى ، ويهز رأسه مرة ، وذكيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقنه عند كل بيت ويقول : أحسنت والله • ثم يقبل على المستمعين فيقول : ما لكم لا تقولون : أحسنت ؟! • هذا والله ولا يحسن أن يقوله أحد •

#### شباعريته:

وقال البحترى شايا ، وكان يحب غلاما من أهل منبج يتأل له شقران لقيه وقد نبتت لحيته فقال :

نبتت لعيبة شهقوا الم شفيق البقى بعلى حلقت ؛ كيف التبسه قبل أن ينجز وعلى ويروى أن هذا أو شهر له قاله • ومن أوائل شهره كما يروى عن ابته قوله يغتض :

اثما الفي أن تكون رشيدا

وقوله يمن الذئب:

سلام عليكم لا وقاء ، ولا عهد

وقد التقى البحترى بعد أن نضج بأبي تمام فعرض عليه

وكان يقدمه ويعترسه ، ويجل شمره ، وقدمه الى ممدوحيه أستأذيته ٠

ولما نضج في فنه واشتهر ارتحل الى بنداد يطلب المجد و في مديح عالية القدم ويسمني النقس ببلاط الخليفة و وقد التقى ببغداد بكثير من رجال العلم و والادب وكان يترد عليه منهم المبرد وكان يقدم عليه في مسجده الذي يجلس فيه لالقاء دروسه وكانت صلته ببعض أدباء عصره كمبد الله بن الحسين القطريلي وطيدة وقد مدحه بقصائد منهما:

خيان مهيدي معاوداخون عهدي

#### وقولسه:

اهلا بد لكم الغيسال المقبل

#### وقولب :

المت وهل المامها لك نافع

و يتصل بالفتح بن خاقان ، ويقترب منه و تطول ملازمته له ، ، فيفدق عليه من ماله الكثير ويستنتى مما يخلع عليه ، وله فيه القصائد ذوات المدد ، والتي تعدو درر شمره مع قصائده في المتوكل -

ويشير النقاد الى اعتداراته لابن خافان فيرونها من أجمل شمر الاعتدارات بعد النابغة ويقول في الفتح:

وانٹ اللی اعززتنی بعد ڈلتی وافنیتنی من معشر کنت برہۃ ملت ابالی جاد بالدف باڈل

طلاالقول مغضوض ولاالطرق خاشع اكافعهم عن تيلهم واقدارع عملي راغب او ضن بالقمع مانع

# مكانة البعترى الشعرية :

. 246

كان ابن المعتق يقول: « لو لهم يكن للبحترى من الشعر الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سنية مثلها • وقصيدته في وصف البركة:

#### ميلو الى الدار من ليلي تحييها

واحتداراته في قصائده الى الفتح بن خاقان ، ليس للعرب بعد اعتدارات النابغة الى النعمان مثلها " وقصيدته في ابن دنيار التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله التي أولها :

#### آلم تسر تقليس الربيع المبكر

ووصفه حرب المراكب في البحر • لكان أشمر الناس ، فكيف اذا أضيت هذا الى صفاء مدحه ورقة نسيبه في قصائده ؟! •

وكان ابن المتن كثرا ما ينشد له ، ويتمجب من جودته -

وكان أبر تمام يرى فيه مغايل شاعرة مبكرة حين التقى بسه فى بدء قوله الشعر ، وقدمه الى أهل المعرة ، ويقال ان أول لقاء بينهما كان فى حمص •

وكان البحترى كثيرا ما يذكر أبا تمام وفضله عليه كلما سئل عمن أشعر فيهما أهو أم أبر تمام - وروى أنه قيل للبحترى:

الناس يزهمون أنك أشعر من أبى تمام \* فقال : والله ما ينفعنى هذا القول ، ولا يضر أبا تمام \* والله ما أكلت الخبر الابه ، ولوددت أن الاس كما قالوا، ولكنى والله تابع له ، لائذ به أخد منه \* نسيمى تركد عند هوائه ، وأرضى تخفض عند سمائه \*

قال الصولى معقبا على هذا : • وهذا من فضل البحسترى أن يعرف الحق ويقر بسه ، ويستعن له وانسى لاراه ينبع أبا تمام ومعانيه حتى يستعير مع ذلك بعض الفاظه فلا يقع الا دونه » •

وسئل البحدى : ایكما أشمر أنت أم أبر تسام ؟ • فقال : جیده خبر من جیدى ، وردینى خبر من ردیئه قال الصولى : وقد صدق • جید أبى تمام لا یتعلق به أحد من أهل زمانه •

ويروى أنه اجتمع فى دار عبد أنه بن الحسين المتطريل ، وكان معهما المبرد وجماعة من الفضلاء فسأله المبرد ( وكان ذلك سنة ٢٧٦ هـ ) وقد أنشد شعرا : أنت فى هذا أشد من أبى تمام - فقال : كلا والله - ذاك الاستاذ الرئيس - والله مما أكلت الخبز الابسه - فقال له المبرد : تأبى الاشرقا من جميع جوانبك -

وقيل أن مع فضائله في الشمر سبقه الى التغرية عن النبات · أغراضيه الشعرية :

وموضوعات شعر البحترى أو أغراضه عامة هي الاغراض الطالبة على الشعر العربي وشعر التكسب أو الاحتراف اذا جاز لنا

هذا التعبير في مجال الشعر • ومعظمه في المديح قصد به الخليفة العباسي وكبار معاونيه من الوزراء والكتاب والقادة والرؤساء • مديح ــــ :

وفى مديعه يعرف للمعانى العامة التى اعتادها شعراء العرب من اضافة صفات المثال الكامل للرجل ، وأولها يطبيعة العال صفة الكرم ، والهيبة ، وكريم الشيم ، وتتردد فسى شعره بصورها التقليدية مع تلوين فى العرض بما يناسب المقام ،

# فيقسول:

م كريهــة اقسدام ليث واعتسزام مجــرب مى فتغانه قمــرا بشد على الرجال بكوكب

ملك له في كل يسوم كريهــة وتراه في ظلم الوغسي فتغاله

# ويقسول:

أعطيتينه وديعه لم توهب ورويت من أهل لديك ومرحب اعطیتنی حتی حسبت جزیل ما فشیعت من بسر ندیك ونائس

فيمسدح محمد بن بنس من ممدوحيه فيقول:

بات ابن بدر ثنا بدرا تهذیبه سد الظلام اذا استعدت خیاهبه مناکس الدنیثات الاحسور تقی وزور عن جانب القعشاء ، جانبه

وقد يذكر البحترى عشيرة المددوح أو قبيلة ، وهو اذا تناول المخليفة فائما يعرض لبنى العباس وشمائلهم وفضلهم على الخلافة وذ بهم عنها كل معتد أو ضال وخارج • ويذكر حمايتهم للاسلام ، واقامتهم لا علامة وبسطهم لفته وعدلهم بين الناس • مع ما يضفيه الله عليهم من جلالة الامامة وبهاء الخلافة •

# يقول في المتوكل وهو في مقدمة ممدوحيه :

يعلو بقادر في القلوب معظم في هضية الاسلام حيث تكاملت احيا الغليفة جعفر بقعاله تنكشف الايام مان اخلاقه فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل نعتد عزال عن هن دين معبد

ابدا وعسل في النفوس جديد المساره من عسدة وعديسه العسال أباء له وجسدود من هدى مهدى ورشيد رشيد مستقلبة بالنصس والتابيسد ونسرى بقاءك من بقاء الجود

#### ويقسول فيه:

خليق الله جعلى الدنيب بالسيادا وقيم الدين رئسدا وشبيه النبي خلقا وخلقا ونسيب النبي جدا فجدا

ويليه من معدوحه من رجال الدولة الكبار الفتح بن خاقان ، وكان مقربا من المتوكل • ويشير البحدرى في مديحه الى مكانته تلك من الخليفة ، والى أياديه في حفظ الدولة والذب عنها •

#### يقسول :

سللت دون بني البياس سيفنوغي آثار باسك في أعلاء دولتهم اما قتيلا يغوف السيف مهجت حتى تركث قضاة الملك قيمة

یدمی وعزما اذا ضرمته وقدا اضحت طرائق شتی بینهم قددا او نازعا لیس بنوی عودلا ابدا بالنصح لا عوجا تشکو ولا اودا

وهكذا تجد البحترى يكيل الصفات العامة لمدوحيه ، مثنيا بما قد يناسب المقام من صفات خاصة تتصلل بشخصه ومكانته في الدولة أو في قومه ، وما يتسولي من الاعمسال • وهو تهسج ملوك تعاوده الشعراء •

ولا جديد في هذه المعاني ، وجسميل من البحسترى حسن ديباجته ، ورونق عرضه لمعانيه القديمة الجارية ، ونضرب مثالا على هذا الجديد في حسن العرض بوصفه لمهايته الخليفة ،

# في المديسح ( الغليفة المتوكل ) :

وللبحترى صياغة سلسة تجرى مجرى الماء رقة وعدوية ، يعبر بها عن معناه في وضوح لا يقدر عليه غيره \* فيتناول معني من معاني المديح ، مهابة الخليفة ، فيمبر عنه تعبيرا جميلا رائقا فيقول دون كلفة :

ولما حضرنا سلة الاذن أضرت فافضيت من قرب الدندي مهابة الدسرف في الجود لو إن عاتما بدا لد محمود السجية شيمرت كما التصب الرمح الرديني ثقفت وكالبدر وافته لتيم سعوده فسلمت واعتاقت جناتي هيبة فلما تأملت المثلاقية وانثني دنوت فقيلت المثلاقية وانثني صفت مثل ما تصقو المدام خلاله

رجال عن الباب الذي انا داخله اقابل بدر الاقق حين اقابليه لديه لاسي حاتما وهو عادليه سرابيله عنيه وطالت حمائله أنابيبه للطعن ، واهتز عامله وتم سيناه واستهلت منازليه تنازلني القول الذي انا قائله الى بېشر أنستني مخاتله جمياه سياط انايله ورقت كما رق التسيم عمائله

وقد أعجب النقاد هذا المرض فقالوا لم يقل أحد في مثل ما قال -

وتتسم قصائد البحثرى في المديع بسمات هذا الموضوع في الشعر العربي عاملة ، وهو موضوع غايته التكسب أي أن يحصل الشاعر من ورائه على المال ، وتركت هذه الغاية أثرهما فيما

يقول ، كالتمريض بالطلب ، أو الشكر الذليل رغبة في زيادة المطام ، أو الشكوى من الحاجة والفقر ، واللهناة على أن يكون للشاعر يقضل المدوح ما يكفيه ، ويروى غلته ويسد حاجته -

وللبحترى في هذا كثير من الشعر لا يدخل مداخل الفن ، يل هو أقرب الى السؤال والاستجداء \*

#### يقول للحسن بن سمهل:

أثنى عليك ثناء من الفتيه فقلا فعاد بنعمة موسوما و يقول للخليغة المتوكل:

امنت به الدهر الذي كنت اتقى ونلت به القدر الذي كنت امله ولكن قصائد المديح بعد ذلك تكون مجالا \_ أحيانا \_ لان يكشف الشاعر عن شاعريته وقنه بعد أن يقرغ من غايته تلك •

#### بناء القصيدة عند البعتري :

يبدآ في القصيدة التقليد بمطلعة التقليدى في النسيب أو الغراق ، وفي النسيب قد يذكر الديار والنروح • والفراق ، ويذكر الشيب والشباب المولى •

#### يقسول مشبلا:

هب الدار ردث رجع ما أنت قائله أفي ذاك برء من جوى ألهب الحشا هو اللمع موقوق عبلي كل دمثية

وأبدى الجواب الربيع عما تسائله توقده واستغزر الوضع جائله تعليج فيها أو ضليط تزايله وهو مفتن في تنويع هذا المطلع ، يمرضه في صور متمددة • كأن يقسول مشالا :

أنسباه أراميه حسنا كواعيسه الدرانية فوائيه

عهدى بريعتك مائوسا ملاعيته يشين تلصب فيصغو الهويكس

#### أو يقسول:

وانفاس ريح كل يسوم تعودها واخنق من بعد الانيس جديدها رباها ولا أدب الغليط بعيدها على عينها أن لا تدوم عهودها لدارا یا لیلی سماء تجودها وان خف من تلک الرسوم انیسها مناذل لا الایام تعنی علی البل وعهدی بهامن قبل آن یعکم النوی

والى جانب عرض البحثرى للمعانى التقليدية فى النسبب و الغزل من ذكر للديار ، والدعاء لها بالسقيا وذكر معتادها من الوحش من العين والظباء ، وذكر الرحيل والفراق وآلامه ، والذكرى ، واستعدابها واستعادة الايام الغوالى - الى جانب هذا كله نجد البحترى يهتم بالغيال ، أو طيف محبوبته ، فيسترجع به تلك الذكرى الماضية ، ولمل هذا الجديد الذي أدخله على هذا المطلع .

#### يقسول:

أواخس حب خلفتنى أوائلسه يطيف خيال يشبه العق باطله بعطنى غزال بث وهنسا أغازله وللصبح من خطب تنم قوائله أرجم في ليلي الظنون وأرتجي وليلة هو منا على العيس أرسلت قلولا بياض الصيح طائي تشبثي وكم من يهد لليهل عندي حميدة وقد بيدأ مباشرة يذكر الطيف فيقول:

يعتساد ركتي طارقسة ووكابسي قد کان طیفات مرة یفسری بی فالان ما يسزداد غسير مغيبة ومن الصنعود زيسادة الاغياب

ثم يبدأ بعدها بذكر الديار فيقول :

جثنا تعييى مبن اثبلة منزلا جددا معالمية يبثى الانصاب آدی الی العهد من عرفانه حتی بیکاد بسره رجمع جوایی

وقد يبدأ بداية تقليدية دون تجديد - كأن يقول:

الرسبوم دار أم سنطور كتاب ورست بشاشنتها مع الاحتقاب على أن للبحشرى صورا عذبة الوقع رقيقة الخطوط على تقليديته ايقسول:

ترنبو فتنقلب القلوب للمنهبة موضى السلو صحائح الاوصاب رفعت من السجف المنيف وسلمت يأنامسن منهسن درس خفساب وتعجيت مسن لوعتسي فتبسيمت

عن واضعيات لو للمن عداب

وادًا خلص البحتري من هذا المطلع لم يحسن الانتقال ، وقد أخد عليه هذا ۽ فقال النقاد لم يكن يحسن التخلص الي غرضه -

### ومن جديسه شسعره :

وصبف مدركة بجرية بين المسلمين والسروم ، يقول يصف قائدا مسلما بحريان

غدا البعر من أخلاقه بين أبعس ولما تولى البحر والجحود صنوه ولاعيزم الاللشجاع للديس إضاق الى التدبير فضل شجاعة

اذا شبجروه بالرمساح تكسرت غدون على الميدون صبحا وانعا أطسل يعطقيه ومبسر كائما اذا زمجس النوتسي فوق علاته يقضون دون الاشستيام عيونهسم إذا عصفت فيه الجنوب اعتلى له أذا ما أتكفأ في هبوة الماء خلته وحولك ركابون للهول عاقسروا تميل المنايا حيث مالت (كفهم اذا رشقوا بالنان لم يك رشقهم صدمت يهم صهب العثائين دونهم يسوقون أسطولا كان سفيته كبان ضجيج البعرين رماحهم تقارب من زحطيهم فكانسا فمارمت حتى أجلت الحرب عنطلي على حين لا نقع تطوحه الصبا و کنت اینگسری قبل ذافو بدند جدمت له الموت اللثماف فعافه مضى وهوموليالريح يشكر قضلها اذا الرج لم يبلقه الراك عيته اتعلق بالارش الكبرة بعفما

عواملهما في صدر ليث غضتفر غدا للركب الميمون تعت المطغر تشرف من هادی حسسان مشهر رايت خطيها أني ذؤابسة منبس وقوق البماط للعقليم المؤمس جناحا عقاب في السماء مهجر تلفع فني التناء يسرد محني كؤوس الردى من دارعين وحسى إذًا أصلتوا حب العديد المذكر ليقلع الا عن شبوله مقتسر ضراب كايقاد اللظلم المتبعر سعائب صيقه مئ جهام وممطس اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر تؤلف من اهناق وحش منفسس متطعبة فيهبع وهبام مطسين ولا أرض تلقى للصريع القطر مليا يأن توهى صفاة لين قيصى وطار على ألواح تسطب مسمر عليه ومن يول الصنيعة يشكر الني في اتعدار الموج لعظة أفزر تنقصة جسرى السردي التعطس

# این الرومسی ( ۲۲۱ هـ ۲۸۳ هـ )

هو الشاعر الكبسير الفنسان عسل بن العباس بن جريح أو جرجيس ، أو جرجيس وكان وفق نظام المجتمع آنذاك مولى لعبد الله بن عيسى بن جعفر ، أحد بنى العباس ، وينتمى فى أصوله الى العنصر اليونانى ، فجده كما هو ظاهر من اسمه منه ،

ولد سنة ٢٢١ هـ بينداد بجوار قصر مولاه عيسى بن جعفر بن المنصور \* في بيت كان صاحبه مولى لامبر عباسى كبير \* وقد اكتسب جانبا من الجاه والمال من مولاه \* وكان المباس بن جريح على ما يبدو مثقفا ، حرص على تثقيف أبنائه وتربيتهم تربية لائتة \*

وقد عاصر ابن الرومى في بغداد تغيرات سياسية واجتماعية كبرى في الدولة العباسية • شهد في صباء سيطرة الفكر الاعتزالي، والفلسفة ، واتجاء العلماء الى الكلام ، وتغيير الخلفاء على أهسل السنة والحديث • ثم رأى في شبابه التحول الكبير في عصر المتوكل الى جانب أهل السنة ، وتعقب المعتزلة والمتوكلين ، وتشريدهم •

وشاهد كذلك بعض الثورات الشعبية منشطار بنداد وعامتها على القادة والجند الاتراك تارة ، وعلى بعض الخلفاء والوزراء شارة أخسرى -

ونفيج الشاب ابن الرومي ، فارتاد قصور السادة والامراء والوزراء من رجال الدولة الكبار وقد عاصر من هؤلاء جماعة من بينهم سليمان بن وهب ، وعبيد الله بن خاقان من وزراء المعتمد ، وأبو المعتمد سليمان بن بلبل الذي نسب نفسه الى شيبان وكانت صلة الشاعر به قوية، بين قربي وبعد ، مدحه فيها وهجاه ، شم تقرب الى آل وهب وعلى الاخص عبيد الله والقاسم ونسب اليه موت ابن الرومي ، فيما قيل أنه دس عليه المسم في طعام لاقداعه في

هذا وقد عاش ابن الرومي حياة بغداد في القرن الثالث الهجرى بفرحه وترحه ، مباهجه ومنغصاته ، فكان ترجمانا صادقا له ، لما رزقه الشاعر من حس صادق و وملكة مصورة ومقدرة على استخدام اللفظ و مما مكنه من التقاط مشاهد الحياة وتسجيلها بالكلمة و

ومعظم ما صوره من بيئة بغداد الشعبية ، وقده عيب عليه في بلاطات الكبراء هذه المدور الشعبية ، بالمقارنة مع صور ابن المعتز المشرقة بالنعمة والثراء \* روى ابن رشيق قال : ان لائما لامه فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز ، وأنت أشدم منه ؟ • قال : أنشدني من قوله الذي استعجز تني في مثله \* فأنشده في صفة الهلل \*

فانظر اليه كزورق من قضة قد أثقلته حمولة من عنيس

#### فتسال زدني - فأنشده:

والشمس فيسه كاليبة كيسان آذريونهسا مسداهن مسن نهب فيها بقايسا غاليله

قساح: واغوثاه! • بالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها • ذلك انما يصف ما عون بيته لانه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ • ولكن أنظروا اذا وصفت ما أعرف ، أين يتم الناس كلهم متى ؟، هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس الفمام :

وقد تشرت أيدى السعاب مطارفا 📄 على الارض دكتا وهي خضر على الارض يطرزهما قسوس القمسام باصفس كاذيال خبود أقبلت فسي غسلائل

على احمس في أخضر وسلما مبيض مصيقة والبعض اقعسس سنن يعض

#### وقولي من قصيدة في وصف الرقاقة :

ما أنس لا أنس خبارًا مررت به ما بين رؤيتها في كفه كـرة

يلحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر وبان رؤيتها قبوراء كالقمس الا بمتهدار ما تنداح دائسرة في لجة الماء يلقى فيه بالتعجر

وتقلبت الحياة بأبي الرومي بين حملو ومسى ، وكانت له من شخصيته ، وقلة حظه بين الناس وتوثره ، وتخوفه ، وتشاؤمه وطرته ما مكن لهذا الاحساس في نفسه ، فأحس بتعاسة واقعة في حياة مليئة بالبهجة والسرور ، ينهل الناس فيها ويعلون ، وكانت تعاوده بين العين والعين ساعات الطرب ، والنشوة حين تزهو له الدنيا ، وتوطىء له كنفها ولكنها كانت ساعات قليلة يتغنى فيها فتحس باللهة والمتعة في كلماته ٠

ويصور ابن الرومي حياته تلك الصيقة ، التي ألحت فيها عليه ضروب المعاناة والمنغصات فيشكو متوجما ، يحسد الهانئين قائلا :

حرمت في سنى وفي ميعتى قسراى مسن دنيا تغييفتها كسم أهسة في قسد تارهتها فيها ، ومدن أف تافغتها أغدو ، ولا حسال تردفتها أوسعتها صبرا عسلي لؤمها أذا تقصتسه تطففتها

وهكذا كانت حال الشاعر في دنياه البغدادية ، بين أمل كبير في الشهرة ويلوغ المكانة في الشعر وهو جدير بها ، ويأس من الحياة ، وقنوط من بلوغ ما يريد ، وقد لازمته شهرة أذاعها طبيع فطر عليه ، شؤمه وطيرته ، ورويت في هنذا نوادر تناقلها معاصروه ، فكانت مادة للمداعبة أو المشاكسة ،

قالوا انه يتطع من قطة سوداء تعترضه اذا هم بالخروج من بيت ، فيرتد ليقبع طوال يومه لا يضادره ، وقالوا ان صحبته تكسب نحسا فتحاشاه الناس وأقربهم اليه ، وأشار هذا فيه غضبا ، وزاده توترا ، فلزمته سوداوية نظر من خلالها الى العصر وأهله ، قبادرهم بهجاء لاذع مرير ، يصب فيه مسرارة نفسه ، وينفس عن كربته ، واتخذ الكلمة سلاحا لتقمعه ،

وزاد هجاؤه من وحشرته وانسراف الناس مسن حوله ، وابتعادهم عنه للسانه •••

وكانت في طبع ابن الرومي حدة وتطرف ، كان اذا أحب

أحب بنهم ، وأقبل على من يحب أو ما يحب بكل جوارحــه ، واذا كره كره في عنف ، وأحس فيما يكره وفيمن يكره كل خصائص المشر والقبح •

وقد أهل اين الرومي طبع فيه لنقد حال المجتمع ، فأبرز هذا جلياً على غير العهد من شمراء (لعصر ممن مجدوا الحكام والتادة ، وتقربوا اليهم بكيل المديح ، والصنفات التي لا يعنكون منها سوى القليل ، بل لعلهم يصفونهم على عكس ما يكونون تملقا وطلبا للسال •

وظهرت امام عين ابن الرومي الناقدة عيوب مجتمعه وناسد في مرحلة اضطربت فيها الاحوال ، واختلطت القيسم ، فتقدم العقير ، وتأخر الكبير ، وملك من لا يستحق ، وأهمل كل صاحب حق • قال ابن الرومي:

أترائى دون الاولى بلقوا الأما وتجار مثسل البهائس فسازوا فيهسم لكتسة النبيط ولسكن غسير مقتمين بالسيوف ولا الاقسد سملام في موطن ، غنماء ديماب ويظلبون في المناعب واللسدا ئهم المسمعا*ت* ما يطرب السسا وجنسوار كانهسن جنبوار لابسات منن الشفوق لبوسنا أو ترى القسوم بينهسن لاجبرت 🔻 منن إناس لا يرتضون مبيندا

ل من شرطسة ومن كتيساب بالمتي فسي التقوس والاحباب تعتهسا جاهليسة الاعسراب ت بعين الحكواعب الاتسراب منع والطائفات بالإكبواب يتسطلن من مياه عبداب كالهداء الرقيمق أو السراب صراحنا ، ولم تقسل باكتستاب وهم في مبراتب الاربياب

وكان طبيعيا بعد أن يرى عذا الانقلاب الغريب في الاوضاح، وسيادة قانون الغاب ، وتمكن من ينتهز الفرص ، أو يملك القدرة على القربي الرائفة من دوى السلطان ، كان طبيعيا بعد هذا أن تزداد أحوال الناس اضطرابا ، لانشغال من يصرفون أمورهمم يأحوالهم وملاذهم ويجمع الاموال ، ولا قدرة لديهم على تمريف شئون الامة وصلاح حال المجتمع \* يقول :

> أصبحوا ذاهلسين عن شعن النا في أمور ، وفي خمور ، وسمور وتهاويسل غبير ذاك من الرقبم

س، وأن كانحيلهم ذا أضطراب وفيئ قاقيم ، وفيي سنجاب ومنن سنتلص ومبئ زريباب عندهم كل منا اشتهوه من الا كنال ، والاشريات والاشتواب

وكانت هذه صرخة شاعر يحس بآلام مواطنيه ، ويترجم عن صيحات الغضب التي تصدر هنا وهناك وتترجم أحيانا الي انتفاضات في شوارع بقداد ، ثورات للمامة ، أو المبيد ، أو في صورة أعم كثورة الزنج في جنوب العراق أيام المعتمد والمقتدر والمعتضد • وفي هذا القرن الثالث ننسه في نصفه الثاني ، وقف عاصر هذا كله اين الرومي ، وراقبه ، وتم شمره عنه ٠

وقيل أن في ابن الرومي وشعره روحنا علوينة ، وتصدى بعض الباحثين لعلاقته بالعلويين فخرج بعضهم بعلويته عقيدة ، ومال آخرون الى علوية بالهوى ، ولمل الرأى الاخير أصوب ولان الاتجاء العلوى فيذلك العصر كان يحتوى كل الغاضبين والساخطين عنى الدولة ، ولما كان هو غاضبا ساخطا فلم يكن غريبا اتجاهه الى العلوية وانجدايه تحوهم • وقد لاقى ذلك الاتجاء ترحيبا عند يعضى معدوحيه مما كانت ميولهم شيعية أو علوية كأل توبخت ، ويعض البيوتات الفارسية الاصل من كبار رجال الدولة •

ويمكن أن يقال أن أبن الرومي عاش معظم حياته في بغداد لم يغادرها إلى ما جاورها من البلاد الا في القليل النبادر مثل خروجه إلى سامرا أو واسط في العراق قاصدا بعض معدوجيه وكان غالبا ما يبعث بقصائده فيهم إلى مواطن اقامتهم "

ويسلك في طريقه الى سامرا طريق النهر فيصمد في دجلة ، وكان يخشى الماء وركوب البحر وقد سجل احدى رحسلاته هذه النهرية كاشفا عن مخاوفه • يقول :

> وأما بهلاء البحر عنهاى قانه قايسر اشفاقى من المساء النسى : واخشى الردى منه على كل شارب : القسل الذا عرته ريسح والآلات كانى ارى فيهن غرسان بهمة

طوانی علی روع من الروح واقب امر به فی الکور مسر الجانب فکیف جامنیمه عملی اگل دراکب له الشهمس شواجا طوال الفواری یلیعین نجوی بالسیوف القواضب

#### شسعوه:

وتشعر این الرومی یدور معظمه من سیث الشکل فی موضوعات المدیح والهجاء والفزل والوصف ویستفرق المدیح جسزه اکبیا ، لاته شاهر معترف یتکسب بالشعر ، ویقصد به الیجال لیشیوه علیه • وهو یسالی فی شعره ، ویلج کثیرا فی السؤال • فاذا أعطی رضی وواصل للدیج ، والشغی الثناء ، واذا منج عاتب ، ثم مجا • ويكشف شعره عن سمرفة بالشعر المربى القديم ، كما يبوح بثقافته ، وقد جمع أطراف الثقافات في عمره على عمق معرفته بالمربية وأدابها ،

وأشار الى يعض صحبته في الدرس فقال :

أيام نسرح فسي مسواد واحسد المعلسم تنتجع المقلسوب غريبسه

كما ورد في شعره بعض المعارف والاستماء المتداولة في الشعر العربي القديم والعباسي و فيه اشتارات الى الشعراء من أمثال امرىء القيس والنابغة ولبيد ، وربما استشهد ببيت او ببتين لواحد منهم ، ومن شعراء المحدثين اشار الى أبي نواس ودعبل والحسين بن الضحاك •

واطلاعه على الشعر العربي ، وأخذه بأسباب الثقافة العربية لم يحرماه من التجديد في شكل الشعر ، وأساليبه ، وبنائه -

وربما قال الشعر في سن مبكرة ، وراض القول فيه في العشرين أو العادية والعشرين أي حوالي سنة ٢٤١ هـ •

وأهم ما في شعر ابن الرومي أنه تسجيل لمعاته ، وحياة بغداد في عصره ، فشعره صورة حية للعياتين معا ، وقارئه يقف أمام صور متتابعة لا يستطيع التاريخ أن يوحي بها واذما تشفها أبيات ابن الرومي وتلقي بها في وجدان القاريء ،

وتري ملامح هذه الشخصية ظاهرا وباطنا ، فشموه به قصو

كبير من الذاتية ، والميوم بمكنونه • وقد كان الشاعر فيما يروى دقيق الجسد جميل الصورة في شيايه الاول -

#### يقسول:

أنسا مسن خف واستندق قصا ينقسل أرضها ولا يسهد فضهاء

ویکشت عن مکنونه و توازعه ، و تناقضات رغائبه ورهائبه فيقول بين أمال الهوى ونوازع الحياة ، وخوف السمى ، ورهبة المستقبل ز

فاصبحت في الإثراء أزهد زاهد وأن كتتفرالإثراء أرغب راغب حريصا جباناء أشتهى ثم انتهى ومن راح ذا حرص وجين فانه

بلعظى جناب الرزقلعظ المراقب فقير أتساه الفقر من كل جانب

ويكشف عن تردده وتغوفه الذي وسم شخصه في قوله :

فقنمت رجيلا رغبة في رغيبة وأخرت رجيلا رهبية للمناطب

وخرفه السنتيل في قوله:

الا من بريني غايتي قبل منعبي

ومن أين؟ ﴿ وَالْفَايَاتُ بِعَدِ الْمُدَّاهِ صَ

وفي نفسه سماحة الفنان ، يعفو ، ويقد ل المدر ، ويحب ويقبل على من أحب كذلك هو في كرهه لا يخف -

#### يقسسول:

شكرى عنيك وكذاك حقيدي للخير والثي بقاء عنيلي وله في الاخاء تنك القصيدة الجارية السائرة على الالسن كلما ذكرت الصداقة ٠

يا أخى اين عهد ذاك الإخاء

ونفسه نهمة ، وتوازعه النفسية كنوازعه الجسدية عارمة ، فهو في شهوة الطعام والشراب مضرب المثل تتكشف أبياته عنها ، فاذا هو يلتهم ما يحبه يكل جوازحه ، ويتدوقه بكل أحاسيسه ألا تراه يقول في الموز وكان مفتونه بإن الفاكهة :

للمسرء احسان يبلا ننبوب ليس بمعدود ولا معدوب يكساد من موقعه المعبوب يدفعه البلغ الى القلبوب وحين يصنف لك أطايب الطعام والمآكل تشمر وكأن ريقه يتحلب في نظمه شهوة ونهما ويقول في قطائف:

قطبائث قده حسيت بالنوز والسنكر الماذي حسر المنوز تسبح في آذي دهن الجنبوز سررت لمنا وقعت في حدودي سرور عبناس يقبيري قنوز

وهو شاعر في نهمه وطمامه ، لا ياكل ما بين يديه أكل البهيمة لا يدرى ما يقضم ، بل يتأمل ، ويعجب ، ويقوم الجمال ، ويشبع أحاسيسه به قبل أن يملأ بطنه - يقول وهو يرسم صورة العنب ، وكانه يخط لوحة تعجب ، قبل أن تفتح الشهية للالتهام :

ورازقيى مغطيف العضيور كانيه مغيازن البلكسور قد ضمئت مسكا إلى السطور وفي الاعالى ساء ورد جنودى لم يبنق منيه وهنج العنزور الاضياء فني ظيروف نبود لو انيه يبقني عبلى الدهنور قنزط إذان العسان العرود

وابئ الرومي فنان يتبع الجمال في الحياة أني كان بيصره

وحسه وعاطفته ، يراه في شاهد الطبيعة ، ويسراه في المرآة ، ويراه في الصوت الجميل •

ويرسم صورة لروضة تفرد طيورها على فتنها المتراقص على هبات النسيم فيقول:

> حيتك عنا شمال طاق طائقها هبت سعيرا فناجى الفمين صاحبه ورق تقنسي صلى خضر مهللة تغال طائرها نشوان من طرب

بجئلة فجرت روحنا وريعاتنا موسوسا ء وتتابئ الملير اعلانا تسمو بها وتمس الإرض أحيانا والعفين من هزه عطفيه نشوانا

أو يقول في الربيع وقد تزينت له الدنيا بأنواع الزهر ، وتغنت طبره ، والمتلأت بالحياة فاقتتلت ، وتصاوحت :

أصبعت الدنيا تروق من نظهر بمنظهر فيه جهلاء للبعس تبرج الانثى تصلت للذكس

أثنت على الله بألاء المطلس فالارض في روض كافواب العير نسرة النبوار ، زهرة الزهر تيرجت بعب حيساء وخفس

صور جمال الصورة والشكل ، ونبض الحياة، وتدفقها عبس الكائنات بين الذكورة والانوثة وتلاقيها ليستمر الوجود ، وتتوالد الاجيال فترى موجات الخلق ، موجة بعد موجـة ، واحـدة تفني لتتولد منها واحدة من جديد وهكذا ٠٠٠ والربيع زهرة الحياة والخلق تتبرج فيه الدنيا لتتلقسي نبض الحيساة ، كتبرج الانثي تتلقى نبض الحياة ٠٠٠ مشابهة ليست في الشكل ولكنها فيي المني وعمق الاحساس ، وهكذا يغط الشاعر لوجائه ، تنطيق خطوطه والوانه بممق أحاسيسه ، وصادق شاعريته ٠ ويجتمع جمال الحياة بمشاهدهما الطبيعية بجمال الانشى دائما فى وجدان الشاعر وخياله ويصرح بهذا فى قصيدة توتيعة مشهورة يقول فيها :

> أحبث لك الموصل اغصان وكثبان غصون بان عليها الدمر فاكهة تجاوزت في غصون لسن من شجر

فيهان توسان تفاح ورمان وما الفواكه مما يعمل الهان لكن غمون لها صد وهياران

ويسجل شعر ابن الدومى وقائع حياته كذلك فى بيته وبين أبنائه وعلاقاته بالناس ، كبيرهم وصغيرهم بمن أحب منهم ومن كدره -

وكانت علاقاته بكثير من رجالات هصره ، بين وزراء وكتاب، وشعراء وعلماء ، وفي مقدمة من شفل شعره بهم مديحا وهجاء من الوزراء والكتباب آل صاعب بن مخلب ، واسماعيل بن بلبل الشيباني ، وبيت نوبخت ، وآل المنجم ، وآل وهب - وابن المدير وقد لمب هؤلاء أدوارا في أحداث العصر ، يشير اليها ابن الرومي في مديحه أو هجائه .

واتصلت الاسباب بينه وجماعة من شمراء المصر المشهودين كايي طاهر ، والبحسترى • ويعض من لسم يشتهر شسهرة هذين الشاعرين • وقد استمرت علاقة ابن الردمي بالبحسترى زمنسا شابها كثيرا من التوتر •

وتناول شسره هجساء بعض هؤلاء مثسل خسائد القحيسي

الذي هجاء بأكثر من ستين قصيدة وأبي حفص الوراق الذي سخر منه كثيرا ، وكانت أهاجيه نصف أهاجيه في خالد .

وذكر في شعره بعض نساء العصر معن كن من المشهورات في وسطه ، أو نساء المن التقي بهم من الرجال زوجات أو جواري منتيات أو عازفات -

ومن أسمائهن عجائب ، وهى جارية تركية ، وجلنار راقصة على الطبل والصنج وبدعة معظية القاسم بن عبيد الله بن سليمان اين وهب ، وبستان جارية زوجة القاسم ، ودريرة ، جارية عازفة ، وشاجى جارية عبيد الله بن عبد الله ، وكانت موسيقية بارعة ، ومغنية ، وفيها ينظم قصيدة بديعة

ووحيد التي خلدها بالقصيدة الفريدة ، من الجوارى المنيات -

أولئك مع استهرين الشاعب بظرفهن أو غنائهن أو رقصهن وجمالهن وحسن ايقاعهن على الآلات ، وهنباك من أثرن سنخطه فهجاهي بلسان حديد - وأفحش فيهن - كشنطف القارئة ، وكانت مغنية قبيحة الصوت ، وشاغل جارية سلامة بن صاعد ، ومحب زوجة أحمد بن صاعد -

ويسجل شعره كذلك وقائع الحياة البندادية بين لهرها وجعدها ، سرورها وشقائها وغناها وفقرها وينتقل بك في

مشاهدها ، في سلسلة من الصور عبر الديوان • وللاحداث مكان في ديوانه ، ومن أشهرها أحداث الزنج وما فعلوه بالبصرة ، وقد صنع فيها قصيدة قريدة •

ولا يقف ابن الرومى مع أحد من شعراء عصره في اتجاهبه الفنى ، فهو لا يدهب مدهب أبي تمام في اتخاذ البديع طريقسة فنية للتعبير عن معانيه ، ولا يوغل ايناله في اقتناص الماني وكد الذهن ورائها ، ولا تحس في شعره مدى الجهد في البناء والصياغة .

كذلك هو لا يذهب مذهب البحترى في طريقة العرب ، والمين الى الصياغة السهلة والبناء العربي الديباجة ، دون حاجمة الى اسراف في استخدام البديم \*

قشمر ابن الرومي نسيج وحده ، ويقدر ما وصلنا من شعره في مغطوطه القاهرة وأتم تحقيقها الدكتور حسين نصار بضعف شعر البحترى ، وأكثر من ضعفى ما وصلنا من شعر أبي تمام وريما كانت هدده النسخة شاملة لكل شعره - فقد عرف عند كثرة الشعر ، واقتداره على نظمه - يروى أحد رفاقه أنه كان قادرا على نظم القصيدة الطويلة في الساعات القليلة دون أن يعيد النظر فيها لتنقيحها -

ويقدر ريفون مست ما ضاع من شعره بثلاثة أرباعه ، وأن ما وصلنا منه لا يتعدى الربع على ضخامته ٠ ويصنف إبن الرومي بين الشعراء المطبوعين ، من امثال السيد الحميرى وابي العتاهية وآبان بن عبد العيد اللاحقى من شعراء المرحلة السابقة في عصر العباسيين ، وكما جاء في أخباره أنه كان لا يجهد نفسه في عمل القصائد الطوال ، وكانت قصائده تطول فتبلغ الثلاثمائة بيت تقريبا وتبدأ قصيدة المديح بمقدمة تطول فتبلغ مائة بيت ، وقد تقصر ، ويتنوع موضوعها بين غزن يذكر فيه مفاتن المرأة على ما درج في الشعر التقليدى ، وان كانت روحه أقرب الى غزل العصرين من محدثي العباسيين ، وقد يمتزج الغزل بوصف الخمر أو الغناء ، أو وصف الطبيعة ومفاتنها ، وقد يغرج في هذه المقدمة عن الطابع الحام الى موضوعات أخبرى كالعديث عن انقضاء الشياب ، وكبر السن ، أو تقلب الزمن ، كالعديث من انقضاء الشياب ، وكبر السن ، أو تقلب الزمن ،

وقد يستغنى عن المقدمة تماما ، ويبدأ في موضوعه دون تعهيد • وتنتهى قصائد المديح غالبا بشكرى الحال ، والتمريص بالسؤال •

ويني قصائد المديح في العدد والطول قصائد الهجاء ، وقديما قال بشار بن برد: ان الهجاء آخذ بضبع الشاعر ، وهو كذلك ، وسيلة للكسب عن من لا يهزهم المديح ، فيخيفهم الهجاء • ولعله آخذ كذلك بنصيحة بشار حين قال : اذا أردت أن تكرم في زمن اللئام فعليك بالهجاء •

وينقسم هجاؤه الى معتدل ومقدع، والمعتدل، يجرى فيه على نسق غيره من الهجائيين في كيل صفات القبح ، وسلب المهجو كل فضيلة • والهجاء المقسدع يتنساول المثالب الشخصية ، ويعرض العيوب الجسدية فيجسمها في سبخرية مسرة ، كطول اللحية ، وجعوط العينين ، والحدب ، وقد يفحش القول فيتناول المورات ، والعمل القاضح بصورة تغرج بالشعر الى السياب والتجريح •

ويدور غزل ابن الرومى فى المسرأة ويعضه فسى الغلمان ، يعرض فيه لمحاسن المعبوب ، وأحوال حبه معه ، وأثاره فى نفسه، وما يلقاه من الهجر ، والسدل ، وقسد يدور الحبوار بين العبيب والمحبوب ، أو مع بعض صحابته -

واشهر من تغزل بهن من المفنيات وحيد وشادى -

ولابن الرومى مقدرة خاصة في الوصف ، وهو يبني صوره الشعرية الوصفية بناءا واحدا مسلسلا ، يخرج فيه من الاطار العام الى الخاص ، وما يزال يمعن في ذكر جزئيات الصورة ويتنقل من واحد الى آخر حتى يشفى منها غليله ، ويشبع فنه -

وقد عرف مقدرته على رسم المدور بخطوط بارعة أحسن التعبير عنها لفظا وايقاعا ومن أشهر لوحاته يصف خوفه من المغنيات الموسيقيات يحملن آلاتهن الموسيقية أو يحتضنها ، من عود وجنك ويربط :

وقيسان كانها أمهات عاطفات صلى بنيها حوان مطفلات وسن ذات لبسان

تاهسسان كاحسن الرمسان يسين مسود ومزهسس وكسران وهو يادي الفني من الترجمان بالتبزام من أمسه واحتفسان مثل عيسي بن مريم ذي العنان

ملقحمات اطفائهمن تدييه كل طقبل ينحسى باسماء شتى أمسه دهرها تترجيم عشه غيرأن ليس ينطق اللخسر الا أوتى المسكم والبيسان صبيسا

وقد تأخذ اللوحة أبياتا طهوالا كلوحته لوحيد ، والتي يبدؤهها بقسوله :

يسا خليسلي تيمتنسي وحيسه فنسؤادي بهسا معنسي عميسه أو في البحر والسفين :

ذكرتك حين ألقت بي عصاها النسد سنوى يوسنا يتهس أبسي خصيب وقد أرست بنا في ضفتيه السسجواري المنشسات مبع المقيب

وقد تكون المبورة سريعة يرسمها في خطوط قليلة لماحة ، كخط الكاريكاتير يبرز أوضح ملامحها - وهاهي صورة الاحدب :

قصرت اخادمه ، وخار قداله فكأنب متسريص أن يصفعا وكائما صفعت ففيبياه مبيرة واحس ثانيية لهبيا فتجمعا

وفي وصف مغنية تجهد نفسها في الغنساء فتبسرز عروق رقيتها ويكان صوتها لا ينادر شقتيها :

تضغط الصوت البدي تشدو به فصبة فسي حلقهما معترضية كل مسرق مشل بيت الارضية

فاذا غنت بعدا في جيدها

ويقول في صاحب لعية كبيرة :

شيه . الشراعيين أذا كثرها

ولعينة يعملهننا مائنق

لو قايسل الربح بها مسرة لم تنبعث من خطبوه اصبعا أو غاص في البحر بها خوصة صار بهما حيتانه أجمعها

وقضيلة ابن الرومى التعبيرية فير الغيال المحكم والمقدرة الفائقة على التقاط الصورة وتسجيلها بالفاظ مناسبة سهلة قريبة مقدرة لغوية ، فضيله بعد هذا لغة قريبة لا وعورة فيها ولا تكلف ، يشعر القارىء بأنها طبيعية بين يديه لا تعصاه تنساب مع فكره وخيالاته ومعانيه انسيابا، ويشقق منها ويلونها صوتا وبناء كما يريد .

وقاموسه اللغوى من جارى كلام عصره ، مع قصاحة ونقاء ، أقرب الى لف الكتاب ولهذا قالوا انه يبنى قصائده بناء الرسائل و وتختلط ببعض الالفاظ الفارسية والرومية من مستعمل اللفة الذي انتقل مع ألوان العضارتين ، والثقافتين الى انحياة والفكر الاسلامي والعربي في هذه المرحلة ، وهي بعد لغة بغدادية نقية من شوائب الغريب البدوى الذي نلحظه قسى شعر الوافدين على بغداد من الشام أو أطراف الجزيرة وأواسطها .

#### يتول ريفون جست:

و ولغة أبن الرومي موجزة محكمة ، والفاظه كثيرة ، ولكن أسلوبه عامة سهل ، وعربيته كثيرة الشبه بالعربية الادبية في هذه الايام ، ولذلك يستطيع المثقفون من الناطقين بالعربية الآن فهم قدر كبير من شعره دون مشقة ، كما يتضح سن المقتطفات الكثيرة

التي نشرها من شمره كامل كيلاني والمقاد اللذان قلما شهرا بعاجتهما إلى اضافة كلمة لشرحها للقارئ، • • • وهو وان لم تستعبده التمييرات غير المألوفة تحتوى قصائده على قدر كبير منها تضم الفاظا غير مذكورة في الماجم أسماء وأفعالا • ويستعمل قليلا من الالفاظ المفارسية التي ربما كانت قد صارت جزءا من العربية في بغداد آنذاك » (1) •

وقد لاحظ يعض العلماء عليه أخطاء في النحو ، لتساهله في التعبير ، وقد تعقبه في ذلك الاخفش النحوى ، ولهذا أثار حغيظته فهجاء ٠

# موقف النقساد من ابن الرومي -

تفاوتت مواقف النقاد منه بين مقرط ومعترض ، وسادح وقادح وكان قدح القادحين للسانه وكثرة همائمه ، مع بعض مآخذ في لغته وتعبيراته م

ولكن كثرة النقاد من الواعين يقدمونه ويرون قيه شاعرا كبرا - وفنانا أصيلا -

يتول المرزباني (٢) : « أشعر أعل زمانه بعد البحسترى ، وأكثرهم شعرا ، وأحسنهم أوصافا وأبلنهم هجاء ، وأوسسعهم

<sup>(</sup>۱) ابن الروسي لړينوي حيث ترجمه حسين تصار ، ص ۸۷ -

 <sup>(</sup>۲) معجم الشعراء من ۲۸۹ ، والوشيخ من ۲۵۷ – ۲۵۸ -

في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه ، يركب من ذلك ما هو سمب فتناوله على غيره ، ويلزم نفسه مالا يلزمه ، ويخلط كلامه بالفاظ منطقية يجمل لها المسانى ثم يفسلها بأحسن وصف ، وأعذب لفظ ، وهو في الهجاء مقدم ، لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره ، غزارة قول ، وخبث منطق ،

ولا أعلم أنه مدح أحدا من رئيس ومرءوس الا وعداد عليه فهجاه ، مدن أحسن الله أم قصر في ثوابه ، فلذلك قلت فائدته من قول المشعر ، وتحاماه الرؤساء ، وكان سبيا لوفاته ، وكانت به علم سوداوية ربما تحركت عليه فنيرت منه » \*

ویقول این رشیق (۱): و وأما این الرومی فاولی الناس باسم شاعر لکثرة اختراعه وحسن افتنانه و قد غلب علیه الهجام حتی شهر به فصار یقال : و أهجی من ابن الروسی و و ومن آکثر من شیء عرف به و ولیس هجاء این الرومی بأجود من مدحه و لا آکثر ، ولکن قلیل الشر کثر و "

ويقول (٢): «وكان ابن الرومى ضنينا بالمعانى ، حريصا عليها ، ياخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يتركه حتى يقلبه ظهرا لبطح ، ويصرفه في كل وجه ، والى كل ناحية حتى يميته ، ويعلم

<sup>- 148/1</sup> Secure (1)

<sup>\*</sup> YAY/Y BULLET (Y)

أن لا مطمع قيه لاحد ۽ • ويقول : و وأنا أقول ان أكثر الشعراءِ اختراعا ابن الرومي ۽ (١) •

ویتول الصغدی آن آبن الرومی کان شاعرا فعلا بعید الغرص علی المائی - فاذا تناول معنی استقصاه حتی لا یترك منه شیئا مما أدی به آلی حالة أحیانا - وقال آن تشبیها ته غیر عادیة وجیدة فادا ما راقه أحدها تتبعه وكرره فی كثیر من قصائده - وذكر رأی المغالدین ( توفیا سنة - ۳۵ هـ - ۲۸۰ هـ ) فی أنهما لم بریا مثله حین ینفرد بمعنی ما ، ولكنه حین یاخذ معنی شاعر آخر یسقط فیه د .

ويتول بروكلمان: و وشعر ابن الرومي أقل طنطنة ودويا من شعر المتنبي ، ولكنه أبين وأذلق و وفن ابن الرومي يعتمد بالمرتبة الاولى على العيان والمشاهدة ، فهو يلمح بالنظرة الحبادة النقائض والعيوب الجثمانية على الخصوص عند خصومه فيصوفها في هجاء مدير لاذع ، بيد أنه يصور بهذه النظرة اللماحة نفسها صور البهجة والحياة السميدة كذلك ، لا سيما أعياد رجال الدولة ولذائد المجتمع في القصور » •

ومما يشهد لابن الرومي أيضا بالقدرة على صياغة الاحاسيس والمواطف الصادقة رثاؤه لابنه محمد الذي يعده المقاد بحق من درر الشعر العربي •

<sup>- 166/</sup>Y aunual (1)

وينسج ابن الرومي على منوال الخريمي ، فيجترىء أيضا على وصف المواقف التاريخية ، كما فسي شكايته من غلبة الرنج مسلى البصرة \*

ويسير على غرار أبى على الحمدونى شاعر العامة ، فيجاريه في شمره الذي يصف قيه الطياسان القائمي ويقتفى النماذج الفارسية ، فروض نفسه في نظم المناظرات الشعرية ، كما في مناظرته بين النرجس والورد وبين السيف والقلم مناظرته بين

ولكن قد يبعثه أيضا على قول الشعر منظر يراه في الطريق ، كمنظر الخباز يدحو الرقاق ، بل هو ينظم كذلك أوصافا ووصايا للطباخين ليحتذوها في مهنتهم ، فيجمل من نفسه رائدا في هذا اللون الادبى للمأموني البخاري ( ٣٨٢ هـ - ٨٧٢ م) وأبي اسحان الشيرازي المتاخر عنه -

وابع الرومى على حتى حين يأبسى لنفسه أن يفضل عليه البحترى القليل التنوع ، والذى قصر شعره عسلى فن واحد وهسو المديسح "

وقال حسبت أن نقاد العرب القدماء اتفقوا على تفضيل البحترى على ابن الرومي ، آما الغربيون فالمرجح أنهم يفضلون أبح الرومي - وربعا كان البحترى أجمل لغة ، وأكثر صفالالفاظه ، ولكن ابن الرومي أكثر اخلاصا لنفسه ، وأقل ميلا للمواصفات التقليدية في الشعر -

وفي مرئبته لابنه حبرارة شبعور وعمق احساس لا يمكن التفوق عليها ، وفي هجائه قدر من الاحتقار والازدراء العقيقيين يموضان قدرا من اقداعه المفحش •

ويظهر في وصفه قوة ملاحظة بارعة ، ويعطى بعض اوصافه تأثيرات حية بواسطة لمسات سريعة ٠

ويقول جست : و ولا يمكن انكار أدبه ، وقد يعجب المرء من يراعته في العثور على أشياء طريفة يقولها حتى في مدائحه التي كثيرا ما يطيلها طولا كثيرا -

ومن خصائص شعره اللافتة للنظر انصال الجدل فيه وتعاسكه في مقابل جدل بعض شعراء العرب الآخرين في عصره والذين يقدمون أشياء وأضحة ، ولكنها غير متصلة بعضها ببعض الااتصالا طفيفها •

والخاصة الاخرى التي نلاحظها جرأته في صوع تجاربه في صورة موضوعات وألوان من الحوار يدخلها في المقيدة وفي طرق التمير التي قلما ترد في شعر غيره من شعراء عصره •

# ومن مغتارات شعره:

#### جنة المحبين

أجنت لك الوصل أغصان وكثبان وقوق ذينك أعناب مهدالة وتعت هاتيك هناب تلوح به غصون بان عليها الدهر قاكهة ونرجس بات سارى الظل يغربه الفن من كل شيء طيب حسن ثمار صدق اذا عاينت ظاهرها بل حلوة مرة ، طورا يقال الها

بيء طيب حسن عاينت ظاهرها طورا يقال لها ب ديت غير مجاية بالفتسي جمعت بون دسن من شجر

ياليت غمرى وليت غير مجدية لاى أمر مسراد بالفنسى جمعت تجاورت في غصون نسن من شجر تلك النصون اللواتي في اكمتها يبنو بها أنه قوما كي يبين نه وما ابتلاهم لا عنات ولا عبث لكن نيثبت في الاعنساق حجته لكن نيثبت في الاعنساق حجته

مستضعفات فنا منهن أقسران كتاتب الشرك يزجيهن خاقسان اسرى وليس لها في الارض المان

فيهن نوصان تضاح ورمسان

سبود لهن من الظلماء البسوان

أطرافهن فلوب القسلم فنسوأن

وما القواكه مما يعمل البسان

واقعدوان منع النسور ريسان

فهن فاكهسة شستي وريعسان

لكنها حين تيلو الطعم خطبان

شبهد وطورا يقول التاس ذيفان

الا استراحة قلب وهو أسنوأن

تلك الفنون وضمتهن أفنان

لكن خصون لها وصل وهيران

نعم وبؤس واقسراح واحسوان

ذو الطاعة (لبن ممن فيه عصبان

ولا تجهل بسا تطويه أبطان

ويحسن العقو والرحمن رحمن

ومن عجائب ما يعنى الرجال به مناضلات بنبسل لا تضوم له من كسل قاتله قصل واسرة

-4

÷ ±

يولين مسا فيه اغسرام وآوئة ولا تدمن على عهد العقلاد يميل طورا يعمل ثم يعدمه حالا فعالا ، كذا النسوان فاطية

. .

تغلو الفتاة لها خل وان غدرت ما للحسان مسيئات بنا ولنا فان يكن بعهد قلان مسدد: يكفى مطالبنا بالذكر ناهية لا نكرم الذكر اثا لم نسم به فضل الرجال علينا أن شيمتهم وأن فيهم وقاء لا نقبوم به صدقن ما شخن لكنا تضصنا انكى وأذكى حريقا في جوانعنا ماء ونار فقد غادرن كل فتى تغضل منها علين علين قهى باكية

الى المسيئات طول الدهر تعنان النا نسينا وفي ، النسوان نسيان ان اسمنا الغالب المشهور نسوان ولا متعناه بل للذكسر ذكسران جسود وباس وأحسلام وأذهان ومن يكون مع النقصان رجعسان منهن عسين تلاقينا وادمسان خلق من المساء ، والالوان نيران لابسن وهو غزير اللمع حران ويسبغر فهود وهسو هيمسان

يولين ما فيه للمشغوف سطوان

انی وهن کما شبهن بستان

ويكتسى ثم يلقى وهو عريان

نبواكث ديتهن الدهس أديبان

راحت يتافس فيها الغل خالان

سسوءا وقد تفعل الاسواء حسان كالقوس تعمى الرمايا وهي مرنان غدر وفي خلقها روش وغدران خود تعرى فتيدو وهي ميسدان والكشح مضطمر والبطن طيسان اذا أساءت جدار العطر ابدان یا رب حسانة قیهن قد فعلت تصمی الحب و تکفی وهی شاکیة واصلت منها فتاة قسی خلائقها هیفاء تکسی فتبدو وهی مرهفة ترتج اردافها والمتان مندمج آلوف عطر تذکی وهسی ذاکیة

نمامة المساك تلقى وهسى نائية نعيسم كل نهار من مجامرها كانها وعثبار القد يشملها شمس أطلت بليل لا نجوم له وتلبس العلى مجعولا لها عوذا تدودت على مربال بهجتها جاءت ثلتى وقد راح المراح بها كانها غصن لهن بمروحة اذا تمايل في ريح تلاعبه

فتابها ينميسم المسك لقيسان ويشمس الليل منها وهو ضعيان شمس عليها ضبابات وادجسان الا نجوم لها في البعر المسان لا ذيئة عبل يها عن ذاك غنيان فيه شبايا عليها منه ريعسان فرعا غنته الفوارى فهو فينان سكرى تغنى لها حسن واحسسان فيسه صمانهم هاجتهن اشتجان خلات طرايا لها سسجع وارنان

4 4

یا عدادل افیقا انها ابسدا
لا تلحیانی وایاها عدلی ضرعی
انی ملکت قبلی بالساق مسکنة
اذلاما کاناصفی نعیمالمیشاندهیت
اذ لا المتدازل اطلال نسائلها
ظلتا تقول واشیاه الحسان بها
بانوا قبان جمیل الصبر بعدهمو
نی مذ نادا وجنة ریسا بمشریها

عندى جديد وان الخلق خلقان وزهرها ، فكلا الامرين ديدان وملحت فلها بالملك طفيان نعم تجاورتا والدار نعمان ولا القواطين آرام وطسئران « سقيا لعهدك » والاشباه أعيان فللنمع مين العينيين عينان من عبرتي وقسم ما عشت ظمآن

# الشكوى من الزمان والفقس وسوء العظ في الدنيا:

يقول من أبيات كتب بها الى القاسم بن عبيد الله : (ديوانمه ٢/٧٢/١ ) :

عني مريع ، والماء صافي شروب

ثم أشكو اليك جنديي والمنز

الك الامر والسياسة ، واسم المعتقيات الصعفوك ، والقرضوب ثربى الرث ، والثياب طاراء وطعاملي برغملي المجشوب وخواني ملكك وقصاعي وبراملي ، فكلها مشتوب وجفاني مصدوعة ، وجسراري وقلالي ، فكلها منقلوب ومعلى عارية وجلدارا تابيتي ، فكلها منقلوب ومقيل في الصيف سغن بلا خياليس فعظمي يكاد منه يلوب ومبيتي بلا ضجيج لللي التصالي وللوغل شائن رعبوب ولي المخف ذو الرقاع أو النعالي مسابح يعبوب وهموملي محدثاتي ، وبستاندي شلوك تماره الغيروب عصوب عدداتي ، وبستاندي شلوك تماره الغيروب عصوب عكست أماري النعوس فعنزي الهنا حائل ، وتيسي حليوب

ويشكر امتهان كرامته وانسانيته لوقرف طويلا أمام أبدواب أصحاب الجاء والسلمان ، ويسوءه أن يضطر إلى الوقوف يحجبه عن صاحبه حاجب ثقيل ، يعامله معاملة غير كريمة ، فيحقس نفسه ، ويتولى خاضبا يلعن الحياة والناس ، ويلعن الزمن الذي اضطره إلى هذا الموقف :

كم نسام الاثن كانا كلاب كم الى كم يكون هذا العتاب كلما جنت قاصدا نسالام دننى من نقائلك الحجاب ما كنا يفعل الكرام ولا ترخى يهاذا قدى مثلفى الاواب أنا حراء وانت من سادة الا حراز أهال الحجا المصاحى اللياب وقبيت بعد الطلاقة واليشر باذى المجار الحجاب كل ملك يفنى وتبقى على اللهاسات للهالاحساب

شكواه مرور الممسر: ( عند بلوغه الخمسين )

فكرت في خمسين عامها خلت كانت أمامي ثم خلفتهها تبينت لي اذ تذنبتهها ولسم تبان اذ تانفتها اجهلتها الله على موفسورة فقرمسة الموهسوب اعدمتها للو ان عصرى مائسة همدنى فكيف والإقسار قبد السيحيت كبد حياة كسان انفقته لا عبدر في في اسبقي يعدها

ثم قضت عنى فعرفتها ونزهسة المسلوب أردفتها تذكسرى أنسى نصفتها ترجمف بالعمس اذ قفتها عبلى تصرفتها على العطايا ، عقتها ، عقتها

# وقال يشكو حالبه: (ديوانه ص ٢١٣)

ولا تتجاوز فيه حدد المعاتب ولا كل من شد الرحال بكاسب وليس بكيس بيعها بالرغائب على الملك والارباح دونالحرائب المكانخير تحذيرى شرورالمعاطب من الشوائيزهد في الثمار الاطابب المنات في الاثراء أرغب راغب وانكنت في الاثراء أرغب راغب بلعظي جناب الرزق أعل المراقب فيي المنا المثاوب يرى المنح عارا قبل بذل المثاوب يرى المنح عارا قبل بذل المثاوب وأخرت رجلا رهبة للماطب وأستار غيب الله دون العواقب وأستار غيب الله دون العواقب

دع اللوم ان اللوم عون النوائب فما كل من حط الرحال بمغفق وقى السعىكيس والتقوس نقائس وما زال مأمول البقاء مقضلا حضضت على حطبى لنارى فلا تدع واتكرت اشفاقي وليس بمانعي ومن يلق مالاقيت في كل مجتنى الاسفار ماكره الغني قاصبحت في الاثراء أزهد زاهد قاصبحت في الاثراء أزهد زاهد ومن راح ذا حرص وجين فائه ولما دعائمي للمثوية سيد ولما دعائمي للمثوية سيد قلمت رجلا رفية في رغيبة اخاف على نفسي وأرجو مفازها اخاف على نفسي وأرجو مفازها

آلا من يريني غايتيقيل منهبي؟ ومن تكبة لاقيتها بعد تكبية وصيرى على الاقتار أيس معملا لقيت من البر التباريح بعاما سقیت علی رئ یه آلف مطبرة ولم أسقها بل ساقها لكيدتي الى الله (شكو سيغف دهري قائه آبى أنيقيث الارشيحتى اذاارتمت سقى الارض مناجل فاضعتمزلة تتعویق سری او دحوض مطیتی فملت الى خيان ميرث بنياؤه فلم آلق قيمه مستراحما لمتعب قما زات فيخوق وجوع ووحشة يؤرقنني سقف كانسي تعته تراه اذا ما الطبن أثقل متنه وكهخان سفرخان فانقض فوقهم ولم أنس مالإقيث أيام صحوة ومازال ضاحي البر يضرب أهله فان فاتله قطلر وثلج فانله فذاله بلاء البر عتسنى شسائيا ألا رب نار بالقضاء اصطلبتها اذا أظلت البيداء تطفو اكامها فدع مثك ذكر البر أنى رأيته

ومن أين؟ - و القايات بعد المذاهب رهبت اعتساق الارض ذات الناكب على من التفرير بعد التجارب القيت من البحر أبيضاض اللوائب شفقت ليقضيها بعسب المجادب تعایل دهس جسد بی کائلاعب يعابثني مذ كنت غسر مطايب برحلي أتاها بالغيوث السواكب تعايل صاحبها تعايسل شسارب واخصاب مزور عن المجد تاكب معيل غريق الثوب لهفان لاعب ولا نزلا • أيسان ذاك لساغب وفى سهر يستقرق الليل واسب مزالوكف تعتائللجنات الهواطيب تصر تواحيه صرير الجنابي كما انقض صقر الدجن فوق الارائب من القرفية والثلوج الإشاهب بسوطي عذاب جامك بعد ذائب رهان بساق تارة او بعاصب وكم في من صيف به ذي مثالب من الضح يودي تقعها بالعواجب وترسب في قدر من الآل ناصب الن خاق هول البعر شر الهارب

كلا نزليله ، صيفله وشلتاؤه لهاث مميت تعت بيضاء سفنة يعِف (ذا ما أصبح الربق عاصبا ويمتع متئ الماء واللوح جاهست وما زال يبقيني العتوق مواريسا فظلورا يفادينني بلص مصلت الى أن وقائع الله معسفور شره فاقلت من ذؤباته وأسوده وأما بلاء البعس عنبدي فأنسه ولو ثاب عقل لم أدع ذكر بعضه وثم لا ولو القيت فيه وصغرة وللم أتعلم قط من ذي سياحة فأيسر اشتفاقي من المناء التي وأخشى الردى منه عني كل شارب أظلل اذا هزتله ريلج ولألأت كأنى أرئ قيهن فرسان يهمة

خلاق الله أهواه ، غير مصاقب وري مقيت ، تحت (سعم صائب ويقدق ايء والريق ليس بماسب ويقرقني والسرى رطب المعالب يعوم على قتلي ، وغيبر موارب وطورا يمسيني بورد الشوارب بعزته ، والله إغلب غيالب وحرايسه أفسلات أتبوب تائب طوائى علىروع منائروح واقب ولكتبه من هولته غير ثائب لو افيت منسه القعر اول راسب سوي الغوصءوالمضعوفغرمغالب أمسر به في الكوز من المجانب فكيف بامتيه مسلى تقس راكب له الشمس أمواجاطوال الغوارب يليحون نعوى بالسيوف القواضب

وایق الرومی آمام هموم دهـره وصروقه مرغم علی الصبر ، ولا یملك غـیره :

اری السیر معمودا وعنه مداهب مناك یعق السیر والسیر والسیر واجب قشد تسرو بالسیر كف فانه هو انهرب المتجی ش احدقت به وقد یتفلی الناس آن اسساهم وانهما لیسا كشسیء مصرف

فكيف الما ثم يكن عنه مذهب؟ وما كان منه كالفرورة ثوجب ثبه عصمة أسبابها لا تقضب مكاره دهر ليس منهن مهسريه وصيرهم فيهم طياع مركب يصرفه ذو تكبة حسن ينكب

فان شاء إن يأسى أطاع له الاسى
يصرفه المغتار منسا قتسارة
إذا احتج معتج على النفس لم تكاه
وساعدها الصير الجميل فاقبلت
وان هو مناها الاباطيل لم تزل
فتضعى جزوعا ان أصابت مصيبة
فلا يعترن انتارك الصبر نفسه

وانشاء صبراجاءه الصبر يطلب
يراد فياتسى او يسداد فيدهب
على قسار يعنسى لها تتعتب
اليها لسه طسوعا جنائب تجنب
تقايسل بالعتب القضساء وتغلب
وتدسى هلوعا ان تعسلر مطلب
يان قيسل ان الصبر لا يتكسب

وريما اتخذ ابن الرومي من الشكرى مطلعا لقصائده تحل منها محل ذكر الاطلال ، أو النسيب في القصائد التقليدية وقد يربط بين الموضوعين رباط نفسى واحد وقد نهيج المتنبى من بعده منهجه ويمزج أحيانا بين الشكرى والنسيب قال في الحسن ابن عبيد الله بن سليمان :

ما أشى لا أشى هندا آخر العقب يـرم انتعتنى بسهميها مسالة وعبرتنى بشيب الرأس ضاحكة قدكنت تسقين خدى مرة وفعى يغـل ريقـك أنيابىي وآونـة فالأن أهـزأ بيشيبي وأوبقني بالجلد انداب دهر لست أنكرها يا ظبية من قلباء كان مكتسها قيتي اليك فقد هبت مصوحـة سقت نبتني ثمعادت بعد تهدمني

على ختلاف صروف الدهر والعقب تأتى جديدانها من أوجه اللعب من ضاحك قيه أيكانى واضحك بي يا هذه من وشل طورا ومن ثقب يستن دمعك في خسلى كالسرب عيبى، وان كنت له أويق ولم اعب وما بعرضي لعمسر الله من ندب في خلل ذي ثمر منى وذي هدب أضعى لها مجتنى لهو كمعتطب حتى رزحت رزوح العود ذي الجلب حتى رزحت رزوح العود ذي الجلب

واعدت الرأس لونى دهره فغدا والدهر يبلى الفتى من حيث ينشئه فى هدنة الدهر كاف من وقائمه قفيت ذلك من قسولى الى فنق حوراء في وطف ، قنواء في ذلف كالشمس ماسفرت، والبدر ما انتقبت جاءت تدافع في وشي لها حسن

قد حال عن دهمة كانت الى شهب حتى تكسر عليه ليلسة القسرب والعمر اقدح مبراة من الوصب تلهو بمكتعل طسورا ومختصب لقاء في هيف ، عجزاء في قبب تاهيك من مسفر حسنا ومنتقب تدافع المساء في وشي من العبب

### شــوُمه وهجــاؤه :

وقد ترامى الناس اتهامه بالشؤم لمزوفه عنهم وانكبابه داخل بيته لا يخرج الالماما ، ويتردد في عزمه كلفا فجأة أس أو وقعت عينه على ما يثير الطيرة في نفسه • ودافع عن نفسه الشؤم الذي أراد أعداؤه وكائدوه الصاقه به فقال :

كينب الزاعمون اني مشتو م ومانوا ، والثالب المثلبوب كنب الزاعمون اني مشتو م تمل زعم مكتب مكتوب بل في اليمن لا معالمة كالصباح اذا لاح ضموره المشبوب

وقد أوغر هذا الاتهام صدره ، فأضاف سببا جديدا الى أسباب كثيرة دفعته دفعا الى الهجاء والى أن يقذع فيه ، وهو في نفسه ليس شريرا لكنه خير يحب الناس، ويألفهم انما الناس يدفعونه الى الشر والى هجمر القسوم -

من أناس قلد أوسلموني سلما وأراثي مسلمرا تهلم الحلل

بعد عرفانهم من المسبوب به د وحربی اذا اعتزمت حروب ولما ذاك أنسي الرجمل الشي ير منى الغنبا ومنسي الوثوب يل لدى الانصاف يشقعه الاحسمان منا قمارب الاثماد الشغوب عندين العبدل كله تصديقيي وعبل ظالمي يشور العكسوب

وهكذا عاش ابن الرومي معذبا بحاسيته ، ورهافة روحه ،
وتضيق الحياة عليه ، وعدم فهم الناس ، وهدو الشاعر المبدع
الممدور ، يستخدم اللفظ في يسر ، ويسلسل له القول دون تصنع ،
ويرسم فيجرى في ملاصح الصدورة ماء الحياة ، ويعمد الى
الامتناع ، فيشيع في صوره صنوفا من المتعبة ، ويطيع الجمال
فينجذ باليه ويتعقبه في كل جميل الصورة أو الطعبم ، وهو
يستمتع بحواسه جميعا لا يعطل واحدة منها ، وعجيب لهذا
الشاعر المفرع من الحياة ، المحب لها الراغب في المتعبة بها أشد
الرغب ، الراهب للخوف أشد الرهب ،

# أبو الطيب المتنبى أحمد بن الحسين الكندي (ولد سنة ٢٠٢ هـ ـ وقتل سنة ٢٥٤)

ولد بالكوفة عام ثلاث وثلاثمائة قدرب معلة تدعلي بمعلة كندة ، وينسب أحيانا اليها - قال أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصبهائي : حدثني ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبي كان بالكوفة في معلة تعرف بكندة بها ثلاثة آلاف بيت بين رواء ونساج » -

وروى الخمليب البغدادى عن أبسى الحسن محمد بن يحيى العلوى الزيدى قوله : « كان المتنبى وهو صبى ينزل فى جوارى بالكوفة ، وكان يعرف أبوه بعبدان السقاء ، يسقى لنا ، ولاهل المحلة ، وكان عبدان والد المتنبى يذكر أنه من جعفى ، وكانت جدة المتنبى همدانية صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من حلماء النساء الكوفيات (٢) » ، وتقل هذا الخبر نفسه صاحب الصبح المنى (٣) ،

وقال الثماليي : • ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلثمائة (٤) » •

<sup>(</sup>۱) الراضع في مشكلات شعر المتنبى من 1 - للاصبهائي بتحقيق ابن عاهور طبع تونس •

<sup>(</sup>٢) ذكرى أبي الطيب من ٣١ نقلا عن الخطيب البندادي ٠

<sup>(</sup>٢) المبيع المتبي من

<sup>(</sup>٤) أبو الطيب وما له وما عليه ص ٢١ طبع مكتبة العسين التجارية ٠

ولم يذكر الاصبهائي شيئا عن والده ، وكان آقرب الرواة والعلماء اليه ، لانه عاصره وأخذ عن بعض رفاقه كاين جني ، بل وعاش في بلاط عضد الدولة في شيراز ، وربما قيل أنه تفاضي عن ذكر والده لعقارته ، لكن ذلك لا يمكن أن يفهم من سياق القول ، فأنه يستطرد بعد ذلك ذكر مولده في محلة كندة التي كانت سكنا للسقائين والنساجين (٥) ،

« واختلف الى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلرية شعرا ولفة وأعرابا ، فنشأ في خبر حاضره ، وقال الشعر صبيا » •

ولم يكن لينحق بكتاب فيه أولاد أشراف الكوفة وهو وضيع النسب وابن سقاء وحكاية نسبته الى كندة القبيلة اليمنية ، أو كندة الحلة المدروفة التي تنزلها كندة بالكوفة وسكنها كثير من الحشوة ، والعمال الصناع من السقائين والنساج يشوبها شيء من الليس .

وقد ذكر البديمي أن أبن لنكك البصرى هجاء لما عرف بتألب شعراء بفداد على المتنبى ولم يولهم اهتماما ولا عبا بهم وقال : ولما بلغ الحسن بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبى من وقيعة شمراء المراق فيه واستخفافهم به كتولهم فيه :

<sup>(</sup>٥) الواشسيع ص ٢٠

أى قشسل لشاعبر يطلب القضيد بن عبن انتباس بكرة وعشيا عاش حينا يبيع بالكوفة المسمساء وحينا يبيع مساء المحسا وكان ابن لنكك حاسدا له ، طاعنا عليه ، هاجيا آياه ، زاعما أن أياء كان يسقى الماء بالكوفة • فشمت به وقال (١) :

فزوجسوه برهسم أمهاتسكم لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعائهم في قفا السقاء تزدمهم

قولوا لاعل زمان لا خـلاق أهم ضلوا عن الرشد منجهل بهم وعموا أعطيتموا المتنبئ فسوق منيته

وهاجمه شمراء كثيرون في نسبه ، سواء من تاحية أبيه ، أو من ناحية قبيلته ، وروى عن أبى قرأس قوله له في مجلس سيف الدولة: ومن أثت يا دعى كندة ؟ ٠

ولا أخرج هذا كله عن حد السباب الذي لا يرقى الى حقيقة ، انما هو عن حفيظة وحسد الكانته واقتداره على الكلام • وأحس هو بما يكيده الشمراء ويرمونه به من هذا الجانب ، قرد عليهم بقولسه :

أنا ابن من بعضه يفوق إبا البا حث والنجسل بعض مسن نجله وانسا يذكس العسدود لهسم من نقسروه واتقسدوا حيلته

ولم يكن المتنبى ليذكر آباء، وأجداد، لو لم يشره الحاقدون والحاسدون ، وما كان لشاعر أن يذكر أباه وأمه اللهم الا القليل معن كان ذكر الآباء والامهات ضروريا عندهم في الفخس أو الماجاة "

<sup>(</sup>١) المبيح المتيي ص ١٤٥٠

ولم يكن أبو نواس ليذكر أباه وأمه ، ولا كان أبو تمام أو البحترى ممن ذكروا آباءهم وأمهاتهم ، وليس لنا أن نقول كما قال الدكتور طه حسين (٢) بأن اهمال أبي تواس ذكر آبيه وأمه من هوان ، وأن هذا الهوان قد عقد الشاعر أو أضر به ، وما كان أبو نواس ليهتم بشلة شأن آبيه ولا يضعه مكانة أمه جلبان رغم أن الشعراء هاجموه بها وعيروه \*

وما كان أبو تمام ذاكرا لابيه وأمه في الشمر رغم أنه أوخذ في هذا واتهم بنسبه كذلك من أعدائه والكائدين له •

وكذلك كان البحترى • وقليل من الشعراء كما قلت ذكروا الآباء والامهات وليسوا حجة على الكثيرين ممن لمم يذكروا آباءهم وأجدادهم •

ونخرج من هذا البيت الذي نشأ قيه الشاعر ، سواء أكان بيتا أصيل النسب في كندة من دُوائبها أو كان من عامتها و وليس شرطا أن يكون النابهون من دُوى الانساب ، انما هي دعوى عربية وفخفخة تشادق بها الناس ، ولم تكن لتمني عندنا أمرا ذا خطر والاسلام سوى بين الناس ، والنظرة الانسانية لا ترى فضلا لريد على عمرو في الدم فلم تعد في نظر العتل للدماء زرقتها أو حمرتها شأن في النضل انما الفضل بالعمل والكسب و كما قال شاعرنا :

<sup>(</sup>٢) راجع: مع المتنبي صلى ١٤٠

وليفغر الفغر الأعساوت به مرتديا خسيره ومنتعلسه أنا الذي بين الالبه به السلام الساره حيثما جعليه جوهسرة تفسرح الشراف بها وغصلة لا تسيفها السفلسة

لقد ولد أبو الطيب اذا طفلا ذكيا موهوبا ، وعرف فيه والده هذه الموهبة ، فلم يرد أن تظل مدفونة ، بل أراد أن يمهد لها الطريق كي تنمو ، ولم يدخر وسلما في أن يوفر لابنه الملم والمعرفة ، وأن يمهد له الصقل والفصاحة ، فبعث به الى البادية وفي البادية تخرج فعليما لسنا .

وأضاف لل هذا التلقين ، وتلاط التربية البدوية ، علما ، في كتاتيب الكوفة أولا ، ولدى مجالس علمائها ثانيا •

يقول الثمالين : « وأن أباه سافر الى بلاد الشام ، ظم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها ، ويسلمه فى المكاتب ، ويردده فى القبائل ، ومغايله نواطق بالحسنى عنه ، وضوامن المنجاج فيه ، حتى توفى أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع (1) » \*

و كانت الكوفة آنذاك تقع تحت سيطىة العلوية أو الفكر الشيعى عامة ، ولا شك آنه تأثر في صبحاه يبعض معلمي الشيعة وشيوخهم ، والاصبهائي يقول : « - " فكان يتعلم دروس العلوية

<sup>(1)</sup> أبو الطيب ما له وما عليه ، من ٣٢ -

شعر! ولغلة واعراباً ، فنشلاً في خلير حاضره ، وقال الشعر صبياً (١) » "

ولا ندرى سببا لخروجه من الكوفة وهسر صبى ، والثمالبى يقول أنه غادرها مع أبيه الى بلاد الشام طلبا للعلم ، وهناك من يقول أنه غادرها فسرارا من التسورة القرمطية ، ولكنى أشك في هذا الخبر الاخبر (٢) ،

وقد كان الشاعر في صباء طلعة حافظا ، تروى عن ذكائه ، وقدرته على حفظ الاخبار والنوادر -

وقد كان لنبوضه أولا ، وكبريائه ثانية ، واعتقاده بعض الآراء العلوية أو القرمطية ، ثالثا أثر في تحامل كثير من الناس عليه •

قال الاصبهائي : « وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفره وقع الى واحد يكني آيدا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهرسه ، وأضله كما ضل (٣) » •

وآبو المفضل هذا شبيخ قرمطني ، قبال بعض الباحثين أن المتنبى تأثر بأرائه وأفكاره وأنه ربما عناه في قوله :

شيخ يرى الصلوات الغمس نافلة ويستعل دم العجاج في العرم

<sup>(</sup>۱) الواضيع ، ص ۲ •

<sup>(</sup>۲) داجع : ذكرى أبي الطيب لعبد (أوهاب عزام \*

<sup>(</sup>٢) الواضيع ، ص ٢ -

وتتيع الباحثون هذه الاتجاهات العلوية في شبعره ، وفي صياه خاصة - وفي قصائده التي سدح بها بعض العلوية في الشاام •

وللمتنبى الى الشام سفرتان سفرة فى الصبا الاول ، وهو لم يبلغ الحلم أو كاد ، وقد صحبه فيها والده ، وسفرة فى شبابه فى العشرين من عمره أو بعدها بقليل حبوالى سنة ٢٢٢ ، وقد قسدم اللافقية فى سنة نيف وعشرين وثلاثمائة كما يقول البديمى (٢)، وكان قد نبت شمر عداره ، وأرسل شعر رأسه الى ما بعد شحستى أذنيسه "

ولسفرته هذه الثانية بالشام أثر خطير في حياته وشعره ، فقد ذكر الرواة أنه كان شديد الاعتداد ينفسه وأدبه ، وأنه لهذا الاعتداد اتهم بادعاء النبوة ، ولهذا الاتهام أسبأب كثيرة في حياته وخلقه وشعره ، منها أنه كان منذ صباه فتى ثائرا ، تعلق ببعض الافكار القرمطية أو العلوية التي ترى الخروج المسلح على الدولة ، وأنه كان يرى تغلب عناصر غير عربية على الخلافية ، وأن هيذه الدولة لابد وأن تعود الى المرب ، وأن الخدم أو عبيد القصر ممن نزلوا الامارة أو ولاية بعض أقاليم الدولة أمثال كافور ، والاخشيد أو المخدم الذين سيطروا على الخلافة في بغداد أمثال

<sup>(</sup>٢) السبح المنبي ، ص ٧٠٠

مؤنس أو البوبهاين من الفرس ممن كان لهم السلطان العقيقى • كل هؤلاء ينبغى أن يجلوا بالسيف وأن تعود الدولة عربية ، وأن يعود العرب للسيطرة عليها وتولى زمامها •

ولا شك أن اندفاع الصبا ، وهوس الشّباب قد خيلا له أشياء كثيرة ، خاصة وأنه امتلك ناصية البيان ، فليته ارتأى أن يتخف مق مقدرته الشعرية وسيلة الى أن يجمع من حوله الجمع ، ليصل الى غايته ، فيثور بعن يتجمع حوله من مؤيديه تسورة قد يقتنص بها أرضا بالشام تكون ركيزة له ، وموطنا يتحصن به ليثب مرة آخرى - - وقد لا يستبعد أن يتخذ من ذكائه وسيلة للعب بعقول البسطاء من عامة الاعراب ، فيدعى النبوة أو شيئا قريبا منها -

والاخبار تطرد في نبوءته ، منها ما يؤكدها ، ويؤكد ادعاءه بعض المعجزات • وقد روى المسرى في رسالة الغفران بعض أخباره تلك ، ورواها البديمي ، بينما أعرض عن ذكرها كثيرون كالاصبهائي والشعالبي • واكتفى الاخير بأن صور الاسر وكأنه معاولة للخروج على الخلافة أو الثورة لا ادعاء للنبوة ، فقال :

وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا الى بيعته قوما من رائشى نبلة ، على العداثة من سنه والغضاضة من عوده ، وحين كاديتم له أمر دعوته تأدى خبره الى والى البلدة ورقع اليه ماهم به من الخروج ، فأمر بعبسه وتقييده » (۱) \*

<sup>(</sup>۱) أبو الطبيب المتنبي ما له وما عليه ، من ٢٢ وراجع الصبح المنبي من ٥٩ ٠

وتتبع أخباره يؤكد معاولته الخروج مرتين ، وقيده وحبسه مرتين ، فأما المرة الاولى فهى في زمن متقدم من مبكس شبابه ، وقبل أن يذهب الى اللاذقية ، ولمل ذلك كان في باديسة العمر أو قريب منها ، وقد قال فيها قصيدته الدالية المشهورة :

أية خسسه الله ورد الخسيود وقد قسدود الحسان القسيدود

وفيها يستمعك الوالى الذي قيد، وحبسه فيقول:

هبات اللجان وعنق العبيد ع ، والموت منى كعبال الوريد وأوهن رجالي نتال العديدا

امیالک رالیی ء ومین شیانه دعوتك عنید انقطاع لارجیا دعوتك لمیا بثرانی البیسلی

#### يقسرل:

فقد صار مشيهما في القيمود فها انا في محفسل من قدرود وحمدي فيسل وجوب السنجود وقد كان مشيهما فيي التعييال وكنت من الناس في معفيل تعمل فيي وجيوب العييدود

ویشیر فی البیت الاخبر الی صغر سنه مبالغا حتی آنه لا یقع علیه الحدد ، اذ لا یقع علیه التکلیف بعد باداة الصلاة و قال الثعالبی : و أی انما تجب الحدود علی البالغ و آنا صبی لم تجب علی العملاة بعد و یجوز آن یکون قد صغر سنه و آمدر نفسه عند الوالی ، لان من کان صبیا لم یظن به اجتماع الناس الیه للشقاق والخلاف و وگان خروجه هذه المرة فی بنی عددی ، وقبض علیه

<sup>(</sup>۲) المصدر تقسسه ٠

ابن على الهاشمي في قرية كوتكين (١) • وله أبيات أخرى ذكر قيها السجن ، وخاطب من اسمه أبو دلف بتوله :

> أهبون يطبول المثبواء والتلف كن أيها السجن كيف شئت فقد

والسجن والقيسة يا أبسا دلف غسع اختياد قبلت بسرك بسي والجسوع يرضى الامود بالجيف وطئبت للمبوت نفس مفتبرق لو كان سكناى فيسك منقصية لم يكن السدر سياكن الصدق

ولا ندرى متى خرج مرة أخرى وسجن ثانية ، لكن أخبارا تقول أنه خرج في بادية الشام ، وانه كان عده المرة الثانية في بتى كلب وادعى أنه علوى ، وربما ادعي الامامة كذلك أو آنه المهدى أو شيئًا من هذا القبيل فتبعه منهم خلق كثير • وقيل أن لؤلؤة أمير حمص من قبل الاخشيد في مصر قبض عليه وسلجته عامين ، ثم أطلق سراحه بعد أن تعهد بالا يعود الى دعوته -

ولا تدرى ماذا قال في هذا السجن الثاني ، فلم يهتم بذكره ، ولم تقصل الاخبار في ذلك ولكنا قدد تلتمس بعض الضوء فيما يروى عن تنبئله مرة ثانية فيما فسر به أنساره هذا المخبر حكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سلمعت أبا الطيب يقول : انما لقبت بالمتنبي لقولى:

أنا ترب النكى ورب القبواغي وسهام العدى وهيظ العسود أنسأ في إمسة تداركها اللسسية غريب كصالح في تمسود

 <sup>(</sup>۱) المبيع المنبي ، س ۹۹ .

# وفي هذه القصيدة يقول :

#### ما مقامى بارض نخيلة الا كمضام المسيح بين البهدود

ولا شك أن مرحلة حياته بالشام قبل لقائه بدر بن عمار ، ثم سيف الدولة كانت سرحلة قلق واضطراب ، وأن أخباره فيها نادرة غير بينة ، مختلطة أحيانا ، وزادها هو غموضا بالسكوت عنها • وربما كان سكوته عنها ندما ، أو رغبة في أن تمحى من عمره سرحلة لا يريد ذكرها ، لالها في نفسه ، أو لما لاقاه فيها من عنت ، أو تشرد ومعاناة •

واذا كان المتنبى قد عانى فى هدن المرحلة آلام السجن ، واضطهاده الولاة ، وتهددهم اياه وتأكيدهم عليه بعدم اللجوء الى ما أدعى من نبوة أو ما لجأ اليه من جمع الناس من حوله للثورة ، فان آثارها باقية في شعره ، صادقة التعبير عن ثورته ورفضه ، صادقة التعبير عن ميله الى القتل والحرب والضرب \* وقد ذكر الشعالبي أن حب الولاية ما زال يدور في رأسه ، فيظهر ما يضعر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجمان ، والاستيلاء على بعض الاطراف \* ويستكثر من التصريح بدلك في مثل قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطير لاتركن وجبوه الغين ساهمة والطعن يحرفها والزجر يقلقها قد كلمتها العوالى فهى كالحة بكل متصلت ما زال منتظرى

فالآن الفصم حتى لات مقتصم والعرب القوم من ساق على قسام حتى كان بها ضربا على اللمسم كانما الصاب مذرور على اللجسم حتى إدلت له من دولة الغسام والى جانب هذا الهوس بالولاية ، والرغبة المتحرقة الى القتل والاستيلاء بالقوة على البلاد قانه كان يشمر بالمرارة لانه يضطر الى التكسب بالشمر ، والى أن يقصد من لا يستحق منه ليبيع الشمر في سوق الكساد •

قال الاصبهائي: و أنه في تطوافه في أطراف الشيام، واستقرائه بلاد العرب، قاسى الفير وسوء الحال و نزارة الكسب، وحقارة ما وصل اليه بشعره حتى أنه و أخبرنسى أبو العسن الطرائفي ببغداد، وكان لقيى المتنبى دفعيات في حيال عسره ويسره بان المتنبى مدح بدون العشرة والخمسة دنانير (١) » •

وكان كثير الرحلة ، أما فاتكا ، أو قاصدا معدوحا ، يعدود منه بالندر اليسير • قال الثعالبي (٢) : و وكان كثيرا ما يتجشم أسفارا يعيدة ، أبعد من آماله ، ويمشى في مناكب الارض ويطوى المناهل والمراحل ، ولا زاد الا من ضرب العدراب على صفحة المحدراب (٣) ، ولا مطية الاالخف أو النعل كما قال :

لا ناقتى تقبىل الرديف ولا بالسوط يدوم الرهان اجهدها طراكها كورها ومشقرها (مامها والشاموع مقودها

وكما قال في الاعتداد بالسفر ، والقدرة على الرحلة :

<sup>(1)</sup> الواطسيج ، ص ٩٠

<sup>(</sup>٢) أيو الطيب ، من ٣٥ ٠

<sup>(</sup>٣) المصراب: المتنق •

ومهمة جبته على قلمبى ، تعجز منه العرامس الذلل قال الثمالبي : « وكان قبل سيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويعملاد ما بين الكركى والعندليب » • ويعكى أن عليا ابن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها :

يابي الشموس الجانعات قواريا اللايسات من العرير جلابيسا ومنها :

حال متى علم ابن منصور بها جباء الزمان الى منهما تائبها الا دينارا واحدا ، فسميث الدينارية ·

وقال الاصبهائي : « وأخبرني العسن الطرائفي قال : سمعت المتنبي يقول : أول شعر قلته وابيضت أيامي بعده قولي :

انا لائمی ان کنٹ وقت اللوائم علمت بما ہے بین تلك المعالم قائی أعطیت بها بدمشق مائة دینار (٦) - »

وذكر في الديوا نأن التصيدة في الامير أبي محمد الحسن أبن عبد الله بن طفح الاخشيد \*

وقد حق لابي الطيب بعد هذا أن يضجر وأن يدم هذه الحال التي اضطرته الى أن يبيع الشعر في سوق الكساد · يقول :

 <sup>(</sup>٤) الدرامس: النوى الثنديدة : والذلل جمع ذلول وهي السلسة الثياد •

<sup>(</sup>٥) أبو الطبيب، ص ٣٦٠

<sup>(</sup>۱) الواطبيح ، ص ۹ ٠

الى كم ذا التغلف والتوانسي وكم هذا التمادي في التمادي وشغل النفس فم طلب المعالى بيبع الشعر في سوق الكساد

وامتدت هذه المرحلة بالشام خمسة عشر عاماً يدرع فيها البلاد شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، تراه في بادية الشام وحمص حينا ، ثم في اللاذقية أحيانا ، ويعود الى طبرية فدمشق فالرملة ، فطرابلس ، فانطاكية ، يلقى من الناس ألوانا ، من القادة ، والولاة والكتاب ، وأمراء الجيوش ، وزعماء القبائل ، وشيوخ العشائر ، وكلا يمدح ، وكل يعطى على قدر سروءته أو ثرائه أو مكانته ،

وخلفت هذه المرحلة في شعر المتنبي كثيرا من مظاهر حياته وحركاته ، ومن آرائه في الحياة والناس •

لقد كان في آول هذه المرحلة ثائرا ، مزيدا ، مرعدا ، يقوده هوس الشباب وخبلاؤه وتحقزه أوهام السبى ، ويدفعه تياره الساخب الجارف ، فشعره يهدر ، ويتوعد ، فيه القتال ، والقتل ، ووقع الرماح ، وصليل السيوف ، وغبار الكر والفر ، ووقع المخيل ، ورؤى الدم المراق - - - وفيها الهواجس ، وسرء الظن والشعور بالعدام ، والرقبة في الاعتداء .

ثم تتغير هيذه النفعة بعد السيجن ، وتتلون بتلك الألوان القاتمة ، ويكثر من الحديث عن الاعدام والحسياد ، والكييد ،

ويتخرف الطريق ، وهو المقدام ، ولكنه يشمر بأن الميون ترصده، والكائدين يديرون له في كل خطوة آمرا ، وهو ينظر اليهم نظرة تمالى وازدراء ، يقول :

يخلو من الهم أخلاهم من الغطن أخنى على الحر من سقم على بدن تخطى اذاجئت في استفهامها يمن ولا أمر بقاق غبر مضطفئ الا أحق بضرب الراس من وثن حتى أعثنا نفس فيهم وأنسى

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن واتما نعن فلي جيبل سواسية حولی بسکل مسکان منهم خلق لا اقتسرى بلدا الاعسلي غسرر ولا أعاش من أملاكهم أحمدا ائسي الاعترهسم معا اعتقهسم

#### ديقول قيهسا:

ق*د هون الصب*ر عن*دي كل نازلة* -وقال عن نفسه:

ولا قابلا الا لغالقية حكمينا ولا واجدا الا لكرمة طعما وما تبتغي؛ ماابتغي جلانيسمي جلوب اليهم من معادنه اليتما

ولان العزم حسد المركب الغشن

تغرب لا مستعظمة غيس تقسه ولا سبالكا الا فيؤاد عجاجت يقولون في ما أنت ؟ فيكل بلدة كبأن يتيهم عالمسون بانتسى

ويقول في هذه المرحلة ميميته الشهرة التي يأسي فيها لانه صاحب همــة ، وعيقرية ، ولكن همتمه لا تبلغ بسه مـا يريد ، وعيقريته مهانة ، لا يقدرها أحد ، ويحر هذا في نفسه ، ولا أشد من أن يشمر المبقرى بآنه مهدر في قومه وبين عشيرته ، يقول :

وان كانت لهم جثث ضغسام

فيؤاد ميا تسليه المسمام وعمر مثل منا يهبه اللتسام ودهبار تاسيبه تباس مشبار

#### وما أنسا متهسم بالعيش فيهسم وأكث معبلن ألذهب الرغيبام

أهو شعور بالغربة اذن ؟ لان الشاعر ليم يوفق بين آماليه وواقعيه ، ولانه فشل فيما حاول من ثورة ، ولانه يشمر بالامتياز ولا يجد من يقدره حق قدره - بل لقد انقلب الامر عليه ، قصار ينظر اليه في كل مكان يدهب اليه نظرتين نظرة العدام ، والريب والحسد من جانب الكثرة \* والشعراء من حوله مقدرون به يدمونه ويسلقونه بألسنة حداد:

أنكس إنسى عقويسة لهسم

انے, وان بلت حاسبتی قصا وكيف لا يحسب أمرق عليم له عبلي كنل هامية قبيلم ويقب ل:

ومن ذا يحمل السناء العضالا يجند مسرا يسه المستاء الزلالا

أرئ المتشاعرين فسروا يتمسى ومسڻ يسك ڌا قسم مسر مريض

وقالوا أن المتنبى كان يقول ولا يفعل • ولو لـم يفعل نفيم هذه الاخبار ، وقيم سجنه ، لعله لم يبلغ من القمل النجح ، أو لمل قعله كان على قدر ضئيل من الاثر ، لكنه هم على أية حال ، ودعا الناس اليه وصدقه الناس • وانه ارتحل وضاق بالبقاء والاستقرار ، وقطم النيافي والقناز يحثا وراء غايته لعله أن يجد فرصة ، أو تسنح له بادرة يستغلها أو يعش على من يقدر فيه نبوغه ٠

كذلك قان في هذه المرحلة اختمرت فلسفة المتنبي ، ونضبح فكره ، ويدت آثار علمه الذي اكتسب من قبل ، وفي هذه المرحلة قصائد قيها آثار فكر تشاؤمي رواقى ، وفيها ميل الى الفعوض ، مع بعض آراء شيعية ، وفكس علوى ، مختلط بصوفية أو غيبية (ميتافيزيقية) ونقف عند قصيدته الهمزية :

أمن الديارك أي اللجي الرقباء الدحيث كنت من الظلام ضياء

فنسراه يصطنع همذا المنهمج الصرفى من حيث الفعوض والالتوام ، وعدم القصد الى معانيمه مباشرة كما كان يفعل في شمره السابق عليها •

واتصل بعد بأبي العشائر الحسن بن على بن حمدان • قال ياقوت (١) : « ولم يزل المتنبى بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال في بلاد الشام حتى اتصل بأبي العشائر ومدحه بعدة قصائد أولها :

أتراهبا تكثيرة العشبان تعبب النمع خلقة في الماقي وقد أكرمه أيو المشائب ، وعرف منزئت ، وكبان والى أنطاكية من قبل سيف الدولة ، ولما قدم سيف الدولة الى أنطاكية قدم المتنبى اليه ، وأثنى عنده عليه ، وعرفه منزلته مبن الشعر والادب (٢) • وقال الاصبهانى : « ثم اتصل بآبى العشائر ، فأقام ما أقام ، ثم أهداه الى سيف الدولة •

وعندما التقى يسيف الدولة لم يرد أن يمامل معاملة غيره من

<sup>(</sup>۱) ارشاد الاريب ، وراجع الصبح المتبي ، من ۱۸ -

۲۱ میسیم المنبی ، من ۲۱ \*

الشعراء ، يل من عليه القوم معن يقدون على الامير • قال البديمى: 
و واشترط المتنبى على سيف الدولة أول اتصاله به آنه اذا آنشده 
مديحه لا ينشد الا وهو قاعد ، وأنه لا يكلف تقبيل الارض بإن 
يديه ، قنسب الى الجنون • ودخل سيف الدولة ثمت هذه الشروط ، 
و تعللع الى ما يرد منه وذلك في سنة ٣٣٧ سبع و ثلاثين و ثلاثمائه ، 
وعمره أربع و ثلاثون سنة » •

### وكان أول ما أنشده قوله:

وفاؤكما كالربع أشعاه طاسمه يأن تسمدا واللمع أشقاه ساجمه

قال الاصبهائى: و ثم أقسام المتنبى عند سيف الدولسة على التكرمة البلينسة فى أسناء الجائزة ورفيع المنزلة • ودخسل مع سيف الدولة بلاد الروم فى غزوتى المصيبة والفناء » •

وقال البديمى: و وحسن موقعه عنده ، وقربه ، وأجهازه المجوائز السنية ، ومالت نفسه اليه وأحبه ، فسلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ، وصعب سيف الدولة في عده غزوات الى بلاد الروم ، ومنها غزوة الفناء التى لم ينج منها الاسبف الدولة بنفسه وستة أنفار منهم المتنبى وأخهت الطرق عليهم الروم ، فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المسكر وخرق المسئوف ، وبدد الالوق »

وقد ليس المتنبى لامة الحرب ، وتعلم الفروسية إذا ، وخاص معارك سيف الدولة مع الروم • ووصف هذه المعارك وصفا رائما •

وتروی روایة عن لبسه الدروع فارسا ، حكی ابن جنی قال: حدثنی الصنویری قال : خرجت من حلب آرید سین الدولة ، فلما برزت من السور اذا أنا بفارس متلئم قد هوی نحوی برمح طویل وسدده الی صدری فكدت أطرح نفسی عن الدابة فرقا - فلما قرب منی ثنی العنان وحسر لثامه فاذا المتنبی وأنشدنی :

نثرنا رءوسا بالاحيدب منهم كما نثرث فوق المروس الدراهم

ثم قال ، كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك قد قتلتنى يا رجل • قال ابن جنى : فعكيت هذه العكاية بمدينة السلام لابى الطيب قعرفها وضحائلها (١) •

والتقى فى بلاط سيف الدولة بجماعة من العلماء والشعراء ، وكانت تعقد مجالس الشعر والنقد ، وكان سيف الدولة يشارك فيها بدوقه وعلمه - ومعن اجتمع فى بلاطه غير المتنبى : السرى الرفاء ، والصنوبري، والناملي ، وأبدو فراس الحمدانى ، والرقى - ومن العلماء ابن خالويه -

وبارى الشعراء المتنبى فغلبهم • حكى أن السرى الرفاء حين قصد سيف الدولة أنشده بديها :

انى رأيتك جالسا فى مجلس قصد الملوك به لديك وقاموا فكانك الدهير المعيط عليهيم وكانهم من حوثك الايسام ثم أنشده بعد ذلك ما كان قائه فيه من الشعر ، وبعد ثلاثة

<sup>(</sup>۱) أبو الطيب ، ص ۲۸ ٠

أيام أنشده المتنبي قصيدة قافية ، فأمر له بفرس وجارية وأول القصيدة :

أيسلري الربع أي دم أراقسا وأي قلوب هذا الحي شاقا (٢)

وحكبى أن سيف الدولة كان يميل الى أبى العباس النامى الشاعر ميلا شديدا إلى أن جاءه المتنبى ففائل ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال : آيها الامير لم تفضل على أبن عبدان السقا ؟ فأمسك سيف الدولة عن جرابه ، فلج والح وطالبه بالجراب ، فقال : لانك لا تحسن أن تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغيد اليه غير معتفيل فتهض من بإن يديه مغضيا •

وقرر الامير سينالدولة للشاعر جائدة سنوية ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد كل عام حتى أن أبا فراس الشاعر وابن عم الامير حسده ، ولامه على ذلك ، قال : أن هذا المتشدق كثير الادلال عليك ، ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره ،

ولم يسلم المتنبى من كيد الكائدين وحسد العاسدين ، وانما فتحت لهم يعض تصرفاته سبيل ذلك ، كاعتداده ينفسه ، واقلاله من الشعر مع رغبة سيف الدولة فيه ، وتعمده السخرية من غيره وخاصة من أبى فراس ابن عم الامير وبعض خواصه كابن خالويه -

۲۹ السبح النبي ، سن ۲۹ -

ومما يروى من أحداث بينه وبينهم : حضر المتنبى مجلس أبى أحمد بن نصر البازيار وزير سيف الدولة ، وهناك أبو عبد الله بن خالويه النحوى ، فتباريا في أشجع السلمي وأبي نواس البصرى فقال ابن خالويه أشجع أشمر اذقال في هارون الرشيد :

وعلى عنوك يابن علم معمد وسدان ضوء الصبح والاظلام فاذا تنبله رعته واذا غفلا سنت عليه سيوفك الاحسلام

فقال المتنبئ : لابي نواس ما هو أحسن في بني برمات :

الم يظلم الدهدر اذ تبوالت فيهم معيياته دراكها كانبوا يجدرون من يعسادي . منه قعاداههم لذاكها

وقد جرت بحضرة سيف الدولة مسألة لغوية بين أبى الطبب اللغوى والمتنبى ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطبب ، فتكلم فيها بما قوى حجة أبى الطبب اللغدوى ، وضعف قول ابن خالويه فأخرج هذا من كمه مفتاحا حديدا ليلكم به المتنبى ، فقال له المتنبى : اسكت ويحك ، فانك أعجمي وأصلت حوذى ، فمالك وللعربية ؟ فضرب وجه المتنبى بذلك المفتاح ، فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبى من ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولا ولا فعلا • فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة لا قولا ولا فعلا • فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة (1) » •

وحضر ميرة أبو قراس وجماعة من الشعراء فبالغبوا فيي

<sup>(</sup>۱) المبيح المتيى ، ص ۸۷ ·

الوقيمة في حق المتنبى ، وانقطع يعمل القصيدة التي أولها : واحسر قليساه ممن قلبه شيسم ومن بجسمى وحالى عنده سيقم

وجاء وأنشدها ، وجمل يتظلم فيها من التقصير في حقه كقوله :

وتدعى حب سيف النولة الإسم فليت أثا بقدر العب تقتسم

مالي اكثم حيا قد بري جسسلي ان كان يجمعنها حب لفرنسه قد زرته وسيوق الهند مفسالة وقسد نفارت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سي غبالدولة لشدة ادلالسه واعراض سيف الدولة عنه ، فلما وصل في انشاده الى قوله :

أعيدها نظرات مناك صادقة أنتحسب الشعم فيمن فعماورم

فعلم أبو فراس أنه يعنيه فقال : ومن أنت يادعي كندة حتى تأخذ أعراض أهل الامير في مجلسه • واستمر المتنبلي في انشاده ولم يرد ، وأبو فراس يتمقبه ، ويحرض سيف الدولة عليه حتى غضب سيف الدولة ، وضربه بالدواة التي بين يديه ٠

ولم تطب الحياة بمده اللمتنبي في حلب ، وعزم على الرحيل وقد مرض به في ذلك القصيدة حين قال:

لئن تركن ضمسرا عن ميامننا ليحدثن لمن فارقتهم تسدم وفارقه متجها جنوبا قاصدا مصر ، وراغبا الى كانور ، لعله أن يجد في رحابه ما عن عليه في جناب سيف الدولة بحلب \*

ولقه كانت هذه المرحلة في حلب من أغنس مراحل حياته وشمره ، وقال فيها عيون قصائده ولم يكن سيف الدولة بالنسبة اليه مجرد ممدوح آمير أو ملك ، بل أنه أحب فيه شخصه وخلاله ، وتمثل فيه فتوة عربية ، وشهامة ومروءة ، وكفاحا في سبيل الدولة ، وحفاظا على الارض ضد غزو الروم ، فلم يكن غريبا اذا أن صدق في شعره معه ، وأن جاء فيه بكل رائع فريه وقد اغتنى وكثر ماله ، كما ارتفع شعره اذ قيل أنه حصل في مدة أربع سنوات ٣٥ خمسة وثلاثين ألف دينار (١) .

انقاتلوا جينوا او حدثوا شجعوا

فأنك كنتالشرق تلشمس والغربا

طوال وليسل العاشسقين طويسل

وعادات سيفالنولةالضرب فيالعدا

## ومن درره المذكورة فيه قولمه :

اذا كان مدح فالنسيب المقيدم اكل فصيح قال شعرا منيسم وقوليسه:

> غیری باکش هذا الناس یتخدع وقولسیه :

فديناك من ربع وان زدتنا كريا

وقولسه :

ليمالى بعد القلامنمين شمسكول

وقولسه:

لكل امرىء من دهره مسا تعودا

وقولىيە:

على قدر نقل العزم تاتى العزائم وتاتى على قدر الكرام المكارم وقد بلغث مدائحه فيه ٢٨ قصيدة و ١٥١٢ بيتا في تسع سنوات مع سنة ٣٣٧ هـ الى ٣٤٦ هـ ، منها آربع عشرة قصيدة في

<sup>(</sup>۱) الواشيع ، من ۱۲ •

حروبه مع الروم ، وأربع في وقائعه مع القبائل العربية ، وخمس عشرة في المدح دون وصف الوقائع ، وخمس في الرئاء ، ومن القطع اثنتان في حوادث الروم ، والاخريات في مقاصد شتى (٢) -

واتصل المتنبى بكافور ، وقد بعث الى والى الرملة محمد بن طغج ليبعث به اليبه ، وكانت دولة الاخشيد في مصر منافسة للحمدانيين في شمالى الشام وكانت تبسط نفوذها على جزء كبير من يلاد الشام وريما كان مقصد المتنبى الى كافور رغبة في الانتقام لكرامته مما لقيه في يلاط سيف الدولة على كره منه وشتان بين سيف الدولة وكافور ، فهو قاصد لكافور ، مغيظا ، وشتان بين سيف الدولة وكافور ، فهو قاصد لكافور ، مغيظا ، بدأه بعديح فيه هذا الجفاء ، ولا باستحقاقه للمديح ولهذا بدأه بعديح فيه هذا الجفاء ، وفيه هذا الاحساس بالالم لقراق سيف الدولة وان حاول المداراة واصطناع المديح ، لكنه جاء متكلفا ثقيلا ، أو مصنوعا بين الصنعة ، مبالنا واضح المبائنة ومصنوعا بين الصنعة ، مبالنا واضح المبائنة .

قال الاصبهائى: وقلما انتهت مدته عند سيف الدولة استأذنه فى المسير الى الطاحسة (١) ، قاذن لبه ، وامتد باستطا عنانه الى دمشق ، الى أن قصد مصر ملما بكافور فأنزله وأقام ما أقام الا أن أول شعره فيه ، فيه دليل على ندمه لفراق سيف الدولة وهو قوله:

كفى بكداء أن ترى نئوت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيسا

<sup>(</sup>٢) مقدمة الديوان لبد الوهاب عزام •

<sup>(</sup>۱) الراشيخ ، ص ۱۴ :

### حتى انتهى الى قوك :

قواصد كافور توارك غيرم ومن قصد البعر استقل السواقيا

ومكث بعصر أربع سنوات ، كانت لله مدائح في كافسور وأهاج ، ومدائح في فاتك ومرثيته العينية التي قالها عند خروجه من مصد •

ووقع فاتك من نفسه موقعا حميدا فأعجب به ، ولم يبخل عليه فاتك بالمال ، قال الاصبهائي : لقيه المتنبى في الميدان على رقبة من كافور فقال :

لا خيسل عندك تهديهسا ولا مسال فليسعد النطق ما لم يسعد الحال

فوصل اليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار • ثم مضمى فاتك لسبيله فرشاه المتنبى وذم كافورا حيث قمال:

أيمون مثل أبي شجاع فاتك : ويعيش حاسده الغمى الاوكم على أن أحسن ما نظمه أبو الطيب في هذه المرحلة باثبته :

من الجنازر في زي الاعاريب حمير العلى والمطايا والجلابيب

وميميته في وصف الحمي :

ملومكما يجلل عن المسلام ووقع فعالبه فوق الكسلام وقوليه:

بم التصلل لا اهمل ولا وطن ولا تدييم ولا كاس ولا سبكن وداليته في هجاء كافور في ذكرى المعيد :

عيد بايسة حسال عدت يا عيد بما مضي أم لامر فيك تجديد

ویدکر النقاد أن شعره فی هذه المرحلة كان أقل جودة من شعره مع سیف الدولة • قال البدیمی : « وأحسن قصائد أبی الطیب فی سیف الدولة ، و تراجع شعره بعد مفارقته وسئل عن سبب ذلك فقال : قد تجوزت فی قولی ، وأعفیت طبعی ، واغتنمت الراحة منت فارقت آل حمدان » (1) •

وشعره في مصر عليه سعة الحزن ، والتفكير الدميق في حاله وما جرى عليه من الاحداث طوال السنوات التي قضاها في حياة قلقة عاصغة آيام شبابه الاول بالشام وفيي عنفوانه مع سيف الدولة ورجاله وشعرائه بعلب و لاشك أن أبا الطيب قد أضاف الى خبرته في الحياة ، وتمرسه بها وتعامله مع أصناف متغايرة ، ومتنوعة من البشر قد أتاحت له تجارب واسعة يستبد منها معاني غزيرة لشعره ، كما أضاف الى تلك التجارب قراءات واسعة منوعة أيضا ، فالرجل كان طلعة يعفظ الشعر ويعرف بغريب اللغة ، ويحمل في رحله دائما كتب الادب والمعرقة .

ولقد كان طالبا لكثرة المال حتى يمكن أن يبلغ به الدرجة التي يطلبها لنفسه ، ولعله بلغ من كثرة المال ما أراد أو أكثر مما أراد ، ولكنه لم يسمكن ، فطلب المتصب والجاه ، أن يحصل على ولاية ، ورأى أنه جدير يهذا ، وأن أدب سيبلغه المنصب ، وقد حصل من سيف الدولة على المال ولم يحصل عنى الولاية ، قاراد أن

<sup>(</sup>١) السينج المنبيء ص ٩٨٠

يجرب حظه مع كافور لمله أن يبلغ به الولاية • وهكذا طلبها صراحة • فقال :

اذا لم تنط بی ضبعة أو ولاية فجودك يكسونی وشفاك يسلب يلتمس ولاية صبيداء - فأجأبه كافسور : لست أجسر على توليتك صيدا ، لانك على ما أنت عليه تحدث نفسك بما تحدث ، فأن وليتك صيدا فمن يطيقك ؟ (٢) -

وجدًا التمريض نقسه بما أراد في قوله :

فارم بى حديث ما أردث قائى . اسلا القلب ، أدمى السرواء وفيؤادى من الملوك وإن كا ن لسائى يسرى من الشعراء

ولم يظفر المتنبى مما قصد اليه ، ولا مما أمل على شيء ، وضاق بالمتام في مصر ، وزاد ضيقه حين أحس بأن كافورا بدأ يضيق الغناق عليه ، وينشر من حوله العيون ليقيدوا عليه حركاته -

وبدأ هجاءه كافررا ، تنفيسا عن ضيق نفسه ، وعقابا لها على ما ارتكبت من قصده ، وليس جديرا بقوله ، انما هي عنجهية بسببها خيرا الى شر ، وأهلا لشعره الى غير أهل ، يقول من قصيدة مطلعها :

افيقاء خمار الهم نقصتي القمرا وسكرى من الايام جنبني السكرا

<sup>(</sup>۲) - الواضيح ، ص ۱۰ -

#### ومنهلا :

صعبت ملوك الارض منتبطا بهم وبنا رأيت العبد للعدر مالكا ومصر تعمرى أهدل كل عجيبة يعدد أنا عدد العجمائب أولا فيا هرم النائيا ويا عبرة الورى

ويقمول فيهما:

قضاء من الله العسلى أراده وله آيسات وليس كهسته

مثرت بسيرى نعبو مصر فلالما وفارقت خير الناس قاصد شرهم فعاقبنى للقصبي بالضدر جازيا وما كنت الا فائل الرأى لم امن

وقارفتهم ماؤن من حنق مسلوا
أبيت أباء العسر مسترزقا حسرا
ولا مثل ذا المقصى أعجوبة نكرا
كمايبته في العد بالاصبع الصفرى
ويا أبها المقصى من أمك البقاري

الا ربسا كانت ارادتسه شرا اظنك يا كافور آياته الكبرى

بها ولما بالسبر عنها ولا عشرا وأكرمهم طلوا لان رحيل كان عن حلب غلوا بدرمولا استصحبت فيوجهتي حجرا

بل ووجهبي والهجيد بالا لشام مذا واتعب بالاناخسة والمقام

تغب بی الرکاپ ولا آمامی یسل لقاءه قسی کیل عیام کثیر حاسبتی ، صعب مراسی ذرائسی والقسنلاة بسلا دلیسل فانسی اسستریح بسدی وهسدا

اقمت بارض مصر قبلا وراثی وملنسی النسراش وکان جنبسی قلیل عائسای ، سنتم قبوادی

<sup>(</sup>۱) - الواضيح ، س ۱۳ •

الإ ياليت شبعر يسدى المسي وهل أرمسي هسواي براقصسات

ومبا فيي طينه أثنى جنواد

تعود أن يقيس فسي السسرايا

يتسول في الطبيب اكلت شبيتا

وداؤك فسي شرابك والطعسام أضر بجسمه طبول الجمام ويدخيل من قتيام فيي فتيام

تصرف قبی عنبان او زمسام

معالاة المقساود باللغسام

وأمكنه بعد هذا الضيق أن يحتال ويدبر الاس ليخس جخفية من

قال الاصبهائي : • فاحتال بمده في الخملاص من كافور ، فانتهل الفرصة في الميك ، وكان رسم السلطان أن يستقبل العيد بيوم تعد فيه المخلم والحملانات ، وأنواع المبار لرابطة جنهده ، وراتبة جيشه • وصبيحة الميد يفرق ، وثانى اليوم يذكر له من قبل ومئ رد واستزاد - فاهتبل المتنبي غفلة كانور ، ودفن رماحه يرا وسار ليلته ، وحمل يفاله وجماله ، وهو لا يألو سرا ، وسرى هذه الثلاثة الإيام » •

ومضى المتنبي في طريقه هروبا من مصر ومن كافور ، ومن ضيقه يطول المقام ، وشيع مصر وكافورا بقصيدة دالية في ذلك الميد ، وكان رحيله في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قسال :

عيد باية حال صدت يا عيد بما مضى أم لامر فيك تجليد أسا الاحبسة فالبيسداء دونهسم

- فلیت دونك بیدا دونها بید

وفيها يشكوهم نفسه ، وأنه خرج من مصر ورحلته اليها صفر المدين ، ولا مال سوى المواعيد المعطولة :

ماذا لقیت من الانیا؟، واعجبها امسیت اروح مثر خازنا ویسلا انسی نزلت بکذابسین ضیفهسم جود الرجال من الایدی وجودهم

أني يما أنا ياله منسه محسسود أنسا الفنسي وأموالي المواعيسد عن القرى وعن الترحال معنود من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود

وتنتهى مرحلة من حياة المتنبى وشعره ، غريبة فيما جسرى بها ، غريبة فيما دار حولها ، وما قيل فيها من الشعر ، فكثير من شعر المتنبى فيها جيد ، صغلته التجربة ، ويدت شخصيته فدة قوية غلابة ، لم تتضاءل ولم تنظو ، لكنها شخصية جديدة ، لم يكن يطبعها الكبرياء وحده ولا الشورة ، ولا القول في الحساد الكاثدين ، قلم يكن بمصر من الشعراء من نافسه كما كان الحال في بلاط سيف الدولة ، ولم تكن مجالس يطول فيها القول بين العلماء ، ويكثر الجدل ، ويطرح شعر الشاعر على بساط النظر ، فيوجه اليه النقد حينا في رفق ، وحينا في عنف وتحامل .

كانت حياة المتنبى ساكنة من جميع جوانبها ، لهذا مل هذا السكون ، ولغة شعره تلفها هذه الوحشة الساكنة ، ثم يعد يتدفق، فيرعد ويبرق ، بل هو يجتر آلامه وآماله في نغم هادىء حزين ، وإ نكان نفاذا مريرا "

<sup>(1) -</sup> دیوانیه ، طبع عزام ، صن ۶۸۸ -

و تبدأ هذه الرحلة الطويلة من ممر الى الكوفعة في بيداء المرب ، يمير فيها صحراء سيناء وتيمه بني اسرائيل ، ثم صحراء النتب ، فشرقا الى الكوفة •

وقد دبر الشاعر خطته فى دهاء وحيطة ، واتصل ببعض رؤساء الاعراب فى الشرقية بمصر ، وكان منهم واحد يذكره فى ابيات له اسمه عبد المزيز بن يوسف الخزاعى فى بلبيس باقليم الشرقية (١) - قالوا : وأخفى طريقه فلم يأخذوا له أثرا ، حتى قال بعض أهل البادية هيه سار ، فهل محا أثره ؟ وقال بعض المعربين : انما أقام حتى عمل طريقا تحت الارض .

وتبعته البادية والعاضرة ، ومن و ثقوا به من الجند ، وكتبوا الى عمالهم بالعوقية والجفار وغيزة والشبام وجميع البوادى وعبر أبو الطيب في الطرق الوعرة حتى خرج الى مباء على حدود سيناء يعرف بـ « نخيل » فلقى عنده في الليل ركبا وخيبلا صادرة عنه فقاتلوه ، فأخذهم وتركهم ، وسبار حتى قرب من النقب ، فرأى رائدين لبتى سبليم على قلوصيين فركب وطردهما النقب ، فرأى رائدين لبتى سبليم على قلوصيين فركب وطردهما النزول ذلك اليوم بين يديبه ، فاستبقاهما ورد عليهما القلوصين وسلاحهما ، وسار وهما معه حتى توسط بيوت بنى سبليم آخير الليل ، فضرب له ملاعب بن أبي النجم خيمة بيضاء ، وذبح له "

<sup>(</sup>۱) ديوانيه ، طبع هزام ، صن ٤٨٨ •

وخدا فسار الى النقع فنزل بيادية من معن وسنيس ، فذبح له عفيف المعنى غنما وأكرمه وغدا من عنده وبين يديه لصان من جنام يدلانه فى الطريق و فصعد فى النقب المدروف بتريان ، وفيه ما يعرف يعرندل (وهى قرية من أرض السراة بالشام ، فسار يومه وبعض ليلته ونزل و

وأصبح فدخل حسمى • وحسمى هذه أرض طبهة ، ثنبت سائر النبات ، مملوءة جبالا في كبد السماء متناوحة ، ملس الموانب ، اذا أراد الناظر إلى قلة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة ومنها مالا يقدر أحد أن يصعده ، ولا يكاد القتام يفارقها •

ومن جبالها جبل يعرف بأرم ، عظيم العاو ، تزعم البادية أن يه كروما وصنويرا ، فوجد يني فزارة به شأتين ، فنزل بغوم من عدى فزاره •

ويقي في شيافة فزارة بعض الرقت ، وكانت بينه وبين أمير ينى فزارة حسان بن حكمة مودة وصداقة فنزل بجار للقوم اسمه وردان من طي أفسد على المتنبي غلمانه ، قيل أنه كان يجلسهم مع امرأته ، فيسرقون له من رحل المتنبي الشيء بعد الشيء •

وطاب المقام في حسمي للمتنبي فبقى بها شهرا لم يعكرها سوى وردان وغلمانه الذين خانوه وسرقوا متاعه وحاول أحد مبيده سرقة سيئه ثمين له والهرب به ، ولكنه عاجله وقتله ، وحمل متاعه وعبيده وغادر حسمي متمما رحلته الى الكوفة ، وكانت رسل

## كافور دائبة البحث عنه لاقتناصه قبل أن يبلغ غايته (٢) » \*

بدأ هذه الرحلة في العاشر من ذى الحجة سنة خمسين ، واستمر طوال ما يقرب من أربعة أشهر حتى بلغ الكوفة في شهر ربيع الآخر سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ونظم في هذه الاثناء بعض قصائده المشهورة ، وأولها الميمية التي يذكر فيها بدء الرحلة ورثاء فاتك ، وهمومه ، ومستقبله الغامض الذي يحاول أن يشق عنه حجبه ويقول : (يقال أنشدها بالكوفة سنة ٣٥٣هـ) -

حتام نعن نسارى النجم في الظلم وما سراه على ساق ولا قسلم وقيها يذكر شيبه ، وقد داهمه الشيب مبكرا فسى أخريات الثلاثينات من عمره وأوائل المقد الرابع ويبدو أن هذا الشيب تكاثر في رأسه بعد أن قاربت سنه الخمسين ، وشعر بالحاح الزمن والايام عليه وقد تعاقب عليه هجير الرحلة ولازمته الشمس ، وتعاقب الايام ، فسودت هذه وجهه وبيض ذاك شعره ، يقول :

تسود الشمس منا بيض أوجهنا ولا تسود بيض العثر واللمسم وكان حالهما في العكم واحسنة لو احتكمنا من الدنيسا الى حكم ونترك المساء لا ينقك من سسفر ما سار في القيم مناسار في الادم

ونقف عند هذا البيت العجيب وهذه المقابلة بين ماء الغمام ، وماء الحياة ، أو الدم والرونق ، ومن ماء الغمام الحياة للنبات والانسان ، ومن ماء الحياة كذلك ، ولكن همذا يسمير في الغمام

<sup>(</sup>۱) - قى رحلته هذه ، راجع ديوانله من ۶۸۸ لـ ۶۹۲ طبع مبرام ، والعبلم المنبى ، من ۱۲۵ لـ ۱۲۳ -

يجود على بلد ويبخل على أخرى وهو ما ينفك سائرا ، وماء الحياة يسبي كتالك ، في رحلة الانسان على الارض ، والادم ، أو الجلد يبلى ، وينتهى \* \* قسيره سع الزمن الى البلى والفساد ، الى الموت والفساد ، الى الموت

### ويقسول:

قلبى مثالجزناو جسمى مثالعقم حتى مرقن بنا من جوش والعلم

لا أينهن العيس لكتي وقيت بها طردت من مصر أيديها بأرجلها

وجوش والعلم موضعان قرب حسمى التي أناخ بها بعد أن اطمأن به المسير ، وابتعد عن منطقة نفوذ كافسور ورجاله في الشام • ويذكر ركبه بين غلمانه وعبيده في عدة الفتك :

> فيغلمة أخطروا أرواحهمورضوا بيض العوارض طعانون مناعقوا

يما لقين،وضا الايسار والزام من القاوارس شالالون للتعام

+ +

الى من اختضيت إخفافها يسلم ولا أشباهد فيها عضة السنم المجد للسيف ليس المجدد للقلم فانما نعن للاسباق كالخدم فان غفلت قدائى قلة المهم أجاب كل سوائل عن هل يدم

مازئت اضعك أبلي كلما نظرت أسيرها يسين اصنام اشاهدها حتى رجعت واقلامسي قوائل لى اكتب بنا أبدا بعد الكتاب يسه أسمعتني ودوائي ما أشرت يسه من اقتضى بسوى الهندى حاجته

أهى ردة جديدة من المتنبي وعود الى موقفه الاول قبل لقساء سيف الدولة ، وايسانه بالسيف والحرب والضرب والقتال ، وجعد للشسر قوله ، وقدرته في أن يبلغ الانسان مطلبه في الحياة ؟ • • أم هي ضجرة جديدة ، وعبثية متشائمة ، جناها ، أو أثارتها من مكامنها في نفسه رحلة الصحراء ، وما لتى فيها من لقاء مع الاحداث والاخطار وجها لوجه ، وسيفه بيده ، يقتحم المهالك والاخطار ، ويطرد اللصوص ، والفتاك ، وينضب ما يريد ، ويحوزه ولا رقيب ولا سلطان عليه ١٠٠ أهي شريعة القوة والفتك ، والحق لمي غلب ؟ ! ٠

لقد صب المتنبى تجاربه ثانية في هده الرحلة (١) في قصيدته المقصورة القانية :

ألا كل ماشمية الغياراتي قلك كل ماشية الهيمة بي

ضربت بها التيه ضرب القمار اذا فرعت قدمتها الهيساد فيسرت بنغسل وفيي دكبها وامست تغيرنسا بالتقساب وقلنا لها اين أرض المسراق ؟ وهبت بجسمي هيسوب المديسور

فلما أنفنسا ركزنا الرمياح ويتنسا نقيسل اسيافنسا لتعلم مصر ومن بالعسراق وأنسى وفيت وأنسى أبيت وما كل من قال قاولا وفي

فامسا فهسدا وامسا لسدا وبيض السيوف وسمر القنا عن العالمان وعنه ضمني ووادى المياه ووادى القسرى فقالت وتعن بتربان : هسا مستقبلات مهب الصبسا

فسيوق مكارمتسا والعسلى وتمسعها من يماء العسدى ومن بالعوامم أنى الفتسى وأتسى عتبوت عبلى من عتبا وما كل من سبيم خطفا أيسى واستقبل بالعراق مرحلة جديدة من حياته ، وهو في الخسين مه عمره ، غلب البياض على لحيته ، وحنكته التجارب ، وصقلت شعره الايام والسنون ، وفي عودته الى المراق عدودة الى الدرس والمناظرة ، وعودة الى الحضر والاستقرار ، وكان صيته قد تردد في الخافقين وسبقه الى العراق ، وجاءه وهو مدرك لهذا ، وبين يديه حصيلة كبيرة من الشهرة والمقدرة ، وبين يديه قدر وافر من المال ، وكان طبيعيا أن يلقي الناس بين مرحب به منمن للقائه والانتفاع بعلمه والاقادة من شعره ، وبين طالب مدح ، ليذكره وقاتك وغيرهم ، أو طالب شعره ليتأدب به ويزود نفسه أن كان من أصحاب الادب أو علماء اللفية ، وفريق آخر معن لقيه لم يكونوا أصحاب الادب أو علماء اللفية ، وفريق آخر معن لقيه لم يكونوا ألى هؤلاء ولا إلى هؤلاء المال علم من المتشاعرين ، أو الحاقدين الذين ساءهم أن يبلغ هذا الرجل ما بلغ مدن المكانة حتى تهافت عليه الملوك يرجون مديحه ، وهو يدل عليهم باقتداره واغراب فضلا على براعت واعجازه ،

وهكذا بلغ الكوفة ، ويقى بها بعض الوقت ، وغادرها الى بغداد ، فأقام زمنا ، التقى فيها بجماعة من مشاهير الادباء والنقاد والعلماء من أمثال الحاتمى ، الذى لقيه لقاء عاصفا سلجله فى رسالة اعترض فيها على بعض عيوبه فلى شهره وسلماها الموضعة (1) - وكان العائمى في أول لقائله بالمتنبى غاضبا

<sup>(</sup>١) - نشرت الرسالة مرتين ، مرة باسم و المعاتبية ، ومرة ثانية باسم الموضعة ٠

منيفا ، ولكن اللقاء هدهد من غضبه وهدا من ثورته ، فقلل من حملته على الشاعر واعترف بفضله ، وألف فيه رسالة ثانية تبين معارضته لارسطو في بعض حكمه (۱) وفلسفته \* وكان قد ترفع في بغداد عن مدح وزيرها المهلبي ، فحرض عليه كما قيل العاتمي (۲) \*

## قال الحاتمي :

و كان أبو العليب عند وروده مدينة السلام قد التعن برداء الكبر والعظمة ، يخيل له أن العلم مقصور عليه ، وإن الشمر لا يغترف عنبه غيره ، ولا يقتطف نواره سواه ، ولا يرى أحدا الا ويرى نفسه مزية عليه ، حتى اذا تغيل أنه تسبح وحده ، وأنه مالك رق العلم دون غيره ، وتقلت وطأته على أهل الادب بمدينة السلام ، وطأطأ كثير منهم رأسه ، وخفض جناحه ، واطمأن على التسليم جأشه ، وتغيل أبو محمد المهلبي أنه لا يتمكن أحمد مسن مساجلته ومضارعته ، ولا يقوم لمجادلته والتعنق بشيء من مطاعنه وساء معن الدولة أن يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولم يكن بمملكته أحمد يماثله فيما همو فيه ، ولا يساويه في منزلته ، يبدى لهم عواره ، ويكفي آثاره ، ويهتك أستاره ، ويمزق منزلته ، يبدى لهم عواره ، ويكفي آثاره ، ويهتك أستاره ، ويمزق منماره ليعرف السابق من المسبوق ، فلما لم يتفق ذلك قصدت

<sup>(</sup>۱) الماتمية الثانية مبق نشرها ٢

 <sup>(</sup>٢) راجع الثعالبي في أبو الطيب ما له وما عليه ٠

مجلسه ، قوافق مصيرى اليه حضور جماعة يترءون عليه شيئا من شعره ، فعين استؤذن في تهض من مجلسه ودخل بيتا الى جانبه ونزلت عن يغلنى وهو يرانى ، ودخلت الى مكانه ، فلما خرج الى نهضت اليه فوفيته حق السلام غير مشاح له في ذلك \*

وكان سبب قيامه من مجلسه لئلا يقوم لي عند الدخول الميه ٠

ولبس سبعة اقبية ملونة وكان الوقت أحسر ما يكون من العديف، وأحق بتخفيف اللبس، فجلس، وأعرض عنى ساعة لا يعيرنى طرفا، ولا يكلمنى حرفا، فكدت أتميز غيظا وأقبنت أستخف رأيى فى قصده، وأعاتب نفسى فى التوجه الى مثله، وهو مقبل على تكبيره ملتفت الى الجماعة الذين بين يديه، وكل واحد منهم يوسىء اليه، ويوحى بطرفه، ويشير الى مكانى، ويوقظه من سنة جهله، ويأبى الا أزورارا ونفارا، جريا على شاكلة خلقه، ثم توجه الى، فوائة ما زادنى على قوله:

## \_ أي شيء خبرك ؟

فقلت \_ ما جنيته على نفسي من قصدك ، وكلفت قدمي من السعى الى مثلك - ثم انحدرت عليه انحدار السيل -

وقلت \_ ابن في عاقاك الله ما الذي يوجب ما أنت عليه من العظمة والبكرياء ؟ • هل هنا نسب يورثك الفخر ، أو شرف توجت به دون أبناء الدهر ، أو علم أصبت فيه علما يقع الايماء اليه ، أو مورد تقف الهمم عليه ؟ • وهل أنت الا وقد بقاع في شر البقاع ؟ واني لاسمع جمعية ولا طعن •

فامتنع لونه ، وجمل يعتذر عن جنايته -

وأقول له ب يا هذا إذا أتساك شريف في نسبه تجاهلت عليه ، أو عظيم في أدبه صغرت قدره أو مقدم عند سلطانه لم تعرف موضعه \* هل المز تراث لك دون غيرك ؟ \* \* كلا والله ، ولكنك مددت الكبر سترا ، وضربته رواقا دون جهلك \*

فعاد الى الاعتدار و أخنت الجماعة في تليين جانبي ، والرغبة في قبول عدره ، واعمال مياسرته ومسامحته ويحلف بالله أنه لم يعرفني و فاقول : يا هذا ألم يستأذن عليك باسمي ونسبي ؟ • • أما كان في الجماعة من يعرفك بي ان كنت تجهلني ؟ • وهب كان ذلك ، ألم ترتحتي بغلة رائعة ، يعلوها مركب ثقيل ، وبين يحدى عدة غلمان ، أما شاهدت لباسي ؟ أما شممت نشرى ؟ • • أما راعك شيء من أمرى أتميز به عن غيرى ؟ — وهو خافض جناح الذل • وقد زال عنه ما كان فيه ، وأقبل على ، وأقبلت عليه » •

ویروی الاصبهائی مجلسا آخر له فی بغداد بعضرة الهلبی : قال : و فلما حصل المتنبی ببغداد نزل ریض حمیمه ، فرکب الی المهلبی ، فأذن له فدخل وجلس الی جنبه وصاعد خلیفته دوشه ، وأبو الفرج الاصفهائي صاحب كتأب الاغاني - فأنشدوا هذا البيث :

سقى الله امواها عرفت مكانها ﴿ جراما وبلكوما ، ويدر فالغمرا

وقال المتنبى: هو «جرابا» • وهذه أمكنه قتلتها علما ، وانما الخطأ وقع من النقله ، فأنكره أبو الفرج الاصبهائي • قال الشيخ: هيذا البيت أنشده أبو الحسن الاختش صاحب سبيبويه في كتابه جراما بالميم ، وهو الصحيح • وعليه علماء اللغة •

وانتظر المهلبي انشاده فلم يفعل وانما صده ما سمعه من تماديه وانتظر المهلبي انشاده فلم يفعل وانما صده ما سمعه من تماديه في السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه - فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن العجاج حتى علق لجام دابته في صينية الكرخ ، وقد تكابس الناس عليه من الجوانب ، وابتدا ينشده :

يا شيخ آهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توفيه فصبر عليه المتنبى ، ساكتا، ساكنا ، ألى أن أنجزها ، ثم خلى عنان دايت و وانصرف المتنبى الى منزله وقد تيقن استقرار آبى الفضل ابن العميد بأرجان وانتظاره له ، فاستعد للمسير (۱) \* وهجاء شعراء العراق \* قال الثماليم :

و ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد وترفع عن مدح الملبي

<sup>(</sup>١) الاصبهائي - الواشيع ، من ١٥ -

الوزير بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء بغداد حتى تألوا من عرضه ، وتباروا في هجائه وفيهمم ابن العجاج وابن سكرة ، والعاتمي ، وأسموه منا يكره ، وتماجئوا ، وتمادوا عليه ، فلم يجبهم ، وقبل له فسي ذلك فقال : اثى فرغت من اجابتهم بقولى لمن هم أرفع منهم طبقة :

آرئ المتشاعرين غيروا بتميى ومن ذا يعملك اللاء العضالا ومن ينك ذا قنم منز مريض الجند صبرا بنه المناء الزلالا

### وقسبولي:

- ضميف يقاويني ، صغير يطاول وقلبى يصمتي ضاحك منه هازل

أقى كل يوم تحت ضبني شويعر لسائى ينطقى منامت عنه عادل

وبلغ أبا الحسين بن لنكك البصرى الشاعر منا جسرى على المتنبى من وقيعة شعراء بغداد فيه ، واستحتارهم له ، وكان حاسدًا له ، طاعنا عليه ، هاجيا آياه ، فشارك في الهجاء والذم •

وقد كان ما ناله المثنبي من الثراء ، وما عاش قيه من بحبوحة العيش مما زاد حسد الناس له ، وحقد الشمراء عليه \* وذكر ذلك ابع لنكك حين قال:

> فيمسا جنسي رادعساه ما أوقىح المتنسى حتسى أيساح أفسماه ابيسج مسالا عظيمسا من ذبك كنان غنساه يا ســائل عن هنــاه

يريد أن يتهمه بالتذلل لمن يقصده بشمره في سبيل المصول على المسال • • ومهما یکن من آمر فان وجود المتنبی بالعدراق قده آکسب النقد حرکة ، کما آثار فی الشعر شورة ان تکن کلها مستهدفة الشاعر وشعره ، فانها قد أفادت الادب ، وخلفت لنا تراثا طیبا حول الشاعر وشعره ، وحصیلة هذا کله قصائد کثیرة وان تکن فی الهجاء ، وکتب ومحاورات فی جید شعره وقبیحه ، وفعی معانیه ومرامیه ، وسرقاته ، وما حاکی فیه الحکماء آمثال أرسطو ، وما انفرد به من وحشی اللغة وغریبها لفظا و ترکیبا و مدیره من وحشی اللغة

وتقترب آثاره في هذا المجال من آثاره في حلب مع شعرائها وعلمائها في بلاط سيف الدولة •

وان يكن النقد قد أفاد فان الشعر لم يظفه من أبي الطيب بقصائد من قرائده • ولم تطل اقامته ببغداد ، فسرعان ما حث الركاب الى المشرق •

ولا نذكر له في المراق سوى قصيدة لامية يمدح بها قائدا جاء الى الكرفة يعين أهلها على يعض الخرارج الذين ألموا بها وأصابوا مقاتل من أهلها ، وشارك المتنبى في الدفاع عنها ، وقابل الثائد أبا الفوارس دلير بن لشكروز وأنشده اياها في الميدان • قال :

کلسواله کل بدعی صعة العقل و منذا الذی بدری بماقیه منجهل د و حمله دلیر علی فرس بمرکب ذهب » (۱) "

<sup>(</sup>۱) الواضيح ، ص ۱۳ ٠

وقصد أبو الطيب أبا الفضل ابن العميد في أرجان • قال الاصبهاني :

و و كان السبب فى قصده أبا الفضل ابن العميد على ما آخبرنى على بن شبيب القاسانى ، \_ و كان أحد تلامدتى ، ودرس على بقاسان سنة ٣٧٠ ثلاثمائة وسبعين ـ أن المعروف بالمطوق الشاشى كان بمصر وقت المتنبى ، قعمد الى قسيدته فى كاقور :

أغالب قيك الشوق والشوق اغلب

وجعل مكان أبا المسك « أبا الفضل » وسار به الى خراسان وحمل القصيدة عن المتنبى الى أبى الفضل ، وزعم أنه رسبوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم " واتصل هذا العبسر بالمتنبى ببغداد فقال : رجل يعطى لعامل شسعرى هذا ، فما تكون صلته لسي ؟ • • •

وكان أبو الفضل ابن العميد يغرج في السنة من المرى خرجتين الى أرجان يجبى بها أربع عشرة مرة ألف الف درهم فنا حديثه الى المتنبى بعصوله بأرجان •

قال الثماليي : و ثم ان أبا الطيب اتخذ الليل جملا ، وفارق بغداد متوجها الى حضرة أبى الفضل ابن المبيد مراغما للمهلبي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده (٢) .

<sup>(</sup>٢) أبو الطيب، من ٤٤٠

قال ابن جنى (٣) عن على بن حمرة البصرى قال : كنت مع المتنبى لما ورد أرجان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقسة والسر والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الارض وهم يتعبدون لى ، وقصدت رب هذه المدرة ، فدا يكون منيه ؟ • • ثم وقف بظاهر المدينة • وأرسل غلاما على راحلته الى أبى القضل ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاى أبدو الطيب خارج البلاد • وكان وقت القيلولة وهو مضطجع في دسته ، فثار من مضجمه أبو الفضل ، واستثبته ، ثم أصر حاجبه باستقباله ، فركب ، واستركب من لقيه في الطريق ، فقضل عن البلد بجمع قركب ، واستركب من لقيه في الطريق ، فقضل عن البلد بجمع مندة ديباج • وقال أبو الفضل : مشتاق البك يا آبا الطيب ، ثم أفض المتنبى في حديث سفره ، وأن غلاما له احتمل سيفا وشد عبه هنه •

وأخرج من كمسه عقيب هذه المفاوضة درجا فيه قصيدته:

باد همواك صبرت ام لم تصبرا وبكاك أن لم يجر بمعك أو جرى
وقيل أنه ورده بارجان فسى ربيع الاول سنة أربسع وخمسان
وثلاثمائة -

فوحي أبو الفضل الى حاجبه بقرطاس فيله مائتا دينار ،

<sup>(</sup>٣) الراضيية ، ص ١٦ -

وسيف غشاؤه فضحة وقال: هذا عوض عن السيف المآخوذ \* وأفرد له دارا نزل بها ، فلما اسمتراح من تعب السمفر كان ينشى أبا الفضل كل يوم ويقول: ما أزورك أكبابا ألا لشهوة النظر اليك ، ويؤاكله \* وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه \*

وأظلهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعض تدمائه الى المتنبى ليقول : كان يبلغنى شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه \* فلم يحر جوابا الى حضرة النيروز وأنشده مهنئا ومعتدرا :

هل لعدّری الی الهمام آبی العُشل ما کفانی تقصیر ما قات فیسه انتبی اسیسسات البسزالا ولائن ما تعودت آن اری کابی الفضل

قيبول سواد عينيي مصداده عن عسلاه حتى ثناه التقاده أجمل التجموم لا أصطباده وماذا المائي اتاه اعتباده

#### ومطلع هذه القصيدلات

جاء نوروزنا وانت مسراده وورث بالذي اراد زنساده

قال الاصبهاني : فأخبرني البديهي سنة ثلاثمائة وسبعين أن المتنبي قال بارجان : الملوك ترود يشبه بعضهم بعضما ، لا على البودة يعطون •

وكان حمل اليه أبو الفضل خمسين ألف دينار توابعها - وهو من أجاد زمان الديلم -

وأثار المتنبى في حضرة ابن العميد نقاشا حول شعره بين

المعجبين والمعترضيين • قيل أنه بعد ما أنشد رائيته فيه • تنازع ندماء ابن العميد في البيث الاخر وهو قوله :

فتسري الفضيلة لا تبره فضيلة الشمس تشرق والسعاب كتهورا

ققال أثبتوه حتى أتأمل فأثبت البيث ووضع بين يديه ، فأطرق مليا يفكر فيه ، ثم قال : هذا يعطلنا عن المهم ، وما كان الرجل يدرى ما يقول •

وهكذا أثبح للمتنبئ ناقد من معدوحيه مسرة أخسرى يسمع الشعر ويجرى فيه البحث والنظر وأشسار الى تعقب ابن العميسد لشعره ونقسده في قوله:

هل تعلري الى الهمام أبي القضل قيسول سنسواد عينسي مسداده انسا من شعدة العيساء عليسل مكرمسات المعملي عسواده هـ عـ عـ

رب مسالا يعبس اللفظ عنسه والذي يغيس الفسؤاد اعتقاده

وقصيدة في النبروز من أريمين بيتا بعث بها اليه ، هدية في هذا الميد ، كما اعتاد الناس الهدايا • وكان من عادة الفرس في ذلك اليوم حمل الهدايا الى ملوكهم فقال أبو الطيب :

كثر الفكر كيف تهدى كما اهد ت الى ربهسا الرئيس عبداده والذى عندنا من المسال والغيس سل فعنه هباته وقيساده فبعننا باربعسين مهسار كل مهسر ميدانه انشساده عدد عشته بسرى الجسم فيه آربا لا يسراه فيما يسزاده فارتبطهما فان قلبسا نماهما مربط تسيق الجيداد جياده

قال البديعى (۱): « وهذا من احسان أبى الطيب ، واحتج عن تخصيص أبياته الاربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة ، وهي أنه جعلها كعدد السنين التي يرى الانسان فيها من القدوة والشباب ، وقضام الاوطار مالا يراه في الزيادة عليها ، فاعتذر بألطف اعتذار في أنه لم يزد القصيدة على هذه العدة » \*

وكان بين مؤيديه والمنتصرين له أبر الفتح ابن العميد ابن أبى الفضل ، وكان بالسرى ، ونسخت القصيدتان اللتان مدح يهما الشاعر والده ، قعاد الجراب يذكر شوقه الى أبى الطيب ، وسروره به • وانفذ أبياتا طعن فيها على المعترضين لقول الشعر • فقال أبو الطيب والكتاب بيده ارتجالا :

بكتب الانام كتساب ورد يعبر عما لنا عناه فافرق رائيله ما قد رأى اذا سيمع التاس الفاظله فتلت وقيد فرس الناطقين

فلت يند كاتبه كل يسد ويذكر من شوقه ما نجند وابرق ناقنده ما انتقنند خلقن له فني القلوب العسد كذا يقعنل الاسند بن الاسند

وقد أثيح للمتنبئ في هذه المحلة المشرقية من حياته جماعة من العلماء والادياء والرؤساء نقدوا شسمره ، وتعقبوا سقوطه ، وهولوا ، وملأوا الجو ضجيجا • وعيبا •

وأولهم الاديب الوزير الناقد الصاحب بن عباد ٠ وقمسته مع

<sup>(</sup>١) المبيح المتيي ، من ١٥٥ ٠

أبى الطيب ، قصة كل حاقد رأى أمامه الفضل فتمناه لنفسه فلما عسره ، حمل عليه ، وأزرى به -

قال الثماليي (٢): و يحكي أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي اياه بأصبهان ، واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو أذ ذاك شأب ، وحالة حويلة ، ولم يكن أستوزر بعد ، وكتب اليه يلاطقه في استدعائه ، وتضمن ليه مشاطرته جميع ماله ، قلم يقم له المنتبي وزنا، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ه -

ولم يهتم آبو الطيب بأمدر هدندا المفتى ، بدل كان رده عليه تعاليا واحتقارا لشآنه ، وروى البديمي أن المتنبي قالى الأصحابه : ان غليما معطاه بالرى يريد أن ازوره وأمدحه ، ولا سبيلل الى ذلك .

وغادر حضرة ابن العميد الى شيراز حيث الامير البويهى عضد الدولة - قال الاصبهانى (٢) : «ثم أن آبا ألطيب المتنبى لما ودع أبا الفضل بن المميد ، ورد كتاب عضد ليستدعيه ، فعرف أبو الفضل : عضد الفضل ، فقال المتنبى : مالى وللديلم ، فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل متى ، ويصلك بأضعاف ما كنت وصلتك به - الدولة أفضل متى من هؤلاء الملوك ، أقصد الواحد بعد الواحد ، فأجاب بأنى ملقى من هؤلاء الملوك ، أقصد الواحد بعد الواحد ، وإملكهم شيئا يبقى بقاء النيرين ويعطوننى عرضا فانيما ، ولى صحرات واختيارات فيعوقوننى عن مرادى ، فأحتاج الى مفارقتهم

<sup>(</sup>١١) أبو العليب ، ص ٤٤ -

۲۰ الواضع ، ص ۲۰ ٠

فكاتب أبو الفضل عضد الدولة بهذا العديث ، ناجاب بأنه مملك سراده في المقام والطعن •

فسار المتنبى من أرجان ، فلما كان عبلى أربعة قراسخ من شيرار استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ \* ( أحبد علماء اللغة عنده ) فلما تلاقيا وتسايرا استنشده ، فقال : الناس يتناشدون فاسمعه فقال أبو عمر أنه رسم له ذلك عن المجلس العالى ، فيدا بقصيدته التي فارق مصر بها :

الا كل ماشية الغيزل فدا كل ماشية الهيد بي ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة -

ورجع أبو عمر الصباغ الى عضد الدولة وأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلمته وهي :

فلما أنخنا ركبرنا الرمباح حبيول مكارمتها والعسلا ويتتسا نقيسل اسيافتها ونعسعها من دمساء العلى لتعلم مصر ومن العبراق ومن بالعواصم أنى الفتى وأتسى وفيت وانسى أبيت وأنى متبوت على من عنى

فقال عضد الدولة : هو ذا يتهددنا المتنبى •

ثم لما نفض غبار السفر واستراح ، ركب الى عضد الدولة، فلما توسط الدار انتهى الى قرب السرير مصادمه فقبل الارض واستوى قائما ، وقال : شكرت مطية حملتنى اليك ، وأملا وقف يسى عليه •

ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مسى وعن على بن حمدان-

فذكره وانصرف وما أنشد وروى عن القاضى عبد العزيز بن يوسف الجرجانى ، وكان كاتب الانشاء في يلاط عضد الدولة عظيث المنزلة منه (۱) أنه قال : لما دخل أبو الطيب المتنبى مجلس عضد الدولة وانمرف عنه ، أتبعه بعض جلسائه ، وقال له : سله كيف شاهد مجلسنا ؟ وآين الامراء الذين لقيهم منا ؟ قال : فامتثلت أسره ، وجاريت المتنبى في هذا الميدان ، واطلت معه عنان القول ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أن قال : ما خدمت عيناى قلبى كاليوم \*

ولقد اختصر اللفظ ، وأطأل المني ، وأجاد فيه • وكان ذلك منه أوكد الاسباب التي حظي بها عند عضه الدولة » •

ويقال أن أول قصيدة أنشده أياها قوله (٢) :

اوه بديسل من قولتسي واهما من نأت والبديسل ذكراها أنشدها سنة أربع وخمسين وثلاثمائة •

ولكن الاصبهائي يذكر أن قصيدة الشعب النونية هي أول ما انشده (۲) • قال الاصبهائي أنه بعد أيام من وصوله شيراز حضر سماط عضد الدولة ، وقام بيده درج فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

<sup>(</sup>۱) المبسح المبيء ص ١٦١ •

<sup>(</sup>٢) حكدًا في المسيح المنبي وديواته ، طبع عزام ، ص ٥٥٢ -

<sup>(</sup>٣) أبر الطيب ص ٤٠٠٠

### مفاتى الشعب طيبا قسى المغانى يمنزلة الربيع مسن الزمان

فلما أنشدها وقرغوا من السماط حمل اليه عضد الدولة من أثواع الطيب في الاردية والامنان من بين الكافور والعنبر والمسك والمعود ، وقلد قرمه الملقب بالمجروح ـ وكان أشترى له يخمسين ألف شاة (عملة فارسية) ، وبدرة دراهما عدلية ، ورداء حسوه ديباج رومي مفصل ، وعمامية قومت خمسمائة دينار ، ونصلا هنديا مرصع النجاد والجفن بالذهب » •

ويحكى الثعالبي (٢) : أنه لما أنشد المتنبى عضد الدولمة قميدته هذه ، وانتهى الى قوله :

والقى الشرق منها في ثيابي ونانيا تغير من البنان قال عضد الدولة: لاقرنها في يديك و ثم فعل و

القريب الى المنطق رواية الاصبهائى ، لان المتنبى حين بدأ القصيدة بوصف شعب يـوان وكان فى طريقه الى شزيار كان يجرى على عادة شعراء العرب فـى وصف الرحلة الى المعاوح ، والمعقول أن يصف رحلته اليه بعد زمن يتضيه فى جنابه شم أن روح القصيدة ، وما فيها من جو التغاؤل ينبىء بهذا "

قال الاصبهاني : و وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يعدث تعددة الى أن حدث يوم نثرا لورد ، فدخل عليه والملك على السرير في قية يعسر البصر في ملاحظتها بأبسواب ، والاتراك ينثرون

<sup>(</sup>٢) الواضيع ، ص ٢١ -

الورد ، قمثل المتنبى بين يديه وقال : ما خدمت عينى قلبى قبل اليوم وأنشد يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما انك صبيرت تشوه ديميا كانسا مائع الهيواء بسه بحير صوى مثل مائه عنميا فعمل على قرس ومركب ، وألبس خلمة ملكية ، ويدرة بين يديه محمولة •

وكان هذا اليوم من أعيادهم ، وكان عفيد الدولة جلس للشراب ، وطاف به غلمانه من الاتراك ينثرون عليه الورد -

وطابت له الاقامة بشيراز، ولقى الترحيب والاكرام، والتف حوله العلماء والنقاد قمنهم المعجب المخلص له كابن جنى، وعلى بن حمسزة الاصبهائي، والقاضى على بن عبد العزيز صاحب الوساطة، ومنهم الناقد المائب مثل أبى على الفارسى، ومحمد بن أبى البندادى -

وكان شمره في بلاط شيراز أجود من غيره من الشعر الذي قاله قبل في أرجان ، وإن لم يبلغ درجة شمره عند سيف الدولة ولا في مصر ، ولا في رحلته منها إلى الكوفة ، ولعل عضد الدولة لاحظ هذا أو لعل أحدا من مجالسيه من العلماء لفت نظره اليه .

قال الاصبهائي :وقال عضد بشبيراز : المتنبي قال جيد شعره بالعرب - فأخبر المتنبي به فقال : الشعر على قدر البقاع -وفي هذا القول نفعة تعصب للعرب ومعبة لاهله ووطنه ، وقد لازمه هذا الشمور طوال بقائه في فارس سواء في أرجان أو شيراز - وثم عنه شعره في عضد الدولة خاصة حين يقول :

أوه مصن لا أرى معاسبتها وأصبل واهما وأوه مراهب تسامية طالمها خلوت بهها الى أن يقسول:

تبصر في ناظري معياها

أحب حصما إلى ختاصيرة وكيل نفس تعبب معياهيا

ويقول في قصيدة الشعب:

بمنزلة الربيع مين الزميان غريب الوجه واليد واللسان

مناني الشعب طبيا في المفاتي ولكن الفتى العربسي فيهسا ويقبسول:

ولو كانت بعشق النبي عنائي . لبيق الثبره ، صيني الجفان وكان قد كره الدهاب إلى هؤلاء الملوك بالمشرق ، وقال لاين العميد وهو يغريه بالذهاب الى شيراز مالى والديلم ؟ • لكنهم ألحوا عليه وأغدةوا المال والعطايا ، فلم يجد مندوحة من الذهاب ، طمعا في المبال ، ورغبة في الشهرة ، ولعله اتخذ موضوع المديح داعيا للقول ، وسببا الى الثراء ، لكن طبعه كان يفيض بالشعر لانه شاعر ، ولانه يريد أن يرضى الادباء والعلماء ممن ينتظرون كل جديد منه ، ويتلهفون على سماعه ٠

حدث ابن جنى عن على بن حمزة الاصبهائي قال: كنت حاضرا بشيراز وقت عرضه لهذه القصيدة : ( يعنى شعب بسوان ) وقلم سئل عن معنى هذا البيث : وكان ابنا عدو كانسراه له ياءا حروق انسيان قال فالتقت الى ( المتنبى ) وقال : لو كان صديقنا ابن جنى حاضرا لفسره - قال ابن جنى وقبال لى يوسا : أنظن أن عنايتى بهذا الشعر مصروفة الى من أمدحه به ؟ ليس الامسر كذلك - لو كان لهم لكفاهم منه البيت ، قلت : قلمن هو ؟ قبال : هو نك ولاشباهك -

وكانت زورته لعضد الدولة ناجعة بسا جنسى من الثروة والشهرة ، ولقاء أفاضل الادباء والعلماء معن اهتمرا بشعره وقدروه حق قدره ، أو من حسدوه وحقدوا عليه ، وكان حسدهم مدعاة للحديث عن شعره ، ذموه ، فزادوه شهرة ، وتحدثوا عنبه فنشروا محاسنه كما قال أبو تمام :

واذا أراد ألله نشس فغيلسة طويت أتاح لهما لمان حسود لولا اشتمال النار فيما جماورت ما كان يعرف طيب عرف العمود

# قال البديمي (١) :

« ولما أنجمت سفرته ، وربعت تجارته بعضرة عضد الدولة ، ووصل اليه من صلاته أكثر من مائتى ألف درهم أستأذن في المسير عنها ، ليقضى حوائج في نفسه ، ثم يعود اليها ، فأذن له ، وأمر بأن يخلع عليه الغلم الخاصة ، وتماد صلته بالمال الكثير ، فامتثل لذلك ، وأنشده هذه القصيدة :

<sup>(</sup>۱) الصبيح المنبى عن حينية المنتبى ، ص ١٦٧ ، وراجع أبو الطيب للثمالبى ، ص ١٤٧ ه

قلو أنى استطعت خفضت طرقى قليم أيصر ينه حتى آراكة وقال الاصبهائي (٢) :

و فلما أقام مدة مقامه ، وسمع ديوان شعره ارتحل وسار بعراكبسه ، وظهروه ، وأثقالسه وأحماله الى أن نرل الجسر بالاهواز » •

وكان أبو الفتح ابن أبى الفضل ابن المميد قد بعث اليد بكتاب من الرى ، ومضمونه الشوق الى لقاء المتنبى وتشوقه الى تطرقه عليه ، فأجابه المتنبى :

بكستب الإنسام كتسباب ورد فسنت يسد كاتب كسل يسمد الناس الفاظله خنقن له في القاوب العسد فقلت وقسد فسرس الناظريات سن كذا يفعل الاسد بن الاسد

قلما أعاد الجواب الى أبي الفتح جعل الابيات سورة يدرسها ويحكم للمتنبي بالفضل على أهل زمانه (٣) -

وكان أبو الفتح يتعصب للمتنبى ، لكن الشاعد لم يجد قرصة للقائد ، وكان في عجلة من أمده حنينا الى بالاده ، وربما ساقه حنينه ، واستعجله أجله .

وكان خروجه من شيراز الى الاهواز رحلته الاخيرة في الحياة ٠

<sup>(</sup>٢) الواضيح ، س ٢٤

<sup>(</sup>۲) الراشيخ ۽ س ۲۳ -

قال البديعى : و فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة فقتل » -

وترك المتنبى شيراز فى رمضان سنة ٣٥٤ هـ وبلغ مدينة واصط بالاهواز ، وعند ضيمة هناك قرب مكان يقال له ديس العاقول خرج عليه فاتك الاسدى ، وكان من الفتاك المشهورين وكان موتورا منه لان الشاعر هجا من يقال له (ضبة) فى أثناء مقامه بالكوفة ، وتعرض فيها لاسه - وكانت أخت فاتك هذا ، قاقسم لثن اكتحلت عينه به أو جمعته واياه بقعة ليسفكن دسه •

وما زال يترصد له حتى علم يخروجه من عند عضد الدولة متجها الى الاهواز وبلغ أبو الطبيب المكان ليللا ، ومعه رحله وولده وعبيده ، فخرج عليه قاتك ومعه سبعون رجلا من الاعراب المنتك ومن أبنام عمومته ممن كانوا يضمرون للشاعر ما يضمره لتشهيره بابنة عمهم وقتلوا كل من كان في صحبته ، وحمل قاتك على المتنبي وطعنه ، فوقع من فرق فرسه و نهبوا ماله وكل ما معه حتى دقاتس ه

وكان لمقتله أشره المروع في نفوس محبى شيعره ورشاه الشعراء والعلماء مراثى فيها فجيعة الفقد -

والمتنبى في الشعر العربي يمثل شخصية جيارة ، لها خصائصها المبيرة التي تكشف عن نفسها وقلما نجب في الشعر العربي من ظهرت شخصيته في شعره ظهور شخصية أبي الطيب • وأول ما يلقانا من هذه الشخصية قسوة السندات ، وارتفاع نبسرة الانبا · فيقول :

انا الذى بين الانه به الاقصصصدار والمرء حيثما جعله جوهرة تفرح الشراف بهما وغصمة لا تسيفها السفليه

هذا الاعتبداد بالنفس كان فيما يبدو خلقة فيه وحيزه موهبته الشعرية ، وذكاء مفرط الى دهباء ربما صرفه الى غير الغير ، أو للعبث بعقول الناس والسخرية منهم •

قال ابن فورجة : « كان المتنبى داهية ، من النفس ، وخيل اليه منذ حداثته أنه مخلوق ممتاز ، يفوق الناس جميما ، ولا يروق له أحد منهم ، ولا يصمو اليه وأنه انما بلغ ما بلغ خلقة وطبعا لم يأته التفوق وراثة عن آبائه وآجداده :

لا يقومى شرقت ، بل شرفوا بى وبتقسس فغيرت لا بجدودى وبهم فغر كل من نطق الفسيا د وصود الجانى وغوث الطريد أن النن متجيبا فعجب عجبيب ثم يجدد قوق نفسه من مزيد أنا دب التسلك ورب القوافى وسمام المدى وغيقا المسلود انا في أمسة تداركها اللهاسة فريب كسالح في ثمود

وهذا العجب ، وعلك الكبرياء ليس عجيبا منه ، لانه هو نفسه عجيب ، وظاهرة فريدة في وسط قومه وعصره ، ولهذا فهو غريب بين قول لا يدركون فضله ، ولا يحسنون فهمه ولا يقدرونه قسيدره .

ويحمل بين جنبيه همـة عالية ، جاءته من طبعه ، وحساسيته،

وشعوره بالتفوق ويبالغ في التعبير عن تلك الهمة في شبابه ، وعن غايته ما هيي ؟ ٠٠٠ ويجيب عن تساؤل الناس من هو ؟ وماذا يبضي ؟ :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ويجهل علمسى أنه بى جاهل ويجهل أنى مالك الارش معسر وأنى على ظهر السماكين راحل تحقسر عندى همتى كل مطلب ويقصر في عيني المنى المتطاول

ويقسول:

أمط عنك تشبيهي بما وكانه فما أحد فوفي ولا أحد مشلي ويقلبول:

تغرب لا مستعظما غير نفسه ولا قابد الا لغائقيه حكما يقولون إلى من اثت في كل بلاة وما تبتغي، ما ابتغي جل أن يسمى

غربة في الزمان ، غربة بين الناس ، تعال وشعور عارم بالتفوق ، يدفعه الى التعالى ، والتعالى حتى على نفسه :

واقفا عند أخمص قدر نفى وأقفا عند أخمص الانسام لأشك أن هذه النفس الكبيرة المرة ، فقدت تكيفها مع المجتمع من حولها ، وبدت آثار غربتها فسى مظاهر عبدة يحكمها الملال والقلق ، وعدم الرضا بانسان ، ولا مكان ، زمان تحكمها الثورة ارادة التغيير ، والمنف فتبدو الرغبة في الهدم والقتل ، ويدو التعطش الى الدم و يحكمها النفس ، والمرازة ، وعدم الرضا بانسان ، ولا مكان ، ولا زمان تحكمها التصورة ارادة التغيير ، والمنف فتبدو الرغبة في الهدم والقتل ، ويبدر التعطش الى

الدم • ويحكمها الغضب والمرارة ، وعدم الرضا بنعيم العيش ، ولا الركون الى الدعة ، والتنعم بالملاذ ومطايب العيساة من نساء وخمر ولعب ، يحكمها النظرة الى كل شيء من عل ، فيرى كل شيء صغيرا ، عليا ، الناس ، والدنيا ، والزمن والعياة •

اذا نبعث عن هـنه النفس المتعالية ، والاحساس بالغربة صفات غلبت على شعره منذ صباه الى وفاته -

قاما احساسه بالغربة ، وبأنه منفرد في هذا الزمان ، وبأنه وحيد ، فنجده فيما عرضنا من شعره في احساسه بالامتياز ، وبأنه عجيب قلهذا يشمر الناس بعجبه ، وهو يعجب لانه يرى في نفسه ظاهرة غريبة ، وهو غريب كذربة صالح في ثمود ، وكذربة التبر في التراب •

وهو لا يهتم بأن يتجاهله الناس أو يجهلونه ، قذلك لا يذير من جوهره ، والدر در برقم من جهله :

ويظهر الجهل بسى وأعرفه والسعد در برهم من جهله وظاهرة القلق ، ظاهرة طبيعية لهذه النفس التي لا تطمئن ال الحياة ، ولا تجد من يقدرها ولا تجد في الارض مثوى ، فكل أرض تضمها تنفضها ، وكل منزل تنزله تلفظه -

ارق على ارق ومنسل مارق جهد العبابة ان تكون كما ارى مالاح بسرق او ترنسم طائس

ومنوی یزید وعبرة تترفرق عنبی مسجدة وقلب یفنق (لا انتیت ولی فنواد شنیق أبيات في الغزل والنسيب ، وشكوى الحب في ظاهرها ، لكن حيه ذاك ، هو همه ، أو ما تنطوى عليه نفسته ، ولا يجد السبيل الينة -

سبكن جوانعيي يبدل الغدور عن الامياق لسن عن الثقور وكبل عذافين فليق الضفيور

عذیری من عسناری من اسور ومبتسمات هيجاوات عصسر ركبت مشمرا قلمسي اليها

وهكذا القلق يدفعه إلى الرحلة دائما ، وعدم الاستقرار في مكان :

وأونسة عملي قتب البعبسر وأنصب حسر وجهني للهيس كانسي منبه فيي قمس متسير

أوانا فلي بيوث البسلو رحل أعرض للرماح الصبم تعبري ت وأسرى في ظلام الليل وحسدي

ويقولُ في رغبته في الرحلة وقلقه :

قتبودي والفريسري الجبلالا ولا أزمعت عين أرض زوالا أوجهها جنوبا أو شمالا

الفت ترحيلي وجعلت ارضيني فما حاولت فسي أرض مقاميا عبل قلق كان الريسح تعتسى

وهذا الهم ، أو الامل الذي يأخف عليه مجامع نفسه يتخايل له دائما ، فيصوره في صور مختلفة ، فهو في مطلع قصائده حبيبة يعيدة المنال ، ويوسوس له هاجسه بأنه لن ينائها حتى الموت ، ولمله يموت دون لقياما :

يا حادبى غيرهما وأحسبتي قفا قليسلا بها عسل فبلا فغسى فؤاد المحب نسار جسوى فعسار مثبل الدمقس أسودها شباب من اليعبر فبرق لتبه

أوجد ميتا فبيسل أفقدها اقسل مسن نظسرة أزودهسا أحر ثبار الجميسم أيردهما

## ويقسول:

أبصد ناى المليحسة البخسل ملولة ما تندوم ، ليس فها ويقيبول :

وحسن الصير زموا لا الجمالا

في البعث مالا تكلف الابسل

منن مليل دائيم بها مليل

بقائی شاء ، لیس هم ارتصالا ویقسول :

فى الغد أن عزم الغليط رحيلا مطر تزيد به الغدود معبولا في مطلع قصيدة يمدح بها بدر بن عمسار • ويقول في مطلع قصيدة يمدح سيف الدولة ، ويذكر غزوة له في أرض الروم :

طوال ، وليل العاشقين طويل
ويثقين بنرا ما اليه سبيل
وثكتنى للنائيسات حمصول
وقى الموت من بعد الرحيل رحيل
فالا برحتنى روضة وقبول
الماء به أهال العبيب نبزول
فنيس لقلمان اليسه ومسول
لعينى على ضوء الصباح دليل
فتقاسر فيه دقسة ونحسول

ليائي بعد الظاعنين شيكول يبن في البدر الذي لا أريده وما عشت من بعد الاحية سطوة وان رحيلا وأحسدا حيال بيتنا أذا كان شم الروح آدني اليكم وما شرقي بالمياء الا تذكرا يدرسه لميع الاستة فوقيه أما في النجوم الساريات وغيرها ألم ير هذا الليل عينيك رقيتي

فني هذ مالمقدمة يضمن المتنبى أصاسيسه ومشاعره ، هـو يحب حبيبا ، وينطوى صدره على هوى كبير عظيم ، يعرى جسده ويضنيه ، ضنى من الشوق ، وضنى من الرحلة هـواه مرتحل لا يقيم ، وشوقه وجسده وراءه في رحيل غـير مقيم ، هـواه كذلك

بعيد بعيد ، عزيز ، منيع ٠٠ وهو مع ذلك لا يمله ، وانعا يسمى اليه رغم ما يلقى من متاعب وآلام ٠

وقد يتراءى له هذا الهوى ، أو الهم بعيدا بعيدا \* تحوطه الظلال ، والمتاهات ولا يتبين طريقه اليه ، ويبدو وكأنه يساير النجم في الظلم ، ويتساءل :

حتام تحن نسارى النجم في الظلم وما سراه على ساق ولا قطم

فهو دائب الرحلة يرافقه النجم في الظلم ، والنجم يلقى اليه يتوره الامل ، يمنيها منه ، لكن الظلام من حوله داكن ، وهو في رحلة الدهر ، ومسيرة الايام لا يلقى غير ضنى وحرب لا تهدأ - · هو الخاس فيها :

تسود الشمس منا ييض أوجهنا ولا تسود بيض المذر واللمم فالايام تمضى ، وهي تأخذ منه شبابه ، وتحيل لون أديمه ، وكم في الدنيا من مثناقضات :

أطاعن خيلا من قوارسها اللهر وحيداوما قولى كذا ومعى الصبر ويجمل الايام عدوه ، والدهر متربسا بله ، والحلرب بيتهما على سباق :

ومن لم يعشق الدنيا قديما ؟ نصبيك في حياتيك من حبيب رماني الدهير بالارزاء حتى فصيرت اذا اصابتني سيهام وهان فميا أبيالي بالرزايسا

ولكن لا سبيل الى الوصال نصبيك في مناصك من خيال فزادى في غشساء مين نبال تكسرت التصال على النصال لانبى ما انتفعت بيان آبالي

فهر يستهين بالدهر لانه لم يمد يخشاه فقد لقي كل ما يمكن أن يلقى من مصائبه ، وبالاه بكل ما يمكن أن يبتال الناس ، وهو يناضله ، ولا يستسلم ، ولكنه مسع ذلك يعترف فيما بينسه وبين نفسه أن غاية كل هذا الفناء والعدم ، قلا بقاء مع الايام - وقد تبدو في بعض لحظاته مشاعر تشاؤمية أو كما قبل آثار فلسفة رواقية سودام كقوله في هذه الابيات :

آبتي أبينا نصن أهل منازل أبدأ غراب البين قيها ينسق نبكى على المدنيا ومسا من معشر بمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا أين الاكاسرة الجبابرة الالى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا من كل من ضاق الغضاء يعيشه حتى ثــوى فعــواه لعــد ضيق والناس أينام هذا الدهر ، أمثاله :

ودهس ناسبة نساس لشسام وان كانت لهسم جثث ضغسام ويتمنى أن يتمثل له الدهر انسانا ، أو هو يقول أنه لو تمثل له انسانا لقتله ، وتمنى أن يقتل من الناس من يكره :

ولو يرز الزمان الى شبخصا الفضب شبعر مقرقبه حسمامي فهو ثائر عليه وعلى الناس لا يرضى بأن ينقاد له ، ولا لاحد ممن يملكهم الزمام ، نهو لا يلقى زمامه لاحد :

وما بلغت مشيئتها الليساق ولا سارت وفي يدها زمامي ويسلك الناس مع الزمان ، فهو غاضب عليهم وعليه :

أثم الى هنادا الزميان أهيلته الاعلمهم قندم وآحزمهم وغنيت وأكرمهم كلب وأيصرهم صم وأشهدهم فهلد وأشجعهم قبرد عنوا ئه ما من صداقته بــــــ ومن تكه الدنيا على الحر أن يرى -

فقليه مسليم بالحقد عسلي الناس ، لانههم خاسرون ، مخطئهون ، كاذبون ، خادعون ، منافقيون ، جينياء ، ويدعبون الشجاعة ، ويخسلام ، يدعون الكسرم :

> حنوان بكل مكان منهنج خليق لا أقتري بلدا الاعلى غرر ولا أعاش من أملاكهم أحساء

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من ذلهــم أخلاهم من الفطن -وانما ندن في جيل سواسية أخنى على الدس من سقم على بدن تخطي اذا جثت في التقهامها يمن ولا أمسر يتحسلق غمير مضطفن الا أحق يضرب الرئس من وثن

والدنيا ، أو الزمن والدهر لا يشيم مقاييس عادلة ، بل الحال فيها حائل ، والاوضياع متقلبة لا تعطيي بمقدار ما يستحق الانسان من طبع أو خلق ، أو قدرة ، أو علم ، أو ذكاء :

ولو ليم يعبل الا ذو معسل تنالى الجيش وانصط القتسام ويقيسول:

وان كانت نهيم جثث ضخيام مفتحسة حيونهم تيسسام

ودهبر تاسبه ناس صفيان أرانب غيير إنهم ملسوى ريقــول:

وشبه الشيء متجذب اليسه وأشبهنا بدنيانا الطغسام فأبو الطيب ثائر على الدهر إذا وعلى الناس ، ولا دواء لثورته ، ولا شفام لننسه إلا الشوة • فقلسفته القوة ، هي عقيدته في الحياة ، فالدنيا لمن غلب :

الموت أعلر في والصبر أجمل بي والبر أوسم والدنيا لمن غلبا والموت في سبيل الحق أمر محبب لدى الرجال ، ولا يخافه سوى الرعديد الجبان ، وان حياة الدعة تورث الخذلان ، والاستسلام :

ولعله بدلك يستثر همم العرب ، وقدد رأى فيهم التخاذل أمام الشموبية المارمة ، وتسلط المناصى غير المربية على الدولة ، فارتفعت مقاديرهم على حساب أصحاب الامر ، وملك العبيد أمور السادة ، وغلب الخدم على الارباب والملوك - وتراه يخاطب العربي في تفسه أو يخاطب تفسه ويريد المديسي الابسي لا المغلوب على أمـــده :

الى أي حين أنت فيي زي محرم وحتى متى في شقوة وال كمم والا تمت تعت السيوف مكرما تمت وتقاسى الذل غير مكرم يرى الوت في الهيجاجتي النعل في القم

فثب واثقما بالة وثبسة ماجمد

وازاء هذه النفس العارمة المتعالية ، فأن الاشياء والشخوص تتضاءل وتتضاغل وهو يشمخ ويسمو ، فلا يجد ما يدانيه مكانة آو يساويه قدرا :

> ای معیدل ارتقیدی ای عظیدم اتقیدی وكل منا خلق اللـــــه ومنا لنم يخسلق معتقسار قسى همتسى كشبعرة فسى مفرقسي

لقد أوردته هذه النفس موارد التهلكة ، في الفعل والمقيدة ، وان جرأته في الجهر بما يعتقد وتسرع لسانه الي ما يجرى ، ويثور في خلفه جن عليه كثيرا من الشرور والأثام • وأثبار حقائظ الناس عليه ۽ فكادوا ليه واوغيروا الصدور من حوله ، وكثر أعداؤه وكائدوه ، وكثر حساده وغائظوه ، فتمثل في كل خطوة

عدوا ، بل لقد تمثل في كل أكمة متربصا ، وخلف كل ربوة رصدا أو عينا • يخاطب الدعر :

عدوى كل شيء فيات حتى لخلت الاكم موضرة الصدور فلو انى حسنت على نفيس لجنت به لينى الجيد المشور ولكني حسيات عيل حياتي وما ضر الحياة بالا سيرور أحب المتنبى المجد ، وافتخر بالقوة ، واعتز بالشجاعة والاقيدام والكرم ، وكره ما ضد هذا كله كره الضمة ، والذل ، والضمف ، والجبن والبخل \*

فماذا حقق المتنبى فى نفسه من هذا كنه ، لقد عشق المجد وحاول تحقيق شيء ما لنفسه فى حسورة اغتصاب للامر بالقرة ، أو بالنبوة ، اذا صح هذا · ولقد تسروى الروايات عن ادعائمه النبوة ، ولئن لم تصدق كلها فقد يصدق بعضها ، ولعله لم يدع نبسوة كاملة ، بل لعل شبابه خيل له أمرا ما ، قد يكون ادعاء الامامة ، أو المهدية أو شيئا من هذا القبيل ولقد رآى فى نفسه قدرة ، وذكاء ، وعبقرية فلى البيان · قاللوا انه ادعى تقليد القرآن · ولم ينف أبو العلاء بعض أخبار تنبؤه ·

ولقد بلغ من المجد ما مكنه من أن ينشد الملوك والامراء وهو جالس الميهم ، بل أن بعض ممدوحيه كابن طاهر العلوى أجلسه مجلس الممدوح وجلس اليه بين يديه ينشده ولقد راسله الملوك يطلبون مديحه ، بعد أن سار شعره في الآفاق ، وخشى بعضهم أن يمر بهم متجاهلا اياهم ، قلا يخلدون في التاريخ ، ولا تتناقل

الالسنة أسماءهم - وكان منهم من لم يعبأ بهم أبو الطبيب استصنارا لشأنهم كالساحب بن عباد ومنهم من جاملهم كأبيى الفضل بن العميد - ولقد كان ابن العميد يخشى أن يعبر به ولا يزوره فيبقى ذلك عارا يلمن به أبد الدهيد -

لقد بلغ اذا من الشهرة مبلغا ، وأحب القوة ، واستخدام السيف ، لقد عشق الفروسية منذ شبابه الأول ، ولم يرض حياة الدعبة والترف في الدور والقصور ، لقد كره كل مظاهر الخنوع والضعف حتى هذه الضغيرة المبنية من الشعر التي ترسل للصبي كرهها لمنا فيها من مظاهر التدليل ٠٠ وقال :

لا تعسن الوفرة حتى ترى منثورة الضفرين يوم القتال ويفتخ يأنه لا يدع صهوة فرسه ، ولا يخلع لامـة الحرب:

مقرش صهبوة العصان ولكن قميصي مسرورة من حليد وعندما ذهب الى سيف الدولة تعلم الفروسية ، وفندون القتال ، وشارك سيف الدولة في بعض حملاته ، وصعد في بعض غزواته بأرض الروم وقابل في رحلاته بعض المتاعب من الاعراب أو رجال الصحراء فلقيهم بالقتال ، وكان فاتكا ، داهية ، ولا يطعن في فروسيته تغلب فاتك الاسدى عليه وقتله اياه وانه لم يجبن عق لقائه ، بل تقول الروايات أنه حدر من اتخاذ الليل رداء لرحلته الى الاهواز ، وخوف من ترصد عدوه لكنه لم يعبا ، وغاس بالغروج ، لكن فاتكا تغلب عليه بكثرة عدده ومفاجأته في كمين لم يستعد له و

لم يكان أبو الطيب اذا جسرىء اللسان متخاذل الجنان كمة حاول أن يصوره بعض ناقديه أو الحاقدين عليه وقد يختلف الناس معه في عقيدته أو طباعه ، ولكن هذا الخلاف لا ينبغي أن يؤدى الى قلب الحقائق أو تصويرها في صدور مضرضة ، تحيل فضائله رذائل أو رذائله فضائل -

ربما كان في بعض تصرفه غريبا أو متناقضا مع نفسه أو مع ما شاع من خلقه ، ولملنا نئمس بعض صور الضعف في مواقف بعينها في حياته كذلك الموقف في سجنه حين تصاغر أو ادعى صغر السن اعتدارا والتماسا للعقو و وكلجونه الى كافور وهو عبد محتقر عنده وقد ارتفى لنفسه سؤاله وتعريضه به ، وريما رأى بعض الناس في هذا مذلة أو مهانة و ولكنه كان يدرك في أعماقه أنه قصد من لا يليق قصده ، وأن يدل شرا بخير ، وأراد أن يعاقب نفسه و نطق شعره بهذا العقاب ، خاصة وأنه لم يبلغ منه مراده ه

# غرض بالطلب في قولت :

أبا المسكول في الكاسفضل الله وهبت على مقدار كف زماننا اذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية وعاتب نفست في قولت :

عثرت بسيرى نعسو مصر فلالعا وفارقت خير الناس قاصد شرهم

فائی اغتسی منذ حمین وتشرب ونفسی علی مقدار کفیك تطلب فجودك یكسونی وشفلك یسلب

بها ولما بالسير عنها ولا عشرا وأكرمهم طسرا لالامهم طسسرا فعاقبنى المغصى بالنساس جازيا لان رحيلى كان من حلب غسدرا
وما كنت الا قاتل الرأى لم اعن بعزمولا استصحبت في وجهني حجرا
وأحب المتنبي الغنى وسعى في سبيل جمع المال ورأى أنه لا مجد
في الدنيا لمن قل مالسه:

فلا مجد في الدنيا بن قل مائه ولا مال في الدنيا بن قل مجده وفي الناس من يرضى بميسهر عيشه ومركوبه رجلاه ، والشوب جلده ولكن قلبا بين جنبى مالسه مدى ينتهى بى في مراد أحسده

وقالوا أنه جعل همه جمع المسال ، ولم يقنع بما أتيح من الثروة ، والنني ، وقد حصل كثيرا من المسال .

قال البديمي : قال ابن فورجه : كان المتنبى داهية ، مسر النفس ، شجاعا حافظا للادب عارفا بأخلاق المنوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه الا بخله وشرهه بالمسال .

وقال أبو البركات بن أبى الفرج المعروف بابنزيد التكريتى الشاعر قال ؛ بلغني أنه قبل للمتنبى : قد شاع عنك من البخل في الأفاق ما قد صار سلمرا بين الرقاق ، وأنت تمدح فلى شعرك الكرم وأهله ، وتدم البخل وأهله ، الست أنت القائل :

ومن ينفق الساعات في جمع مانه مغافة فتر قائنى فعل الفقس ومعلوم أن البخل قبيح ، ومنك أقبح ، لانك تتماطى كبر الفضل ، وعلو الهمة ، وطلب المال • والبخل ينافى سائر ذلك • فقال : ان لبخل سببا ، وذلك أنى آذكر وقد وردت في صباى من الكوفة الى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم في جانب منديسلى ، وخرجت

أمشى في أسواق بنداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، قرأيت عنده خمسة من البطيخ باكرورة • فاستحسنتها ونويت أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت اليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة البطاطيخ ؟ ، فقال بغير اكتراث : اذهب ، فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه : أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن -فقال : ثمنها عشرة دراهم \* فلشدة ما جبهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة - فوقفت حائرا ، ودفعت له خمسة دراهم ، فلم يقبل • واذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ، ذاهبا الى داره ، فوشب اليه صاحب البطيخ من دكانه ، ودعا له وقال : يا مولاى ، هذا يطيخ باكور ، بأجازتك أحمله الى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك يكم هذا ؟ • قال : بخيسة دراهـم • فقال : بل يدرهمين • فباعه الخمسة يدرهمين ، وحملها الى داره ، ودعا له ، وعاد الى دكانه مسرورا بما فمل - فقلت له : يا هذا ، ما رأيت أعجب من جهلك ، استمت على في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التي قعلت ، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمان محمولا - فقال: (سكت - هذا يملك مائة ألف دينار -قعلمت أن الناس لا يكرمون أحدا اكرامهم ممن يعتقدون أنه لا يملك مائة ألف دينار • وأنا لا أزال على ما تدراه حتى أسمع الناس يقولون : أن أيا الطيب قد ملك مائة ألف دينار (1) -

ولا تدرى مدى صحة هذه القصة ، ولكن أخيار بخله كثيرة -

<sup>(</sup>۱) - العبيع النبي ، ص ٩٦ -

وقد يكون حريصا ، ولكنه لم يبلغ هذه المدورة الذميمة للبخل ودناءة المنفس التي صورها بعض ناقلي أخباره (١) ٠

وكان أبو الطبيب جادا ، حرا ، لا يميل الى اللهمو ، عزوفا عن النساء وشرب الخمسر والسماع ، حكى على بن حمزة البصرى قال : بلوت من أبى الطبيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ، ولا لاط (٢) -

# ويتــول (٣) :

كمماتها ، ومماتها كعياتها حتى وأرت على النساء بناتها

# ويتبسوله:

ولا تعسين المجمد زقا وقيئة فمانلجد الا السية والفتكة البكر ويرى أن خلقه بما يجمع من المروءة والفتوة والآباء كمنعه من أن يتدنى الى اللهو الرخيص أو التشاغل باللهات عن الخسر والنساء:

ق في كل مليحة ضرائها
 في خلوتي لا الغوق من تبعائها
 ثبت العنان كانشي لم أتهاا

وترى المروءة والفشوة والابسو هن الثبلاث المانعاتيي للتسبي ومطالب فيها الهبلاك اتبتها

 <sup>(</sup>۱) راجع السبح المتبي ، من ۹۳ وما بعدها ، وأبو الطيب منا له ومنا عليه للثمالين ، من ۳۹ ،

٩٤ س ٩٤ المبيح المنبي ، س ٩٤ .

<sup>(</sup>۳) - دیوانیه ، من ۱۷۴ -

ورأيه في المرأة لم يكن بالرأى فهي عنده مثال للخلف بالوعد ، والتقلب ، وجمال المظهر مع سوم المحبر :

ومن خبس القنواني قائقنواني ضيناء قني بواطنسه ظننام

وأكره ما يكره من النساء الحضريات ، وقد علل كراهيته بأن حسنه صبئ مصنوع ، ولكن البدويات ذوات حسن طبيعي ، وهو يحب البداوة ، ويكره الحضر ففي الحضر تتمثل الاخلاق التي ينفر منها : التملق ، والمداهنة ، والكذب :

من الجائد في زي الاهاريب حمر العلى والمطايا والجلابيب

يتسول :

كاوجه البلويسات الرعابيب
وقى البداوة حسن غير مجلوب
وغير ناظرة، في العسن والطيب
مضغ الكلام، ولا صيغ الحواجيب
أوراكهن ، صقيات العراقيب
تركت ثون مشيبي غير مخضوب
رغبت عن شعر في الوجه مكلوب

ما أوجه الحضر المستحسنات به حسن الحضارة مجلوب بتطريبة أين المعين من الأرام ناظرة وقلى ظلوة سا مرفن بها ولا برزن سن الحسام مائلة ومن هوى كل من ليست مموهة ومن هوى الصنقفي قولى وعادته

### \_ T \_

لقد ظهر الشاعر المتنبى ، فحجبت شهرته الشعراء في عصره ، وتلقف الناس قصائده ، وتركوا قصائد غيره ، وأتيح لبه من الحظ ما لم يتسم لغسيره ، ولقد بلغ من أسسره ما أراد من قوله : وتركك في الدنيا دويما كانما تداول سمع المرم إنمله العشر

وعرف قدر أدبه في النفوس • فقال:

واسمعت كلماتي من به صميم ويسهر الغلسق جراهما ويغتصم

أنا اللثي نظر الاعمى الى أدبى أنام ملء حفوني عن شواردها

ويقول مرة أخرى معتدا:

وثقد خيسات من الكلام سسلافة وسقيت من نادمت من جرياليه

وأذا تعشرت الجيساد بسهلله بسرزت غسنر معشر يجيالسه

فهو مالك ناصية البيان ، لا يصحب عليه الشعر مهما حسرن أو عزب، وانه ليأتي بكل عجيب فيه - ويترك الناس حياله حاثرين-

قال عنه الثماليي : « نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعرى، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، المشهور به - الله هو الذي جنب بصنيعه ، ورفع من قدده ، وثفق سعر شمره ، والقى عليه شماع سمادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمراء وساقر كلامه ، في السيدو والعضراء وكادت الليسالي تنشده ، والايام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء :

> وما الذهر ألا من رواة قصائني قسار بنه من لا يسمير مشمرا

اذاقلت شعرا أصيحالنهن منشانا وغنى به من لا يفنسي مفسردا 💌

· وكما قبال:

وما لم يس قمس حيث سنارا ت لا يختصمن من الارض دارا وثين الجبال وخفسن البعسارا

وفي فيبك ما لسم يقسل قائسل وعتيدى لك الشسرد السائسرا اذا بسون مين مقبول مسبوة

قال الثماليي: فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبي الطيب

من مجالس الانس ، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوائين أشغل به من كتب المؤلفين والمسنفين • وقد ألفت الكتب في تفسيره وحل مشكلة • عويصة ، وقصرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه • وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصوصه ، والافصاح عن أبكار كلامه وعوثه • وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه ، والتعميب له وعليه - وذاك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه وتفرده عن أهل زمانه ، يملك رقاب القوافي ، ورق المعانى • فالكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته (۱) •

وقد كان أبو الطيب من أئمة اللغة في القدر الرابع الهجرى (٢) - يقول الاصبهائي (٣) : جملة القول في المتنبى أنه من حفاظ اللغة ، ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من الغريب مستقى من الغريب المصنف ، سوى حرف واحد هدو في كتاب الجمهرة ، وهو قوله :

وأمثوى كما يطوى المجللة العقب

وأما الحكم عليه وعلى شعره ، فهو سريع الهجوم على المعانى ، ونعت الخيل والحرب من خصائصه وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمع به ، يقبل الساقط الرذل ، كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وهي ، وفي الفاظه تعقيد ، وتعويض "

<sup>(</sup>۱) ايو الطيب ، ما له رما عليه ، من ۳۱ ٠

<sup>(</sup>۲) مقدمية ديرانه ، ص ( لا ) \*

۲۱) الواضيح ، ص ۲۹ -

وكان المتنبى يحفظ كثيرا من الشعر الحديث ، وأعجب بشاعرين كبيرين من المحدثين هما أبو تمام والبحتوى ، وأضاف اليهما بعض العلماء ابن الرومي (١) • قال الاصبهائي : ووكان المتنبى يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره ، ويعجدهما ، فلما قتل توزعت دفاتره فوقع ديوان البحترى الى بعض الدارسين وعليه خط المتنبى ، وتصحيحه فيه (٢) » •

ومن هنا اتهم أبدو الطيب بأخذ بعض معانيه منهما - الطائي دوروى أنه قيل له : ممنى بيتك عدّا أخدته من الطائي - أبي تمام - فأجاب : الشعر جادة ، وربما وقع حافي على حافي -

وذكر العلماء مآخذه من أبي تسام ، وعدوها سرقات ، واتهموه بأنه اعتمد عليه كثيرا وانكر ذلك الاعتماد ، وآلف ابن الدهمان في القرن الخامس كتاب « المآخذ الكندية من المعانسي الطائية » (٣) ،

قال ابن رشيق (٤): « وقال بعض من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب: انما حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المنى حقه بعد طول النظر في والبحث عن البيئة ، أو

<sup>(</sup>١) الصبح المنبي ، ص ١٨٦ ٠

<sup>(</sup>۲) الراضيح ، ص ۱۰ -

 <sup>(</sup>٣) استدرك عليه ضياء الدين بن الاثير في كتاب سماء « الاستدراك في الاخذ على الماخذ الكندية من المعانى الطائية » -

<sup>(</sup>٤) العندة ١/٢٣٢ ٠

كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ، ويتحرج خوفا على دينه • وأبو الطبيب كالملك الجبار ، يأخذ ما حوله قهرا ، وعنوة أو كالشجاع الجرىء يهجم على ما يريده لا يبالي ما لقي ، ولا حيث وقع » •

واهتم العلماء بشمر المتنبى بين شارحى الديوان ، أو منسرى مشكله ، أو متنبعى حسناته وسقطاته ، ومقيدى سرقاته ، وبدأ الحديث فيه بالحاتمى في رسالتيه - الموضحة في المآخذ ، وما شأبه فيه أرسطو ، والصاحب بن عباد في كشف مساوئه ، وابن وكيع التتيسي في سرقاته ، والقاضي عبد العزيز الجرجاني في الوساطة بيته وبين خصومه ، وابن الدهان في مأخذه من أبي تمام ، وابن الاثير في الاستدراك عليه ومعارضته ، والاصبهائي أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن في توضيح مشكلاته والرد على ابن جني ، والواحدى النحوى في بيان مشكل أبياته ،

ومن شراح ديوانه: اين جنى ، وأبو العلاء المعرى فى كتابى :

« اللامع العزيزى » ، ومعجز أحمد ، والواحمد ، والتبريزى فى
الموضح ، وعبد القاهر الجرجاتى ، وأبو منصور السمعانى ، وأبو
القاسم ابراهيم بن محمد الاقليلي الاندلسي ( توفى سنة ا 33 هـ)،
والاعلم الشنتمرى ، وابن الانبارى ، والمكبسرى ، وأبو اليمن
الكندى ( توفى سنة ١١٣ هـ ) ، وعبد الواحد بن زكريا ، وابن
فورجه في كتاب « التجنى على ابن جنى ، والفتح على أبى الفتح
له أيضا \* وكثيرون غير هؤلاء \*

قال البديمي (١) : « ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا الاسلام شرح هكذا مثل هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ، ولا تداول على ألسنة الادباء في نظم ونثر أكثر من شمر المتنبي» •

ولابي الطبيب المعاتي البديعة ، والمعاسن البارعة التي قاق يها السابقين ، ومنها حسن مطلع القصائد ، كثوله :

هو أول ، وهي الحصل الثنائي فاذا هما اجتمعا لنفس حيرة بلغت من العلياء كل ميكان

الرأى قبل شبجاعة الشجعان

# وكتوليه:

والطفن عنسك معييهسن كالقيل

أعلا المالك ما يبتي على الإسل وكقوليسه:

قنواد ميا تسليبه المسدام ... وعمس مشل ما تهب اللشام وكتوليه:

أفاصل الناس أغراص لذا الزمن يغلو من الهم أخلاهم من الفطن ومما يتصل بحسن المطالع براعة النسيب معلى قلة اهتمامه يه ، وتطلعه إلى المرأة ـ مثل مطلعه الغزلي :

من الجناذر قبى زى الاعاريب حمر العلى والطايب والجلابيب

وكمطلعبة الغيزلي :

وائ قلوب هندا الحي شباقا لتا ولاهليه ابسدا قلسوب تلاقي في جسوم ما تلاقيي

أيلدي الركب أي دم اراقسا

<sup>(</sup>۱) المبيح المنبي ، من - ۲۷ -

وفي هذا الغزل يقع بيته الجميل الرقيق في معناه :

فثيث غنوي الاحية كان عبدلا فعمل كنل قلب منا أطاقنا

ومنها معانيه الرائعة يسوقها في صور من التشبيه أو الاستعارة فتقع مواقعها في النفوس كقوله :

ترثو الى بعدين الثنبي مجهشة أن وتمسح المثل قوق الورد بالعنم وقوليه :

واستطار العديد لوئا والقسى الوئا فلي دُوادُب الاستخصال وقوله في المحمى :

وزائرتی کان بها حیاء فلیس تزور الا فی الظالم

وكقولسة :

وانما نعن في جيسل مسواسية شرعلي العر من سقم علي البدن حسولي يكل مكان منهسم خسلق تغطي اذا جثت في استقهامها بمن

وقد أحسن الدولة ، فقد اتخذ من لقبه واسمه مادة لصوغ معانى مديعه على مديعه على الدولة ، فقد اتخذ من لقبه واسمه مادة لصوغ معانى مديعه كقوله :

تهاپ سیوف الهند وهی حداثد قکیف اذا کانت نزاریه عربا و گفولیه :

التحسب بيض الهند اصلك اصلها وانك منها ، سماء مما تتوهم اذا نعن سميناك خلنا سيوفنا من التيمه في اعمادها تتوسم

# وكقوله في معنى المديح بالكرم وعلو الشأن :

تعشى الكرام على أثبار هرهمم وانت تغلق ما تأتبى وتيتبدع من كان فرق معلى الشمس موضعه : فليس يرفصه شيء ولا يضبع

وامتاز المتنبى بقدرته على أن يسوق المعانى الفلسفية ، سوق المحكمة والمثل ، في صياغة رائعة رصينة ، فتصبح جارية على كل لسان ، كقوله :

ذل مِن يَفِيطُ الْلَّلِينَ بِعِيشَ رَبِ عَيْشَ اَحْفَ مَنْهَ الْحَمَامُ مَنْ يَهِنْ مِسْهِلُ الْهِنَوانُ عَلَيْهُ مِنَا لَجِنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْعِلْ الْمُنْ ال

وكتوليه:

كفي بك داء أن ترى الوت شافيا وحسب المنايسا أن يكن أمانيسا

وكتولسه:

اذا أنت أكرمت الكريسم ملكته وأن أنت إكرمت اللئيم تمردا

وقال يمدح سيف الدولة سنة ٣٤٢ هـ :

لياني بعد الطاعفين شكول يبن لي البدر الذي لا أرياء وما عشت من بعد الاحبة سلوة وان رحيلا واحدا حال بيننا

طوال وليسل العاشقين طويل ويخفين بدرا منا الله سنبيل ولكتنى النائيسات حمسول وفي الموت من بعد الرحيل رحيل

فلا برحتني روضية وقسول شاء به أهل العبيب تهزول فليس لظمان اليه وصول

الميتي على ضبوء الصباح دليل

اذا كان شم الروح يدنى اليكم وما شرقسي بالماء الا تذكسوا يحرمسه لمسع الاسسسنة فوقسه أما في التجوم السائرات وغرها

الم ير هذا الليل عينيك رؤيتي لقيت بدرب القلة القبر لقية ويوما كان العسن فيه علامسة وما قبل سيف النولة آثار عاشق

A 4

ولكنه ياتى بكسل فريبسه رمى اللرببالجرد الجيادائىالعدا شوائل تشوال العقارب ياتقنا وما هى الاخطرة عرضت أسه

4

همام اذا ما هم أمضى هدوميه وخيل براها الركض في كل بلادة فلما تجلى من دلسوك وصيعية على طرق فيها على الطرق رفعية

. .

فما شعروا حتى راوها مفاحة سعائب يمطرن العنياك عليهم

وقالل يمدح سيف الدولة :

لا العلم جات يه ولا بمثاله ان المعيد لنا المنام خياله - بنتما يتاولنما المسام بكفه نجنى الكواكب من قلائد جيماه بنتم عن العين القريعة فيكم فدنوتم ، ودتوكم مسن عنسده أنى لايغض طيف من احبيته

فظهر فيب وقب وتعسول شفت كمدى والليل فيه قتيل يعثت بها والشمس منك رسول ولا طلبت عند الظللام ذحمول

تروق على استغرابها وتهسول وما علموا أن السهام خيبول لها مرح من تحتبه وصهيسل « بعران « ليتها قنبا ونصول

بارعن وطء الموت فيه ثقيل اذا عرست فيها فليس تقيل علت كل طود راية ورميل وفي ذكرها عند الاليس خصول

قباحا ، وأما خلقها فجميل فحكل مكان بالسيوف خسـيل

لولا ادكبار ودامسة وزيالسه كانت إمادته خيسال خيالبه من ليس يغطر أن نبراه ببالبه وننبال عين الشمس من خلفاله وسكنتم ظن الفيؤاد الوالسه وسمحتم وسلماحكم من مالبه اذ كان يهجرنا زميان وصالبه عثل الصبابة والكآبسة والاسسى وقد استقنت من الهسوى وأذفته

ė.

تستجفل الضرفام عن أشباله وسقيت من نادمت من جريائه يسرزت ضبر معتسر بجبائسه معتساده ، معتابسه ، مغتاله ويزيد وقت جمامها ، وكلاله فينوتها متجفسلا بعقائله وضفقت خيس الملك عن رئبائله ينسى القريسة خوفه بجمائه وترى المعبة وهي من أكائه (٢)

فارقشه فحدثن مسن ترحساله

من عفتي منا نقت من بلبائله

ولقد ذخرت لكل أرض ساعة تلقى الوجوه من الكلام سلاقه واذا تعثرت الجياد بسهله وحكمت في البلد العراء بتاعج(١) يمثى كما عنت الملي وواءه وتراع غيب معقبلات حوابه فغدا النجاح وراح في أخفافه وشركت دولة هاشيم في سيفها عن ذا الذي جرم الليوث كماله وتواضع الامراء حيول سريره

وقال في عتاب سيف الدولة :

أنشدها اياه في محفل من العرب والعجم:

واحر قلباه ممن قلبه شیم مای اکتم حبا قله باری جسلس ان کان یجمعنا حب لفرنسه قله زرته وسیوق الهند مغملة فكان احسن خلق الله كلهم

ومن بجسمى وحالى عنده سقم وتدعى حب سيف النولة الامم فلي تانا بقساد الحب نقتسم وقد نظرت السه والسيوف دم وكان أحسن ما في الاحسن الشيم

فيك انغصاموائت الغصموالحكم

يا أعدل الناس الا في معاملتي

 <sup>(</sup>١) التاعج الناقة الخفيفة السريعة ، أو الفعل من الابل السريع "

 <sup>(</sup>۲) الآكاك : التطائع ، وأحدثها أكل -

اعيدها نظرات منك صابقة وما انتفاع أخى الدنيا بناظره أنا الذي نظر الاعمى الى أدبسي انام ملء جفوني عن شواردها

+ +

وجاهل مده في جهله ضحكي اذا رأيت تيبوب الليث بمارزة ومهجنة مهجتي من هم صاحبها رجلاه في الركض رجلو اليدانيد

. .

ومرهق مرت بين الجعفلين به فالغيل والليل والبيداء تعرفنى صحبت في القلوات الوحش منفردا يا من يعز علينا أن نفارقهم ما كان (خلقنا منكم يتكرمة ان كان سركم ما قال حاسلنا ويبتنا له ويبتنا له وعبتهم ذاك معرفة كم تطلبون لنا عيسا فيعجزكم

\* \*

ما ایعدالعیب والنقصان من شرفی لیت الغمام الذی عندی صواعقه اری النوی تقتضیتی کل مرحلة لئن ترکن ضمیرا عن میامنتا

إن تحسب الشعم فيمن شعماورم اذا استرت عنده الانوار والظلم واسمعت كلماتي من به صمم ويسهر الغلق جراها ويغتصم

حتى أتتبه يبد فراسبة وفيم فيلا تظيئن أن الليث يبتسبم أدركتها يجلواد ظهيره حمرم وفعله ما تريد الكف والقيدم

حتى ضربت وموج الموت يلتطم والحربوالضربوالقرطاسوالقلم حتى تعجب منى القسور والاكم وجد اننا كل شيء بعدكم علم لو آن أمركم من أمرنا أمام قما لجسرح اذا أرضاكهم ألم ان المعارف في أهل النهى دمم ويكره الله ما تأتسون والكسرم

إنا الثريا وذان الشيب والهسرم يزيلهسن الى من عنسده الديسم لا تستقل بها الوضادة الرسسم ليحمدان كن ودعتهم نسسلم

<sup>(1)</sup> التسور جمع قاره وهي المرتفع من الارش -

اذًا ترحلت عن قوم وقد قساروا شر البلاد بسلاد لا صديق بهسا وشر ما فنصشه راحتمی قنص بای لفظ تشول الشعر زعیشه صحتا متابسك الا انبه مقسة

# وقبال في كافرر:

من الجاذر في زي الاعاريب ان كنت تسال شكا في معارفها سواتر ريما سارت هوادجها وربما وخنت أيلى المطي يها كم زورة لك في الاعراب خافية ازورهم وسواد الليل يشفع لي

قنوافقوا الوحش في سكني مراتعها جرانها وهم شر الجوار فهسا

فواد كل معب في بيوتهم ما أوجه العضر المستحسنات به حسن العضارة مجلوب يتطريــة اين المعيز مــن الأرام فاظـرة

أفلى ظباء فلاة منا عرفن بها ولا برزن من العملام ماثلة ومن هوى كل من ليست مموهة ومن هوى الصلق فيقولي وعادته

أن لا تفارقهم فالراحلون هــم وقر ما يكسب الانسان ما يعمم شهب البراة مواء قيه والرخم تجوز عندك ، لا عرب ولا مجم قد ضمن الــد الا انـه كلـم

حمر العلى والمطايسا والجلابيب فمن يسلاك بتسسهيد وتعسليب منيعسة بين مطعون ومضروب على نجيع من القرسان مصبوب أوهى،وقد رقدوا،من زورةالليب وانتثى وبياش الصبح يقرى بى

وخالفوها يتقويفن وتطنيب وصحبها وهمم شس الاصاحبيب -

ومال كل أخيبة المال معروب كاوجه البنويات الرعابيب وغي البداوة حسن غير مجلسوب وغير ناظرة، في العسن والطيب

مضغ الكلام، ولا صبغ العواجيب أوراكهن صفيلات العرافيب تركت ثون مشيبي غير مغضوب رغبت عن شعر في الوجه مكلوب

ئيت الحوادث باعتنى التى اخلت فما العداثة من حلم بما نعسة ترعسرع الملك الاستاذ مكتهلا مجربا فهما من قبسل تجريسة حتى أصاب من الدتيسا نهايتها يدير الملك من مصر الى عسسدن

منی بعلمی النتیاعطت و تجریبی قدیوجد العلم فی الشبان و الشیب قبل اکتهال ، آدیب قبل تادیب مهذبا کرما من قبل تهذیب وهمه فی ابتداءات و تشییب الی العراق فارض الروم فالتوب

وقال في مصر يشكو طول الاقامة بلا طائل ، وقد أصابته العمي :

ورقع فعاله فوق الكلام ووجهسى والهجير بلا لشام وأتعب بالاناخية والقيام وكيل بغيام رازحيية بغاميي

سوی علی لها بعرق الغمسام اذا احتماج الوحید الی الذمام ولیس قصری سوی مسخ النصام جسزیت علی ابتسسام بابتسام

لعلمى أنبه يعض الانسام وحب الجاهلين على الوسام اذا ما لم أجمعه من الكسرام على الاولاد أخسلاق اللسام بان أعسري الى جسد همام

تغب بی الرکاب ولا امامی یمل لقاءه فی کل مسلم کثیر حاسلی ، صعب مرامی ملومكما يجل عن المسلام ذرانى والنسلاة بسلا دليسل فانى استريح بسلنى وهسدا عيون رواحسلي ان حسرت عيني

فته أرد الميساء بغير هياد يذم لجمجتنى ريسى وسنيقى ولا أمسى لاهل البغيل ضيفيا ولما صيار ود التياس خيا

وصرت اشسك فيمن اصطفيه
يعب العاقلون على التصافي
وآنف من أخبى لابسى وأمسى
أرى الاجسداد تطبها كشيرا
ولست بقانيع مين كل ففسل

اقمت بارض مصر فلا وراثلی وملنی الفراش وکان جنبی قلیل عائلی ، سلقم فلوادی

#### عليسل الجسم ممتنع القيسام شديد السكر من غير المدام

وزائرتي كان بها حيساء

بذئت لها الطارق والعشايا

يضيق الجسم عن نفسى وعنها

اذا ما قارقتنى غسائني

كأن الصبح يطردها فتجسري

ويصدق وعدها والصدق شر

ابنت العمر عنسدى كل بنت

جرحت مجرحا ئم ييق فيسه

ألا ليت شعر يسدى أتمسي

وهل آرمي هواي براقصات

فريتمها شفيت غليسل صهلوى

الراقب وقتها من غير شهوق

فليس تزور الاقم الطائم فنافتها وباتث في عظامي فتوسعه بالبواع السسقام كانا عاكفان على حسرام

منامعها باربعسة سيجام مراقية المتسوق المتهسام أذا القاك في الكرب المطام فكيف وصلت إنت من الزحام

مكان للسيوف ولا السهام تصرف في عنان أو زمام محالاة المقساود باللغسام بسيار أو **قتساة أو ح**سيام

خلاص الغمر من نسج القدام وودعت البلاد بسلا سسلام وداؤك في شرابك والطعمام أض يجسعه طبول العميام

وضاقت خطة فغلصت منهسا وفارقت العبيب بسسلا وداع ية ول لي الطبيب إكلت شبينا وما في ظبه أني جسواد

ويلخل من قتمام في قتام ولا هو في العليق ولا اللجسام وان احمم فما حسم اعتزامسي

تعبود ان يغبس فلى السرايا فامسك لا يطيال لسبه فسرعى فان امرض فما مرض اصطباري وان اسسلم فيسأ أيقسى ولكن تمتیع من سیسهاد او رقیساد

ويتسوك:

متى كن لى أن البياض خفساب ليال عنت البيض فوداي فتنسة فكيف الم اليوم ما كنت أشتهي جلا اللون عن لون هنئ كل صلب

وفي الجسم نفس لا تشيب لشيبه لها فلقس ان كل تلقسر أعساء يغر مئى الدهر ما شساء غسرها وأنى لنجم تهتلي صعبتي ب

غنى عن الاوطان لا يستغفني وعن نملان العيس ان سامعت به وأصدى فلا أبنى الى الماء حاجة وللسر منسي موضيع لا ينالسه

وللغوه منى سساعة شم بينتسا وما العشق الاغسرة وطباعية وغسر فؤادى للقبوائي رميسة تركتا لإطراق القنا كل شهوة

سنلمث من الحمسام الي العمام ولا تأمل كسري تعت الرجسام فان لثالث العائسان معنى - سوى معنى انتباهك والمنسام

فيغفى بتبيض القسرون شسباب وقفر ، وذاك القفر عندي عاب وأدعو بما اشكوه حين أجاب كما انجاب عنضوءالنهار ضباب

ولو أن مافي الوجه منسه حراب وناب أذا ثم يبق في الغم ناب وأبلخ أقصى العمر وهي كعاب اذا حال من دون النجوم سعاب

الى بلك سيافرت عنسية أيساب والا قفسي أوكارهن عقساب والشمس فوق البعملات لعسماب تنييم ولا يقضي اليبه شراب

قبلاة الى ضبر اللقساء تجساب يعرض قلب نفسه فيصاب وغير بنائي للزجاج ركاب (1) قليس لنبا الايهن لباب

<sup>(</sup>۱) يمنى زجاج الكژوس ٠

تصبرفه للطعن فوق حواذر (1) اعل مكان في اللنا سرج سابع

قبد انقصفت فيهن منه كعاب وخير جليس أسي الزمسان كتاب

بما مضي؟ أم لامن فيك تجبيد

فليت دونك بيدا دونها بيسد

أشياه رونقه القيب الاماليسان

شبيتا تتيمله علين ولاجيله

أم فسي كؤوسسكما هم وتسهيد

هلى المسام ولا هلق الإغاريد

وجدتها وحبيب النفس مفتسود

آئے ہما آنا باك مثلہ معسلوں

أنا الغنسي وأمسوالي المواعيسة

ويقول في مناسبة العيد وقد عزم على الرحيل من مصر يوم عيد الاضحى سنة • ٣٥٠ هـ :

عيد باية حال ملت يا عيـد أما الاحبث فالبيمداء دونهي لولا العلا لم تجب بي ما أجوب بهـــــــــا وجناء حرق ولا جرداء قينود وكان أطيب من سيقي مضاجعه لهيترك اللهر منقلبي ولاكبلش يا ساقيي أخمر في كؤوسكما أصغرة أئسا سبالي لا تعركتسي اذا أردت كميث اللون صافيــة ماذا لقيت من الدنيا ؟ واعجب أمسيت أروح متر خازنا ويسدا

عن القرائ وعن الترحال معنود من اللسان 🕷 كانوا ولا الجود الا وقع يسلم من تتنها عسود لا في الرجال ولا النسوان معلود أو خانه ، فله في مصر تمهيك فالعر مستعبد والعبسة معبسوك فقد بشمن وما تقتسي العناقيد لو أنه في ثياب العسر مولسود

أنى تسزلت بكذابين ضيفهم جود الرجال من الايدي وجودهم ما يقبض الموت نفسامن نفوسهم من كل رحو وكاء البطن منفتق أكلما اغتال عيد السوء سبيده صار الغمى أمام الأبقسان بهسا نامت نواطير مصر عن تعاليها العبد ليس لعس صالح بساخ

<sup>(</sup>١) يمتى غيلا تعدر الطعن -

لا تشتر العبد الا والعصا معه ما كنت أحسبني أحيسا الى زمن ولا توهمت أن الناس قد فتدوا

یسیء ئی فیه کلب وهو معمسود واژن مثل آبی البیضاء موجسود

أن العبيسد لانجساس مناكيسة

وقال يصف رحلته من مصر سنة ٣٥١ هـ :

فدن كل ماشية الهيديي خترف وما بي حسن المشي وكيد العداة وميط الاذي أما لهدا وأما للذا ويض المنا ويض السيوف وسمر القتا عن العالمين وعشمه غشي والذي المياه ووادي القسري فنائت ونعمن بتربان هما مستقيلات مهب الصبا

الا كبل ماشية الغيازي وكل نجساة بجاويسة ولكنهن حبسال العيساة ضرب القمار ضربة بها التيه ضرب القمار أذا فرعت قلمتها الجياد فمرت بنغل وفي ركبهما والمست تغيرنا بالنقاب وفين العراق ؟ وهبت بجسمي هبوب الدبور

4 4 4

نوق مكارمنا والعسلا ونمسعها من دماء المبدي ومن بالدرامسم الى القتى وانى عتوت على مسن عتى وما كل من سسيم خسفا ايى فلما أنفنا ركزنا الرمساح وبتنا تقبسىل أسسيافنا لتعلم مصر ومسن العسراق وأنسى وفيت وأنسى أبيت وما كل من قسال قولا وفي

وقال وقد غادر مصر يرثى فاتكا الاخشيد سنة ٣٥٢ م :

وما سراه على ساق ولا قدم فقد الرقاد غريب بات لم يتم ولا تسود بيض العلن واللمم

حثام تحن تسارى النجم في الظلم ولا يحس بأجفان يحس بها تسود الشمس منا يبض اوجهنا وكان حالهما في الحكم واحدة ونترك المداء لا ينفك من سفر لا أيغض العيس لكنى وقيت بها طردت من مصر أيديها بارجلها تبرى ثهن تعدام السدر مسرجة في غلمة أخطروا أرواحهم ورضوا تبدو ثنا كلما ألقدوا عمائمهم بيض العوارض، طعانون من لحقوا قد بلغوا بفتاهم فدوق طاقته في الجاهلية الا أن أنفسهم

لو احتكما من الدنيا الى حكم ما سار فى الفيم مناصار فى الادم قلبى من العزن أوجسمى من السقم حتى مرقن بنا من جوش والعلم تتارض الجدل المرخساة باللجم بما ثقين رضا الايسار بالزلم عمائم خلفت سودا ، يسلا لثم مسن الفوارس ، شسلالون للنعم وليس يبلغ مامنهم مسن الهمسم من طيبهس به فى الاشهر الحرم

4 4

ما زلت أضعك أبنى كلما نظرت الله من اختضبت أخفاقها بسلم
أسيرها بسين أصناع أشاهدها ولا أشاهد فيها عقسة الصناع
حتى رجعت وأقلامي قواشل لى المجمد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبنا بعد الكتاب بسه فانع غفلت فدائي قلة الفهسم
اسمعتني وشفائي ما أشرت بسه فان غفلت فدائي قلة الفهسم
من اقتفى بسوى الهندى حاجته نجنب كل سؤال عن قسل بلم
توهم القاوم أن المعجل قرينا وفي المتقرب ما يدعو الى التهم

4 4 4

هون على بصر ما شبق منظره فانسا يقظمات العبين كالعملم وقال في عضمه الدولة ، ويصنف شعب يوأن :

بمنزلة الربيع مسن الزمسان غريب الوجسه واليسد واللسسان

مغانی الشعب طبیا فی المقانسی ولکن الفتسی العربسی فیهسا

<sup>(</sup>١) يسخر من يخضبون إقدامهم بالعناء ٠

سليمان لسسار يترجمسان خشيت وان كرمن من العسران علاعب جنة ليو سيار فيهيا طبت فرسياننا والفييل حيتي

\* \* \*

على أعرافها منسل الجسمان وجنن من انضياء بما كفانسي دنانسيرا تفسر مسن البنسان باشريسة وقفن بسلا أوانسسي صليل الحلى في آيدى الغوانسي

غلونا تنفض الاغسان فيسه فبرت وقد حجين الشمس عنى والقى الشرق منها فسى ثيابى لها تمسر يشبي اليك منسه وأمواه تصل بها حصاها

s. .c.

يشيعنى الى النوبيات جان أجابته أغانى القيان اذا غنى وناح ، إلى البنان وموصوفاهما متباعات أعن هاذا يسار إلى الطعان وعلمكم مفارقة الجنان

متازل لم يسئل منها خيسال الذا غنى العمسام الورق قيسه ومن بالشعب أحوج من حمسام وقد يتقسارب الوصفسان جسال يقول بشعب بسوان حصائمي أبوكسم أدم سسن المعاصسي

- + +

القسم الثالث

جماعية مين الكتياب

## الجاحيظ

### أيو عثمان عمرو بن بحمر

# مولده ونشأته :

لم يتفق المؤرخون على السنة التي ولد فيها بل ان أكثرهم لم يذكر سنة مولده ، وذكر سنة وفاته ، وقائرا انه ثيف على السبعين ، وينفرد ياقوت بقوله ان المجاحظ حال : أنا أسن من آبى نواس بسنة ، ولدت في أول سنة - 10 هـ وولد في آخرها ، وذكر ياتوت تاريخين أخرين لمولد أبى نواس سنة ۵ ما هـ وسنة ٢٠٠١ هـ . .

الا أن الراجع من أقوال المؤرخيين والادباء أنه ولسه في السنوات المشر الاولى من النصف الثاني من القرن الناني ، أو حوالي سنة ١٥٦ هـ •

واسمه عمرو بن بحر بن معبوب ، كناتى ليثى ، نسبة الى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ـ وقالوا أنه كنان مولى أبى القلمس عمرو بن قلع الكنائى ثم الفضيسي وقيل أنه كنائى صليبة لا ولاء .

وكان جده أسودا يقال له فزارة ، كان جمالا لعمرو بن قلع الكنائي -

وقد ولد الجاحظ أسود اللون كأبائه ، جاحظ العينين ، لذلك لغب بالجاحظ لجعوظهما • كما لقب بالحدقي أيضا ، ولم يكن

الجاحظ مقرطا في الطول ، بل ربعة وقد تندر يقبع صورته فقال : ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رآني استبشع منظرى ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفت .

#### أدب الجاحيظ

#### ثقافة الجاحظ:

ربعا غلبت على ثقافته في مرحلة اقامته بالبصرة العربية من اللغة والشعر والعديث والتفسير • مع بعض الثقافات الكلامية المتأثرة بالفلسفة والمقليات مع أساتذته من المعتزلة • ويرجع شارل بللا قراءته لكتب اليونانيدين في المرحملة البغدادية (۱) •

### معرفة الفارسية :

ويرجح معرفته للفارسية وليس اجادته لها ، وقد واتته هذه المعرفة بحكم صلته بالوسط البغدادى في القرن الثالث ويفترض أن يكون هذا الوسط وخاصة طبقة الخاصة فيه واقعا تحت تأثير الفرس ، والثقافة الفارسية متداولة فيه ، ولا يبتعد أن تتداول بعض الالفاظ - ويقبول بللات : « أغلب الغلن ـ ولا مجال هنا للتأكيد ـ أن الجاحظ قد أشبع رغبته بمطالعة الكتب المترجمة

 <sup>(</sup>۱) یللات : « الوسط البصری وآثره فی تکوین الجاحظ » ، من ۱۱۵ • وراجع
 « الجاحظ عملم النقل » لشنیق جبری ، من ۲۳ •

عن الفارسية التي وصلت اليه • ولم تكن هذه عديدة ولكنها كافية لاعطائه معلومات عاملة على تاريخ الفرس يمكن افهامها بمعلومات شفهية لم يحسرمالجاحظ نفسه منها » •

## أساتيله:

قى اللغة والنحو: أبو عبيدة والاصمعي وأبو زيد الانصاري ، وأبو الحسن الاخفش وقى العديث أبو يوسف بن ابراهيم القاشي ويزيد بن هارون والسرى بن عبدوية والحاج ابن محمد بن حماد بن سلمة ، وشمامة بن وس الذي لازمه في بغداد ، وأخذ الكلام عن ابراهيم بن سيار النظام ،

## الجاحظ ورواية الشعر:

كان يروى عن رواة الشهد الكشيرين الذين يترددون على

<sup>(1) -</sup> تاريخ بقداد للخطيب البنداد ، ج ٦ ، حن ١٩٨

البصرة آنداك كما أخذ على علمائه الكبار الماصرين من امثال الاصمعى وأبى عبيدة - قال :

و من وقد أدركت المسجديين والمريديين ولن لم يرو أشعار المجانين ولسوص الاعراب ، والارجاز الاعرابية القصار ، وأشعار الميهود والاشعار المنصفة قانهم كانسوا لا يعدونه من الرواة ، ثم استبردوا ذلك كله ووقف واعلى قصمار العديث والقصائد ، والنقر والنتف من كل شيء ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الاحتف ، فما هو الا أن أورد عليهم خلف الاحمر نسيب الاعراب ، قصار زهدهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسيب الاعراب ، قصار زهدهم في سينات وما يروى عندهم نسيب الاعراب الاحدث السن قد ابتدا في طلب الشعر أو قتياني متغزل و وقد جلست الى آبي عبيدة والاصمعي ويحيى بن تجيم وابي مالك عمرو بن كركرة مع من جلست من رواة البندادين فما رايت أحدا منهم قعد الى شعر في النسيب فأنشده و وكأن خلف يجمع ذلك كله و

ولم أر غاية المتحدثين الا كل شعر فيه اعراب ، ولم ار غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج • ولم أر غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل • وريت عامتهم ـ وقد طالت مشاهدتى لهم ـ لا يقفون الا على الالفاظ المتميزة والمعانى المنتخبة وعلى الالفاظ العذبة وعنى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعانى التى اذا صارت في الصدور

عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت السان ياب البلاغة ودلت الاقلام على مواطن الالفاظ ، وأشأرت الى حسان المعانى ورآيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم ، وعنى السنة حداق الشعراء أظهر ، ولقد رأيت أبا عمرو الشيبائي يكتب أشعارا من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التخفذ والتذاكى وربما خيل الى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يتولوا شعرا جيدا لمكان أعراقهم من أولئك الأباء .

ولولا أن أكون عيابا ثم للعلماء خاصة لسورت لك في هذه الكتاب ما سمعت من أبى عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبى عبيسدة » (١) \*

وكان بين الجاحظ والاصمعي الراوية صلات كثيرة ، وربما وقف منه الاصمعي مواقف المعارضة والمغاشنة أحبانا

ذكر ياقوت (٢) : حدث أبو المنياء قال : قال الجاحظ كان الاصمعى منا - فقال له المباس بن ر شم : لا والله ، ولكن تذكر حين جلست اليه تسأله ، فجمله يأخذ فعله بيده ، وهي مخصوفة بحديد ويقول : نعم قناع القدري - فعلمت أنه يعنيك ه -

يريد الجاحظ أن يقول أن الاصمعى كان يأخذ بأراء المعتزلة ، ولكن صاحبه نقى ذلك وذكره بهجومه عليه فى مجلس معه ، وحملته على القدرية « المعتزلة » \*

<sup>(</sup>۱) - البيان والتبرين ۳/ ۲۲۹ – ۲۳۱

۱۹۱۱ معجمهم الادیساء ، حالاه ،

#### رحلاتيسه:

وكانت رحلاته ، مصدرا من مصادر معرفته وعلمه ، فقد سمافي آولا من البصرة الى يفداد وتردد بينهما كثيرا ، وسافر الى الشام ، وحل يدمشق ، وصحب بها الوزير الفتح بن خاقان ، تعدث عن جامع دمشق الكبير ، كما تعدث عن براغيث دمشق وربما ذهب الى أنطاكية ومصدى \*

## الجاحظ والاعتزال وعلم الكلام:

تتلمد الجاحظ في مدهب الاهتزال على النظام وتأثر به • وأعجب به ، وترى أثر الاعجاب باديا في مواضع كثيرة من كتبه • ولم يكن هذا الاعجاب مع ذلك داعيا لان يسلم الجاحظ لاستاذه بكل آرائه ، بل ، لقد وقف منه أحيانا موقف المناقشة والمحارضة •

ومن أمثلة ما جاء في كلام الجاحظ من اجلال وتعظيم للنظام قوله: « الاوائل يقولون: في كل ألف سنة رجل لا نظير له ، فان كان ذلك صحيحا ، فهو أبو اسحاق النظام » وقال مسرة أخرى: « ما رأيت أحدا أعلم بالكلام والفقه من النظام » \*

وذكر تأثيره في الاعتزال وجماعة المعتزلة فقال : « أنهج أهم سبلا وفتق لهم أمورا واختصر لهم أبوابا ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة » •

وقال في معرض نقده أحيانا :

و كان ابراهيم مأمون اللسان ، قليل الزلل والزيغ في باب

السعدى والكذب ولم أزعم أنه قليل الزيغ ، على أن ذلك قد كان يكون منه وان كان قليلا ، بل انما قلت على مثل قولك : فلان قليل الحيام ، وأنت لست تريد حيام البئة » •

وانها عييه الذي لا يفارقه سبوء ظنيه وجبودة قياسه على المارض والخاطر السابق البدى لا يوثق بمثله ، فلو كان ببدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الاصل الذي قاس عليه ، كان آمره على الخلاص ، ولكنه كان يظن الظن ، شم يقيس عليه ، وينسى أن بدء أمره كان ظنا ، فاذا أتفق ذلك أيقن ، جزم عليه ، وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحبة معناه ولكنه كان لا يقول : سبعت ، ولا رأيت وكان كلامه أذا خرج مغرج الشهادة القاطعة لم يشك السامع أنه انما حكى ذلك عن سماع قد أمتحنه ، أو هن مهايئة قد بهرته »

وانفرد النظام بآراء خاصة في اعتزال تبعه فيها جماعة من تلاميذه واتباعه عرفوا بالنظامية • وهي فرقة من المعتزلة كما يذكر الشهرستائي •

وكان أهم ما يأخذ به النظام نفسه في علمه العقل والقياس -وكان كثير الشك والسخرية بأصحاب الحديث والاثر من المفسرين • كان يقول لاصحابه :

و لا تسترسلوا اليكثير من المفسرين ، وان نصبوا أنفسهم للعامية ، وأجابوا في كل مسألة فان كثيراً منهم يقول بغير دراية ،

على غير أساس ، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب أليهث وليكن عندكم عكرمة والكلبي ، والسدى ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الاصم في سبيل واحدة • فكيف أثق بتفسير ، وأسكن الى صوابهم وقد قالوا في قوله عن وجل ه وان المساجد ش ، ان الله عز وجل لم يمن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها ، بل انما عني ألنياة وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وأنف وثغنة • وقالوا في قوله تمالى : « أفلا ينظرون الى الأبل وأنف خلقت » أنه ليست الجمال والنوق ، وأنما يعني السحاب » •

وكان يأخذ في منهجه الفكري بالشك أولا ثم يبحث منه عن المحقيقة حتى يصل اليها ومن أقواله: « الشاك أقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ، ولم ينتقل أحد من اعتقاد الى غيره حتى يكون بينهما حال شك » •

واهتم النظام بعلوم الفلسفة والكلام ، وعلــوم الطبيعة ، وتأثر قيما يبدو بارسطو ومنهجه العقلي \*

وانتقلت آراء النظام الى تلميذه الجاحظ، فأمن بالعقل ، ولم يسلم الى المفسرين ، بل عاداهم كثيرا وسفه آرائهم ، كما عارض اللغويين الذين بأخذون بظاهر النص ولا يتعمقون ورأء المعنى \*

ويرى الجاحظ أنه لولا المتكلمين والمعتزلة خاصة ، نضسل الناس ، وأن المالم الذي يتصدى لامور المقيدة ينبنى أن يلسم

بملوم العقل والطبيعة حتى تتسع مدارك • يقدول (١) : « ولا يكون المتكلم جامعا لاقطار الكلام متمكنا في الصياغية ، يملح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة • والعائم عندنا هو الذي يجمعها » •

وأتم الجاحظ ثقافته بالاطلاع على كثير من الكتب التى وقعت له ، وكان رجلا طلعمه لا يكف عن القسراءة وكان معاصروه يعرفون فيه هذا الشغف الشديد بالكتاب قال أبو هفان : « ولم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فأنه لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائنا ما كان ، حتى أنه كان يكترى دكاكين الوراقين و يبيت فيها للنظر و

وقد وقف على كثب النفسنة والتابيعة ، قسراً كتاب المنطق عصره ، وقرأ في كتب الفلسنة والتابيعة ، قسراً كتاب المنطق الارسطو طاليس ويعض كتب أقليدس ، وكثيرا مما ترجمه السريان أو القوة في هذا المجال ، وقد نقل عن ما سرجويه وأفليمون وحنين ابن اسحاق وتتبع الدكتور العاجرى نقول الجاحظ في كتاب الحيدوان ،

وأحب الكتاب حيا بدا في مواضع كثيرة من مؤلفاته ، ومنها قوله في كتاب الحيوان : « والكتاب نعم النخس والعمدة ، ونعم الجليس والعدة ، ونعم النشرة والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ،

۱۳٤/۲ ، کتاب المديوان ، ۱۳٤/۲ -

و نعم الانيس لساعة الوحدة - و نعم المعرفة ببلاد الغربة - والكتاب وعاء مليء علما وظرف خشى ظرفا (١) » -

ووقف الجاحظ على ثقافات بعض الامم التى خالطت الفكر المربى في عصره • كالفارسية واليونانية • وكان يقول : ان الامم التي فيها الاخلاق والآداب والحكم والعلم أربع هي : المعرب ، والهند ، وفارس ، والروم ـ يمنى اليونان •

ويرى أن المعرب تفضلها جميعا في البيان « لانهم أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسسام تأليف كلامها أكثر ، والامثال التي ضعربت فيها أجود وأسسير ، والبديهة مقصمورة عليها، والارتجال والاقتضاب خاص بها » •

وكتب الجاحظ ورسائله العديدة دليل على ثقافته الواسعة المتعددة ، المصادر وهي حافلة بمعارفه الكثيرة الواسعة ، وتنسم رسالته و التربيع والتدوير » عن قدرته على الخوض في مواضيع شتى ، وتعطينا برهانا على مدى اتساع معارفه (٢) -

موقف الجاحظ من الاتجاهات الاجتماعية والمذاهب الدينية في عصده:

## موقفه من الشعوبية:

يقول: « واعلم أنك لم تن قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية

<sup>(1)</sup> العيوان ، ج 1 •

<sup>(</sup>٢) شارل بثلاث : بيئة البصرة وأثرها في الجاحظ ، ص ١١١/١١٠ -

ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكا لعرضه ، ولا أطول نعبها ، ولا أقل عنما من أهل هذه النحلة • وقد شفى الصدور منهم طول چثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنان في قلوبهم وغليان تلك المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطرمة » •

وألف الجامط بعض كتبه يرد على الشعوبية والطاعنين على العرب ، وأولها كتاب و البيان والتبيين » لان البيان خاصة العرب والمينة التي عرفوا بها ونزل بها كتاب الله في لغتهم ليكون بيانا للناس هاديا لهم \* ويقول في الجزء الثاني من البيان والتبيين :

« آردنا ما أبقاك الله ما أن نبتدى مدر هذا الجزء الثانى من البيان والتبيين بالرد على الشموبية وطعنهم على خطباء العرب وملوكهم ، اذ وصلوا ايمانهم بالمخاطر ،واعتمدوا على وجه الارض بأطراف القسى والعصى ••• » •

كذلك قان كتاب البغلاء أراد أن يسغر فيه من البغل والبغلاء لانه ضد الكرم طبيعة المرب ومفاخرهم • وصدر كتابه هذا برسالة لسهل بن هارون ، فيها التمدح بالبغل وذم الكرم • وأخذ على بعض الموالى ومن جاراهم ممن يدينون بالشعوبية اتصاف أهل قارس بالبغل وخاصة أهل خراسان ، بل أنه خصص للشعوبية كتابا أشار البه في و البخلاء » • يقول :

و ١٠٠٠ و هذا الباب يكثر ويطول ٠ وقيمما ذكرنا دليل على

ما قصدنا اليه من تصنيف المعالات - فان أردته مجموعا فاطلبه في كتاب و الشعوبية » ، فانه هنالك مستقصى » (1) -

ووقف من بعض اتجاهات عصره موقف المداء والسخرية ، كموقف من الجهسية والمشبهسة وأصحباب الطاهس ، والمفسرين والمحدثين ، والذين يروون الاخبار ويفسرون بعض آى القرآن بني علم ولا تمقل .

يقول في تفسير قوله تمالى : « وان من المعجارة لمما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله » •

فذهب الجهمية (أتباع جهم بن صفوان) ومن أنكر ابجاد الطبائع مذهبا، وذهب ابن حائط ومن لف لفه من أصحاب الجهالات، مذهبا، وذهب ناس من غير المتكلمين، واتبعوا ظاهر اللحديث، وظاهر الاشعار، وزععوا أن الحجارة كانت تعقل، وتنطق، وانما سلبت المنطق فقط - قاما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه -

قالوا: والوطواط، والقرد، والضفدع مطيعات ومثابات، والعقرب والحية والحدآة والغراب والوزع والكلب، وأشباء ذلك عاصيات معاقبات •

<sup>(</sup>۱) راجح كتاب و الجاحظ و ، سياته وإثاره • للدكتور مله الحاجري ، ص ٣٠٠ •

ولم أقف على وأحد منهم فأقول له : « أن الوزعة التي تقتلها على أنها تضرم المنار على ابراهيم أهى هذه أم هي أو لادها ؟ فمأخوذة هي يدنب غيرها ؟ \* أم تزعم أنه في المعلوم أن تكون تلك الوزع لا تلد ولا تبيض الا من يدين بدينها ويذهب مذهبها ؟ \*

وليس هؤلاء معن يفهم تأويل الاحاديث ، وأي ضرب منها يكون مردودا وأي ضرب منها يكون مردودا وأي ضرب منها يقال: ان ذلك اثما هو حكاية عن بعض القبائل • ولذلك أقول : لولا مكان المتكلمين لهلكت العبوام ، واختطفت واسترقت ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون » (1) •

وقد ضايق هذا الموقف جماعة المحدثين ، واثمة أهل السنة فوقفوا من الجاحظ موقف المداء ، والهجوم واتهموه بالمروق لانه يعبث بالحديث وأصحابه ، ولانه يأخذ بالمعثل والفلسفة والرأى وهو منهج يخالف مناهجهم يقدول أبن قتيبة المقيه وعالم أهل السنة المعاهر له · ( توفى سنة ٢٦٧ ه. ) : « وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والببث ، يريد بذلك استمالة الاحداث وشراب النبيذ ، ويستهزىء من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم وهو مع هدا من آكذب الاسة وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل » (٢) .

 $<sup>^{*}</sup>$  الحيران ، ٤/٧/٤  $\pm$  ٢٨٩  $^{*}$ 

<sup>(</sup>٢) - تأويل مغتبث الحديث ، ص ٧٢ -

### موقفية من الزنادقية:

قال الجاحظ: « والزنادقة لم تكن قط آمة ، ولا كان لها ملك مملكة ، ولم تزل بين مقتول وهارب ومنافق » •

وهو يعنى أن الزندقة شيع متقرقة من الناس لا تجمعهم على كلمة واحدة ، ولا أمة واحدة كالامة الاسلامية ، وأنهم لخروجهم عن حدود الدين ومعارضتهم لامور الشريعة وقواعدها ، ولتهجمهم على مقدسات العقيدة يحاربون وينبذون ويعاقبون بالقتال والمطاردة -

وقد تعقب الجاحظ الزنادة والملحدين تعقبه للخارجين المارقين ، وجادل المفكرين منهم أو أصحاب الزندقة الفكرية ، لانه من المعتزلة الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عن هذا الدين الاسلامي وعن عقيدة الاسلام وعن الكتاب القرآن الكريم بالرأى والحجة •

وتتبع الزنادقة من الادباء والشعراء ، وحمل عليهم وأزرى بهم ، سواء من تزندق منهم زندقة فكرية أو كان في زندقته خارجا عن قراعد المجتمع وعرف العياة الاسلامية وأصول الدين - ومن بان من عرض لهم في مؤلفاته من شعرائهم حماد عجسرد ، ذكس أبياتا له في هجاء عمارة بن حربية يقول فيها :

او کنت ژندیشا عصار حبوتنی او کنت عندک او تراک عرفتنی او کابن ضعاد ربیشة دینسکم

او گئٹ آعبد غیر رپ معمد کائنشر او القیت کابن المقعد حیل وما حیل الفیوی بمرشد كنني وحدت لربى مغلصا فبفوتنى ينفسا لكل موحده وحبوت من زعم السماء تكونت والارض خالقها لها لمم يمهد والنسم مشال الزرع أن حصاده منه الحصيد ومنه ما لم يحصد

قال الجاحظ: « وحماد أشهر بالزندقة من عمارة بن حربية الذي هجاه بهذه الابيات وأما قوله: وحبوت من زعم السماء تكونت البيث • فليس يقول آحد أن الفلك بما فيه من التدبير تكون بنفسه ومن نفسه » •

ويذكر أبيات أبي تواس في هجاء أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، والتي يقول فيها :

لا تر در أيــــان جالست يومسا أبائسا الامسير بالتهسير وان وتعسن خيسس رواق اولى دنــــت **لاوان** حتى اذا ما صبلاة الـ فتال : كيف شــــهاتم تعايسسن العينسسمان لا أشبهك الدهبس حتى فقال سبعسان مائسي ققلت : سبعيان ريسسي قتال مسن شسيطان فقلت: عيسسى رسسول الهيميس المسان فقلت : موسى كليسم فقمال : ربسسك فو مقلب سة اذن ولسمسسان أم منن ؟ فقمنت مكناتي فنقسيه خلتنييه بالكفيس بالرحمسمن عن كافسس يتسسسري

بقول الجاحظ: « وتعجبنى من أبى نواس ، وقد كان جالس المتكلمين أشد من شعببى من حماد حين يعكى عن قوم من هؤلام قولا لا يقوله أحد ، وهذه قرة عين المهجو ، والذي يقول سبحان

مانى يعظم آمر عيسى تعظيما شديدا ، فكيف يقول آنه من قبيل شيطان • وأما قوله : فنفسه خلقته أم من ؟ قان هذه المسألة نجدها ظاهرة على السن للعوام • والمتكلمون لا يحكمون هذا عن أحد •

وعاد الجاحظ في موضع آخر فاتهم أبا نواس بالخروج والكفر عندما عرض لقوله:

یا احمل المرتجی فی کل نائب آ قم سیدی نعص جیار السماوات قال : هذا البیت مع کفره مقیت جدا • وکان یکش فی هذا البساب •

وقد تحدث عن الزنادقة في أكثر من مرضع بكتابه والحيوان، وذكر عجيب اعتقادهم وفرقهم -

#### كتبسه:

وهرف الجاحظ بكثرة تأليفه ، فقد نقل أنه ألف كثيرا من الكتب ، وذكر جماعة من المؤرخين قوائم لمؤلفاته ، يختلط بها ما ليس له ، وقد يسقط منها بعض ما ألف وتردد ذكره في مصادر مختلفة ، ككتابه في الشعوبية الذي لم يذكره ياقوت في قائمة كتبه مع أنه جمع له عددا واقرا من الكتب والرسائل -

وأشهر قائمتين لمؤلفاته في كتابي و الفهرست » لأبن النديم و معجم الادبماء » لياقوت العموى -

و تشر ودرس عدد كبير منها في مقدمتها :

1 ـ كتاب العيوان في ٧ أجزاء بتحقيق عبد السلام هارون •

- ٢ ــ كتاب البخلاء بتحقيق الدكتور محمد طه العاجرى •
- ٣ ـ كتاب البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون ٠
- ع مجموعات من رسائله ثم تحقیقها اکثر من مرد وجمع
   مجموعة منها عبد السلام هارون ، في جزئين ، وأشهرها :

رسالة (العثمانية)، و (مناقب الثرك)، و (قند السودان) و (رسالة في القيان) و (التربيع والتدوير) و (وحجج النبرة) و (المعادو المعاش) و (الجد والهزل) و (المتول في البنال) و (التبصر بالتجارة) و (طبقات المناين) (۱) م

وهناك بعض الكتب الهامة التي فقدت وآشار اليها هو في
مؤلفاته ككتاب « نظم القرآن » ، أو أشار اليها بعض العلماء مثل
رسالته في مدح مصر التي أشار اليهما القلقشندي في « صبح
الاعشى » •

ونسبت بعض الكتب اليه خطأ مثل كتاب (التاج وكتاب (المحاسن والاضداد) وكتب الجاحظ تؤلف موسوعة علم ووثائن للحياة الاجتماعية والفكرية في عصره \* ففي كتاب « البيان والتبيين » تجد الرسالة الشهرة التي بعث بها عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعرى، كذلك يعوى قائمة بأسماء النساك والقصاص الاوائيل \*

۱۱) نشر مجلة المنتقد، مجلد ۲ ، به ۱۰

<sup>(</sup>١) طبع بعناية (حمد زكى باشا ٠

<sup>(</sup>٣) طبع بتعقيق المستشرق فان فلوتن في لندن سنة ١٨٩٧ م ٠

ويقيدنا كتاب « الحيوان » يأوسع المطومات التي افاد منها المستشرقون أحيانا عن بعض الفرق الدينية والمداهب كالزنادقة والدهريين -

ويقول شارل بللات (٤): ويمكننا كتاب البغلاء من النقاط مظاهد الفعالية الاجتماعية فسى البدرة بسرعة ، ومشاهده برجوازية المال فيها » -

ونسطيع كذلك عن كتبه أن نلم بكثير من الممارف عن حياة المجاحظ وفكره ، فهو يتجلى فيما يكتب ، فنكاد تنطق كلماته بروحه وتبدى سطوره رسم شخصه •

ونهج في تأليقه نهجا مغايرا لنهج معاصريه ، قمال بكتبه ورسائله الى الوضوح والبساطة والصدق ، وكان يأخذ على بعض علماء عمره التمقيد في كتبهم ، فقد ذكر في كتاب الحيوان أنه سأل أيا الحسن الاخقش العالم النعوى :

أنت أملم الناس بالنحو ، فلماذا لا تجمل كتبك مفهرمة كلها ؟ وما بالك تقدم يعضى الخويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ •

قال \_ أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله \* وليست هي من كتب الدين \* ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه قلت حاجاتهم

<sup>(</sup>٤) البصرة وحياة الجاحظ ، من ١٦ -

الى فيها - وانما كانت غايتى المنالة - وأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس ما لم يفهموا - وأنا قد كسبت فى هذا المتدبير أذ كنت إلى التكسب ذهبت - ولكن ما بال أبراهيم النظام وقلان وقلان يكتبون الكتب شرعمهم ، ثم يأخذها مثلى فى موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ولا يفهم أكثرها (1) -

ولكن الجاحظ اختلف عن هزلاء ولعله كان و اول من اتخذ التأليف صناعة له يبرز بها نفسه ، ويظهر فيها مواهبه ، ويستجيب بها لنزوعه الفنى و ومن ذلك جاء الكتاب الجاحظي نعطا جديدا في التأليف يجمع بين بسط العبارة وجمالها ، ويتجه الى جمهرة القراء على اختلاف قواهم ومداركهم لا الى طائفة خاصة دنهم (٢) و فهو عامى خاصى » يقول في صفة الكتاب :

« وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى افهام ممانيه ، حتى الا يحتاج السامع لما فيه من الروية " ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ، ويحطه عن غريب الاعراب ووحشى الكلام ، وليس له أن يهذبه جسدا " وينقحه ، ويعمقيه ويروقه ، حتى لا ينطق الا بلب اللب وباللفظ الذى حذف فضوله وأسقطت زوائده ، حتى عاد خالصا لا شوب فيه ، فانه فعل ذلك لم يفهم عنه الا بأن يجدد لهم أفهاما مرارا وتكرارا ، لان الناس كلهم قد تعودا الميسوط من الكلام ، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها » •

۱۱ الحيران ۱/۱۹ ـ ۱۲ ٠

<sup>(</sup>٢) - الجاحظ للعاجري ، من ١٨٠ -

وذكر أبو حيان التوحيدى الجاحظ وكتبه ورسائله م ونقل عن أحد علماء عصره صفته لها يقوله : و وكتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مثمرة » \*

وقال عنه : و جمع بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأى والادب ، وبين الذكاء والفهم ، طال عسره ، وفشت حكمته ، وظهرت خلته ، ووطيء الرجال عقبه وتهادوا آدب ، وافتخروا بالانتساب اليه ، ونجعوا بالاقتداء به ، لقد أوتى الحكمة وفصل الخطاب » .

وقال أبو حيان: « قلت لابى محمد الاندلسى ـ يعنى عبد الله ابه حمود الزيدى، وكان من عدد أصحاب السيرافى: قلت اختلفت أصحابنا فى مجلس أبى سعيد السيرافى فى بلاغة الجاحظ وأبى حنيفة الدينورى صاحب النبات ووقع الرضا بحكمك ، فما قولك ؟ •

فقال \_ أنا أحقر نفسى عن الحكم لهما وعليهما \* فقبل لــه \_ لابد من قبول \*

قال ـ أبو حنيفة أكثر ندارة ، وأبو عثمان أكثر حسلاوة · ومعانى أبي عثمان لائقة بالنفس سهلة في السمع · ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب وأدخل في أساليب العرب ·

قال آبو حيان : و والذي أقول واعتقد وآخذ به أنى لم أجد في جميع من تقدم و تأخر ثلاثة لو اجتمع الثقالان على تفريطهم و تشر فضائلهم لما يلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم (حدهما هذا الشيخ أى أبو عثمان عمرو بن بعصر ، والثاني أبو حنيقة الدينوري والثالث أبو زيد أحمد بن سهل البلخي \*

ولو تناصرت البنا أخبارهما .. يعنى أبا حنيفة الدينورى وأبا زيد البلغى .. لكنا تعب أن نفرد لكل واحد منهما تقريظا مقصورا عليه ، وكتابا منسوبا اليه كما فعلت بأبى عثمان » -

وكان الجاحظ يعمد في كتبه الى مزج الفكاعة بالجد ، فيخرج بالقارىء من ملل الى انتماش ، وهو يسوق اليه النادرة في طي الكلام لرفه عنه ، ويجدد نشاطه ويبعث العياة من جديد في ذهنه \*

ولا يتعنف الجاحظ عن ايراد نوادره بأساليب العامة ملعونة أحيانا ، يرويها كما هي كما قيلت دون أن يصرفها بالقصحي وذلك أطرى بالنادرة وأملح وقما في النفوس عنده "

وتمتاز كتبه كذلك بتنوع الموضوع والاستطراد والغروج من معنى الى آخر في كثير من التشويق والامتاع وان بدا في نظر بعض المعاصرين تشعيثا في الافكار واضطرابا في النهج "

وقد يكون هذا الاختلاط الذى دخل الى بعض كتبه كالعيوان أو البيان والتبيين راجعا الى اشتداد العلة عليه مما لم يمكنه من التنسيق وضم القصول بعضها الى بعض كما أشار هو بنفسه \* لكن كتبه ورسائله على أية حال رياض للتقوس ، وواحات

للمقول تستجم بها وتتزود بعديد من الممارف • وفيها رياضة للفكر قيما يشغل بال الناس في عصره من قضايا سياسية وعقدية ودينية أو اجتماعية أو أدبية •

يقول عنه شارل بللات: وانه ليس هناك كاتب معاصر أو لاحق يشبه الجاحظ » ويقول ، وقد ظهر الجاحظ كمجدد حقيقى يجيد استعمال اللغة بمهارة فائقة ، يجمع على ذلك أصدقاؤه وخصومه ، ويقول عنه المسعودى : و وكتب الجاحظ تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان اذا تخوف مثل القارىء وسأمه السامع، خرج من جد الى هزل ، ومن حكمة بليغة الى نادرة طريفة » (۱) ،

## استسلوبه :

وللجاحظ في كتبه أسلوب امتساز بسه وعرف بين معاصريه ولاحقيه ، فيه السهولة والوضوح ، والأبتمساد عن التعقيد في المعاني وحوشي اللقسة • لا يعمد إلى التقعر أو التباهي بالمعرفة • وأكسب كلامه ضروبا من التلوين المعنوى واللفظي •

قهو يعمد الى خاصية المزج بين الجد والهزل ، والى الاستطراء من موضوع الى آخر ، ، معتمدا على تداعى المعانى والافكار ، او تواصل الموضوعات ، ويزاوج القول في التعبير عن المعنى الواحد

<sup>(</sup>۱) المبصرة وتكوين الجاحظ ، ص ٣ ــ وراجع مروج الذهب ٢٤/٨ .

قيورده مرددا مزاوجا أو ملونا بلون من الصياغة فيه ايتاع موسيقى تطول فيه الفقرات وتعصر توارد المانى ، واتصالها أو انقصالها \*

ولا يميل الى السجع الرتيب ، لكنه مع ذلك يوفس لفقراته ضربا من الموسيقي تأتيه طواعية دون تكلف ·

وقد يبدو في تلك المزاوجة مسرفا في القول ومطنبا أو لا يقصد المعني مباشرة بل يدور حوله ، مما قد يسمه بعدم الدقة ، مع كونه آخذا منهج أصحاب الفلسفة والمنطق ، لكنه أديب لا يكتفى بأن تؤدى العبارة المعنى وحسب ، بل لابد من الايفاع في الاداء ، ولهذا فهو يحب التعبير المشرق الجميل وان بدا مطيلا أو غير دقيق في أداء معانيه .

وبالرغم من هذا كله فانه بيراً مما يعيب بعض أساليب كتاب العربية، وهورغم ما يضمن كتبه ورسائله منقضايا عقلية، وجدل منطقى ، وتعقب لبعض الافكار العلمية الجافة قانمه لا يعدم الطلاوة والتشويق بما أشرنا اليه من عناصر تشد القارىء أو السامع .

وهكذا نجح الجاحظ قسى أن يعتفظ باهتمام قرائه الى حد يجعل جميع كتبه ورسائله تقرأ بلنة على الرغم من التكراو، وفقدان النهج المنطقي، وعسدم تسلسل الافكار، وكشرة الاستطرادات التي تعطى أسلوبه طابعه وطعمه الخاصين. وان هذا الاسلوب الذي يبدو في ظاهره بسيطا سهلا مرسلا طلقا ، يخفي في طياته كشيرا من القضايا الغامضية والافكار المتجددة التي تستمد مادتها من الدين "

# أهم موضوعات كتبسه:

## القضايا والجوائب الاجتماعية:

ولعل اهتمامه بقضایا المجتمع فی عصره دعا بعض المستشرقین الالمان الی مقارنته یفولتیر Voltaire (لکاتب الفرنسی الاجتماعی المشهور ، کما یمکن مقارنته بالکتاب الانسانیین Humanistes ، بل لطفه یستحق اکثر من أی کاتب عربی قدیم آخر هذا اللقب (۱) » •

وتناول بعض الباحثين في أدب الجاحظ هذا الجانب في دراساتهم أمثال شارل بللات في كتابه و بيئة البصرة وأثرها في تكوين الجاحظ » (٢) والدكتورة وديمة طه النجم في كتاب : والجاحظ والحاضرة العباسية » (٣) •

ويعرض الجاحظ في كتبه لكثير من قضايا المجتمع ، ومنها المخلافات السياسية بين المداهب والفرق المختلفة ، مثل ما يدور في رسالة و المثمانية » ، فيتعرض لوجوه المخالف بين العلوية والعثمانية وأقوال كل منهم ورد الطرف الاخر عليها - ولكنت

<sup>(</sup>۱) يللات، س ه٠

<sup>(</sup>٢) نشر عدا الكتاب يفرنسا ، ياريس -

<sup>(</sup>٣) - الجاحظ والعاشرة العباسية ، طبع بنداد سنة ١٩٦٥ •

يميل ميلا واضحاً على العلوية ، ويفند الفضائل التي ينسبونها الى الامام على رضي الله عنه -

ورسالة بنى أمية (١) ، وهى تمثل صورة من الجدل السياسي والمنهبي الذي كان سائدا في عصره بين المعتزلة وأهل الحديث حول الحكم على معاوية وبنى أسية ، فأهل الحديث يتأثمون ويتحرجون ويرون النوقف في الحكم ، وأما جمهور المعتزلة فيعلنون التبرأ منه ويمثل الجاحظ في هذه الرسالة رأى المعتزلة الذي أخذ به المأمون في عصره والذي قال الطبري أنه أمر مناديا فنادي : و برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله عليه وسلم »

وارتبط المحدثون بالدفاع عن معاوية ، وبذلك كانت قضية من مسائل الخلاف الرئيسية بينهم وبين المعتزلة -

والرسالة الثالثة في هذا الموضوع « امامة بنى العباس » (٢) وتدعو الى اثبات حق العباسيين في الخلافة من ناحية الوراثة ، ومناقشة الآراء المختلفة التي كانت تثيرها هذه المسألة (٢) .

وتأتى بعد ذلك مجموعة من الرسائل تترى في الامامة ، ووجوبها ومن يستحقها (٤) والامامة عند الشيمة ، والرافضة والزيدية •

<sup>(</sup>١) من مجموعة رسائل الجاحظ للسندويي ، ص ٢٩٢ -

<sup>(</sup>٢) بقيت منه قطعة في مجدوع رسائل الجاحظ للسندويي ، ص ٢٠٠ - ٣٠٣ ،

<sup>(</sup>۲) الجاحظ للدكتور العاجرى ، ص ۱۹۴ \*

<sup>(1)</sup> في مجموع مختارات فصول المجاحظ رسالة بعنوان « استحقاق الاساسة » ص ۲۵۰ ـ المتحد المريطاني ٠

وتظهر بعض جوانب التعصب القبل والعرقى في انتاجه ، كالمراع يسين القحطانية والعدنانية يقلول في أخر كتابه « النابتة »: « وقد كتبت مد الله في عمرك \_ كتبا في مفاخرة قحطان وفي تفضيل عدنان ، وفي رد الموالي الي مكانهم في الفضل والنقص ٠٠ » •

وقال مرة أخرى في مقدمة الحيوان: و ٠٠٠ وعبتني بكتاب المعطانية ، وكتاب المعنانية في الرد على القعطانية » و وذكرت أنى تجاوزت فيه حد الحمية الى حدد العصبية وأنى لم أصل الى تفضيل المدنانية الا بتقصى القعطانية (١) » ٠

ويعرض لمشكلة الصراع بين الموالى والعرب في كتاب آخسر أشار اليه أكثر من مرة هو « العرب والمواني » يقسول في مقدمة الحيوان كذلك : « وعبتنى يكتاب المرب والموالي ، وزعمت أنى بخست الموالي حقوقهم ، كما أنى أعطيت العرب ما ليس لهم (٢) » \*

ويعرض لبعض الاقوال في هذه القضية التي قال فيها الشعوبية كثيرا، وتعاملوا على العرب وفضلوا الفرس خاصة ومنها ما قاله في مواضع من كتاب « النابتية » : « وقد نجمت عن الموال ناجمة ونبتت منهم نابتة تزعم أن المولى بولائه قد صار

<sup>(</sup>١) راجع الجاحظ لطبه العاجري ، ص ٢٣١ -

 <sup>/</sup>۲۲ \_ ۲۲۱ \_ ۲۲۲ ، من ۲۲۱ \_ ۲۲۲ .

عربياً ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : ( منولى القوم منهم ) ولقوله : ( الولاء لحمة كلحمة النسب ، لا يباع ولا يوهب ) •

وذكر ابن عبد ربه في المقد جرءا من الكتاب في كتاب و الشيمية في النسب وفضائل العرب » وجزءا آخر في كتاب و المياقوتة الثانية في الالحان واختلاف الناس فيه » ويبدو من كلام ابن عبد ربه آن الجاحظ تكلم عن بعض شعراء الموالي مثل أبي تواس وقرظ شعره وأحسن الاختيار منه و قال فيه : « ومن الموالي العسن بن هانيء ، وهو من أقدر الناس على الشعر وأطبعهم في المعربية متعصبين صدر الدولة العباسية وطوال أيام المأمون كانوا شعوبية متعصبين صدر الدولة العباسية وطوال أيام المأمون يدأوا في التخفيف من حدة هذه العصبية ضحد العرب ، وبدأوا يغامرون بالولاء للعصرب كذلك فسان المنتصرين للدرب بدءوا يهدئون من غلوائهم في الهجوم ، لسيطرة القرس على الدولة وخاصة في عصر المأمون والوائق و

واذا كان سهل بن هارون خازن بيت العكمة للمأمون زعيم الشموبية في عصره ، وألف كتبا كثيرة في التعصب للفرس ضد العرب (1) فان العرب وجدوا من الباحظ وابن قتيبة من يتصدى للرد على هؤلاء • وقد افتتح الجاحظ كتاب البخلاء برسالة سهل بن هارون هذا • وتولى في الكتاب كله الرد عليها •

 <sup>(</sup>۱) يللات . صن ۳۱۲ ، وراجع جولد تسهى : المقائد والثنيعة في الاسسلام ۱۹۲/۱ .

وقريب مع هذه القضية العرفية أو فيما يدور حولها من موضوعات الاجتاس ومواقفها في المجتمع الاسلامي في ذلك تجري بعض رسائله مثل و كتاب الصرحاء والهجناء » (١) و = فخر السودان على البيضان » \*

ويذكر السودان في كتابه الاول على أساس أنهم « السمر ه ويدكر السوري في مقابلة الحسران وهم العجم من روم وصقالية وقرس وخراسانية • ويذكر ما يقال في ذلك آيامه من مثل سائر هو : ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر ، أي المربى والعجمى ، ويكرره المبسرد •

وفي الكتاب الثاني يعنى بالسودان الزنج من أهل النوبة والحبشة ومن اليهم وهو السودان الاصليون ويضاف اليهم أهل الهتد والسند وسكان جزائر البحر الجنوبي ( يعر العرب والمحيط الهندي ) •

وقد كان للسودان آدوار فعالة في التاريخ الاسلامي - تبدأ في يوم حنين حين قبل للنبي صلى الله عليه وسلم : هل لك في جيش بني المعيزة تستعين بهم ؟ فرفض الرسول هذا العرض - ثم كانت ثورتهم بالمدينة آيام أبي جعفر المنصور ، اضطروا واليه عليها الى القرار ، وما زالت عناصر السودان تعسل حتى بلغت ثورتهم الكبرى في القرن الثالث ، واستشعار الجاحظ لقوتهم في مجتمع

<sup>(</sup>١) راجع كتاب الجاحظ للدكتور العاجرى ، س ٢٤٠ •

اليصرة وخطورتهم أنذاك مما حفزه على كتابة هذه الرسالة • وقد كان للسودان كما كان لغيرهم من العصبيات والطوائف شعراء ذكر بعضهم الجاحظ في هذه الرسالة ، ويذكر منهم كبار الرجال ومشاهير الامة ممن قاموا بادوار هامة في الجاهلية والإسلام أمثال عنترة بن شداد ، وسليك بن السلكة وبلال بن رباح مؤذن الرسول وأخيه وعمار بن ياسر وآل ياسر الذين لاقوا من المذاب أشده في سبيل رسالة الإسلام أول أمره • ومنهم كذلك سعيد بن جيبر ، وهو من هو في صدق الايمان وصفاء البصيرة وقدة العزيمة وعمامير بن الحباب ، والحجاف بن حكيم وقد أقاما الدولة الاموية وأقعداها • الى غير هؤلاء من أبطال الحرب ورجال الدين والملم • ويقول في هذه الرسالة (١) :

و الناس مجمعون على أنه ليس في الارض أسة السخاء
 فيها أعم • وعليها أغلب من الزنج • وهاتان الخلتان لم توجدا
 قط الا في كريم \*

وهى أطبع الخلق عسلى الرقص الموقع المسوزون ، والضرب بالطبل على الايقاع الموزون ، من غير تأديب ولا تعليم \*

وليس في الارض أحسن حلوقا منهم ، وليس في الارض لغة أخف على اللسان من لغتهم ولا في الارض قوم أذرب ألسنة ، ولا أقل تمطيطا منهم \*

<sup>(</sup>١) رسائل الجاحظ ، ملبع عبد السلام هارون به ١ ، ص ١٩٥ -

وليس في الارض قسوم ألا وأنت تمييب منهم الارت (١) ، والفاقاء ، والمعين ، ومن في لسانه حبسة ، غيرهم •

والرجل منهم يخطب عند الملك بالزندج من لدن طلوع الشمس الى غروبها ، فلا يستعين بالتفاته ولا بسكته حتى يقرغ من كلامه -

وليس في الارض أمـة في شدة الايدان وقوة الاسر أعم منهم فيهما - وان الرجل ليرفع العجر الثقيل الذي تعجز عنه الجماعة من الاعراب وغيرهم - وهم شجعان أشداد الابدان ، أسـخياء - وهذه خصال هي الشرف » -

ويقول عنهم في الرسالة نفسها في موضع آخر :

و قالوا : وثلاثة أشياء جاءتكم من قبلنا ، منها الغالية ، وهي أطيب الطيب ، وأقخره ، وأكرمه ومنها النعش وهو أستر للنساء ، وأهون للحرم ، ومنها المصحف ، وهو أوفئ لما فيه ، وأحصن له وأبهى له .

قالوا: ونحن أهول في الصدور ، وأملاً للعيدون ، كما أن المسودة أهول في العيون وأملاً في الصدور من المبيضة ، وكما أن الليل أهول من المنهار •

قالوا : ودهم الخيل آيهسي وأقوى ، والبقس السود أحسن

<sup>(</sup>١) الارت الذي في لسانه مقدة وحبسة ٠

وأيهى ، وجلودها أثمن وأنقى ، والحمر السود أثمن وأحسن وأور وأقوى و وسود الشاء أدسم ألبانا ، وأكثر زيدا ، والديس أغزر من الحمد (١) •

وليس من المتمر شيء أحلى حلاوة من الاسود ، ولا أعم منفعة ، ولا أبقى على الدهر ، والنخيل أقموى مبا تكون إذا كانت سمود الجدوع .

قالوا: وأحسن الخضرة ما ضارع السواد \* قال الله جل وعلا: ( ومن دونهما جنتان ) ثم قال لما وصفهما وشوق اليهما ( مدهامتان ) قال ابن عباس : خضراوان من الري سوداوان \*

وليس في الارض عود أحسن خشبا ولا أغلى ثمنا ، ولا أثقل وزنا ، ولا أسلم من القوادح ولا أجدر أن ينسب فيه الخط من الآينوس • وقد بلغ سن اكتنازه والتنامه ، ملوسته وشدة تداخله ، أنه يرسب في الماء دون جميع العيدان والخشب ، وقد غلب بذلك بعض الحجارة ، اذ صار يرسب وذلك الحجر لا يرسب •

والانسان أحسن ما يكون في العين منا دام أسود الشعر ، وكذلك شعورهم في الجنة ، وأكرم ما في الانسان حدقتاه ، وهما سوداوان • وأكرم الاكحال الاثمد ، وهو أسود • ولذلك جاء أن الله يدخل جميع المؤمنين الجنة جردا مردا مكحلين •

وأنفع ما في الانسان له كبيده التي بهيا تصلح معدته .

الديس : العبر المشرية بالسواد !

ويتهضم طعامه ، ويصلاح ذلك تام يدنه ، والكبد سوداء ٠

وأثفس ما في الانسان وأعهزه سهويداء قلبه ، وهي عنقة سوداء تكون في جوف فؤاده تقوم في القلب مقهم الدماغ في الرأس -

ومن أطيب ما في المرأة وأشهاه شفتاها للتقبيل ، وأحسن ما يكونان اذا ضارعتا السواد • وقال ذو الرسسة :

المناء في شفتها حدوة الحس وفي اللشاة وفي انبابها شنب وأطيب الفل وأبرده ما كان أسود • وقال الراجز :

سبود غرابيب كاطبلال العجر

وقال حميد بن ثور :

قللتا الى كهف وظلت ركابنا الى مستكفات لهن غنسروب الى شنجر المى التلسلال كانها رواهب أحر من الشراب عنوب (١)

ومن حلقات هذه الدراسات في الاجناس رسالة « مناقب الترك» (٢)، وقد وجهها الى الفتح بنخاقان وزيرالخليفة المتوكل، والذي قتل منه سنة ٢٤٧ ه.، وعنوان الرسالة كاملاء مناقب الترك وعامة جند الخلافة، • ومعروف أن الخليفة المتصم كان قد بدآ يكثر من العناصر التركية في جيشه • والاتراك جنس كله يعيش في مشارق أرض الخلافة شمال شرق خراسان وفي البلاد الواقعة شرقي بعر قزوين •

<sup>(</sup>١) عدوب جمع عادب وهو الذي لا يأكل ولا ينم ب ٠

<sup>(</sup>۲) ربائل الجامظ ، ج. ا ، ص ● -

وقى الرسالة حوار أو منافرة ومفاخرة بين عناصر مختلفة كالعرب والخراسانية كذلك ويبدو من حديثه أنه استشهر ما كان يستمر بين تلك العناصر من الخالاف والمنافرة ورأى خطرها فأراد أن يعرف لكل عنصر حقه وفضله يقول:

و وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم التي كانت مختلفة ، ولتزيد الألفة ان كانت مؤتلفة ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ، ولتسلم صدورهم وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب ، وكم مقدار الخلاف في الحسب ، قلا يغير بمضهم مغير ، ولا يفسده عدو بأباطيل معوهة وشبهات مزورة (۱) .

وثراه يعود الى نغمته السائدة فى مثل هذه الرسائل والكتب وهى نغمة المؤاخاة بين المناصر المؤلفة للمجتمع العربى الذى يظله الاسلام بظله ويمد عليه جناحيه فلا يفرق بين زنجى وفارسى وعربى وتركى والجميع عرب ومسلمون ، ما داموا يقرءون القرآن بالعربية ، ويتعلمون علوم العرب ، وينظمون ويؤلفون باللغة العربية :

« وقد جملوا اسماعيل وهو ابن عجميين عربيا ، لأن الله تعنى فتق لهاته بالمربية المبنية على غير النشوء والتقدير • وسلخ طباعه من طبائع المجم ، ونقل الى بدنه تلك الاجزاء ، وركبه اختراعا

<sup>(</sup>١) رسائل الجامظ ، سي ٢٩ ٠

على ذلك التركيب ، وسواه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصياغة ثم حباه من طبائمهم ومنحه من خلاقهم وشمائلهم ، وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها وأمكنها ، وأشرفها وأعلاها ، وجعل ذلك برهانا على رسالته ، ودليلا على نبوته ، فكان أحق بذلك النسب ، وأولى بشرف ذلك الحسب .

وكما جعل ابراهيم آبالل يلده ، فالبنوى خراساني من جهة الولادة ، والمولى هربي من جهة المدعى والعاقلة ،

ويقول ان الله خلق العباد ولمه أن يجمل من عباده من شاء عربيا ، ومن شاء عجميا ومن شاء قرشيا ، ومن شاء زنجيا (١)

ويقول: « وما الذي قسم الله \_ عن اسمه \_ بين الناس " ألا كما صنع في طيئة الارض ، فجعل بعضها حجرا ، وبعض العجر ياقرتا ، وبعضه ذهبا ، وبعضه تحاسا ، وبعضه رساسا وبعضه حديدا أو بعضه ترابا ، وبعضه فغارا " ومن يحسى عدد أجزاء الارض وأصناف الفلز؟ "

واذا كان الامرعلى ما وصفنا قالبنوى خراسانى، واذا كان الخراسانى مولى ، والمولى عربي ، فقت صار الخراسانى والمولى والمولى والمدا ،

و أو في ذلك أن يكون الذي فيهم من خصال الوفاق غامرا ما فيهم من خصال الخلاف بل هم في معظم الامر وفي أكبر الشأن

<sup>(</sup>١) رسائل الجاحظ ، ص ٣٢ -

وعمود النصب متفتون • والاتسراك خراسانية • • فقد صبار التركي الى الجميع راجعا ، وصار شرفه الى شرقهم زائدا (١) . واذا عرف سأثر ذلك سامحت التفوس ، وذهب التعقيد ومسات الشفن ، وانقطع سبب الاستثقال ، فلم يبق الا التناقس والتحاسد الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة والمجاورة -

على أن التوازر والتسالم في القرابات وفيي بني الاعمام والعشائل أفشى وأعم من البعداء \* وهو حين يذكر مناقب الترك فائما يقتصر على ذكر محاسنهم وفضائلهم ولا يمرض لمثالب غيزهم يقول : • وان كسان لا يمكن ذلك نسى مناقب الاتراك الا بذكر مثالب سائل الاجناد ، فترك ذكل الجميع أصوب ١٠٠ ولكل نصيب من النقص ، ومقدار من الذنوب ، وانما يتفاضل الناس يكثيرة المحاسن وقلة المساوىء ، فأصا الاشستمال عدلي جميع المحاسن ، والسلامة من جميع المساوىء ، دقيقها وجنيلها ، وظاهرها وخفيها، فهذا لا يعرف - وقد قال التابقة :

ولست بمستيق أخا لا تلمسه على شعث ، أي الرجسال الهذب وقال قريش السعدي :

> اخ لي كايسام العيساة اخساؤه اذا عيث منسسه خسلة فتركنسه وقنال بشار:

أذًا كنت في كل الامور معانيا

المنوز الوائما عملي خطويهما و دمتني البه خيلة لا أعيبها

صديقك لم ثلق الذي لا تعاتبه

<sup>(1)</sup> رسائل الجامظ ، س ۴٤ ٠

فعش واحدا اوصل اختاك فانته مقتارت ذنب مبرة ومجانيته الما انت لم تشرب مرارا على القذى فلمتت ، واي الناس تصغو مشاربه

ويدا أبو عثمان في التمريف بفضائل الترك ، وطباعهم ، وخاصة في القتال -

يقول: و والتركى يرمى الوحش والطبر والبرجاس (1) ، والمناس ، والمجتمة ، والمثل الموضوعة ويرمى وقد ملأ فروج دابته مديرا ومقبلا ، ويمنة ويسرة ، وصعدا وسفلا ، ويرمى بعشرة أسهم قبل أن يفوق الخارجي سهما واحدا ، ويركض منحدر! من جبل ، أو مستفلا الى بطن واد بأكثر مما يمكن الخارجي على بسيط الارش ،

وللتركى أربعة أعين : عينان فى وجهه ، وعينان فى قفاه • • والتركى فى حال شدته معه كل شىء يحتاج اليه ننفسه وسلاحه ، ودايته وأداة دايته •

قاما الصبر على الخبب وعلى مواصلة السفر وعلى طول السرى وقعلع البلاد ، فعجيب جدا " ولو حصلت عمر التركى وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دايته أكثر من جلوسه على ظهر الارض " والتركى يركب فعلا أو رمكة ( فرسا ) ، ويخرج غازيا أو مساقرا ، أو متباعدا في طلب صيد ، أو سبب من الاسباب فتتبعه الرمكة وأفلاؤها ، أن أعياه اصطياد الناس اصطاد الوحش،

<sup>(</sup>١) - البرجاس: هدف في الهواء على رأس رمح أو تحوه -

وان أخفق أو احتاج الى طعام قصد داية من دوايه ، وان عطش حلب رمكة من رماكه ، وان أراح واحدة تحته ركب أخرى من غير أن ينزل الى الارض .

وليس في الارض أحد الا بدنه ينتفض على اقتيات اللحم وحده غيره ، وكذلك دابت تكتفى بالمنقر ( القمب )والعشب والشجر ، لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد (١) -

ومن قضایا الحیاة والمجتمع التی عرض لها أبو عثمان ضروب المعایش واختلافها و تنوعها ، وأسبهاب كسب الرزق من تجارة وصناعة و فرراعة و غیرها - و یعرض لنا كتاب المتبصر بالتجارة صورة لهذه الحرفة التاریخیة القدیمة قدم الانسان ، وقد ألم بها المجاحظ ، وعرف بأسرارها لنشأته فی البصرة ، وهی وسط تجاری معتاز • ومنها رسائله ( التیصر بالتجارة ) و ( المعاش والمعاد ) و ( غش الصناعات ) و ( كتاب الخرع والنخل والزیتون والاعناب (۲) ، ورسالة مدح التجار و قدم عمل السلطان (۲) •

### التبصى بالتجارة ، ومدح التجار :

و تعلم أن الجاحظ نشأ في وسط تجارى هو البصرة ، بل عمال هو نفسه ببيع بعض الاشياء الصغيرة أي بائما جائلا على نهر

 <sup>(</sup>۱) رسائل الجاحظ ، من ٤٨ .

<sup>(</sup>١) تشرت بالمجمع الطمي بدمشق منة ١٩٣٢م، وبالقاهرة ١٩٣٥م -

 <sup>(</sup>۳) الجاحظ للدكتور للماجرى ، من ۲۸۵ ، و توجد منها قطعة في مجموعة رسائل
 الجاحظ للسندويي ، من ۱۵۵ »

سبحان ، واتصل بأحد كبار التجار وهو محمد بن عبد الملك الزيات الاديب الشاعر الكاتب والوزير الخطير في عهد المتوكل وكان صديقا له بعث اليه بالرسائل ، ومؤلف وخص رسالة و مدح التجار ، بالاشادة به ويمهنة التجارة وشرقها ، لانه ، أي ابن الزيات ـ لقى كثيرا من السخرية والاستهزاء بمهنته بعد توليب الوزارة ، وكأن الجاحظ أراد أن يرد اليه اعتباره ، وأن يرقمه بشرف المهنة .

وقد بقيت لنا من هذه الرسالة قطعة تتألف من اربعة فسول ويدافع عن المتجارة فيقول: و و وقد علم المسلمون أن خيرة الله تعالى من خلقه ، وصفيه من عباده ، والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة ، وهي معولهم ، وعليهما معتمدهم ، وهمي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم و وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم برهة من دهره تاجرا ، وشخص فيه مسافرا ، وباع واشترى حاضرا ، والله أعلم حيث يجعل رسائته و ولم يقسم الله منهبا رضيا ، ولا خلقا زكيا ، ولا عملا مرضيا ، الا وحظه منه أوفسر الحظوظ ، وقسمه فيه أجزل الاقسام و ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون: ( ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ) فأخبر أن الانبياء قبله كانت لهم الطعام ويمشون في الاسواق ) و فأخبر أن الانبياء قبله كانت لهم مناعات وتجارات و

ردُكي أن التجارة لا تمنع صاحبها من علم ، ولا تحجبه عن

أدب و يقول: و فأى صنف من العلم لم يبلغ التجار فيه غاية ، أو يأخذوا منه بنصيب ؟ أو يكونوا رؤساء أهله وعليتهم ؟ و عل كان في التابعين أعلم من سعيد بن المسيب أو أنبل ؟ وقد كان تاجرا يبيع ويشترى ، وهو الذي يقول: ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على رضوان الله عليهم قضاء الا وقد علمته و كان أعبر الناس للرؤيا ، وأعلمهم بأنساب قريش » "

وكتاب التبص بالتجارة محاولة من الجاحسظ لعرض بعض أسرارها وصنوفها ، وما يجلب على البلاد المختلفة منها من الى غير ذلك مما يتعلق بها موهى معلومات تفيد كثيرا من الناس الذين يتصلون بهذه الهنة ، ولابد لهم من التعرف عليها كالمحتسبين ، فالمحتسب وظيفته قريبة الصلة بالاسواق والتجارة والمكاييل والموازين ، لانه الرقيب عليها جميما ، والمنفذ للشريعة وأصولها، والراعى لمصائح الاسة بين التجار والصناع في الاسواق ، وقد الف كثير من العلماء في الحسبة ، واتصلوا من قريب بأصول التجارة وأسرار الموق ، ودخائل كل حرفة وصناعة ، حتى لا يغيب شيء عمن يلي هذه الرتبة ، وليطبق حدود الله ، ويحفظ حق الناس ، ويردع كل من تسول له النفس غشا أو تدليسا أو كسبا حراما غير مشروع .

ومما يتصل بكتابات الجاحظ في المرضوعات الاجتماعية ما يتملق بحياتهم في لهوهم وملاذهم ، وقد كتب في ذلك جملة من

رسائله ، فضلا عما تخلل كتبه من قصول متنوعة • وأولى هـده الرسائل و رسائة المتيان و والمفاخسرة بين الجسوارى والغلمان وكتاب و طبحات المغنين » •

ورسالة التيان محاولة لعرض حال الغناء والمغنيات في ذلك العصر، ويعرض فيها للجوارئ عامة ، ولموقف النساء ، وعلاقات النساء بالرجال ، والقول في العشق والحب يقول :

والحب اسم واقع على المنى الذى رسم له ، ولا تفسير له غيره، لانه قد يقال: ان المرم يحب الله ، وان الله جل وعز يحب المؤمن ، وإن الرجل يحب ولده ، والولد يحب والده ويحب صديقه وبلده وقومه، ويحب على أى جهة يريد ، ولا يسمى ذلك عشقا ، فيعلم حينئد أن السم الحب لا يكتفى به في معنى العشق حتى تضاف اليه العلل الاخر ، الا أنه ابتدام العشق ، ثم يتبعه حب الهوى ، فربما وافق الحق والاختيار وربما عدل عنهما .

وهذه سبيل الهوى في الادبان والبلدان وسائر الامور \* ولا بميل صاحبه عن محبه واختباره فيما يرى \* ولذلك قبل : « عين الهوى لا تصدد » وقيدل : حبك الشيء يعمى ويصدم ، يتخذون أوثانهم أربابا لاهوائهم ، وذلك أن الماشق كثيرا ما يعشق غير النهاية في الجمال ، ولا المعاية في الكمال ، ولا الموصوف بالبراعة والرشاقة ، ثم أن سئل عن حجته في ذلك لم تقم له حجة \*

ثم قد يجتمع الحب والهوى ، ولا يسميان عشقا ، فيكون ذلك

في الولد والصديق والبلد والصنف من اللباس والفرش والدواب. فلم نن أحدا منهم يسقم بدئه ولا تتلف روحه من حب بلده ولا ولده ، وان كان قد يصيبه عند الفراق لوعة واحتراق \*

وقد رأينا وبلغنا عن كثير ممن قد تلف وطال جهده وضناه بداء العشق و فعلم أنه اذا أضيف الى الحب والهسرى المساكلة وأعنى مشاكلة الطبيعة وأى حب الرجال النساء وحب النساء الرجال والاناث من الحبوان وصار الرجال عشقا صحيحا وان كان ذلك عشقا من ذكر لذكر قليس الامتقا من هذه الشهوة والالم يسم عشقا اذا قامت الشهوة و

تم لم نره يكون مستحكما عند أول لقياه حتى يعقد ذلك الالف ، وتغرسه المواظبة في القلب فينبت كما تنبت الحبة في الارض حتى تستحكم وتشتد وتثمر ، وربما صار لها كالجذع السعون والعمود المملب الشديد ، وربما انعقف فمار فيه بوار الاصل ، فاذا اشتمل على هذه العلل صار عشقا تاما • ثم صارت قلة العيان تزيد فيه وتوقد ناره • والانقطاع يسعره حتى يذهل العقل وينهك البدن ويشتغل القلب عن كل نافعة ويكون خيال المعشوق نصب عين العاشق والغالب على فكرته ، والخاطر في كل حالة على قليمه •

واذا طال المهد واستمرت الايام تقضى على الفرقة، واضمحل على المطاولة ، وإن كانت كلومه وندوبه لا تكاد تعفر آثارها ولا تدرس رسومها ، وكذلك الظفر بالمعشوق يسرح في حل عشقه .

والعلة في ذلك أن يعض الناس سرع الى العشق من بعض الاختلاف طيائع القلوب في الرقة والتسوة ، وسرعة الالف وابطائه ، وقلة الشهوة وضعفها •

وقل ما يظهر العاشق للمعشوق عشقا الا عداه بدائه، ونكت في صدره وشغف فؤاده ، وذلك بين المشاكلة ، واجابة بعض الطبائع بعضا ، وتوقان بعض الانفس الى بعض وتقارب الارواح ، كالنائم يدى آخر ينام ولا نوم به فينعس ، وكالمتثائب يراه من لا تثاؤب به فيفعل مثل فعله ، قسرا من الطبيعة .

وقل ما يكون عشق بين اثنين يتساويان فيه الا عن مناسبة بينهما في الشبه في الخلق والخلق ، وفي الظرف ، أو في الهوى ، أو في الطباع • ولذلك ما نرى الحسن يعشق القبيح ، والقبيع يحب الحسن • ويختار المختار الاقبع على الاحسن ، وليس يرى الاختيار في غير ذلك فيتوهم الغلط عليه ، لكنه لتعارف الارواح وازدواج القلوب » •

وهكذا يمرش الجاحف فلسفة الحب والمحبة ، أو الألفة والآلاف ، ودرجات الحب وأنواعه وربما كان الجاحظ أول كاتب عربى طرق هذا الموضوع على تلك الصورة المبسوطة محللا لهذه الملاقة بين الرجل والمرأة وقد تبعه في ذلك بعض الكتاب ، كابن حزم في كتاب وطوق المحامة » وصاحب وتزيين الاشواق» وابن الجوزى في دنم الهوى » ، كما طرق أبو حيان التوحيدى الموضوع في

مواضع من كتبه وعرض للصداقة في كتاب الصداقة والصديق على اعتبار أنها رابطة مسجلة وألف يجمع بين اثنين .

كذلك عرض لها الوشاء في كتاب و الموشى » في الظرف والظرف •

وعرض الجاحظ في كتاب القيان طباع القينات ، المغنيات خاصة ، والجواري عامة وأحوالهن مع المترددين على بيوت القيان التي عرفت واشتهرت في المجتمع العبامي وكان الناس يقصدونها لعضاء أوقات من المتعة في السماع واللهو •

## يقسول الجاحيظ :

ومن الآفة عشق القيان على كثرة فضائلهن ، وسكون النقوس اليهي ، وأنهن يجمعن للانسان من اللذات مالا يجتمع في شيء على وجه الارض .

وادا رفعت القينة عقيرة حلقها تغنى حدى اليها الطرف، وأصغى نحوها السمع وألقى القلب اليها الملك ، فاستبق السمع والبعمر أيهما يؤدى الى القلب ما أفاد منها قبل صاحبه فيتوافيان عند حبة القلب ، فيغزهان ما وعياه ، فيتولد منه السرور حاسة الملمس ، فيجتمع له في وقت واحد ثلاث لـنات لا تجتمع نه في شيء قط ، ولم تؤد اليه الحواس مثلها ، فيكون في مجالسته للقينة أعظم الفتنة ، لانه روى في الاثر : « اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة » وكفى بصاحبها فتنة ، فكيف بالنظس والشهوة اذا صاحبهما السماع ، وتكانفتهما المفازلة \*

ان القينة لا تكاد تخالص في عشقها ، ولا تناصح في ودها ، لانها مكتسبة ومجبولة على نصب الحبالة والشرك للمتريمين ، ليقتحموا في أنشوطتها • فاذا شاهدها المشاهد رامته باللحظ. ، وداعيته بالتبسم وغازلته في أشعار الغناء ، ولهجت باقتراحاته ، ونشطت بالشرب عند شربه ، وأظهرت الشوق الى طول مكثه ، والصبابة لسرعة عودته ، والحـزن لفراقه ٠ فـاذا أحست بأن سحرها قد نفذ قيه ، وأنه قد تعقل في الشرك ، تزيدت فيما كانت قد شرعت فيه ، وأوهمته أن الذي بها أكثر مما به منها ، ثم كاتبته تشكو اليه هواها ، وتقسم له أنها مدت الدواة بدمعتها ، وبلت السحاءة بريقتها ، وأنه شجنها وشجوها في فكرتها وضمسرها ، في ليلها وتهارها ، وأنها لا تريد سواه ، ولا تؤثر أحدا على هواه ، ولا تنوى انحرافا عنه ، ولا تريده لماله ، بل لنفسه - ثم جعلت الكتاب في مسدس طومار ، وختمته بزعفران ، وشهدته بقطعة زير ( وتى العود ) ، وأظهرت سترة عن مواليها ، ليكون المغرور أوثق بها ﴿ وَالْحِبُّ فِي اقْتَضَاءِ جِوابِهِ ، فَأَنْ أَجِيبِتُ مِنْهُ أَدْعَتُ أَنْهَا صبرت الجواب سلوتها ، وأقامت الكتاب مقام رؤيته وأنشدت :

وصعيفة تعكمى الضموري مليحة نفعاتهما جاءت وقد فرح الفوا المتبطاتهما فضعكت حمين وايتهما ويكيت حمين قراتهما عيني وات ما أنكسرت فتهادرت عبراتهما اظلوم، نفسى في يديد الله معاتها ووفاتهما

ثم تغنت حینته : بات کتاب العبیب نلمانی ، معدنی تارة وریعسانی

#### أضحكتي في الكناب أوليه ثم تمادي به قابكاني

ثم تجنت عليه الذنوب ، وتغايرت على أهله، وحبته النظر الى صواحبها، وسقته أنصاف أقداحها، وجمشته بعضوض تفاحها، وتحية من ريحانها ، وزودته عند أنصرافه خصلة من شعرها ، وقطعة من قرطها ، وشطية من مضرابها ، وأهدت اليه في النيروز تكة وسكرا وفي المهرجان خاتما وتفاحبة ، ونقشت على خاتمها اسمه ، وأبدت عند العثرة اسمه ، أغنية اذرأته :

نقل اغدب الى العبيب ثعيم وصدوده خطر عليك عظيم

ثم أخبرته أنها لا تنام شوقا اليه ، ولا تهنا بالطعام وجدا به ، ولا تمل اذا غاب الدموع فيه • ولاذكرته الا تنغمت ، ولا هتفت باسمه الا ارتاعت، وأنها قد جمعت قنينة من دموعها من البكاء عليه • • » •

ويعرض الجاحظ لجوانب من حياة مجتمعه وأخلاق الناس ، فيبدى من مساوىء السلوك ومقابح الخلس عند الناس ، وينصبح لهم بالسداد وسلوك الطريق القويم في الحياة ، وربما كانت رسالة المعاد والمعاش صورة لهذا اللون من كتابته وسالة المعاد والمعاش : أو الاخلاق المحمودة والمذهومة :

كتب بها الى أبى الوليد محمد بن أحمد هن أبى دواد يقول له فيه : « قرأيت أن أجمع لك كتابا من الادب جامما لعلم كثير من المعاد والمعاش أصف لك فيه علل الاشياء ، وأخبرك بأسبابها وما اتفقت عليه محاسن الامم \*\* » \*

ويقول: « فألفت لك كتابى هذا اليك ، وأنا واصف لك فيه الطبائع التسى ركب عليها الغلق ، وقطرت عليها البرايا كلهم ، فهم فيها مستوون والى وجودها في أنفسهم مضطرون وفي المرقة بما يتولد عنها متفقون » •

### يقول فيها:

والما أن الآداب انما هي آلات تصلح أن تستغل في الدين وتستعمل في الدنيا وانما وضعت الآداب على أصول الطبائع ، وانما أمور التدبير في الدين والدنيا واحدة ، فما فسدت فيه الماملة في الدنيا ، وكل أسرلم يصبح في معاملات الدنيا لم يصبح في الدين وانسا الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط ، والحكم ها هنا الحكم هناك ، ولسولا ذلك ما قامت مملكة ، ولا ثبتت دولة ولا استقامت سياسة - ولذلك قال الله عز وجل : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سمبيلا ) قال ابن عباس في تفسيرها : من كان ليس له من العقل ما يعرف به كيف دبرت أمور الدنيا ، فكذلك هو إذا انتقال الى الدين ، فانما ينتقل بذلك المقال ، فبقيدر جهله بالدنيا يكون جهله بالآخرة أكثر ، لان هذه شاهدة وتلك غيب ، فاذا جهل ما شاهد ، بالآخرة أكثر ، لان هذه شاهدة وتلك غيب ، فاذا جهل ما شاهد ،

### ويقسول:

ه اعلم أن الله جل ثناؤه خلق خلقه ثم طبعهم على حب اجترار

المنافع ، ودفع المضار ، وبغض ما كان بغيلاف ذلك • هذا نبهم طبع مركب وحبلة مغطورة • لا خلاف بين العلق فيه ، موجود في الانس والحيوان • ثم يسدع غيره مسدع من الالين والآخرين • وبقدر زيارة ذلك ونقصانه تزيد المحبة والبغضاء • فنقصائه كزيادته تميل الطبيعة معهدا كميل كفتى الميزان ، قل ذلك أو كثير ه •

وهاتان جملتان داخل فيهما جميع محامد العباد ومكارمهم والنفس في طبعها حب الراحة والدعة والازدياد والعلو والعن والغلبة ، والاستظراف والتفوق وجميع ما تستلد الحواس من المناظر الحسنة ، والروائح العبقة والطعوم الطيبة ، والاصوات الموقمة ، والملامس المذيذة ومما كراهيته في طباعهم أضداد ما وصفت لك وخلافته ،

فهذه الخلال التي تجمعها خلتان فرائز في الفطر ، وكوامن في الطبع ، حيلة ثابتة وشيمة مخلوقة \* على أنها في بعض أكثر منها في بعض ، ولا يعلم قدر القلة فيه والكثرة الا الذي دبرهم \*

قلما كانت هذه طبائعهم ، أنشأ لهم من الارض أرزاقهم ، وجعل في ذلك ملاذا لجميع حواسهم ، فتعلقت به قلوبهم وتطلعت الله أنفسهم • •

وعلم الله أنهم لا يتعاطفون ، ولا يتواصلون ، ولا ينقادون الا بالتأديب ، وأن التأديب ليس الا بالامر والنهى ، وأن الامر والنهى عبر ناجمين فيهم الا بالترغيب والترهيب اللذين في

طباعهم ، فدعاهم الى جنته ، وجعلها عوضا مصا تركوا فى جنب طاعته ، وزجرهم بالترهيب بالنار عن معصيته ، وخوفهم يعقابها على ترك أمره • ولو تركهم جل تناؤه والطباع الاول جروا على سنن القطرة ، وعادة الشيمة •

ثم أقام الرغبة والرهبة على حدود الددل وموازين النصفة . وعد لهم تعديلا متفقا ، فقال : ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) \*

ثم أخير الله تيارك وتعالى أنه غير داخل في تدبيره الخلل ، ولا جائز عنده المعاباة ، ليعمل كل عامل على ثقة مما وعدده ، وواعده ، فتملقت قلوب العباد بالرغبة والرهبة ، فاطرد التدبير، واستقامت السياسة ، لموافقتهما ما في الفطرة ، وأخذهما بمجامع المسلحة .

ثم جمل أكثر طاعته فيما تستثقل النفوس ، وأكثر معصيته فيما تلف ولذلك قال التبى صلى الله عليه وسلم : ( حفت الجنمة بالمكاره والنار بالشهوات ) .

ويقول: واحفظ هذه الابواب التي يوجب بعضها بعضا مدم المنفعة توجب المحبة ، والمضرة ترجب البغضاء، والمضادة توجب العداوة ، وخلاف الهوى يوجب الاستثقال ، ومتابعت

توجب الالفة ، والصدق يوجب الثقة ، والكذب يورث التهمة ، والامانة توجب الطمأنينية ، والعدل يوجب اجتماع القلوب ،

,

والجور يوجب الفرقة وحسن الغلق يوجب المودة ، وسوم الغلق يوجب المباعدة ، والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الموحشة ، والتكبر يوجب المقت ، والتواضع يوجب الثقة ، والجود بالقصد يوجب الحمد ، والبغل يوجب المذمة ، والتواتى يوجب التضييع ، والجد يوجب رخاء الاعمال والهوينا تورث الحسرة ، والحزم يورث السرور ، والتفرير يوجب الندامة ، والحذر يوجب المعدر ، والحذر يوجب المعدر ، والحدر يوجب المعدر ، » » »

### ويقسول:

واحدر كل الحدر أن يختدعك الشيطان عن الحزم فيعثل لك التوانى في صورة التوكل ويسلبك العددر ، ويورثك الهوينا باحالتك الى الاقدار ، فأن الله انما أسر بالتوكل عند انقطاع الحيل ، والتسليم للقضاء بعد الاعدار ، بذلك أندن كتابه ، وأمضى سنته ققال : (خدوا حدركم) و (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) ،

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اعقلها وتوكل » \* وسئل ما الحزم فقال : الحدر \* واعلم أن تثمير المال آلة للمكارم ، وعون على الدين ، ومتألف للإخوان ، وأن من قد فقد المال قلت الرغية اليه والرهبة منه \* ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس بقدره فاجهد البهد كله الا تزال القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة ، في دين أو دنيا \*

واعلم أن السرف لا بقاء منه لكثير ولا تثمير منه لقليل ، ولا

تصلح عليه دنيا ودين • وتأدب بما أدب الله تعالى به نبيه فقال : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد علوما محسورا) • • وقالت الحكماء : التصدد أبقى للجيماء •

قداوم حالك وبقاء النعمة بتقديرك أمورك على قدر الزمان ، وبقدر الامكان - فقد قال الشاعر :

من سابق النهس كيا كيسوة لم يستقلها من خطى النهس فاخط مع النهر كما يجسرى فاخط مع النهر كما يجسرى

### ويقسول:

و واعلم أن المقادير ربما جرت بخلاف ما تقدر الحكماء ، فتال بها الجاهل في نفسه ، المختلط في تدبيره مالا ينال العازم الاربب الحدير • فلا يدعونك سا تدرى من ذلك الى التضييع والاتكال على مثل تلك الحال • فان الحكماء قد أجمعت أن من أخذ بالحزم وقدم الحدر فجاءت المقادير بخلاف سا قددر كان عندهم أحمد رأيا وأوجب عنرا ممن عمل بالتقريط وان اتفقت له الامور على ما أراد • ولعمرى بان كان ذلك يجدىء الا في أقل الامور •

ولا تكون للى مما في يدك أشد ضنا ، ولا عليه أشد حدبا مثك بالاخ الذى قد بلوته فى السراء والضراء ، فعرفت مداهبه ، وخبرت شيمه ، وصبح لك غيبه ، وسلمت لك ناحيته ، فانما هو شفيق روحك ، وباب السروح الى حياتك ، ومستعد رأيك ،

وتوام عقلك • ولست منتفعا بعيش سبع الوحدة ولابد من المؤانسة ، وكثرة الاستبدال تهيم بصاحبه على المكروه - قان صفا لك أخ فكن به أشد ضنا منك بنفائس أموالك ، شم لا يزهدنك فيه أن ترى منه خلقا أو خلقين تكرههما ، فأن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك ؟ وبحسيك أن يكون لك من أخيك أكشره • وقد قالت العكماء : و من لك باخيك كله » - و وأى الرجال المهذب » -

ويتصل بهذه الرسالة في الموضوع رسالته في « كتمان السر وحفظ اللسان » \*

# حب الاوطان: أو « رسالة في العنين الى الاوطان »:

( مجموعة رسائل الجاحظ لهارون ج ٣٨٤/٢ ) قال :

« لقد قالت العجم : من علامة الرشيد أن تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواقة - وقالت الهند : حرمة يلدك عليك مثل حرمة أبويك لان نظراءك منهماوعداءهما منك وقال أخر : احفظ بندا رشحك غذاؤه وارع حمى أكنك فناؤه و أولى البندان بعببابتك اليه بلد رضعت ماءد ، وطعمت غذاءه .

يقول: « ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر الديار، يغير عن مواقعها من قلوب عباده • فقال: ( ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فملوه الا قليل منهم) فسوى بين قتل أنفسهم وبدين الخروج من ديارهم • وقال تعالى : ( وما لنا ألا نقاتل قلى سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ) •

وقال عمر رضى الله عنه : (عمر الله البلدان بعب الاوطان) - وكان يقال : لولا حب الناس الاوطان لخسرت البلدان • وقال عبد الحميد الكاتب يذكر الدنيا : تفتنا عن الاوطان، وقطعتنا عن الاعوان -

## الموضوعات الدينية والكلامية في كتبه ورسائله:

وشعلت كتبه ورسائله كذلك موضوعات دينية متنوعة ، منها كتباب د حجيج النبوة » و « كتباب نظيم القبران » وكتاب « خلق وكتاب « أي القرآن » وكتاب « مسائل القرآن » وكتاب « خلق القبران » وكتاب « الرد على النسارى » وكتاب « الرد على النسارى » وكتاب « الرد على النهود » •

ويعكس الجاحظ في هذه الكتب والرسائل أراءه الخاصة في اطار فلسفته الاعترالية العامة -

## ومما قاله في اليهود من كتاب الحجة (١) :

ومتى أحببت أن تعرف غى بنسى اسرائيل ونقص أحلام القبط ، ورجعان عقول العرب ، وأحلام كنانة ، فانظر يواديهم ورباعهم ، وانظر الى بيئتهم وبقاياهم كما نظرت الى غى بنى

<sup>(</sup>۱) الجاحظ للدكتور طنه العاجري، من ٣٦٧ ٠

اسرائيل ونقص بين من مضى من القبط تمتبر ذلك وتعرف ما أقول : • • وكيف لا تقضى عليهم بالغى والجهل ولم تسمع لهم يكلمة فاخرة أو معنى نبيه ، لا ممن كان فى المبدأ ، ولا من نازلى الشام ، ثم أنظر الى أولادهم مع طول ليثهم فينا وكونهم معنا ، هل غير ذلك من أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم ؟ فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم ، وليس النصارى كاليهود ، لان البهود كلهم من بنسى اسرائيل الا القليل ، فلم يغرب فيهم غيرهم ، لان مناكحهم مقصدورة فيهم ، ومحبوسة عليهم فقصور أولهم مؤداه الى آخرهم ، وعقول أسلافهم مردودة على عليهم المهم آلهة ) حين مروا على قدوم يعكنون على أصنام أهم كما لهم آلهة ) حين مروا على قدوم يعكنون على أصنام أهم يعبدونها •

وكتولهم: (أرنا الله جهرة)، وكعكوفهم على عجل صنع من طيهم يعبدونه من دون الله بعد أن أراهم من الآيات ما أراهم، وكتولهم: (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون) وكذلك ما وعد معمد صلى الله عليه وسلم بنار الابد كرعيد موسى بنى اسرائيل بالقاء الهلاك على ذرعهم، والهام على أفئدتهم، وتسليط الموتان على ماشيتهم، وباخراجهام من ديارهم، وأن يظفر بهم عدوهم، فكان شعبيل المالداب الادنى في استدعانهم يظفر بهم عدوهم، فكان شعبيل المالداب الادنى في استدعانهم

واستمالتهم وردعهم ، كتأخير العداب على غيرهم ، لان الشديد المؤخر لا يرجر الا أصحاب النظر في العواقب ، واصحاب العقول التي تذهب في تلك المداهب » •

مثل من تفسيره للقدران :

وهو يمرض لآيات الكتاب لتفسيرها ، لا يأخذ بالظاهر ولا يمجرد المدلول المحدود للفظ ، يستبطن المعانى ، ويجول جونة مع السياق ومع غاية النعبير القرآنى وينشد أثره النفسى ، والمعلى، ويكشف الجاحظ عن اقتدار في اكتشاف أسرار التعبير ، فانظر الى تفسيره لقوله تمالى : (قال لأهله امكثوا انى أنست نارا لعلى أتيكم منها يخير ) وقال مرة أخرى ( يشهاب قبس ) ،

وان المسافر في هذا البيد المترامي من العرب لا يدرى طريقه ، والرمال من تحته معتدة على مرمي البعر ، والسماء فوقه لا تريم متى يصل بأمان الى مخيم ، قد يخطىء ظنه وتقديره، وينغذ زاده ، وينضب ماؤه ، وينفد الطريق ، ويضل السبيل ، فيغدرب يبلا هدى ، ولا تسل عن حبية هدا المسافر الضال ، وعن مدى ما يشعر به من وساوس وهواجس ، ثم ما يداعب به نفسه من أمال وبينما هو غارق في هواجسه وأماله ، والليل مغلق عليه ، والابدل تنظ من التعب والنني ، وبطنه الطاوى يكاد يلتصق من السغب ، وريقه يكاد يجف من العطش ، وهو في متاهة لا تبصر المين فيها أثرا لحياة ، لا تسل عن حال هذا الضال وسمادته كيف يلقى قبسا من النار يطلع له من الافق

البعيد طلوع الامل الباسم يناديه ، ويفتح له الطريق أمام حياة بعد أن كاد يفقد الأمل ، وتعمى السبل فيهرول وهو يمنى النفس يشبع ورى ، وراحة وأنس -

هذا ما أراد به الجاحظ من تفسيره للآية ، ومبا أراد أن يعلنه حين نقل قول أبى عقبل في قوله تعالى : ( وقال موسى لاهله امكثوا انى أنست نارا لعلى أثبكم منها بشهاب قبس ) فقال أبو عقبل لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن الجائع المقرور (۱) -

والقرآن استخدم اللفظاين و بخير » و و بشهاب قبس » والمعنى واحد ، والاختلاف في النفظ ، والنار في الحالين هي القصد ، فعندها الخير بما يحب السائرون السبيل وفيها القرى والدفء له ، والمعترض ها هنا ـ وأغلب النئن أنه من الموالي غير العرب العرب ـ لم يحس بما للنار في البوادي لانه لم يحي حياة العرب البادين ، ولم يسمع منهم عن شانها وقدرها ، فأنكسر أن يغير القرآن اللفظ على لسان موسى ، وحسب أن المعنى اختلف ، وأن المتنيل خالف نفسه وهو الذي لم يفهم قصد التنزيل ، ولم يلم بالمعنى المراد الماما شاملا ، فوقع في الخطأ ، ويحسب أنه قد خلفر على المترآن بحجة في تناقض نظمه ،

ويموض الجاحظ للتفسير المجازي للقرآن ، والذي لا يؤخذ

<sup>(</sup>۱) البيان والنبين ، طبع هارون ، ج ۱ ، ص ۲۹۵ .

فيه بظاهر القول فيواجه الظاهرية والمعترضين بالحجج البينة ، وينائهم بالسخرية اللاذعة ليسفه آراءهم فيقول مثلا في قوله تعالى: ( ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فكهون ) \*

و وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشغل ، وانسا ذلك جواب لقول القائل : خيرنى عن أهل الجنة بأى شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغ أبدا ؟ فيقول المجيب : لا ،ما شفلهم الا افتضاض الابكار وأكل قواكه الجنة وزيارة الاخوان على نجائب الياقوت \*

وهذا على مثال جواب عاصر بن عبد قيس ، حين أقبل من جهة العلبة وهو بالشام ـ من سبق؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل قمن صلى : قال أبو بكر ، قال : أنما اسألك عن الخيل قال : وأنا أجيبك عن الخير ، وهو كقول المفسر حسين سئل عن قوله : (لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فقال : ليس فيها بكرة ولا عشى ، وقد صدق القرآن وصدق المفسر ، ولم يتناكرا ولم يتنافيا ، لان القرآن ذهب الى المقادير ، والمفسر ذهب الى الموجود من دوران ذلك مع شروب الشمس وطلوعها (١) ،

وقى قوله تمالى : (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوايها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ويندرونكم لقاء يومكم هذا، قالوا بلى ، ولكن حقت كلمة المداب على الكافرين ) - قجعل للنار خزائن ، وجعل لها خزنة ،

<sup>(</sup>۱) البيسان ، ۲/۱۲۱ (۱)

كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة • ولو أن جهنم فتحت أبوابها ونحى عنها الخزنة ، ثم قبل لكل لص في الارض ولكل خائن في الارض دونك فقد آبيحت لك لما دنا منها • وقد جمل لها خزائن وخزنة ، وانعا هذا على مثال ما ذكرنا • وهذا كثير في كلام العرب "

وقال في قوله تمالى: ( ولقد زينا السماء الدنيا بمسابيح وجملناها رجوما للشياطين ) وقال تعالى: ( وحفظناها من كل شيطان رجيم ) وقال تعالى: ( وجعلناها رجوما للشياطين ) ونحن لم نجد قط كوكيا خلا مكانه و فماينبغي ان يكون واحد من جميع هذا الغلق من سكان الصحارى والبحار ومن يراعي النجوم للاهتداء ، او يفكر في خلق السماوات أن يرى كوكبا واحدا زائلا ، مم قوله وجعلناها رجوما للشياطين و

قيل لهم: قد يحرك الانسان يده أو حاجيه او اصبعه فعضاف تلك الحركة الى كله ، فلا يشكون أن الكل هو انعامل لتلك الحركة ، ومتى فصل شهاب من كوكب ، فاحترق وأضاء في جميع البلاد ، فقد حكم كل انسان باضافة ذلك الاحسراق الى ذلك الكوكب ، وهذا جواب قريب سهل .

ومنهج الجاحظ في تفسيره يميل الى الاعتدال ، فلا يأخذ بظاهر القول ، وهريب ، ولا يتأول أو يذهب بعيدا كفعل الباطنية انما يفسر القرآن على ما يفهمه العرب أصحاب اللفة التى نزل بها ، آخذا في اعتباره ما يجوز فيها من وجوه التمبير المنعتلفة كالمجاز والتشبيه والتعثيل والتقديم والتأخير وما اليها وفي تفسير قوله تعالى في سورة النحبل: ( يخسرج من بطونها شراب) يقول: و فالعسل ليس غرابا ، وانما هو شيء يحول بالما شرابا ، أو بالماء نبيدا كما تسرى شرابا اذا كمان يجسىء هسه الشراب وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا: جاوت السماء اليوم بأس عظيم وقد قال الشاعر:

اذا سنقط السماء يترض قنوم رعينسناه وان كانبوا غضاينا زهموا أنهم يرعون السماء ، وأن السماء تسقط "

ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها فقد خرج فى اللغة من بطونها وأجوافها و ومن حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا و هذا الباب هو مغخس العرب فى لنتهم ، وبه وبأشباهه اتسنت وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة ، وهذيلا ، وضواحى كنانة وهؤلاء اصحاب العسل والاعراب أعرف بكل صمغة سائلة ، وعسلة ساقطة و فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب ؟ أو طعن عليه ؟ من هذه الجهة (1) » م

وكذلك الايجاز وترك النشول ، لجأ اليه القرآن في مثل قوله تعالى: ( لا يصدعون عنها ولا ينزقون ) في صفة خسر أهل الجنة - و وعاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيدوب خسر أهل الدنيا - وقوله عن وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة ( لا مقطوعة ولا مستوعة ) جمع بهاتدين الكلمتين جميع تلك المانسي وفسي

<sup>(</sup>۱): كتاب افديوان ، جراء أس ١٤٦٩ (١): ---

المتشبية قولة تعالى: ( انها شجرة تغرج في أصل الجعيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين ثمر كأنه رءوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كرية - والمتكلمون لا يمرفون هذا المنفسير وقالوا: انما عنى رءوس الشياطين المعروفين بهذا الاسلم من فسقة الجن ومردتهم - فقال أمل الطمن : كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نسره فنتوهمه ، ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق .

وسخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة ، والتفريع منها، على أنه لو كان شيء أبلغ في الرجر من ذلك لذكره وكيف يكون الشآن كذلك ، والناس لا يفزعون الا من شيء عائل شنيع قد عايتوه ، أو صور لهم واصف صحدوق اللسان بليخ في الوصف ، ونحن لم ثمايتها ، ولا صورها لنا صادق وعلى أن أكثر الناس من هذه الامم التي لم تمايش أهل الكتابين ، وحملة القصران من المسلمين ولمم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك ولا يقنعون عليه ، ولا يقزعون منه ، فكيف يكون ذلك وعيدا عاما ؟

قلنا: وإن كنا تحن لم تر شيطانا قط ، و لاصور رءوسها لنا صادق بيده ، ففى اجماعهم على ضرب المثل بقبع الشيطان ، حتى صاروا يضمون ذلك فى مكانين ، أحدهما أن يقولوا : لهو أقبع من الشيطان ، والوجه الآخر أن يسمى الجميل شيطانا ، على جهة التطير له ، كما تسمى القرس الكريمة ، شوهاء » ، والمرأة الجميلة حمام وقرنام وخنساء وجرباء وأشباه ذلك على جهة التطير لها ، ففى اجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضوب المثل يقبح الشيطان دليل على أنه في العقيقة أقبع من قبيع (1) \*

وهكذا نجد الجاحظ في تفسيره انما ينظر الى القرآن نظرة بيانية وعقلية ، لا يأخل بمأثور الكلام والخبر ، أو بآراء المحدثين والمفسرين ، انما يممد الى تحليله للآيات وفق ما تقتضيه أصول البيان العربى ، ووفق ما يعتقده من آراء المعتزلة والمتكلمين ، البيان والنقد والبلاغة :

وكان اهتمام العاحظ في كتبه بالبيان عدل اهتمامه بغضايا الفكر والحياة والدين ومعلوم أن المتزلسة اهتموا بالبيسان ، وعلموا ناشئتهم البلاغة ووصفوا لهم أصولها ، وفي صحيفة بشرابن المعتمر في البلاغة التي رواها العاحظ دليل على ذلك •

ويخصص الجاحظ كتابا كبيرا من كتبه لهدا الموضوع والبيان والتبيين » يبحث فيه البيان المربى في صوره المختلفة من خطابه وشعر ورسائل ومثل وحكمة ، وإن كان اهتمامه منصبا على الخطابة وحدد الجاحظ البيان ، ووجوهه ، كما عرف بالبلاغة وعناصرها ، وحاول أن يوقف متعلمي البيان طحرق التبيين وأصوله •

ولم يقتصر حديثه في البيان ، و لانظراته البيانية والبلاغية

<sup>(</sup>۱) كتاب العيوان ، ٢١٢٦ - ٢١٢

على كتاب البيان والتبيين بل تعددت في مواضع كثيرة من كتبه ، كلما تعرض لتفسير آية أو بيت شحر أو مثل أو حكمة ويضع مقياسا عاما للحسن في البيان فيقول :

و واحسى الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحب ، وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا بليغا ، وكان صحيح الطبع بميدا من الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال مصونا من التكلف صنع في القلوب صنيع النيث في الدربة الكريمة (١) \*

ويدور البيان عند الجاحظ على عنصرى اللغظ والمعنى بمداولاتهما القريبة ، المفردة والمركبة ، فقد يعنى اللفظ النطق آو العبارة أو الكلمة الواحدة • وقد يعنى المعنى المضمون والموضوع ويعنى العبارة والمعنى القائم في النفس والمعنى المحدود ، والمعنى الجزئمي للكلمة ، والمعنى المجازى والمعنى اللغمون •

وللجاحظ آرام كثيرة في النقد والبلاغة (٢) مفرقة تتعرض لبناء العبارة في الشعر والكلام وما ينبغي أن تتصف به البليغة

<sup>(</sup>١) - البيان والعبيين ، ٢/ ٢٣ -

 <sup>(</sup>٣) راجع أثر القرآن في تثور البقد المربي و لنبكتور محمد زهاول سلام » ،
 بالافة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور ابراهيم سلامة ، ص ٥٤ ـ ٥٧ .
 والبيان العربي من الجاحفا إلى عبد القاهر للدكتور طه حصين ، في مقدمة
 نشد النش المنسوب لقدامة بن جعفر »

منها من التلاؤم والقدرن (۱) ، كما يتحدث عن السرقات والمآخذ الممنوية في السيان (۳) ، وأن الممنوية في البيان (۳) ، وأن الكلمة أذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وأذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان (٤) \* ويتحدث عن الطبع والصنعة في الشدر (۵) \*

## روح الفكاهة والسغرية في أدب الجاحظ :

يقول ابن قتيبة عن الجاحظ أنه يلجأ في كتبه الى المضاحيك والعبث -

وروح الفكاهة والسخرية سمة دائلة في كتاباته ، وربما كانت من أبدح خصائص فنله الكتابي ، فالفكاهة اقتدار وهبة من عند الله ، وهي تدخل على نفس القلاريء النشاط وتروح عنله \*

ومن أجمل ما كتب متضمنا روح الفكامة والسغرية كتابه الخالد و البخسلاء » ورسالته « التربيع والتدوير » وبعض فصول في كتاب العيوان ، وفي رسائل أخرى متفرقة •

وتراه في البخالام يسخر منهم ويعرض حرصهم على طعامهم

<sup>(</sup>۱) - راجع البيان والتبين ، ۱/۵۰۳ -

<sup>(</sup>۲) البيان ، ۱۹۱/۱ •

<sup>(</sup>۱۳) البيان ، ۱/ ۱۰ -

<sup>(</sup>a) اليسان ، AT/۱ (a)

<sup>(</sup>a) البيان ، ۲۰۰/۲ ـ ۲۰۰ - (a)

بصور مضحكة كقوله في أحد بخلائه وقد دعاء هو وبعض أصحابه الى طمام كان خبزه قليلا ، على قدر كل واحد رغيف :

و وكنت أنا وأبو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام وقطرب النحرى وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خبوان فلان بن فلان والخوان من جزعة ، والغفسار سينى ملمع أو خلنجيه كيماكية ، والألوان طبية شهية وغذية قدية ، وكل رغيف في بياض الفضة كأنه البدر ، وكأنه مرآة مجلوة ، ولكنه على قدر عدد الرءوس ، فأكل كل انسان رغيفه الا كسرة ، ولم يشبعوا فيرقموا أيديهم ، ولم يمدوا بشيء فيتموا أكلهم والايدى معلقة ،

## ويقول في أخسر:

و • • قد رأيناه ينفق على مائدته وقاكهته ألف درهم فى كل يوم ، وعنده فى كل يوم عرس ولان يطمن طاعن فى الاسلام أهون عليه من أن يطمن فى الرغيف الثانى • ولشق عصا الدين أشد عليه من شق رغيف • لا يعد الثلمة فى عرضه ثلمة ، ويعدها فى ثريدته من أعظم النقم • • • •

وقى رسالة التربيع والتدوير ترى الجاحظ يفتن في رسم صور سائمة هزلية لشخص محمد بن عبد الوهاب الذي أدار حوله الرسالة • وهي تعد من أبرع رسائل الهجاء في أدبت النثرى ، وقد شرع بها للناثرين من بعده طريقاً ، اقتحموه ، وتفاوتوا في في سلوك درويه ونواحيه "

## كتاب العيوان ، بين الادب والعِدل الديني والاجتماعي :

يمثل كتاب الحيوان للجاحظ صورة واضحة متنوعة الجوانب تشخصية الجاحظ الادبية والمذهبية والفكرية والاجتماعية •

فهو كتاب جامع لهذا كله • وان بدا مختصا بموضوع الحيوان •

- السيمة ان موضوع العيسوان يشمل الحديث في العياة وأسرارها ، وفيها عناصر البحث من الخالق وقدرته ، والدليل على وحديثه ، وعدله ، وحكمته ، فهسو موضوع جليل لكشف حقائق الإيمان ، وتدعيم جدل المعتزلة ، او يمكن أن يستمد هؤلاء منه مددا كبيرا لافكارهم وحججا لهم على معارضيهم ، وقد أشار الجاحظ الى اهتسام بعض المتكلمين في عصره بالكلب والديك والمناظرة بينهما (۱) .
- إلى موضوع الحيوان كان تراثا دينيا أو هو في وجدان كثير من الشموب التي دخلت الاسلام يتلون بالوان مقائد الاسلاف التي تحيط الحيوان بضروب من الافكار ، والعقائد انحدرت اليهم من ماضيها السحيق حين كانت تقدس الحيوان وتجعل منه آلهة للخير أو الشمر و وتحوك حوله الاساطير والخرافات لتثبيت هذه المقيدة أو تلك ويشير الى هذه المقائد والاساطير في مواضع كثميرة من ويشير الى هذه المقائد والاساطير في مواضع كثميرة من

 <sup>(</sup>١) راجع الجاحظ للدكتور طم العاجرى ، من ٤٠٣ و العيوان ١٩٠١ / ١٩٩٠ر.

الكتاب - كما أكد هذه الحقيقة في المجتمع العباسي في عصره ما رواه الحمرى في أخبار أبي نواس قال العصرى :

و لما حبس الامين أبا نواس دخل عليه خال الغفل بن الربيع وكان يتعهد المحبوسين ويسأل عنهم ، وكانت فيه غفلة ، فأتى آبا نواس فقال : ما جرمك حتى حبست في حبس الزنادقة ؟ أزندين أنت ؟ - قال : معاذ الله - قال : أتعبد الكبش ؟ قال : والله ما ولكنى أكله بصوفه - قال : أفتعبد الشمس ؟ - قال : والله ما أجلس فيها من يغضها - فكيت أعبدها ؟ - قال : أفتعبد الديك ؟ قال : افتعبد الديك ؟ قال : لا والله بل أكله ولقد ذيحت ألف ديسك ، لان ديكا نقرني مرة ، فحلفت ألا أج ديكا الا ذبحته (١) "

وقد اتصل حديث الديك والاعتقاد الديني فيه بالاسلام ، فأحدث الناس حوله بعض الاحاديث كذلك الحديث الذي رواء الطبراتي في معجمه :

و أن فلا سبعانه وتعملل ديكما أبيض ، جناهماه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلو جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تعت المرش ، وقوائمه في الهوام ، يؤذن في كل سعر ، فيسمع على المسيحة أهل السماوات ، وأهل الارش الاالشان الانس والجن ، فعند ذلك تجيبه ديسوك الارض ، فاقا دنا يسوم القيامة ، يقول اللاسبحانه وتمالى : ضم جناهيك وهض صوتك ،

<sup>(</sup>١) - جميع الجواهن للحصرى ، ص ١٩٣٤ طبع الرحمانية ١

فيعلهم أحمل السعوات والارض الا الثقلين أن الساعة قهد اقتريت (۱) \*

وقد ارتبط همذا الممنى الديني في الديك عند المسلمين لصياح الديكة قرب طلوع الفجر ، والفجر عندهم موعد فويضة المسلاة الاولى ( المسلمج ) • وربسا ارتبط المعنى الديني عدد ثنوية الغرس لانه مبشر بالمسياء وخروجه من الطلمة •

ويشير الجاحظ في غير موضع من كتابه الى اعتقاد الناس في تقسيم أنواع الحيوان الى شرير وخير ، وربما كان ذلك أثرا مغ آثار بعض عقائد الفرس القدماء من المجوس خاصة في أن الحيوان قسمة بين الهي الخير والشر ، بعضه من خلق اله الخير هرمز ، والآخر من خلق اله الشر أهريمان \* ويتصل الاعتقاد في الحيوان كذلك فيما يتطير منه أو يتفاءل به من الحيوان ببعض عقائد الكلدانيين \*

٣ ـ أن موضوع العيوان كان من عناصر العياة الشعبية اليومية في المبتمع العباسي المعاشر فقد شغل بعض الناس بضروب من العيوان ، في لهوهم ، فاتخذوا منه أداة لقضاء الوقت وشغل الغراغ أو أداة للمفاخرة والمبارزة ، كاقتنائهم من الديكة المهارشة ، والكباش ، والنمائسم وغيرها مس وكتمصبهم عرفيا لهذا العيوان أو ذاك ، ومنته تعصب العرب للبعير الناقة ، والقرس ، والهند للغيل مثلا مثلا ...

<sup>(1)</sup> راجع ، الجاحظ للدكتور بله الناجي عن سن ٥٠٤ -

٤ ـــ الموضوع نفسه كان موضوعها فلسفيا مطرقه من قبل قلاسفة اليونان ، والقه فيه فيلسوفهم أرسطو (٢) كتابا ، أقلب الظن أن الجاحظ وقف عليه ، نكنه اختلط لنفسه طريقا آخر مغايرا له .

أما الدور الاجتماعي للحيوان ، وان كان متمسلا بوشائح متينة بيعض المقائد والاساطير الدينية ، الا أن عنا الاتصال اليومي بين الحيوان والانسان في الحياة ، والمشاركة في يعض أعيائها جعل الروابط بينهما مدهماة لمضروب من القصص ، أو الاساطير -

ويختلف الحال في بعض المجتمعات التي يغلب عليها نوع خاص من الحيوان على بعضها الاخال فتالحيوان مجتمع البادية وحيوانه ، وعلاقة المناس والحيوان بعضهم ببعض يختلف عن مجتمع البلاد البحرية ، أو الزراعية وعلاقات الناس والحيوان فيها بالضرورة "

والمجتمع العباسي في عصر الجاحظ بجمع عناصر عديدة من مجتمعات بدوية صحراوية أو زراعية ريفية ، وجبلية ، وجعرية ، تعدد بيئاتها ويتعدد حيرانها "

و تتخلط علاقات الناس بأنواع الحيوان ، لاختلاف بيئاتهم، فعيوان الصحيراء كالبعير والكلب والكيش ، قريب الى نفوس

 <sup>(</sup>۱) ترجد ترجمة له غير منسوبة بالمتحف البريطاني مغطوطة بد ويشير ابن النديم
 الى إن ابن البطريق ترجم كتاب الحيوان الارسطو .

البدو أثير لديهم ، لانه يشاركهم أعباء الحياة فيها ويتحمل معهم عناهها ، فيحملهم ويصبح على الرحلة ، أو يدفع عنهم شر الغريب ، وينبههم الى الفارة أو يدود عنهم عوادى الحيوان المغترس كالذئب والسبع ، أو يدهم بالطحام ، من لين ولحم وحيوان البحار كالحوت والاسماك ، وطيحرر البحم لها كذلك علاقات بأبناء الجزر ، والثغور وقد كان بالبصرة موطن الجاحظ جماعة كبيرة من البحريين وووا كثيرا من القصص عن حيوان البحار ، ولاحظ الجاحظ عليهم التزيد والاغراب ومنها ما يرويه أولئك من صداقة بين بحارة السفن وبعض الطيور التى يرويه أولئك من صداقة بين بحارة السفن وبعض الطيور التى تداهم على الشاطىء والمناطىء والمناطن والمناطىء والمناطن و

## يقول الجاحظ:

« ويزعم البحريون أن طائرين يكونان ببلاد السفالة ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن اليهم قبل أن يمكن البحر من نفسه لخروجهم في متاجرهم فيقول الطائر : « قدرب أحد » فيملمون بذلك أن الوقت قد دنا ، وأن الامكان قد قرب « قالوا : ويجيء طائر آخر وشكل آخر فيقول : سمارو ، وذلك في وقت رجوع من قد خاب منهم ، فيسمون هذين الجنسين من الطير وقدرجوع من قد خاب منهم ، فيسمون هذين الجنسين من الطير وقدرب » و « سسمارو » « فيزعم أهل البحر أن ذينك الطائرين وقدرة (۱) » «

<sup>(</sup>١) العيسوان ، ٢/٣٠

وريما كان من وحسى أحاديث هؤلاء البحريين التي روي الجاحظ طراقف منها حول الحيسوان نبع قميص الف ليلة وليلة التي تدور في البحار من أمثال قميص السندباد والرخ وما البهاء

والحيوان موضوع و فلسفى » ، واهتم به الجاحظ ، من باب اهتمامه الفلسفى ، والعلمين وقد قيرا في كتب الفلاسفة والاطباء عن الحيوان ، فأراد أن يحيط علما بههذا المالم الذي تعطي المعرفة به زادا علميا وفكريا عظيما ، ويشير الجاحظ الى ما جاء من مصارف عن الحيوان عن طريق العرب وأخبارهم وأشمارهم وما جاءه عن طريق العلم والمعرفة من فلاسفة وحكماء وأطبياء .

« وقل معنى سمعناه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الاطباء والمتكلمين الا ونحن قد وجدناه أو قريبا
منه فى أشعار العرب والاعراب ، وقسى معرفة أهل لغتنا
وملتنا (١) ه - فالالمام بأنواع المديوان ، وطبائعه ، وتوالده ،
وحياته من أدور المعرفة أو العلم المضرورية للقيلسوف والعالم -

وقد مال الجاحظ في هذا الجانب من كتاب العيوان أحيانا "إلى التجريب والملاحظة البصرية والمعاينة ، أو الاتصال بالتجربة اتصالا مباشرا -

ولا يصدق الجاحظ - مدفوعا بهذا الروح العلمي - كل ما

<sup>(</sup>١) الميسوان ، ٤٩/٧ ١

يقع لسمعه من أخبار حول العيوان ، وطبائعه ، وعيشه وتناسله، فهو يضعها موضع المناقشة والشك والتجريب والنظر ، فما ثبت منها لهذا كله أخذ به ، وما لم يثبث أنكره ، ونفاء حتى لو وقع له في الكتب أو من أفواه العلماء •

### يقسول منسلا:

و وسا لا أكتبه من الاجناس العجيبة التي لا يجسر عليها الا كل دقاح ، أخبار بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب ، يترؤها ويدارس أهل البصرة ، ويتحفظها ، زعموا أن الضبع يكون عاما ذكرا وعاما أنثى ، وسمعت هذا من جماعة ، منهم من لا أستجيز تسميته » \* ثم يقول : « وأولئك بأعيانهم هم لذين يزعمون أن النمرة تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه أفعى قد تطوقت به » \*

ويبد كتاب الحيوان من آخر ما ألف من الكتب، وهو يشكو فيه علته التي مات بها وتقلهر عليه آثار الاضطراب لهذه العلة ، وأن وسنته سنات النضوج والتجارب المديدة فني رحلة حياته الطويلة ، ومن نخيرة فكره العافلة المنوعة -

## ابن قتيبة في عصره

#### 1 \_ نشاته

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (١) ، كان والده قارسيا من مرو الروز (٢) وتغتلف المصادر في البله الذي ولد فيه ابن قتيبة ، فيذكر ابن النديم أنه الكوفة (٣) ، ويدكر الخطيب البغدادى أنه بغداد (٤) ، ويبدو أنه ولن بالكوفة ، ولم يتم بها كثيرا قانتقل في صباه على الارجسع الى مدينة السلام ، قطالت اقامته بها حتى عد من أبنائها .

وقد أثرت حياة بغداد قي نشأته الغكرية ، اذ أنه تلقى الملم على جماعة من علمائها الاجلاء ، فأخذ الحديث عن أنعته المشهورين قيمه مثل اسحاق بن راهوية ، وتلقى النحو عن جماعة من علماء الكوفة والبصرة ، مثل أبى حاتم السجستاني "

وتأثر في شبايه بما كان يدور في أوساط العلماء من جدل وتناظر باين المعتزلة وأهل السنة ، ولمس فلي فجس حياته غلبة

<sup>(</sup>۱) دينسور : ودينهور في المسادر السريانية مدينة من أهم مدن جيساك يرجع تأبيسها الى الجاهلية وكانت في عهد الخليفة عمر أعمر مدينة في الليم عمدان وقد سلمها الوالى الفاربي للعرب هتب وقعة نهاوند العاسسة مباشرة ( حوالى عسام ۲۱ هـ ) وقد ازدهرت أيضا اللاهارا كبديرا في عهد الامويسية والماسية -

 <sup>(</sup>۲) (الاشريسة) لمعدد كرد على ما ص ۱ ...

<sup>(</sup>٢) ( الفهرست ) طبع أوريا ٢

<sup>(</sup>٤) ( تاريخ بقداد ) ١٠٠ - ١٧٠ -

المعتزلة على الحياة الفكرية ، فأعجب ـ على ما يبدو ـ بآرائهم كما يحكى في « تأويل مختلف الحديث » (1) \*

وقد اختير قاضيا لمدينة الدينور ، وهي بلدة من بلاد الجبل قرب قرميسين كان بها جماعة من العلماء والمحدثين والمشايخ المحدثين المشاهير (٢) ، وقضى بالدينور زمنا اتصل فيه بأولئك المحدثين والفقه ، ثم عاد الى بنجداد ، والفقهاء ، وعدارس أمور الدين والفقه ، ثم عاد الى بنجداد ، وهناك وجد شمس المعتزلة آخذة في الافول بعد أن تولى الغلافة جمفر المتوكل ، وساعد أهل العديث والسنة على الظهور على منافسيهم \* فتقدم هو ليدلى بدلوه ، وينتصر للسنة ، ويجمع من الأراء والكتب ما يمينه على ذلك \*

واتصل ابن قتیبة فی بنداد برجال الدولة كمادة غیرد من العلماء والادباء وعرف منهم فی ذلك الوقت الوزیر آیا الحسن عبید الله بن یعیی بن خاقان وزیر المتركل وابنه المتند (۳) و أهدى اليه كتابه و أدب الكاتب »

واستمرت حياته العلمية ببغداد ، فاشتغل بالتدريس للناس زمنا (٤) ، وكان يقرآ كتبه على تلاميذه ، ومن بينهم جماعة من

<sup>(</sup>١) ( تأويل مختلف الحديث ) ص ٧٤ -

 <sup>(</sup>٢) فرميسين : تشمط الاراضي السفلي من جبال قرميسين أما دينسو.
 فتشمل الاراضي العليا منها .

<sup>(</sup>٣) الانساب = ٢٣٨ مل أوريا -

 $<sup>\</sup>cdot$  وفيات الأعيان -167/7 مل محى الدين  $\cdot$ 

العلماء الذين نبهرا بعد ذلك وكان لهم نتاج معروف مثل ابنه أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الذى حدث بكتب أبيه في مصر حين ولى القضاء بها ، وعبد الله بن جعفر بن درستويه الكاتب الفارمي صاحب « أدب الكتاب » -

وقد شارك مشاركة جدية في معاربة نزعات الشك والفلسفة التي غلبت على المقول في ذلك الوقت ، وسيتضح هذا عند تناول اتجاهاته المختلفة في كتبه ، وقد ترقى ابن قتيبة بعد أن قضي حياته في خدمة الدين والادب سئة ست وسبعين ومائتين على الارجح (١) ، وكائت وفاته فجأة ، صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمى عليه ، ومات ، وقيل انه أكل هريسة فأصابته حرارة ثم أغمى عليه ، ومات ، وقيل انه أكل هريسة فأصابته حرارة شم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه الى وقت الظهر ثم اضعلرب ساعة ثم عدا ،

### ٧ ـ ثقافتـه وآراؤه وعقائـده

ذكرنا عند الكلام عن ثقافة العمر أن المعتزلة أثاروا حركة فكرية واسعة في عصر المأمون والمعتصم ، وأن كثيرا من الكتب اليونانية وغيرها من مختلف الثقافات قد نقلت الى العربية وأثرت تأثيرا عظيما في ثقافة العصر وثمراته الباقية ، وأشرنا الى النضال الفكرى بين المعتزلة وأهل السئة ، ولما كان ابن قتيبة

 <sup>(</sup>۱) اختلفت المسادر في سنة وفائه بين -۲۷، ۲۷۱، ۲۷۱ - دراجع ( اپن ختكان ) طبع باريس ۱/۳۵۶ و ( تاريخ بنداد ) طبع السعاد؟
 ۱۹۳۱ - ۱۱/-۱۱ - ۱۷۱ - ۱۷۲۱

أحد أيطال ذلك النضال ، فينبغلي أن نقف عنده النتمرف الى جوانيمه ،

اتجه ابن قتيبة في مطلع حياته الى علم الكلام ، واجتذبته أضواؤه ، فجلس الى كثير من علماء المتكلمين وأخذ عنهم واغنر بكلامهم فقد قال : « وقد كنت في عنفوان الشاب وتطلب الأداب أحب أن أتعلق من كل علم يسبب ، وأن أضرب فيه يسهم ، فريما حضرت يمض مجالسهم ، وأنا مغنريهم طامع ان أصدر عند يفائدة أو كلمة تدل على خير أو تهدى لرشد ، فأرى من جرأتهم على الله تعالى ، وقلة توقيهم ، وحملهم أنفسهم على العظائم لطرد القياس أولئلا يقع انقطاع ، ما أرجع معه خاسرا نادما (١) » -

وقد أفاده اطلاعه على آراء المتكلمين في جدله معهم ، أذ قارعهم المحجة بالحجة وكال لهم بالكيل الذي كالوا به لاهل السنة والعديث ، وتأثر ابن قتيبة باراء أبي حاتم السجستاني وشيخه المحدث اسحاق بن راهوية ودافع عنها (٢) .

ويبدو أنه كان ملما بالفارسية (٣) ، مطلعا على كثير مما جاء في الكتب السماوية مترجما فقد استشهد في كثير من آرائه بما جاء في التوراة والانجيل ٠

وفي كتبه دلائل كثيرة على المامه بالفلسفة ، منها ما يبئقله

<sup>(</sup>١) - تأويل مغتلف العديث ما جي ٧٤

<sup>(7) -</sup> تأويل مغتلف العديث .. من 10 •

<sup>(</sup>٣) - كانيرا ما يذكر في كتبه ( قرأت في كتب المعجم كذا واكدا ) •

عن أرسطو صاحب المنطق كما ينقل عنه بعض الملومات في الطبيعة كأن يقول و وكيف لا يعجبون من حجر يجذب الحديد من بعد ويطيعه حتى يذهب به يمينا وشمالا بذهابه ، وهذا حجر المناطيس وكيف صدقوا يقول أرسططاليس في حجر المستقبل انه اذا ربط على بطن صاحب الاستقساء نشف منه الماء - - - - النح (۱) - كما أنه يذكر في تأويل منطف الحديث و أنه انسل بأيوب المنطيب ، وحنين بن اسعاق .

واختلطت دراساته الفلسفية ، والمنقولة عن العجم واليونان بارائه الدينية ، ومع أنه كان من المنتصرين لاهل السنة المدافعين عن مبادئهم وآرائهم ، فقد اتهمه بعضهم بالخسروج ، قال الذهبي (٢) : و وقال الحاكم أجمعت الامة على أن القتبي كذاب ، واتهم بأنه كان خبيث اللسان يقع في كبار العلماء (٣) : . كما اتهم بأنه منحرف عن المعرة ، وأنه يميل الى التشبيه ، ويرى رأى الكرامية الذين يغالون في التشبيه والتجسيم ، قال الدهبي : وقال البيهقي كان يرى رأى الكرامية » (٤) .

ولم يرض عنه أنصار الفلسفة ، وساءهم هجومه عليها. وتقليله من شأنها ، فاتهم بالجهل بها وعدم المعرفة \*

<sup>(</sup>۱) - أدب الكاتب ، وشرح أدب الكتاب ـ لمليعتليوس ـ ص، ٤٣٨ ·

<sup>(</sup>٢) مقدمة و الاشرية مالحمد كرد على - ص ٢٠

<sup>(</sup>٢) نفس المعبدر ... ص ه ٠

<sup>(</sup>٤) ميبران الامتدال -

ولكنه على الرغم من تلك الاتهامات التى وجهت اليه ظبل محتفظا بمكانته العلمية الرفيمة وظل يمثل الجاحظ في أهل السنة ، ولم ينس فضله جماعة من فضلاء المؤرخين فأشادوا به ومن هؤلاء الخطيب البغدادي ، والعافظ الذهبي ، والسيوطي وقد سغر من قول الحاكم و اجتمعت الامة على أنه كذاب و فقال : وما أعلم الامة اجتمعت الاعلى كذب الدجال ومسيلمة (1) ه وقدره ابن تيمية حق قدره ، ووضعه في المكان الملائق ونفي عنه ما وجه اليه من طعن وتجريح ودافع عنه تهمة التشبيه وقوله بأراء الكرامية واعترف بأنه أمام أهل السنة في زمن كان الجاحظ فيه امام المعتزلة وخطيبهم قال : و وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الوقيعة فيي (بن قتيبة يتهمم بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خبر فيه (٢) ،

وذكر يوهان فك تى « العربية » أنه أيسرز الادياء المعتلين المتعديد السنى (٢) \*

ويعتبر ابن قتيبة كاتب أهل السنة في النصف الاخير من القرن الثالث ، فقد آلف كثيرا من الكتب تناول فيها قضية السنة والعديث ، وما وجه اليهما من اتهامات على أيدى المعتزلة ، وانتصر للمذهب ، وللمحدثين ومناهجهم في العلم والعقيدة ، واظهر هذه الكتب وأسيرها كتاب و تأويسل مختلف العديث ، ،

<sup>(</sup>١) - يغيسنة الوعسناة ١

١٢٥٢ على مورة الاخلاص لابن تيمية ـ ص ١٣٢ ط المتيرية بمصر /منة ١٢٥٢ - .

<sup>(</sup>٣) - العربية - ص ١٣١ -

و والاعتلاف في المفظ والرد على الجهمية والمشبة، و والمسائل والاجويسة » "

والاساس الذي تقوم عليه آزاؤه هنا لا تنضح حتى نعرض لما كان يوجهه المتزلة لاهل السنة من اتهامات ، فقد عرف المعتزلة بانهم أهل التوحيد والمدل لانهاأصل عقيدتهم الغكرية أو الدينية ، والتوحيد عندهم أن الله واحد منزه عن الخلق لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء ، وكل ما يمس هذا الاعتقاد من قريب أو يميد عندهم فهو باطل مشكوك فيه ، ويتفرع على هذا أن الله تعالى لا تنغمل صفاته عن ذاته ، ولا يجوز أن يشبه خلقه في شيء من تلك السغات ، لذلك تأولوا ما جاء في القرآن من ألفاظ قد توحي بغير عقيدتهم ٠ ويرى أهل السنة النسليم بما جماء في القرآن والعديث كما هو لا يتأولونه ، وهم وراء هذا يرون أن صفات الله تمالي منفصلة عن ذاته ، فألله عالم بعلم وقادر بقدرة " وقد يوخبح هذا الخلاف ما ذكره الطبرى في تفسير قوله تعالى : ( وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلث أيديهم ولعنوا بما قالوا ، يل يداء مبسوطتان ) قسال : وقد اختلف أهل الجبدل ــ وهــم المتكلمون في تأويل قوله تعالى : ( بل يدأه ميسوطتان ) قال بعضهم عنى باليد النعمة أو القوة أو الملك ، وقال أخرون : بل يد الله صفة من صفاته ، هي يد غمير أنهما ليست بجارحة ، واستدلوا على استحالة الممذى الاول بادلة منهما قالوا : وذلك أن الله ــ تعالى ذكره ــ أخير عن خصوصية آدم يما خصه به من خلقه

ایاه بیسه ، و کان لخصوصیة آدم بذلك وجه مفهوم ، اذ کان جمیع خلقه مخلوقین بقدرته ، ومشیئته فی خلقه نممه ، و هو-لجمیعهم مالك و قالوا: و اذا کان \_ تمالی ذکره \_ قد خص آدم بذکره خلقه ایاه بیده دون غیره من عباده ، کان معلوما آنه انما خصه لمنی قارق غیره من سائر الخلق ، و اذا کان گذلك بطل قول من قال : معنی الید من الله القوة أو النعمة أو الملك » (۱) و

وأما مبدأ المدل أن الله عادل لم يخلق الناس وهو مقدر لما يعملون من خير أو شر ، والا ما كان ثواب الجنة وعداب النار ، فأعمال الانسان في الحياة باختياره ، ليس من المسدل تسبتها للقدر - وانما غاية الامر أن الله تعالى يصطفى من عباده الاخيار ممن يرضى عنهم فيهيهم اللطف الذي يعينهم على السبر في طريق الخير ، ويحجبه عن عبادة الذين لا يرضى عنهم فيسيرون كما توحى لهم أنفسهم -

ويرى أهل السنة عكس ذلك ، وأن القدر يتدخل في أعمال الانسان، لذلك سموا المعتزلة بالقدرية ، لانهم نسبوا التسدر

تلك هي الاصول ، وأما الفروع فما اختلفوا فيه منها القول في اعجاز القرآن ، فقد خرج النظام على جماعة المسلمين برأى في الاعجاز مؤداه أن القرآن معجز لان المصرف الخلق عن الاتيان

<sup>(</sup>١) - تنسير الطبري ـ وراجع، مناهب التنسير ۽ لجوات تسهور سانس (하) -

بمثله قال الشهرستاني : و انه كان يرى أن اعجاز القرآن من حيث الاخبار عن الامور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعي عن المارضة ومنع المرب من الاهتمام به جبرا وتعجيزا ، حتى لو خلاهم لكائوا قادرين على أن يأته بسورة من مثله بلاغمة وقماحة ونظما (١) » -

وقال الجاحظ تلميذه: ان النظام وأصحابه كانوا يوعمون أن القرآن حق ، وليس تأليف بحجة ، وأشه تنزيل وليس بيرهان (٢) -

ويرى أكثر المعتزلة وأهل السنة أن القرآن معجس ببيانه وأسلويه الرائع الذى لا تستطيعه العرب ، والذى ظهر عجزهم عنه منذ عهد النبى صلى من عليه وسلم - يقول الجاحظ أن معجزة النبى في القرآن كانت قاطعة ، وكان موقعها في العقل كموقع فلق البحر بالنسبة للمين (٣) كما يذكر أن العرب لم يقدروا على الاتيان بمثل عجزا ووهنا ، لا تهاونا ولا تغافلا لان الاتيان بمثل أصفر سورة منه كان كفيلا بأن يكفيهم شر قتل الانفس والاولاد - شم يرى أن الاعجاز متصل بالنظم وحده ، أى الاسلوب ، بصرف النظر عن معانيه (٤) -

١١ الملل والتحل \_ طبع ثيزج \_ ص ١٩ -

<sup>(</sup>٢) رسائل الجاحظ ، طبع الستدويي \_ ص ١٤٧٠

<sup>(</sup>۲) الرجم السابق ، س ۱۶۳ ه

 <sup>(4)</sup> أثر المقرآن في تطور النقد \_ لمحمد زغلول سلام - ص ٢٠٠٠

وتعرض كثير من الملماء في عصر المجاحظ لاعجاز القرآن من خاحية نظمه وبيانه وتعرض ابن قتيبة من وجهة نظر أهل السنة لهذه المسألة في كثابه و مشكل القرآن » على ما سنعرض له عند تحليل الكتاب •

وكان الخلاف بينهم حول تفسير ما جاء في القرآن من آيات المجاز والتشبيه والاستمارة وما يماتلها كذلك في الحديث: قال الجاحظ في تفسير قوله تعالى: (انها شجرة تنبت في أصل البحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين)، وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الاميم استقباع جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهيته وقد أجرى على السنة جميعهم ضرب المشل في ذلك رجع بالايحاء والتنفير، وبالاخافة والتقريع الى ما قده جعله الله في طباع الاولين والآخرين وعند جميع الامم على خلاف طبائع رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن (۱) وقال : « والمتكلمون رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن (۱) وقال : « والمتكلمون المفسوية » «

واختلف ابن قتيبة مع المعتزلة والجاحظ ، فانه كان يرى كما قلنا رأى مذهبه ولا يعاول أن يبعد في التأويل ، بل يفسر

۲۹/٤ = الحيران = ۲۹/٤ .

۲۱۲/۹ ... نفس المنتدن ... ۲/۲۱۹ ٠٠.

في حدود النص تفسيرا لغويا محدودا على قدر ما تسمح به معانى الالفاظ الظاهرة وقد اتهم بالتشبيه والتجسيم ، ولعل ذلك راجع الى بعض ما أورده في كتابه و تأويل مختلف الحديث » ولكنه أوضع موقفه بصورة ناضجة في و تأويل مشكل القرآن و ، فهو فيه معتدل لا يأخذ بمذهب أصحاب الظاهر من اللغويين ، كما ينفى تفسير المشبهة ، ويعرض في كتاب و الدرد على الجهمية والمشبهة ما انزلق اليه هؤلاء من أخطاء "

وعارض المعتزلة المحدثين حول ما يمكن الاعتماد عليه من الحديث ، فكان عمرو بن عبيد لا يثق بهم (1) وقد ذكر ابن قتيبة أنهم اتهموا أهل الحديث بالكذب والتناقض وأن النظمام أنكر حجية الاجماع ، وغلب عليه القياس المنطقى ، والجواز المقلى ، كما أنهم نالوا من المحدثين بالسخرية ، والاتهام بالجهل وقلة المعرفة بالشعر واللغة ، أو بأنهم وأجهل الناس بما يحملون وأندر الناس حظا فيما يطلبون » وقالوا في ذلك :

زوامل في الاشعار لا علم عندهم بعيدهما الاكملم الاباعسر لممرك ما يدرى البعير اذا خدا باجماله ، أرواح، ما في القرائر

وأتهم قنعوا من العلم پرسمه ، ومن العديث باسمه ،
 ورضوا بأن يقولوا : فملان عارف بالطرق راوية للحديث ،
 وزهدوا في أن يقال : عالم بما كتب أو عامل بما علم (٢) » •

<sup>1)</sup> أثر التران في تعاور النفسد ــ س ١٧٠٠

أو يل مختلف العديث ــ ص ١٠ ــ ١١ ــ أ

ويرد ابن قتيبة على هذه الآراء ردا شاملا جامعا قبرى : ه أن معانى الكناب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والثولد والعرض والجوهر ، والكيفية والكمية ، والاينية ، ولو ردوا المشكل منها الى أهل العلم بها ، وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج (١) \* وعنده أن اطلاق الامر للرأى والمقياس في المسائل الدينية الدقيقة مثل صفات الله تعالى، وقدرته ، ونميم أهل الجنة وعداب أهل النار يدعو الى الخلاف والزيغ والاحسن فيها أن نلجأ الى الحديث ونؤمن بما جاء به متعلقا بها ، لانها في رأيه ه أمور لا يعلمها نبى الا بوصى من الله تعمالى (١) » \*

وبالرغم من دفاع ابن قتيبة عن الحديث، فانه لم يكن محدثا بالمنى المصروف قبال الحافظ الذهبى : « أبو محمد صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية (٣) »، وقال : « ابن قتيبة من أوعية العلم ، لكنه قليل المحل في الحديث (٤) » وله كتاب في « غريب الحديث » وأخر في « اصلاح الغلط في غريب الحديث لابي عبيد » \*

وكان يدهب في الفروح مدهب أحمد بن حنبل : فقيد

<sup>(</sup>۱) تأويل مغتلف العديث \_ ص ۱۱۱ -

<sup>(</sup>۲) - نقس المبدر ــ من ۷۷ -

<sup>(</sup>۲) ميزان الامتسال ـ ۲/۷۲ -

 <sup>1</sup>A/۲ ... ثانكرة المقاتات ... ۱۸/۲ ...

عاصره وأخذ عنه ، قال ابن تيمية : « ابن قتيبة من المنتسبين الى أحمد : (١) •

#### ٣ - بين ابن قتيبة والعاحظ

ذكر ابن قتيبة أنه أخدت عن الجاحظ وآنه أجدازه ببعض كتبه (٢) ، وقال ابن تيمية : ويقال هو لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، قانه خطيب السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المتزلة • وقد ذكر محمد كرد على في مقدمة كتاب و الاشرية ع ما كان بين ابن قتيبة والجاحظ ، وكيف أنه عنف في ردوده على الجاحظ ، واتهمه بالكذب ، وكان فيما بيدو مندفعا في حمية الذود عن آرائه وآراء شيوخه وأصحابه ، فأفلتت منه عبارات فيها عنف وتجريح لعالم جليل وأستاذ من أساتذة الفكر المربى ، قال في شأنه : و ثم نصر الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين وأحسنهم للعجة استثارة ، وأشدهم تلطف التعظيم الصغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغراء ويبلغ به الاقتدار الى أن يعمل الشيء ونقيضه ،ويعتج لقضل السودان على البيضان وتراه يعتج مرة للمثمانية على الرافضية ، ومسرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة ، ومرة يغضل عليا رضى الله عنه ، ومرة يؤخره ، ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتبعه قال الجماز وقال اسماعيل بن غزوان كذا وكذا من الغواحش ،

<sup>[1] -</sup> تفسير سورة الإخلاص ساص ١٧١٠-

<sup>&#</sup>x27;Y) عبون الاخبار ساج ٣ ــ ص 194 ·

ويجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يذكر في كتاب ذكرا فيه ، فكيف في ورقة أو بعد سطر وسطرين ، ويعمل كتابا يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فاذا صار الى الرد عليهم تجوز في الحجة ، كأنه انما أراد تنبيههم على مالا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين ، وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث، يزيد بذلك استمالة الاحداث وشراب النبيد ، ويستهزىء من الحديث استهزاء لا يخفي على أهل العلم \_ وهو مع هذا من أكذب الامة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل (١) » \*

# ٤ ـ تأثـره وتأثـيه

وتتوعت دراسات ابن قتيبة اللغوية ، وقد سببق ذكرنا لاساتدته في هذا الميدان ولمل من أبرزهم آبا حاتم السجستاني تلميذ الاصمعي ، وروى عن الكرفيين ، وأخذ عن البصريين وخلط بين للدهبين وقال ابن التدييم : وانه كان يغلبو في البصريين الا أنه خلط في كتبه عن الكوفيين وكان صادقا فيما يرويه عالما باللغة والنحو (٢) » وكان البطليوسي يقول انه دو مذهب ضعيف في النحو (٣) ، وهدو مدع ذلك \_ كما عده السيوطي \_ من النحويين (٤) ويعتبر اماما لمدرسة بنداد التي مزجت بين آراء الكوفة والبصرة (٥) »

<sup>(1)</sup> تأويل مختلف المديث ــ ٧١ ـ ٧٠

<sup>(</sup>۱) القهرست ــ ص ۷۷ ــ ۸۸ -

۲۳ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢٣٠٠

<sup>(4)</sup> يفيسة الوحيساة ... ٢٩١٠

 <sup>(</sup>a) دائرة المعارف الاسلامية ــ م ۲۹۰ •

والباحث في كتبه يدى أنه يستشهد بآراء علماء المدينتين ، ويختار لنفسه مذهبا بينهما وتسارة يفضل آراء علماء أجيد الفريقين ، وترى هذا كثيرا في كتبه ، فهو يفضل آنا رأى أبي حاتم ، وآنا آخر راى أبن السكيت ، وتارة يأخذ بما قال الفراء ، وتارة بما قال السكاكي •

وذكر الازهري ما ألفه ابن قتيبة في اللفية ، وما رد به على علمائها ، فقال : « وأما أبو محمد عبد الله بن مسجلم الدينوري، فانه ألف كتبا في مشكل القرآن وغربيه، وألف كتاب « غريب الحديث » ، وكتابا في الانواء ، وكتابا في أدب الكتبة ، ورد على أين عبيد حروقا في غريب المديث سسماها واصلاح الفلط » ، وقد تصفحتها كلها ، ووقفت على الحروف التي غلط فيها ، وعلى الاكثر الذي أصاب فيه \* فأسأ الحروف التي غلط فيها فائي أثبتها في مواقعها من كتابي ، ودللت على موضع الصنواب فيما خلط فيه • وما رأيت أحدا يدفعه عن الصدق فيما يرويه عن ابي حاتم السجستائي ، والعباس بن الفرج الرياشي ، وأبي سعيد المكفوف البغدادي \* فأما ما يستبد فيله برأيه ، من معنى غامض أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فانه ربما زل فيما لا يخفي على من لمه أدنى معرفة • والفيته يحدث بالظن فيما لا يعرقه و لايحسنه ، ورأيت أبا بكن ابن الانبساري ينسبه إلى النفلة والغباوة وقلة المعرفة ، وقد رد عليه قريبا من ربع ما ألغه من مشكل القرآن (١) » \*

<sup>(1) -</sup> التهتابيب ــ للاز مرئ ــ من ۱۳ -

ويذكر الازهرى فيما يذكر أنه قبل عن أبن قتيبة أنه يروى عن سيبويه والاصمعى وأبئ عمرو وهو لم ير منهم أحدا ، ولم ير في هذا نقصا أو انحرافا لانه أخذ عن جماعة ممن حضروا عليهم (١) » "

وقد ترك لنا في مجموعة كتبه ما يشهد على علو كعبه في اللغسة رواية ودرايسة ، ومنها و كتاب غريب الحديث » ، و و تفسير و اصلاح الغلط في غريب الحديث لابي عبيد » ، و و تفسير غريب القرآن » و وكتاب الانواء » ، و كتاب و أدب الكاتب و .

وكان الى جانب علمه باللغبة أديبا واسع الاطلاع ، صاحب ذوق وبيان ، جامعا لعلوم الادب بمعناه العمام ، راويمة للشعر وأخباره ، ملما بدقائقه ، محيطا بكثير من المعارف العامة التي ينبغي للاديب أن يتزود بها ، وكان في كتبه الادبية رجلا ذواقة يحسن الاختيار (٢) ، ينظر في الشعر برأى معائب ، ولم يعب تحكيم المنطق والمقل كما لم يمل للتعنت اللغوى ، بالصورة التي كان يلقي بها اللغويون شعر المحدثين ، وكان ذوقه الادبي رائده في تفسير المشكل من آيات القيران ، فكان يرجع للذوق العربي ولا يحكم القياس ،

وقد جمع الى جانب هـذا وذلك كشسيرا مما يتصل بثقافة

<sup>(</sup>١) راجع مقدمة « مشكل القرآن ۽ بتحقيق السيد أحمد صفر ... ص ٢٨٠٠

<sup>(</sup>٢) أيل في حسن الاختيار:

قد مرتناك باختيارك اذكسا ن دليبلا على اللبيب اختياره

الكاتب والاديب من معارف عامة وسار على الدرب الذى انتهجه من قبل أبو عثمان الجاحظ ، وأبو حنيفة الدينورى ، ولذلك كان كثير من كتبه الادبية يدور حول تربية الملكة المدبية و و تحبيب الملغة الى الدارسين والشادين (١) » وكان يقصد من ورائها الى ارشاد طبقة الكتاب وتعليمهم ، ووضع ثمرات ناضجة بين أيديهم يسهل عليهم عضمها والافادة منها ، ولعل كتابه و أدب الكاتب » خير ما يمثل هذا الاتجاء الداعمى الى ثقافة الكتاب ويقول فى مقدمته و فانى رأيت كثيرا من كتاب زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطاوا مركب العجز وأعفوا انقسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكير و الخ ولهذا يقول : و فلما رأيت هذا الشأن كل يوم الى نقصان ، وخشيت أن يذهب رسمه ، ويعفو أثره جعلت له حظا من غايتى وجزءا من تأليفى ، فعملت ويعفو أثره جعلت له حظا من غايتى وجزءا من تأليفى ، فعملت المساديب كتبا خشافا فسى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن ، وأعفيته من التطويل والتثقيل لانشطة لتحفظه ودراسته (٢) » »

وقد أعجب الناس يكتبه الادبية ، ذكر السممانى أن الامير أبا نصر الميكالي قال : « تذاكرنا المتنزهات يومسا ، وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الاماكن غوطة دمشق وقال آخرون : بل سقد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد وقال بعضهم : شهب بسوان بأرض فارس ، وقال

<sup>(</sup>١) محمد كره على في مقدمة د الاشرية » ــ من ١٠٠٠

<sup>(</sup>٢) مقدمة د أدب الكاتب ي -

يعضهم: نوبهار بلخفقال هذه متنزهات العيدون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ • • قلنا : وما هي يا آبا بكر ؟ قال عيدون الاخبار للقتيبي والزهرة لابن داود (١) •

وقد عد ابن خلدون كتابه و أدب الكاتب » من دواوين الادب الاربمـة ٠

وكثرت مؤلفات ابن قتيبة في مختلف علوم الدين واللغة والادب حتى أربت على الخمسين في قول كثير من العلماء ، وزادها يعضهم الى ستين ونيف وبلغ بها آخرون زهاء ثلاثمائة (٢) ٠

۱۲۱/۱۲۰ تفسیر سورة الاخلامی ... ۱۲۱/۱۲۰ ...

#### أبوحيسان التوحيسدي

## على بن محمسك العباسسي

يعد أبو حيان من كتاب العربية المشهورين في القرن الرابع الهجرى ، وهو من الادباء الموسوعيين الذين جالوا في شتى ميادين المدفة -

ولد أبو حيان في بغداد في المشر الاول من القرن الرابع الهجرى ( منة ١٠٠٠ هـ ) من أبوين فقيرين ، وقد صمتت مصادر التاريخ والتراجم عن أخبار أسرته ونشأته ، واضطربت في عام ولادته ، والاهمال الذي لاقاه التوحيدي من العلماء والادباء أمر يدعو الى العجب فهر على علو قدره ، مجهول الذكر ٠ قال يأتوت : ولم يذكر التوحيدي أحد في كتاب ولا دمجه ضمن خطاب (١) » وكم من نابه من رجال الفكر أسدلت عليه ظلالالتسيان وحجبته السنون ، وأغفلت ذكره الصحف ، لامر ما ، يصعب تحديده أحيانا ، وقد نجد العلة فيه ونعش على السبب في انكاره والشاعر ابن الرومي مثال واضع على تجني المؤرخين ، واهمال المؤلفين واهمال المؤلفين ،

ومهما یکن من أمر فان ما یقی من أنباء عنه ، وما حفظته الایام من کنبه یمکن أن یرسم لنا صورة وان لم تتضح معالمها لشخصه ، وحیاته ، وصورة طبیة أکثر وضوحا وبیانا لفکره وأدیه •

<sup>(</sup>١) معجلم الأدباء ١

عاش أبو حيان في بقداد بالعراق في القرن الرابع الهجرى ، والمخلافة تظلها الدولة البوبهية الفارسية الشيعية ، وتفرض عليها حمايتها وغلب على هذا العصر المفتنة والاضطراب وكثرة المتازعات والحروب الداخلية بين عناصر الدولة ، وأمرائهما وقادتها ، وكان العراق في شماله وجنوبه مضطريا بين منازعات رؤساء القبائل وزعماء الطوائف في الجنوب ، وانتفاضات كثير من المفتات الكادحة كثورة الزنج بالبصرة ، ومنازعات الحمدانيين وبعض الامراء في شمالي العراق وبعض أقاليم الشام .

ورغم هذا الاضطراب السياسي ، والفوضى الاجتماعية التي سادت القرن الرابع في العراق ، قان عصر ازدهار حضارى في جوانب النن والعلم والادب كان يظلل القرن لانه كان عصر حصاد للماضى الطويل المجيد، الذي بني فيه العرب والمسلمون أركان دولتهم ، ودعموا أسس حضارتهم ، حتى استحصدت وأثمرت في هذا القرن الرابع بعد أن أزدهرت في القرن الثالث في عصور المخلفاء العظام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

ومن مظاهر هذا النضج الحضارى ، تتوع الحياة الثقافية بجوانبها ، من فلسنة وعلم وأدب ولغة ، وظهور جماعة من كبار العلمام والادباء ، والشمراء ، كان لهم دور واضح في تاريخ الثقافة العربية والاسلامية على مدى العصور أمثال ابن سيئا ، وابن مسكويه وأبى سعيد السيرافي ، وأبى الحسن الاشعرى ، وابن العميد ، وأبى العليب المتنبى،

وأبي حيان التوحيدى ، والمحاتمي ، وأبي الحسن الرمائي ، وأبي بكر العبولي ، والمرزباني ، وأبي هملال المسلكرى والقاضي المحرجاتي وابن تباته السعدى ، والسرى الرفاء ، وأبي يكسر المعنوبرى ، وأبي قراس العمداني "

وكانت دور الملم من مدارس ، ومساجم ، ومجانس في القمبور مجالا للدرس والبحث والمناظمرة ، كما كانت دكاكين الوراقين ، وأماكن السمر واللهو منتديات للادب والفن تجمع بين الفكر والفن ، وكم اهتم الشمراء بقضايا المنكس ، والمانسي ، والتجارب الانسانية اهتمامهم بالفن من غناء وطرب ، وجمال بناء ، وزينة ورياض .

فقى شعر شعراء العباسيين والبغداديين خاصة صور بينة لهذا كله ، فغى شعر ابن عبد القدوس والوراق وأبى العتاهية وبشر ابن المعتمر من الفلسفة والحكمة ، والالهيات والزهبد ، كما فى شعر أبى تواس ، والبحترى ، ومسلم بن الوليد وابن الرومى وابن المعتز من وصف لمظاهبر الحضارة الزاهبرة كمجالس الطبرب والانس، وجميل الرياض، وأدوات الشراب والطعام ، من كثوس الدهب والفضة ، والمعصور الفارهة الشاهقة ، والبراى ، والبساتين والتماثيل وما البها مما يمكن جمعه وتصور الحياة الناعمة من خلاله تصورا حيا نابضا ، يختلف عن تصورها من خلال التاريخ ومخى الادب في القرن الرابع مرتبطا بالفكر والفن جميعا ، ومنى الادب في القرن الرابع مرتبطا بالفكر والفن جميعا ،

ابن هارون يجمعون بينهما فيتحدث الجاحظ عن قضايا الفكر في الحيوان ، ومشكلات الحياة والمجتمع في رسائله فخر السودان ، والتجارة ، قانه عرض للحياة الفنية كذلك من خلل كتاباته الاجتماعية وخصها بالحديث في أكثر من فصل ورسالة مثل رسالته في القيمان -

وتابع الادباء في القرن الرابع الحديث في الفكر والفن والعياة ، فكانت رسائل الصابي ورسائل اخوان الصفا ، وكتاب الموشي للوشاء ، وكتابات أبي حيان التوحيدي في مؤلفاته من كتب ورسائل فضلا عن مسكويه وابن سينا وآبي سعيد السيرافي "

وشارك الشمر في هذا الاتجاه ، فكان صورة للحياة الفكرية والفنية الزاهرة •

نشأ التوحيدى اذا في هذا القرن الرابع في بغداد ، فكان طبيعيا أن يتم تكوينه في هذه البيئة ، فيأخذ منها بمض ملامعه ، أو تؤثر فيه البيئة ببعض معالمها أو كلها ٠

وأول المؤثرات في أبي حيان هو المكان والمجتمع ، وما كان يضطرب فيه من الاحداث والقيم • ولعله في ذلك كان مستجيبا للمجتمع استجابة الجاحظ ، وان اختلفت الصورة •

اهتم التوحيدي منذ طفولته وصباء الاول بالدرس والتواجة ، وصرفه الاهتمام بالقراءة والدرس عن الزواج ، فلم يعرف عنه آنه تؤوج و رزق أبنساء •

وتردد في درسه على كثير من مجالس العلم وعدد من الشيوخ وكيار العلماء ، ولم يقنع في طلبه بلون من ألوان المعرفة ، بل أراد أن ينوع مصادرها ، وأن يزود فكره بزاد غنى ، فألم من كل علم يطرف -

وقد كأن أبو حيان رجلا طلعة ، وكان ه شخصية فلسفية طلعة تستخلص الاستلة من كل ما يقع أمامها ، سواء أكانت خلقية أو اجتماعية ، و لغرية أو اقتصادية أو نفسية ، ، » •

ومن أساتيذه النابهين أبو سليمان المنطقي : محمد بن طاهر أبن بهرام السجستاني الذي كان فيلسوفا ومنطقيا ، ولغويا ، وصاحب نظر عميق في اللغة والادب -

قال عنيه أبوحيان (١):

« أما شيخنا أبو سليمان فانه أدقهم نظرا ، وأقعرهم غوصا ، وأصنفاهم فكرا وظفرهم بالدرر ، وأوقفهم على الغرر ، مع تقطع في العبارة ، ولكنه ناشيء مع المجمة وخلة نظر في الكتب ، فرط استبداد بالخاطر ، وحسن استنباط للمويص ، وجرأة على تفسير الرمز وبخل بما عنده في هذا الكنز » -

وكان أبو حيان يتردد على مجلس أبى سليمان بمنزله ، وكان يؤمه معه جماعة من العلماء والادباء وسجل أبو حيان بعض ما دار في ذلك المجلس من مناقشات ومحاورات "

وقرطه أبو الفتح ابن المعيد في رسالة بعث بها اليه قائلا :

<sup>(</sup>١) الايتاع والوائسة = ١٩٣١ طبعة لقاهرة ١٩٣٩ .

به فلله درك ودر زمان أنت من أهله (١) » ووصف أبو حيان في موضع آخر لابي سعيد السيراني :

و ان شيخنا إبا سليمان غزير البحر ، واسع المدر ، لا يغلق عليه في الامور الروحانية والانباء الالهية ، والاسرار الغيبية ، وهو طويل كثير الوحدة ، وقد أوتى مزاجا حسن الاعتبدال ، وخاطرا بعيد المنال ، ولسانا فسيح المجال » \*

وظلت علاقته بأستاذه أبئ سليمان قائمة ردما طويلا من الزمن ، وألف له كتاب امتاع المؤانسة ، لخص المجالس التى كان يحضرها عند الوزير ابن سعدان ، وتجمع كثيرا من رجال العلم والادب ويدور قبها حديث طويل حول موضوعات شتى .

وأخلص أبو حيان لاستاذه أبى سليمان، فظلت العلاقة بينهما طيبة ، وبقيت آثاره في كثير من كتيه واتصل باستاذ جليل آش هو الشيخ أبو سعيد السيرافي ( ٢٨٤ هـ ٣٦٨ هـ ) ، وكان أبو سعيد عالما جليلا في اللغة والنحو على مذهب البصريين ، وكان السيرافي يدرس النحو ويفتي بمجلس الرصافة مدة خمسين سنة على مذهب أبى حنيفة ، وقال ياقوت ، فما وجد له خطأ ، ولا عثر على رئة (٢) ، وأتقن علوم القرآن من القراوات ، والتفسير ،

 <sup>(</sup>۹) مثالب الوزیرین تحقیق در ابراهیام الکیالائی ...س ۲۹۸ ـ طبع دمشق
 ۱۹۹۱ - ۱۹۹۹

۱۵۰/۸ معجم الادیاء ریافوث ۱۵۰/۸

والاحكام ، كما أثقن علوم اللغسة والادب كالبلاغة والشعر

. وعظم صيته ، وتعدت شهرته حدود بقداد ، فأصبح يستفتى في كثير من قضايا الدين والمعرفة واللغة والادب ٠

وكانت له في النحو آثار واضحة ، ونهج خاص ، فهو فضلا عن اهتمامه بمذهب البصريين فقد شرح كتساب سيبويه شرحما مفصلا ، وكان كلامه في النحوات على رأى أبى حيان مفهوما على غير كلام الرماني الذي لم يكن مفهوما .

و فقل یاقوت آنه کان یقال : النحویون فی زماننا ثلاثة : د واحد لا یفهم کلامه ، و هو الرمانی ، و واحد یفهم بعض کلامه ، و هو آبو علی الفارسی ، و و احد یفهم جمیع کلامه بلا آستاذ ، و هو السیرافی » (۱) \*

ووصفه أبو حيان في المقابسات بقوله: و أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ ، وامام الاثمة ، معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والمقوافي والقرآن والغرائش والحديث ، والكلام ، والحساب والهندسة ، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مناهب أبي حتيفة فما وجد له خطأ ، ولا عثر منه على زلة ، وقضى ببغداد ، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقمة بخطه في السليماني ، فما جاراه فيه أحد ، ولا سبقه الى اتمامه انسان مفا مع الثقة في الديانة والامانة في الرواية (١) .

<sup>(1)</sup> معجم الادياء ١٤/٥٧ ·

<sup>(</sup>Y) المقايسات ـ ص ۸۸ ·

وقد كان السيرافي فضلا عن هذا العلم الواسع المتنوع على قدر عظيم من الخلق والدين والخشوع والتقوى ، وقد وصف بأنه و ما قرىء على أبي سعيد ذكر المسوت والقبس والبعث والنشور والعساب والمجنة والنار ، والوعد والوعيد ، والعقاب والمجازاة ، والثواب والاندار ، والاعدار ، وذم الدنيا ، وتقلبها بأهلها . وتغيما على بنائها ، الا ويكي منها وجزع عندها ، وريما نغص عليه يومه ولبلته ، وامتنع من عاداته في الاكل والشرب (1) »

وكان يذهب الى التزهد ، ويأخد نفسه بسلوك الصوفية ، وربعاً تلقى أبو حيان دروسه الاولى فى التصوف على يديه - رأى قلك ما سينيون فقال : « علم تلميذه فى سن مبكرة (سرار علم التصوف (۲) » -

وأثر فيه من هذه المناحية الروحية أثرا واضحا لازمه طوال حياتـه ٠

وكان أبو سميد السيرافي يأخذ في منهجه الفكرى بآراء المعتزلة ، وربما كان النجاء التوحيدى الى الاعتزال متأثرا بآرائه وكثرة قراءاته للجاحظ وتعلقه به •

ومن أساتيده في اللغة والنحسو أبو الحسن على بن عيسى الرمائسي (٢٧٦ هـ ـ ٣٨٤ هـ) ، والاختليد الوراق ، وقد كان

۱۷۲/۸ معجم (لادباء ۱۷۲/۸)

 <sup>(</sup>۲) تثله د ۱۰ ابراهیم الکیلائی د ص ۱۶ نوایخ الفکر العربی – آبو حیان
 التوحیدی وراجم آبو حیان لزگریا ابراهیم د ص ۳۳ ۰

وقد كان اماما في علوم اللغبة وغيرها ، فضلا عن أخذه بالاعتزال وطريقة المتزلة ، وذكره التوحيدي بين العلماء الذين يفضلون الجاحظ ، قال :

و ومنهم على بن عيسى الرمانى ، فانه لم ير مثله بلا تقيه ،
ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش علما بالنحو ، وغزارة فى
الكلام ، ويصرا بالمقالات، واستخراجاً للمويص وايضاحاً للمشكل،
مع تأله وتنزه ، ودين ويقبين وقصاحة ، وفقاهة وعقافة ،
ونظافة (١) » \*

وكان في طبقة أبي على الفارسي وأبي سعيد السهدافي في علوم اللغة والنعو ، وانفرد بالبلاغة والتفسير \*

وقدره أبو حيان حق قدره حين قال في حقسه :

والكلام والمروض والمنطق وعيب به ، الا أنه لمم يسلك طريق صاحب المنطق ، بل أفرد سناعته ، وأظهر براعة \* وقد عمل في القرآن كتابا نفيسا ، هذا مع الدين اليقين والمقل الرزين (٢)»

. وقد تخرج الترحيدى عليه في علم النحو ، وروى عنه في و المقايسات ، بعضا من مقالات الرمائي ،

وأخية الفلسفة من الفيلسوف النمراني يحيى بن مبدي

۲۱/۱۶ معيسم (لادياء ۱۴/۲۷)

<sup>(</sup>٢) الاستاع والمؤنسة ١٣٣١ -

(ت سنة ١٦٤ هـ) عوقد كان ملما بعلوم اليونان وفاسفتهم كثير القرابة في كتبهم، وقد تخرج ابن عدى على عالم كبيرومترجم، ثراجمة المناظرة تمت على يديه ترجمة بعض الكتب اليونائية إلى المربية وهو بشر بن متى بن يونس وكان يعيى كثير النسبخ للكتب وترجم بعض كتب أرسسطو من السريائية الى العربية ولخص بعض مؤلفات الفارابي ، وألف كثيرا في الفلسفة نقبل أبو حيان في و المعابسات بعض أردته فيها وكالقول في و العركة والرسان ، والعلة والمعلول ، والمسورة والمادة ، والكون والفيساد ، والعلة والمعلول ، والمسورة والمادة ، والكون

وكاتت عبارته المربية رديئة ، كما يقول التوحيدي ، وكان مشوه الترجمة •

وأخذ من يحيى بن عدى علوم الاوائل من الفلسفة والملم الطبيعي •

والمغف علوم الخفق، على شيخه المروزى أبي حامد أحمد بن بشر (ت ٣٦٢ هـ) وكان فقيها شافعيا (١)، وأتسم أبو حيان تكوينه الفكرى بالمشراعة ، فقد قرأ كثيرا من الكتب ، يرهيا له عمله بالوراقة عدا الاطلاع "

وخبر الحياة يتقلبه في البلاد ، وكان كثير الرحلة ، فأضاف الى علمه ، خبرته \*

<sup>(</sup>۱) راجع تاثره بالمروزي في كتاب د أبو حيان التوحيسات د أزكريا ابراهيم ص

ووصلت أسباب الحياة بين أبي حيان وبعض أعيان الدولة . وكبار رجالها ، وكانت صلته بالوزير المهلبي ــ وزير معز الدولة . قصيرة ، انتهت ألى نفيه عن بغداد .

وحاول الاتصال بالصاحب بن عباد ، قلم يلق عنده قبنولا.، فأدار له ظهره وألف فيه وفي أبي الفضل ابن البعبود وسالتيه و مثالب الوزيرين » \* وهي وسالمة هجاء ، صنعها كما صنع الجاحظ رسالته التربيع والتدوير فزاد عليه \*

وخرج التوحيدى كما قال ياضوت حتى « متفننا في جميع العلوم من النحو واللفة والشعر والادب والققه ، والكلام على رأى المعترفة » •

والف عديدا من الكتب رغم حياته المضطربة غير المستقرة و اد عاش فقيرا معظم حياته ، شاعرا بعدم التقدير من الناس ، متهما في رأيه ودينه ، مشردا ، لم ينهم بالطمأنينة في الجسد ولا المقل ، ولا النفس \*

لقد كان كثير الشكوى ، حتى أن أستاذه عاب عليه هده ، وكان هجاما ، حاد اللسان ، صريحا ، لا يدارى ، وأن بدت فى طباعه صفات ضمف أخذها عليه الناس كالتذلل بالمؤال وتديمه نفسه ، وأباحة عرضه للقاذفين •

وألف رغم عدا كله كتبا ورسائل طلت خالسة في الادب والفكر العربي ، وان رماه الناس بالباطل ، واختلفوا فيه اختلافا كبيرا \* فقد عد عند المائيسين من زنادقة الاسسلام الثلاثة ابن الراوندي وأبو العلام المدى وأبو حيان التوحيدي \*

وعد عند المنصفين من كبار المفكرين والمبدعين حتى عادلوه بالجاحظ -

بلغت آثاره ستا وعشرين أثرا بين موسوعات يبلغ أجزاؤها المشرة ورسائل صغيرة في صفحات ٠

# وأهسم كتيسة :

ا \_ الامتاع والمؤانسة ، في ثلاثـة أجزاء طبع ١٩٣٩ \_ 196٢ \_ 196٢ \_ 196٢ \_ 196٢ \_ 196٢ \_ ويتضمن أحاديث شتى سامر بها التوحيدي الوزير المهلبي ابن سعدان وجعله أربعين ليلة - وقال عنه القفطي : هو كتاب معتع على الحقيقة -

۲ \_ العداقة والصديق ، طبع سنة ١٣٠١ هـ باستانبول بمطيعة الجوائب ، ومرة أخرى بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ • وجمع فيه كل ما عرف مما قبل عن الصداقة شمرا ونشرا منذ الجاهلية الى عمسره •

٣ سالهوامل والشوامل ، وطبع بالقامدة سنة ١٩٥١ م ،
 وهو أسئلة مطلقة في موضوعات عدة أدبية وفلسنية وأخلاقية
 ولنوية وجهها أبو حيان الى مسكويه وأجابة هنها .

على البصائل والتنظائل ، وهو كتاب ضخم ، موسوعة علم وأدب ، وثمرة تجارب واسعة استاحيه ، أودعت بستا رآه وسمعه

وحفظه في المجالس والدروس والكتب التي قراها • فهو كقوله : ه ثمرة الممر ، وزيدة الايام » •

مثالب الوزيرين ، كتاب في هجاء أبي الفضل بن المعيد ، والصاحب بن عباد وطبع حديثا سنة ١٩٦٠ م .

المقابسات ، من كتبه الفلسفية الطابع ، وهي مجموعة أرام لكبار علمام عصره أمثال يحيى بن عبدى ، وأبي سليمان المنطقي ، طبع سنة ١٣٠٥ هـ بالهند وسنة ١٩٢٩ م بمصر -

٧ ــ الاشارات الالهية • وهو كتاب صوفى يضم مجموعة
 من المواعظ والاوراد الصوفية، طبع بتحقيق الدكتور عبد الرحمن
 بــدوى •

وعبرت مؤلفاته عن شخصيته ، وعبر المستشرق آدم متز عن اعجابه به وبكتبه فقال : «لم يكتب في النشر العربي بعد آبو حيان ما هو أسهل وأقوى وأشد تعبيرا عن شبخصية صاحبه عما كتب أبو حيسان (١) » •

ويمكن تتبع كتبه بتنبع تاريخ حياته ، وتجد بينها تناظرا واضحا ، ففي مراحل حياته الاولى اذ هـ مشغول بالتحميل والجلوس الى أساتذته من العلماء ، نجد كتبه مليئة بـ آراء هؤلاء الاساتذة ويطبعها السؤال من أبي حيان والجواب من الاساتذة ،

<sup>(</sup>١) - المعتمارة الاسلامية في المقرن الرابع ـ من ١٦٤٠٠

وتكاد أن تختفي شخصيته فيهما الى جانبهم • ومن أمثلتها كتاب و المقايسات ۽ •

وفى حالات غضبه وثورته عقب فشل رحلته الى المشرق وعدم توفيقه فى دفقة الوزيرين المكبيرين والمساحبين الاديبين ابن المسيد والمساحب ابن عباد يعبد كتاب و مثالب الوزيرين » عن ذلك المغنب والهجاء لهما على سوء معاملتهما اياه ٠

وفي مرحلة رضاه مع الوزير ابن سعدان بعد عود الهدينة والعلمينة ، وركن اليه بغداد ، وقد اكتملت شخصيته الادبينة والعلمينة ، وركن اليه الوزير ، وقريه ، وطلب اليه مساسرته بطرائف رأيه وغزير علمه وأدبه ويؤلف الكاتب و الامتاع والمؤانسنة » ، يجمع فينه تلك المجالس ، وتظهر شخصيته واضحة ، فهو دائما الذي يجيب برأيه أو بعلمه ، أو بروايته وحنظه ، واذا عز عليه الجواب طلب مهنة ليسأل بعض أسائيذه أو العلماء قيما لم يعلم أو لم يتقن "

وفي مرحلة حياته الاخيرة اذ تتقدم به السن ، وينظرها بإن يديه فاذا هو هباء والخطى تسمير به الى النهايسة ، فتنمو عنده مشاعر صوفية ، ورغبات زهد دفينة ونزعات رفض للحياة كانت تستكن وتبدو - فينهي حياته بذلك الاتجاء الصوفي ويندرج كما قال المؤرخون في سلك الصوفية وشيوخهم ، بل يصبح شيخا له من الاتباع والمريدين ويؤلف لهم ولنفسمه مجموعة من الادعية والاوراد والمواعظ يضمنها كتابه و الإشارات الالهية » •

# نصوص من أدب أبي حيان التوحيدي

أولا: : « من كتاب الامتاع والمؤنسة » :

« فَصْلُ الْعَرِبِ وَالْلَغَـةُ الْعَرِيبِـةُ » •

قال في الليلة السادسة:

و وقد سمعنا لغات كثيرة \_ وان لم نسترعبها \_ من جبيع الامم ، كلغة إصحابنا العجم والروم والهند ، والترك وخوارزم ، وصقلاب ، واندلس ، والزنج ، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية ، أعنى الغرج التي في كلماتها ، والقضاء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي نتنوقها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تجحمد في أبنيتها ، واذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وصحة هذا الحكم فالحظ عرض اللغات الذي هو بين أشدها تلبسا و تداخلا ، و ترادفا و ماظلا ، وتحسرا و تعوصا ، والى ما بعدها مما هو أسلس حروفا ، وأرف لفظا ، وأخذ اسما ، والطف أوزانا ، وأحضر عيانا وأحلى مخرجا، وأجلى منهجا ، وأعلى مدرجا ، وأعدل عدلا ، وأوضح فملا ، وأصح وصلا ، الى أن تنزل الى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي الى العربية ، فاتك وسكم بأن المبدأ الذي أشربا اليه في الغوائس والاغماض ، سوى قليلا حتى وقف على الموربية في الافعياح والايماض » سوى قليلا حتى وقف على الموربية في الافعياح والايماض »

وهدًا شيء يجده كل من كان صحيح البنية ، برينًا من الآفة ، متنزها عن الهوى والمصبية ، معبا للانصاف في الخمومة ، متعریا للحق فی الحكومة ، غیر مسترق بالتقلید ولا مغدوح بالالف ، ولا مسخر بالعادة ، وانی لاعجب كثیرا من یرجع الی فضل واسع وعلم جامع ، وعقل سدید ، وأدب كثیر ، اذا آبی هذا الذی وصفته ، وآنكر ما ذكرته ، وأعجب أیضا فضل عجب من الجیهانی (۱) فی كتابه وهو یسب العرب ، ویتناول أعراضها ویحط من أقدارها م ویقول یأكلون البرابیسع والضباب ، والجردان والحیات ، ویتماونون ، ویتساورون ویتهاجون ، ویتفاحشون وكانهم قد سلخوا من فضائل البشر ، ولیسوا أهب الختازیر م

قال : ولهذا كان كسرى يسمى ملك المرب « سكان شاه » اى ملك الكلاب ٠

قال : « وهذا لشدة شبههم بالكلاب وجرائها ، والطباء وأطلائها » -

وكلاما كثيرا من هذا الصوب أرفع قدره عن مبله ، وان كان يضع من نفسه يفضل قوله • أثراه لا يعلم لو نسزل ذلك القفر ، وتلك الجزيرة ، وذلك المكان الخاوى ، وتلك الفيافي والموامى ، كل كسرى كان في الفرس ، وكل قيمر كان في السروم ، وكل بهور كان في الهند وكل تقفور كان بخراسان ، وكل خاقان كان بالارك ، وكل أخشاد كان بفرهانة ، وكل صبهبذ كان من أسكنان

 <sup>(</sup>۱) عو محمد بن أحمد الجيهائي ، وكان وزيرا للسامانيين ، وكان إديبا من رؤساء
 المتكلمين يظهر ويبطن الزندقية •

وأردوان ما كانوا يعدون هذه الاحوال ، لان من جاع أكل ما وجد وطعم ما تحق ، وشرب ما قدر عليه ، حبا للعياة ، وطلبا للبقاء ، وجزعا مع الموت وهويا من الفناء ، أترى أنوشروان اذا وقع إلى فيافي يتى أسد ، وبر وسفوح طيبة ورمل يبرين ، وساحة هبير ، وجاع وعطش وعرى ، أما كان يأكل البريوع والبرذان ، وما يشرب بول الجمل وماء البئر ، وما أسن في تلك الوهدات ؟ أو ما كان يلبس البرجد (1) والخميصة (٢) والسمل من الثياب (٢) ، وما هو دونه ، وأخشن ؟ • بهلي والله ، ويأكل حشرات الارض ، ونبات الجبال ، وكل ما حمض ، ومر ، وخبث ، وضر • هذا جهل من قائله ، وحيف من منتحله •

على أن العرب \_ رحمك الله \_ احسن حالا وعيشا اذا جادتهم السماء وصدقتهم الانواء ، وازدانت الارض ، فهدلت الثمار ، واطردت الاودية وكثر اللبن والاقط (٤) ، والجبن واللحم ، والرطب والتمر ، والقمع \* وقامت لهم الاسواق ، وطابت المرابع وقصد الخصب ، وتوالى النتاج ، واتصلت المبرة ، وصدق المساب (٥) ، وأرفخ المنتجع (٦) وتلاقت القبائل على المحاضر ،

<sup>(</sup>۱) البرجد: كساء غليظ من صوف أحدى وقيل هو كساء ضخم مقطط يصلح للغباء وضمره و

<sup>(</sup>٢) الغميصية : كساء أسود مربع له علمان ١

<sup>(</sup>۲) السمل: من الثياب الخلق البالي •

علمام يتخذ من ثبق الشهم ويطبخ -

<sup>(</sup>٥) المماب، المتصد، من صاب يصوب أي يتجه ٠

 <sup>(</sup>٦) أرفع له المعاش وصعه ٠

وتقاولوا ، وتضايضوا وتعاقبه والمعاهدوا ، وتزاوروا ، وتناشه والمعدوا الناسم ، ونطقوا بالمحكم ، وقهروا الطراق ، ووسلوا المفاة ، وزودوا السابلة وأرشه والفهلال ، وقاموا بالمحملات (۱) ، وفكوا الاسرى ، وتداعبوا الجفيل ، وتعاقوا المنقرى ومنافسوا في إعمال المعروف ، هذا وهم في مساقط رووسهم ، بين جبالهم ورمالهم ، ومناشيء آبائهم وأجهد طدهم . وموالد أهلهم وأولادهم ، على جاهليتهم الاولى والثانية .

وقد رأيت حين هبت ريحم ، وأشرقت دولتهم بالدعوة ، وانتشرت دعوتهم باللة وعزت ملتهم بالنبوة ، وغلبت نبوتهم بالشريعة ، ورسخت شريعتهم بالخلافة ، ونفرت خلافتهم بالسياسة الدينية والدنيوية ، كيف تحولت جميع محاسن الامم اليهم ، وكيف وقعت فضائل الاجبال عليهم ، من غير أن طلبوها ، وكدحوا في حيازتها ، أو تعبوا في نيلها بل جاءتهم هذه المناقب والمقاخر ، وهذه المتوادر من الماش عفوا ، وقطنت بين أطناب بيوتهم سهوا ، دهموا .

وهكذا يكون كل شيء تولاه الله بتوفيقه ، وساقه الى أهنه بتأييده ، وجهلي مستحقيه باختياره ، ولا غبائب لامسس الله ، ولا مبدل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : (قل الله مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتدن على كل شيء قدير ) ،

<sup>(</sup>۱) الحمالات ، الديات والنرامات ٠

وللبه في خلقه أسرار ، تتعمرف بها دوائر الليل والنهار ، وتنطلها مجارى الاقدار حتى ينتهي بمحبوبها ومكروهها الى القرار •

## عنز الهنا معبودا ، وجنل ريا معمودا مقصودا -

ويعد ، فالذي لا شات فيه من شأن العرب ، ولا جاحد له من حالها أنه ليس على وجله الارض من الناس يتزلون انتفار وينتجعون السحاب والقطر ، ويحالجون الايل والغيل ، والغنم ، وغيرها ، ويستبدون في مصالحهم يكل ما عز وهان ، ويكل ما قل وكثر ويكل ما شهل وعسر ، ويرجون الغير من السماء في صوبها ، ومن الارض في نباتها مع مراعاة الاوان بعد الاوان ، وثقة بالحال بعد الحال ، وتبصره فيما يقمل ويجتنب ، ما للعرب فيما قدمنا وصفه ، وكررنا شرحه من علمهم بالخصب والجدب ، واللين والقسوة والحر والبسرد والرياح المختلفة والسمائب الكاذبة والمخايل الصادقة والاتواء المحمودة والمذمومة والاسباب الغريبة المعجيبة -

وهذا لانهم مع توحشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون \* فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسن العادات ومن أخلاق البادية أظهر الاخلاق \*

وهذا المعنى على هذا النظم قد عدمه أصحاب المدن ، وأرباب المحتم لان الدناءة والموقة ، والمكيس والهين ، والخلابة والخداع

والحيلة والمكر والرعب تغلب على هؤلاء ، وتعلكهم لان مدار أمرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس ، والخلف من الوعد .

والمرب قد قدسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجبلها على أشرف الاخلاق يقدرته ، ولهذا تجد أحدهم وهو في بت حافيا (١)، حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالمحمدة وينتحل النجدة ، ويحتمل الكل ، ويضحك في وجه الضيف ، ويستقبله بالبشر - يقول : أحدثه أن الحديث من القرى -

ثم لا يقتع ببث العرف ، وقعل الخير ، والصبر على النوائب حتى يعض الصغير والكبير على ذلك ، ويدعو اليه ، ويستنهضه تحوه ، ويكلفه مجهوده وعقدوه ٠

وقد قيل لرجل منهم في يوم شات وهو يمشى في سمل : أما تجه البرد يا أخا المرب ؟ فقال أمشى الخيزلي ويكفيني حسبي ٠

والفارس لا يحسن هذا النسط ،ولا يدوق هذا المعنى ، ولا يحلم بهذه اللطيفة وكذلك الرومي والهندى ، وغيرهما من جميع المجم -

ومما يدل على تحضرهم قلى جميع باديتهم ، وتبديهم قلى حاضرتهم ، وتحليهم بأشرف أحوال الامرين ، أسواقهم التي لهم

بت ، البت كساء غليظ النسج من صوف أو وبر ، قال الشاعر :
 من يك ذا بت فهذا يتي مقييط مريسع مشببتي

قی الجاهلیة ، مثل دومة الجندل (۱) یقسری کلی و هی النصف بین المراق والشام ، کان ینزلها الناس آول یسوم من شهر ربیع الاول فیقیمون آسواقهم بالبیع والشراء ، والاخذ ، والعطاء ، وکان یمشرهم (۲) اگیدر دومة وربسا غلبت علی السوق کلب فیمشرهم بعض رؤساء کلب ، فیقوم سوقهم الی آخس الشهر ثم ینتقلون الی سوق هجر (۳) \* وهو المشقر (٤) فی شهر ربیعالآخر ، فتقوم آسواقهم وکان یمشرهم المنبذر بن ساوی من بتی عبد الله بن دارم ، ثم یرتعلون نعو عمان ، فتقوم سوقهم بدیار دبا ، ثم یستعلون فینزلون آرم وقسری الشسحر ، فتقوم آسواقهم آیاما ، ثم یرتعلون فینزلون آرم وقسری الشسحر ، فتقوم آسواقهم آیاما ، ثم یرتعلون فینزلون عدن آبین \* ومن سوق هدن شیری اللطائم (۵) ، وأنواع العلیب \* ولم یکن فی الارض آکثر طیبا ، وآخذی سناعا اللطیب من عدن \* ثم یرتحلون فینزلون الرابیة می حضر موت \* ومنهم من یجوزها ویرد صنعاء ، فتقوم آسواقهم بها \* ومنها کانت تجلب آلة المخرز والادم ، والبرود ، اسواقهم بها \* ومنها کانت تجلب آلة المخرز والادم ، والبرود والحبر ،

 <sup>(</sup>۱) دومة الجندل ، سوق ، في موقع حصن وقرى بإن الشام والمدينة قرب جبال طلبيء .

<sup>(</sup>۲) - آکیندر ، استم ساحب دومنهٔ ۰

<sup>(</sup>٢) قاهدة البحرين ، وقبل ناحية البحرين كلها هجس -

المشقر حصن هناك يهجر قديم تواحدة من قبائلهم هي عبد التيس •

 <sup>(4)</sup> اللطائم الطيف ، والمدينا نطيعة •

 <sup>(</sup>٦) مكان باليمن تنسب اليه الثياب المافرية ٠

ثم يرتعلون الى عكامل ، وذى المجاز فى الاشهر العرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتعاجون ويتعادون ، ومن له أسير يسمى فى فدائه ، ومن له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر العكومة من بنى تميم \* وكان آخرهم الاقرع بن حابس \* ثم يتوجهون الى يقون بعرفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ، ثم يتوجهون الى أوطانهم \*

وهذه الاسواق كانت تقوم طوال السنة ، فيحضرها من قرب من العرب ، ومن بعد • هذا حديثهم وهمم همل لا عمر لهم الا بالسؤدد ، ولا معقل لهم الا السيف ولا حصون الا الخيل ، ولا فغر الا يالبلاغة -

ثم لما ملكوا الدور والقصور ، والجنان والاودية ، والانهار ، والمعادن ، والقلاع والمدن والبلدان ، والسهل والجبل ، والبحس والبحس لم يقعدوا عن شأو من تقدم بألاف السنين ، ولم يحجزوا عن شيء كان لهم ، بل أبروا عليه وزادوا ، وأغربوا وأفادوا - وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ، نيس الل مسرده سبيل ، ولا لجاحده ومتكره دليل .

#### (ب) « من الليلة الثامنية » :

#### حديث الشيعراء :

قال ابن سعدان : قصل خدیثك - • • بحدیث أصحابنا الشعراء • صف لی جماعتهم ، واذكر نی بضاعتهم ، وما خص كل واحد منهم • قلت : لست سنج الشمر والشمراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دحض (١) ، وأحتسى غير محض \*

قال : دع هذا القول ، فما خضنا في شيء الى هذا الوقت الا على غاية ما كان في النفس، ونهاية ما أفاد من الانس ، فكان من الوصف :

إما السلامي (٢): قهد حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يبسم عن ثغر الغمام ، خفي السرقة ، لطيف الاخذ ، واسع المذهب، الطيف المغارس ، جميل الملابس ، لكلامه ليطه بالقلب وعبث بالروح ، وبرد على الكيد •

وأما العاتمي (٣) : فغليظ اللفظ ، كثير المقد ، يحب أن يكون بدويا قعا ، وهو لم يتم حضريا ، غزيس المعفوظ ، جامع بإن النظم والنش ، على تشابه بينهما في الجفوة ، وقلة السلاسة ، والبعد من السلوك ، بادى العورة فيما يقول ، لكأنما يبرز ما يخفي ، ويكدر ما يصفى - له سكرة في القول اذا أفاق منها خمر ،

<sup>(</sup>١) دحض مزلة ومزلقة للاقدام .

السلامى: شاعر من أعل العراق ، عربى الاصل من بنى معزوم ، ولد بالكرخ ببنداد منة ٣٣٦ هـ واتصل بالصاحب ابن عباد وعضد الدولة البويهى ومعجهدا . ترجم له صاحب المشيعة ، وروى بعضا من شعره وتوقى سنة ٣٩٤ هـ .

<sup>(</sup>٣) العاشمي : على بن الحس ، الكاتب الاديب اللنـوى الشاعر الناقـد ، عاش في بنداد ، واتصل بالوزيد المهلبي ، وائتشى بالمتنبي عند ودوده بنداد سنة - ٩٩ هـ وساوله في شعره ، وألف فيه وفي شعره رسائتين ، أحدهما في معانيه، ب والاخرى في مواققة شعره شعر أرسططاليس ، توفي سنة ٢٨٨ هـ -

ورادًا خدن مبدن (۱) ، يتطلول شاخصا ، فيتضامك مشاهسا ، (دَا صبدن فهو مهين ، وادَا كذب فهو مشير ،

واما ابن جلبات (٢): فمجنسون الشمر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع الحيلة ، كثير الزوق (٣) فمسير الرشاء (٤). ، كثير النثاء ، غره نفاقه (٥) ، ونفقه نماقه -

وآما الخالع (٦): فأديب الشمس ، صحيب النعت ، كثبر البديع ، مستوى الطريقة متشابه السناعة ، بعيد من طفرة المتحبر، قريب من فرصة المتخبر ، كان ذو الكفايتين يقدمه بالرى ويقبله على النشر والطي .

وأما ابن نباتة : فشاعر الوقت ، لا يدفع ما أقول الاحاسد، أو جاهل ، أو معاند قد لحق عصابة سيف الدولة ، وعدا معهم ووراءهم ، حسن التحدر على مثال سلكان البادية لطيف الاثتمام يهم ، خفى المغاص في واديهم ، ظاهر الاتللال على تأديهم ، هذا مع شعبة مع الجنون ، وطائف من الوسواس \*

وأما ابن الحجاج (٧) : قليس من هذه الزمرة بشيء ، لاك

<sup>(</sup>۱) سندر: تحير ولم يبناله ٠

<sup>(</sup>۲) هو أبو القاسم على بن جلبات من شمراء البتيمة ج ۲۲۰/۲

<sup>(</sup>٣) النوق : الزينة -

<sup>(</sup>٤) الرغسام: الجبل الذي يصل الداو الديلتي به في البشر •

<sup>(</sup>٥) النتاق : ينتج النون الرواج •

<sup>(</sup>١) الخالع : أبو عني العسن بن على من تتمراء المقرق \* أورده مساحب اليعيمة -

 <sup>(</sup>٧) ابن العجاج مو : آبو عبد الله الحسين بن أحمد ، النام ملحن من العوام

سنيف الطريقة ، يبيد من الجد ، قريع في الهنزل ، ليس للمقل بن شعيره منال ، ولا له في قرضه مثال ، على أنه قويم اللفظ نسنهل الكلام ، وشمائله نائية بالوقار عن عادته البارية في الخسار ، وهو شريك ابن سكره في هذه النواسة ، واذا جد أقصي ، واذا هزل حكى الاقمى .

#### ولمه مع ذي الكفايتين مناظرة طيبة ٠

قلت: لما ورد دو الكفايتين (١) سنة أربع وستين ، وهزم الاتراك مع أفتكين ، وكان من الحديث ما هو مشهود سأل عن ابن حجاج \_ وكان متشوقا له ، لما كان يقرأ عليه من قوافيه فأحب أن يلقاه ، لانه ليس الغبر كالماينة والمسموع والمبصر كالانثى والدكرين عكل واحدمنهما الى تمامه (بالآخر)، فلما حضره أبوعبد أنه احتبسه للطعام ، وسمع كلامه ، وشاهد سمته واستخلى شمائله ، فقام من مجلسه ، فلما خلا به قال : يا أبا عبد أنه لقد والله تهت عجبا منا ، فأما عجبى بك فقد تقدم " لقد كنت أفسلى ديراتك ، فأتمنى لقاءك ، وأقول من صاحب هذا المكلام أظيش طأئش ، وأخرم غارم وكيف يجالس من يكون في هذا الاهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس الكتاب وأصحاب وكيف يقارب وكيف يقارب من يتسلخ من ملابس الكتاب وأصحاب وأحد من ملابس الكتاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وكيف يتهاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب والمحاب والكتاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب والكتاب وأصحاب وأصحاب والحداد وكيف يتهاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب وأصحاب والحداد والحداد والحداد والحداد والحداد وكيف والحداد والح

بغداد في الثرن الرابع الهجري ، اتصل بالوزير المهلبي ، وعضم الدولية ،
 والصاحب بن عياد وابن المديد ، وهجا المتنبي وترجم لمه صاحب البنيسة ،
 توفي منة ١٩٣١ هـ -

<sup>(</sup>١) - ذو "لكمايتين أبو الفتح ابن العميد ، الكاتب الوزير الاديب الشاعر -

الآداب • حتى شاهدتك الان ، فتهالكت على وقدارى ، وسلكون أطرافك ، وسكوت لفظك وتناسب حركاتك وفدرط حيائك ، وناضر وجهك ، وتعادل كلك وبعضك • وانك لمن عجائب خلق الله ما يصدق واحد أنك صاحب ديوانك ، وأن ذلك الديوان لك ، مع هذا التنافى الذي بين شعرك وبينك في جدك •

فقال أبو عبد الله: أيها الاستاذ و كان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارعنا على هذا لفلجت عليك بالتعجيب منك ولائي قلت : اذا ورد الاستاذ فسألقى منه خلقاجافيا وفظا غليظا ، وصاحب رواسي ، وآكل كوامخ (1) ، وجبليا ، ديلميا ، متكاثبا متعاظما ، حتى رأيتك الان ، وأنت ألطف من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغزل من جميل بن معمر ، وأعزب من الحياة ، وأوزن من الطود ، وأخزر من البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من النيث ، وأنطق من سحبان ، وأسخى من الغمام وأنفذ من السهام ، وأكبر من جميع الانام .

فتال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع فضلك ، وبواعث تفضيك • ووصيله وصرفه •

<sup>(</sup>۱) كوامخ ، جمع كامخ ، والكامخ ، وهو أدام يؤتدم يه ، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستممل لتشتهي الطمسام "

#### ثانيا : من البصائر والذخائر (١)

#### الجاحستك

#### يقسول :

و أبو عثمان الجاحظ ، قائك لا تجد مثله ، وان رأيت ما رأيت، رجلا أسيق في ميدان البيان منه ، ولا أبعد شوطا ، ولا أمد نفسا ، ولا أقوى منه ، أد جاء بيانه خجل وجه البليغ للشهود ، وكل لسان المسحنف الصبور ، وانتفخ سحر العارم الجسور .

ومتى رأيت ديباجة كلامه رأيت حوكا كثير الوشى ، قليل السنعة ، يعيد التكلف ، حلو المجنى مليح المطل ، له سلاسة الماء ، ورقة كرقة الهواء ، وحلاوة كحلاوة الناطل وعزة كعلزة كليب وائل ، فسبحان من سخر له البيان ، وعلمه ، وسلم فى يده قصب الرهان وقدمه ، مع الاتساع العجيب ، والاستعادة المائية ، والكتابة الثابتة والتصريح المفنى ، والتمريض المبنى ، والمعنى البنى ، والمعنى المبنى ، والمعنى البنى ، والمعنى المبنى ، والمعنى ، والمعنى ، والمهنى المبنى ، والمبنى المبنى ، والمهنى المبنى ، والمبنى المبنى ، والمبنى المبنى ا

<sup>(</sup>١) الجزء الاول من ٢٣٠٠

## فهرست الموضوعيات

رقم الصعيثة	الوضـــوع
	القسسم الاول
	تقديسم
	شعراء من القرن الثاثي
٨	البيئة _ المكان والعصر والمجتمع
<b>1-1</b>	المجتمع العباسي
17	الشعو ييـــة
34	الزندة
71	الميواري والعيساة
·rr	بشار بن بسرد ـ عيانه وشعي
<b>\$</b> a	غزله وموقفه من المسواة
ea	هجـــاژه
41	مسأتر فتونسه المشمريسة
ኘዮ	أبو تسواس - المبسدد المفتن
٦.٨	أمساتينه في القيس
YE	شنمر نادراسته موضوعية
AT	شسعره في القمس
16	تمتوص من خبریاته
1 -10	حال المطريين والمنشدين والاتهم
114	خولت في المسترثم
174	شسعراء بصريسون

.

رقم الصعيفة	الموضيوع
177	المطبوعون ـ المبيد العســــــــــــــــــــــــــــــــــــ
179	آبان بن عبد العميد اللاحقى
144	مطیع بن ایاس
151	التمط الاعسرابي
157	شمحواء الفسول ـ العباس بن الاحنف
157	شحواء الحكمة والزهد ـ مالح بن عبد التدوس
101	أحمد بن المحال
107	أبر المتاهية
104	أصحاب اليليع ــ مسلم بن الوثيد
144	القسم الثاني ــ شعراء من القرنين الثالث والرابع
140	القرن الثالث ـ الإطار السياسي
145	المعياة الاجتماعية
144	الحياة الفكرية والششاغية
Y ~ £	الشعر والشعراء - الاتجامات الفنيئة
713	تسعراء المشاهب ـ من أهل السنة على بن الجهم
771	من البلرية ــ دعبل بن على
***	ابو تمام حبيب پڻ اوس
750	معمل بن داود الاصفهائي
754	أيو العياس الناشيء
#¥0	المعتسابي _ كلثوم بن عمسرو

#### \_ ##F \_\_

روائم الصميلة	الموضيوع
144 C -	البحتـرى ـ الوليد بن عبيد الله
41-	<b>ابن الرومسي</b> حد على بن المعباس
TST	أيو الطيب المتنبي - أحدد بن الحدين
<b>177</b>	القسم الثالث ـ جماعة من الكتاب
ire	الجاحظ ــ ابو عثمان عمرو بن بحر
44-	موقفه من الامتزال
444	موقفه من عصره واتجاهاته الدينية والفكرية
44A	موقفه من الزنابقة
507	آسياو په
£øÅ	أهم موضوعات كتبه ويهائله
£Y1	وسالة التبسى بالتجارة
£7£	رسحالة المقيسان
174	ومالة المحياد والمدائل
£A.	حب الاوطسأن
17.13	المواضوعات الدينية في كلفية ورسافله
141	البيان والنقب واليلاهبة
144	روح النكامة والسفرية
£4.A	كتاب العيوان بين الادب والمهدل الديني

. ﴿ وَالْمِ الصَّحِيثَةُ	الونسوع.		
•••·	نابن قتيبــة		
ø•¥ .	ثقافته وآراءؤه وعقائده		
214	والباعظ ابن ابن التيبة والباعظ		
atr	أبو حيان التوحيدي ــ حياته		
673"	اساتيته		
PTT	. کمپ		
OTY	تمبوس من أديبه		

# تسم بعصب اللب

### عبدالقادرالستونى

٢١ شارع سيزوسفريس بـ الاسكندرية ت : ١٠٥٤-٨

